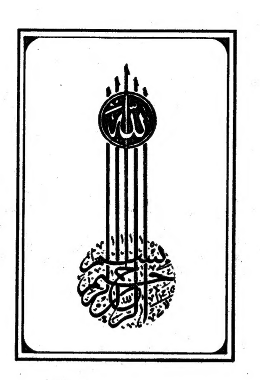


لابن تيمية
أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم

تحقيق

الدكتور محمد رشاد سالم

الجزء الخامس



الطبعة الأولى

١٤٠٦ - ١٩٨٦

رموز الكتــــاب

١ ـ ن = نسخة نور عثمانية باستانبول .

٢ ـ م = نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة .

٣ ـ ب = النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق .

٤ ـ ع = نسخة عاشر أفندى باستانبول .

٥ ـ ا = نسخة مكتبة الأوقاف الأولى ببغداد .

٦ ـ ق = نسخة مكتبة الأوقاف الثانية (المختصرة) ببغداد .

٧ ـ و = نسخة الولايات المتحدة الأمريكية .

٨ ـ ل = مخطوطة جامعة الإمام الأولى .

٩ ـ ص = مخطوطة جامعة الإمام الثانية .

١٠ـ هـ = مخطوطة جامعة الإمام الثالثة .

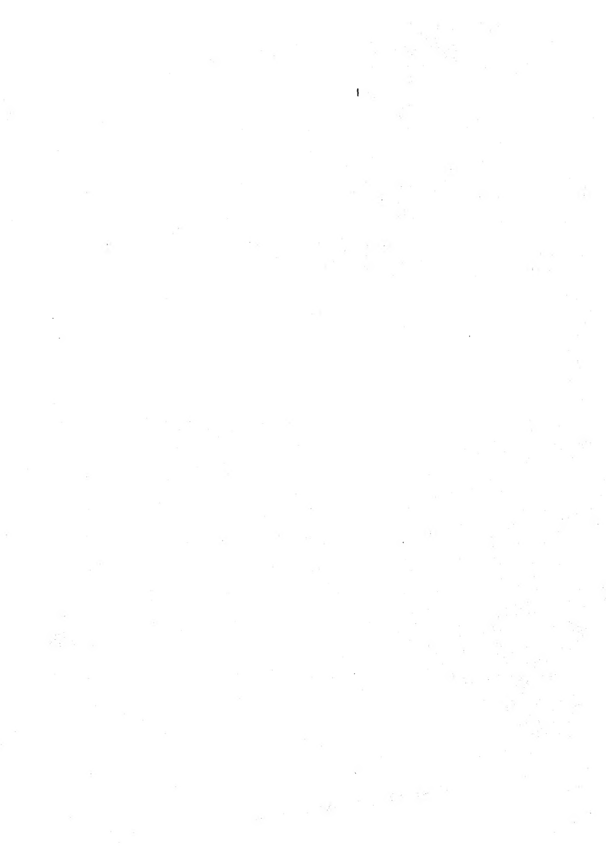
١١ـ ح = مخطوطة جامعة الإمام الرابعة .

١٢ـ س = مخطوطة جامعة الإمام الخامسة .

١٣ـ ر = مخطوطة جامعة الملك سعود الأولى .

١٤ـ ى = مخطوطة جامعة الملك سعود الثانية .

١٥ـ ك = كتاب «منهاج الكرامة فى إثبات الإمامة» لابن المطهر الحلّى .



٣/ ٢
ص ١٧٨

/ الفصل [الثانى][1]

كلام الرافضى على فضائل على رضى الله عنه

قال الرافضى[2] : «السادس[3] / : إن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين وكمالاته لا تحصى[4] قد رواها المخالف والموافق[5]، ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابة مطاعن كثيرة، ولم ينقلوا فى علىّ طعنا ألبتة، اتّبعوا[6] قوله وجعلوه إماماً لهم حيث نزّهه المخالف والموافق[7]، وتركوا غيره، حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن فى إمامته. ونحن نذكر هنا شيئا يسيرا مما هو صحيح عندهم ونقلوه فى المعتمد من قولهم وكتبهم[8]، ليكون حجة عليهم يوم القيامة.

فمن ذلك ما رواه أبو الحسن الأندلسى فى «الجمع بين الصحاح الستة» موطأ[9] مالك وصحيحى البخارى ومسلم[10]

---

(١) ن، م، و: فصل. وهنا تبدأ نسخة (ق) المختصرة.

(٢) و: قال الإمامى. والكلام التالى فى (ك) ١١٩ (م) - ١٢٠ (م).

(٣) السادس: ساقطة من (ب). وفى (ك): الوجه السادس.

(٤) ك: أمير المؤمنين عليه السلام وكمالاته التى لا تحصى . . .

(٥) و: الموافق والمخالف؛ ك: المخالف والمؤالف.

(٦) ك: ابتغوا.

(٧) ك: والمؤالف.

(٨) ك: فى المعتمد من كتبهم؛ م: فى المعتمد من قولهم.

(٩) ك: الستة من موطأ . .

(١٠) ر، ح، ى: وصحيح البخارى ومسلم؛ ك: وصحيح مسلم والبخارى.

وسنن أبى داود وصحيح الترمذى وصحيح النسائى[1] عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]. أنزلت[2] فى بيتها وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يارسول الله ألست من أهل البيت؟ فقال: إنك على خير، إنك من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم[3]. قالت: وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين[5] فجللهم بكساء، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

الرد عليه

والجواب أن يقال: إن الفضائل الثابتة فى الأحاديث الصحيحة لأبى بكر وعمر أكثر وأعظم من الفضائل الثابتة لعلىّ، والأحاديث التى ذكرها هذا وذكر أنها فى الصحيح عند الجمهور، وأنهم نقلوها فى المعتمد من قولهم وكتبهم، هو من أبينَ الكذب على علماء الجمهور؛ فإن هذه الأحاديث التى ذكرها أكثرها كذب أو ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث، والصحيح الذى فيها ليس فيه ما يدل على إمامة علىّ ولا على فضيلته عَلَى أبى بكر

---

(١) فوق كلمة النسائى فى (ك) بين السطرين كتب ما يلى: «كأنه من بقعة النساء نسبته إلى بلد النساء. وفى وفيات الأعيان ١/٦٠ يقول ابن خلكان عن النسائى: «ونسبته إلى نسأ بفتح النون وفتح السين المهملة وبعدها همزة ـ وهى مدينة بخراسان».

(٢) ن، م، أ، و: نزلت.

(٣) ك: النبى رسول الله.

(٤) ن، م: النبى صلى الله عليه وسلم؛ ك: رسول الله.

(٥) ك: والحسين عليهم السلام.

وعمر، (*بل[1] وليست من خصائصه، بل هى فضائل / شاركه فيها غيره، بخلاف ما ثبت من فضائل أبى بكر وعمر*)؛ فإن كثيرا منها خصائص لهما، لا سيما فضائل أبى بكر، فإن عامتها خصائص لم يشركه فيها غيره. ٣/٣

وأما ما ذكره من المطاعن، فلا يمكن أن يوجّه على الخلفاء الثلاثة [من][2] مطعن إلا وُجه عَلَى علىّ ما هو مثله أو أعظم منه.

فتبين أن ما ذكره فى هذا الوجه من أعظم الباطل، ونحن نبيّن ذلك تفصيلا.

وأما قوله: «إنهم جعلوه إماما لهم حيث نزّهه المخالف والموافق[3]، وتركوا غيره حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن فى إمامته».

فيقال: هذا كذب بيّن؛ فإن عليًّا رضى الله عنه لم ينزّهه المخالفون، بل القادحون فى علىّ طوائف متعددة، وهم أفضل من القادحين فى أبى بكر وعمر وعثمان، والقادحون فيه أفضل من الغلاة فيه، فإن الخوارج متفقون على كفره، وهم عند المسلمين [كلهم][4] خير من الغلاة الذين يعتقدون إلاهيته أو نبوته، بل هم - والذين قاتلوه من الصحابة والتابعين - خَير عند جماهير المسلمين من الرافضة الاثنى عشرية، الذين اعتقدوه إماما معصوما.

(*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (أ).

(١) بل: زيادة فى (ن)، (م)، (و)، (ى).

(٢) من: زيادة فى (أ)، (ب).

(٣) ن: الموافق والمخالف.

(٤) كلهم: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

وأبو بكر وعمر وعثمان[1] ليس فى الأمة من يقدح فيهم إلا الرافضة ، والخوارج المكفِّرون لعلىّ يوالون أبا بكر وعمر ويترضَّون عنهما ، والمروانية الذين يَنْسبون عليًّا إلى الظلم ، ويقولون : إنه لم يكن خليفة يوالون أبا بكر وعمر مع أنهما ليسا من أقاربهم ، فكيف يُقال مع هذا : إن عليًّا نزَّهه المؤالف[2] والمخالف بخلاف الخلفاء الثلاثة ؟

ومن المعلوم أن المنزِّهين لهؤلاء أعظم وأكثر وأفضل ، وأن القادحين فى علىّ - [حتى][3] بالكفر والفسوق والعصيان - طوائف معروفة ، وهم أعلم من الرافضة وأدْيَن، والرافضة عاجزون معهم علما ويدًا ، فلا يمكن الرافضة أن تقيم عليهم حجة تقطعهم بها ، ولا كانوا معهم فى القتال منصورين عليهم.

والذين قدحوا فى علىّ رضى الله عنه وجعلوه كافرا وظالما ليس فيهم طائفة معروفة بالردة عن الإسلام ، بخلاف الذين يمدحونه ويقدحون فى الثلاثة ، كالغالية الذين يدّعون إلاهيته من النصيرية وغيرهم ، وكالإسماعيليه الملاحدة الذين هم شر من النصيريه ، وكالغالية الذين يدّعون نبوّته ؛ فإن هؤلاء كفار مرتدُّون ، كفرهم

---

(١) وعثمان: ساقطة من (أ)، (ب)، (ح)، (ي)، (ن)، (و).

(٢) المؤالف: كذا فى (و) فقط. وفى سائر النسخ: الموافق.

(٣) حتى: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

[بالله ورسوله][1] ظاهر لا يخفى على عالم بدين الإسلام ، فمن اعتقد فى بشر الإلهية ، أو اعتقد بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، أو أنه لم يكن نبيا بل كان علىّ هو النبى دونه وإنما غلط جبريل ؛ فهذه المقالات ونحوها مما يظهر كفر أهلها لمن يعرف الإسلام أدنى معرفة.

بخلاف من يكفِّر عليًّا ويلعنه من الخوارج ، وممن[2] قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبنى مروان وغيرهم ؛ فإن هؤلاء كانوا مقرِّين بالإسلام وشرائعه : يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ، ويحجون البيت العتيق ، ويحرِّمون ما حرم الله ورسوله ، وليس فيهم كفر ظاهر ، بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم معظمة عندهم ، وهذا أمر يعرفه كل من عرف أحوال الإسلام ، فكيف يُدَّعى مع هذا أن جميع المخالفين نزَّهوه / دون الثلاثة؟

ظ ١٧٨

بل إذا اعتُبر الذين كانوا يبغضونه ويوالون عثمان ، والذين كانوا يبغضون عثمان ويحبون عليًّا ، وُجِدَ هؤلاء خيراً[3] من أولئك من وجوه متعددة ، فالمنزِّهون لعثمان القادحون فى علىّ أعظم وأدْيَن

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٢) ن، م : من الخوارج ممن، وهو خطأ.

(٣) خيراً : كذا فى (و)، (ب). وفى سائر النسخ : خير.

وأفضل من المنزِّهين لعليّ القادحين فى عثمان ، [كالزيدية مثلا][1].

فمعلوم أن الذين قاتلوه ولعنوه وذمُّوه من الصحابة والتابعين وغيرهم هم أعلم وأَدْيَن من الذين يتولونه ويلعنون عثمان ، ولو تخلّ أهل السنة عن موالاة عليّ رضى اللّه عنه وتحقيق إيمانه ووجوب موالاته ، لم يكن فى المتولّين له من يقدر أن يقاوم المبغضين له من الخوارج والأموية والمروانية ؛ فإن هؤلاء طوائف كثيرة .

ومعلوم أن شر الذين يبغضونه هم الخوارج الذين كفّروه ، واعتقدوا أنه مرتد عن الإسلام[2] واستحلُّو قتله تقربا إلى الله تعالى ، حتى قال شاعرهم عمران بن حطّان :

ياضربة من تقىّ ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره حينا[3] فأحسبه	أوفى البرية عند الله ميزانا

٤/٣

فعارضه شاعر أهل السنة فقال :-

ياضربة من شقى ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذى العرش خسرانا
إنى لأذكره حينا[3] فألعنه	لعنا وألعن عمران[4] بن حطّانا

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٢) ر: عن دين الإسلام.

(٣) ح، ب: يوما.

(٤) ح: وألعن أيضا عمران . . .

وهؤلاء الخوارج كانوا ثمان عشرة[1] فرقة، كالأزارقة أتباع نافع بن الأزرق[2]، والنجدات[3] أتباع نجدة الحرورى[4]، والإباضية أتباع عبدالله

---

(١) ثمان عشرة: كذا فى (ب) فقط، وهو الصواب. وفى سائر النسخ: ثمانية عشر.

(٢) الأزارقة أتباع أبى راشد نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى البكرى الوائلى ، من أهل البصرة ، صحب فى أول أمره عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، ثم كان من أنصار الثورة على عثمان وممن والى عليا إلى أن خرج عليه فى حروراء، وكان جبارا فتاكا ، ومن أشد الخوارج تطرفا ، قتل سنة ٦٥ . والأزارقة يكفرون عثمان وعليا والزبير وطلحة، كما يكفرون القعدة عن القتال معهم ، وقالوا بكفر أصحاب الكبائر وخلودهم فى النار ، وأن دار مخالفيهم دار كفر. انظر عن نافع بن الأزرق والأزارقة : لسان الميزان ١٤٤/٦ ـ ١٤٥؛ تاريخ الطبرى ٥٢٨/٥، ٥٦٥، ٥٦٦ ـ ٥٦٨، ٦١٣، ٦١٤؛ الأعلام ٣١٥/٨ ـ ٣١٦؛ مقالات الإسلاميين ١٥٧/١ ـ ١٦٢؛ الملل والنحل ١٠٩/١ ـ ١١٠؛ الفرق بين الفرق ، ص ٥٠ ـ ٥٢؛ التبصير فى الدين ، ص ٢٩ ـ ٣٠؛ الفصل فى الملل والنحل ٥٢/٥ ـ ٥٣؛ الخطط للمقريزى ٣٥٤/٢.

(٣) ب (فقط): والنجدية.

(٤) النجدات أو النجدية أتباع نجدة بن عامر الحنفى، ولد سنة ٣٦ وتوفى سنة ٦٩ وكان فى بادىء أمره من أتباع نافع بن الأزرق ثم خالفه واستقل بمذهبه، استقر أيام عبدالله بن الزبير بالبحرين وتسمى أمير المؤمنين وأقام بها خمس سنين إلى أن قتل. والنجدات ـ كما يقول الأشعرى ـ لا يقولون مثل سائر الخوارج إن كل كبيرة كفر، ولا يقولون إن الله يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما، وزعموا أن من فعل صغيرة وأصر عليها فهو مشرك، ومن فعل كبيرة ولم يصرّ عليها فهو مسلم، وقال النجدات: ليس على الناس أن يتخذوا إماما، إنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم. انظر عن نجدة والنجدات: لسان الميزان ١٤٨/٦؛ شذرات الذهب ٧٦/١؛ الكامل لابن الاثير ٧٨/٤ ـ ٨٠؛ الأعلام ٣٢٤/٨ ـ ٣٢٥؛ مقالات الإسلاميين ١٥٦/١، ٢٦٢ ـ ٢٦٤؛ الفرق بين الفرق، ص ٥٢ ـ ٥٤؛ الملل والنحل ١١٠/١ ـ ١١٢؛ التبصير فى الدين، ص ٣٠ ـ ٣١؛ الفصل فى الملل والنحل، ٥٣/٥؛ الخطط للمقريزى ٣٥٤/٢.

بن إباض[1]، ومقالاتهم وسيرهم مشهورة في كتب المقالات والحديث والسير، وكانوا موجودين في زمن الصحابة والتابعين يناظرونهم ويقاتلونهم، والصحابة اتفقوا على وجوب قتالهم، ومع هذا فلم يكفِّروهم ولا كفَّرهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأما الغالية في عليّ رضي الله عنه فقد اتفق الصحابة وسائر المسلمين على كفرهم، وكفَّرهم عليّ بن أبي طالب نفسه، وحرَّقهم بالنار. وهؤلاء الغالية يُقتل الواحد منهم المقدور عليه، وأما الخوارج فلم يقاتلهم[2] عليّ حتى قتلوا واحدا من المسلمين، وأغاروا على أموال الناس فأخذوها، فأولئك حكم فيهم عليّ وسائر الصحابة بحكم المرتدين، وهؤلاء لم يحكموا[3] فيهم بحكم المرتدين.

---

(1) الإباضية أتباع عبدالله بن إباض المقاعسي المري التميمي من بني مرة بن عبيد بن مقاعس، اختلف المؤرخون في سيرته وتاريخ وفاته، كان معاصراً لمعاوية وعاش إلى أواخر عصر عبدالملك بن مروان وتوفي على الأرجح سنة ٨٦هـ. قال الإباضية إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ودار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة، وانقسموا إلى حفصية وحارثية ويزيدية. انظر عن عبدالله بن إباض والإباضية: لسان الميزان ٢٤٨/٣؛ الأعلام ١٨٤/٤ ـ ١٨٦؛ مقالات الإسلاميين ١/١٧٠ ـ ١٧٦؛ الملل والنحل ١٢١/١ ـ ١٢٢؛ الفرق بين الفرق، ص ٦١ ـ ٦٥؛ التبصير في الدين، ص ٣٤ ـ ٣٥؛ الفصل في الملل والنحل ٥١/٥؛ الخطط للمقريزي ٣٥٥/٢؛ الإباضية في موكب التاريخ لعلي يحيى معمر ط. مكتبة وهبة، ١٣٨٤/١٩٦٤؛ الإباضية في دائرة المعارف الإسلامية لموتيلنسكي.

(2) ن، م: يقتلهم.

(3) ح، ى، ر: لم يحكم.

وهذا مما يبين أن الذين زعموا أنهم والوه دون أبى بكر وعمر وعثمان يوجد فيهم من الشر والكفر باتفاق علىّ وجميع الصحابة ما لا يوجد فى الذين عادوه وكفَّروه، ويبين أن جنس المبغضين[1] لأبى بكر وعمر شر عند علىّ وجميع الصحابة من جنس المبغضين[1] لعلىّ.

فصـــــل

الكـلام على حديث الكساء

وأما حديث الكساء فهو صحيح رواه أحمد والترمذى من حديث أم سلمة[2]، ورواه مسلم فى صحيحه[3] من حديث عائشة. قالت: خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غَداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل[4] من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله[5]، ثم جاء الحسين فأدخله معه[6]، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علىّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

وهذا الحديث قد شركه فيه فاطمة وحسن وحسين رضى الله عنهم،

---

(١) ن، م، و: المتعصبين.

(٢) سبق الحديث ٤/٢٢.

(٣) ٤/١٨٨٣ (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم).

(٤) و، ر، ى: مرجل. وقال شارح صحيح مسلم: (مرط مرحّل): المرط كساء، جمعه مروط. المرحّل هو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

(٥) ب (فقط): فأدخله معه فى المرط، وليست فى «مسلم».

(٦) فادخله معه: كذا فى (و)، (ب). وفى سائر النسخ: فأدخل معهم. وفى «مسلم»: فدخل معه.

فليس هو من خصائصه. ومعلوم أن المرأة لا تصلح للإمامة، فعُلم أن هذه الفضيلة لا تختص بالأئمة، بل يشركهم فيها غيرهم. ثم إن مضمون هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهم بأن يذهب عنهم[1] الرجس ويطهّرهم تطهيرا. وغاية ذلك أن يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتّقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم، واجتناب الرجس واجب على المؤمنين، والطهارة مأمور بها كل مؤمن.

قال الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٦]. وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [سورة التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢].

فغاية هذا أن يكون هذا دعاء لهم بفعل المأمور وترك المحظور.

والصدّيق رضى الله عنه قد أخبر الله عنه بأنه: ﴿الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [سورة الليل: ١٧ - ٢١].

وأيضا فإن السابقين[2] الأوّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠] لابد أن يكونوا قد فعلوا المأمور وتركوا المحظور، فإن هذا الرضوان وهذا

---

(١) و، ر، ح، ى: بأن يذهب الله عنهم.

(٢) ر، ن، م، و، ق: وأيضا فالسابقون..

الجزاء إنما يُنال بذلك. وحينئذ فيكون ذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من الذنوب بعض صفاتهم. فما دعا به النبى صلى الله عليه وسلم لأهل الكساء هو بعض ما وصف الله به السابقين الأوَّلين. والنبى صلى الله عليه وسلم دعا لغير أهل الكساء بأن يصلّى الله عليهم، ودعا لأقوام كثيرين[1] / بالجنة والمغفرة وغير ذلك، مما هو أعظم من الدعاء بذلك، ولم يلزم أن يكون من دعا له / بذلك أفضل من السابقين الأوَّلين.

ص ١٧٩
٥/٣

ولكن أهل الكساء لما كان قد أوجب عليهم اجتناب الرجس وفعل التطهير، دعا لهم النبى صلى الله عليه وسلم بأن يعينهم على فعل ماأمرهم به، لئلا يكونوا مستحقين للذم والعقاب، ولينالوا المدح والثواب.

كلام الرافضى عن قوله تعالى فقدموا بين يدى نجواكم صدقة

الفصل [الثالث][2]

قال الرافضى[3]: «فى قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [سورة المجادلة: ١٢]. قال أمير المؤمنين علىّ [بن أبى طالب رضى الله عنه]: لم يعمل[4] بهذه الآية غيرى، وبى خفف الله عن هذه الأمة أمر هذه الآية».

(١) ب، ق: كثيرة؛ ح: كثير.
(٢) ن، م، و: فصل.
(٣) فى (ك) ١٢٠م. ونص (ك): «ونحوه ما رواه أحمد بن حنبل وقال... الخ.
(٤) ن، م: على لم يعمل؛ و: علىّ عليه السلام لم يعمل؛ ك: علىّ عليه الصلاة والسلام: ما عمل..

الرد عليه

والجواب أن يقال: الأمر بالصدقة لم يكن واجبا على المسلمين حتى يكونوا عصاة بتركه، وإنما أُمِر به من أراد النجوى، واتفق أنه لم يُرد النجوى إذ ذاك إلا عليّ رضى الله عنه، فتصدق لأجل المناجاة[1].

وهذا كأمره بالهَدْيِ لمن تمتع بالعمرة إلى الحج، وأمره بالهدى لمن أُحصر، وأمره لمن به أذى من رأسه بفدية من صيام أو صدقة أو نسك. وهذه الآية نزلت فى كعب بن عجرة لما مرّ به النبى صلى الله عليه وسلم وهو ينفخ تحت قدر وهوامّ رأسِه تؤذيه[2]. وكأمره لمن كان مريضا أو على سفر بعدّةٍ من أيام أخر، وكأمره لمن حنث فى يمينه بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، وكأمره إذا قاموا إلى الصلاة أن يغسلوا وجوههم وأيديهم إلى المرافق، وكأمره إذا قرأوا القرآن أن يستعيذوا باللّه من الشيطان الرجيم، ونظائر هذا متعددة.

فالأمر المعلّق بشرط إذا لم يوجد ذلك الشرط إلا فى حق واحد لم يؤمر

(١) انظر تأويل هذه الآية فى تفسير ابن كثير وفيه: «قال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا على بن أبى طالب، قدّم دينارا صدقة تصدّق بها، ثم ناجى النبى صلى الله عليه وسلم، فسأله عن عشر خصال، ثم أنزلت الرخصة.... وقال معمر عن قتادة: (إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدَىْ نجواكم صدقة): إنها منسوخة، ما كانت الا ساعة من نهار. هكذا روى عبدالرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن مجاهد، قال على: ما عمل بها أحد غيرى حتى نسخت، وأحسبه قال: وما كانت إلا ساعة».

(٢) وهذا كله فى آية ١٩٦ من سورة البقرة: (وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك... الآية. وانظر تفسيرها فى تفسير ابن كثير وغيره، وانظر ما رواه ابن كثير عن البخارى وأحمد فى شأن كعب بن عجرة رضى الله عنه.

به غيره. وهكذا آية النجوى؛ فإنه لم يناج الرسول قبل نسخها إلا عليّ، ولم يكن عَلَى من ترك النجوى حرج. فمثل هذا العمل ليس من خصائص الأئمة، ولا من خصائص عليّ رضى الله عنه، ولا يُقال: إن غير على ترك النجوى بخلا بالصدقة، لأن هذا غير معلوم، فإن المدة لم تطل، وفى تلك المدة القصيرة قد لا يحتاج[1] الواحد إلى النجوى، وإن قُدِّر أن هذا كان يخص بعض الناس لم يلزم أن يكون أبو بكر وعمر رضى الله عنهما من هؤلاء. كيف[2] وأبو بكر رضى الله عنه قد[3] أنفق ماله كله يوم رغَّب النبى صلى الله عليه وسلم فى الصدقة، وعمر [رضى الله عنه] جاء[4] بنصف ماله بلا حاجة إلى النجوى. فكيف يبخل أحدهما[5] بدرهمين أو ثلاثة يقدمها بين يدى نجواه؟

وقد روى زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندى، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك ياعمر؟» فقلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل مال عنده. فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم اللّه ورسوله. فقلت: لا أسابقك إلى شىء أبدا[6].

---

(١) قد لا يحتاج: كذا فى (و). وفى (ب): لا يحتاج. وفى سائر النسخ: فلا يحتاج.

(٢) ح، ب: وكيف.

(٣) قد: ساقطة من (ح)، (ب).

(٤) ن، م: وعمر قد جاء.

(٥) أحدهما: كذا فى (ب) فقط. وفى سائر النسخ: أحدهم.

(٦) سبق الحديث فيما مضى ٢/٥٢.

الفصل [الرابع] [1]

تـابع كـلام الـرافضى عن فضـائـل على رضى الله عنه

قال الرافضى[2]: «وعن محمد بن كعب القرظى قال: افتخر طلحة بن شيبة من بنى عبدالدار وعباس بن عبدالمطلب [وعلىّ ابن ابى طالب][3]. فقال طلحة بن شيبة: معى مفاتيح البيت، ولو أشاء بتُّ فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتُّ فى المسجد. وقال علىّ[4]: ما أدرى ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٩]».

الرد عليه

والجواب أن يقال: هذا اللفظ لا يعرف فى [شىء من][5] كتب الحديث المعتمدة، (*بل دلالات[6] الكذب عليه ظاهرة. منـها: أن طلحـة بن شيبـة لا وجـود له، وإنمـا خادم الكعبـة هو شيبة بن عثمان بن [أبى]

(١) ن، م، و: فصل.

(٢) فى (ك) ١٢٠ (م).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م). وفى (ك): وعلى بن أبى طالب عليه السلام.

(٤) و: علىّ عليه السلام؛ ك: علىّ عليه الصلاة والسلام.

(٥) شىء من: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (و).

(٦) ح: دلالة.

طلحة[1]. وهذا مما يبين لك أن الحديث لم يصح. ثم فيه قول العباس: «لو أشاءبتُ[2] فى المسجد» فأىّ كبير / أمر فى مبيته فى المسجد حتى يتبجح به؟ ٣/ ٦

ثم فيه قول علىّ: «صليت ستة أشهر قبل الناس» فهذا مما يُعلم بطلانه بالضرورة، فإن بين إسلامه وإسلام[3] زيد وأبى بكر وخديجة يوماً أو نحوه، فكيف يصلّى قبل الناس بستة أشهر؟!

وأيضا فلا يقول: أنا صاحب الجهاد، وقد شاركه فيه عدد كثير جداً.

وأما الحديث فيقال: الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه[4]، ولفظه عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقِىَ الحاج. وقال آخر: ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الإسلام[5] إلا أن أعمر

---

(١) فى جميع النسخ: شيبة بن عثمان بن طلحة. والتصويب من «الإصابة» و«الاستيعاب». فى «الإصابة» لابن حجر ٢/١٥٧: «روى ابن سعد عن هوذة عن عوف عن رجل من أهل المدينة قال: دعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم شيبة بن عثمان فأعطاه مفتاح الكعبة فقال: «دونك هذا فأنت أمين الله على بيته». وقال مصعب الزبيرى: دفع إليه وإلى عثمان ابن [أبى] طلحة وقال: «خذوها يابنى أبى طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم إلا ظالم». وذكر الواقدى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أعطاها يوم الفتح لعثمان، وأن عثمان ولى الحجابة إلى أن مات، فوليها شيبة، فاستمرت فى ولده». وانظر «الاستيعاب» بهامش «الاصابة» ٢/١٥٥ - ١٥٧.

(٢) ن، م، ر، ى: لبثُّ.

(٣) ر، ح، ى: وبين إسلام.

(٤) ٣/١٤٩٩ (كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى).

(٥) أعمل عملا بعد الاسلام: كذا فى مسلم. وفى (ب): أعمل عملا فى الإسلام. وفى سائر النسخ: أعمل فى الإسلام.

المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم[1] عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو يوم الجمعة. ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ١٩] الآية إلى آخرها».

وهذا الحديث ليس[2] من خصائص الأئمة، ولا من خصائص علىّ، فإن الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وجاهدوا فى سبيل الله / كثيرون، والمهاجرون والأنصار يشتركون فى هذا الوصف. وأبو بكر وعمر أعظمهم[3] إيمانا وجهادا، لا سيما وقد قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة الأنفال: ٧٢]. ولاريب أن جهاد أبى بكر بماله ونفسه أعظم من جهاد علىّ وغيره.

ط ١٧٩

كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح: «إن أمنّ[4] الناس علينا فى صحبته وذات يده أبوبكر»[5].

---

(١) و: فهجزهم.

(٢) أ، ب: وهذه الآية ليست...

(٣) ح، ر، ب: أعظم.

(٤) ح: إن من أمن.

(٥) هذا جزء من حديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وسبق فيما مضى ١/٥١٢-٥١٣ والحديث أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما فى المسند (ط. المعارف) ٤/١٤٣، (ط. الحلبى) ٣/٤٧٧ - ٤٧٨، ٤/٢١١ - ٢١٢ (عن أبى سعيد بن المعلّى رضى الله عنه).

وقال: «ما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر»[1]. وأبو بكر كان مجاهداً بلسانه ويده، وهو أول من دعا إلى الله[2]، وأوّل من أوذِىَ فى الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوّل من دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مشاركا لرسول الله صلى الله عليه وسلم[3] فى هجرته وجهاده حتى كان هو وحده معه فى العريش يوم بدر، وحتى أن أبا سفيان يوم أحد لم يسأل إلا عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر، لما قال: أفيكم محمد؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا تجيبوه». فقال: أفيكم ابن أبى قحافة؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا تجيبوه». فقال أفيكم ابن الخطاب؟[4] فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا تجيبوه». فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم. فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت عدوّ الله[5]، إن الذين[6] عددت لأحياء[7]، وقد أبقى الله لك

---

(1) و: ما نفعنى مال كمال أبى بكر. والحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن ابن ماجة ١/٣٦ (المقدمة، باب فى فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه) ونصه: «ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر. قال: فبكى أبو بكر وقال: يارسول الله: هل أنا ومالى إلا لك يارسول الله؟». والحديث فى: المسند (ط. المعارف) ١٣/١٨٣ وصحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله الحديث وخالف تضعيف البوصيرى له فى زوائده، وصححه الألبانى أيضا فى «صحيح الجامع الصغير» ٥/١٩٠. والحديث أيضا فى المسند (ط. المعارف) ١٦/٣٢٠ - ٣٢١ مطولا.

(2) ن (فقط): إلى الله ورسوله.

(3) ن، م: وكان مشاركا له؛ و: وكان مشاركا للرسول؛ ق: وكان مشاركا لرسول الله.

(4) و: أفى القوم ابن الخطاب؟.

(5) أ، م: يا عدو الله.

(6) ح، و، ب: الّذى.

(7) أ ب: أحياء.

ما يخزيك»[1]، ذكره البخارى [وغيره][2].

الفصل [الخامس][3]

سب الرافضى حديثا موضوعا إلى الامام أحمد ابن حنبل أن على هو الوصى

قال الرافضى[4]: «ومنها ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك، قال: قلنا لسلمان: سل[5] النبى صلى الله عليه وسلم من وصيه، فقال [له][6] سلمان: يارسول الله من وصيك؟ فقال[7]: يا سلمان من كان وصىّ موسى؟ فقال: يوشع بن نون. قال[8]: فإن[9] وصِيىّ ووارثى يقضى[10] دَيْنى وينجز موعدى علىّ بن أبى طالب»[11].

---

(١) ق، ب: يحزنك.

(٢) عبارة «ذكره البخارى وغيره»: ساقطة من (و). وسقطت كلمة «وغيره»: من (ن)، (م). وسبق الحديث فيما مضى ١/٥٢٣.

(٣) سقطت عبارة «الفصل الخامس» من (و). وفى (ن)، (م)، (أ): فصل.

(٤) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ١٢٠ (م) - ١٢١ (م).

(٥) ن، ح، ى، ر: أن سل.

(٦) له: ساقطة من (ن)، (م)، (أ)، (ب).

(٧) ك: فقال صلى الله عليه وآله..

(٨) ن، م، ح، ب: فقال؛ ك: قال قال..

(٩) ن، م: إن. وسقطت من (ك).

(١٠) ك: من يقضى.

(١١) ك: على بن أبى طالب عليه السلام.

الرد عليه

(*) **والجواب:** أن هذا الحـديث(*) كذب موضـوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث[1]، ليس هو فى مسند الإمام أحمد بن حنبل. وأحمد قد صنّف كتابا فى «فضائل الصحابة» ذكر فيه فضل أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ وجماعة من الصحابة، وذكر فيه ما رُوى فى ذلك من صحيح وضعيف للتعـريف بذلك[2]، وليس كل ما رواه يكون صحيحا. ثم إن فى هذا الكتاب زيادات من روايات[3] ابنه عبدالله، وزيادات من رواية القطيعى عن شيوخـه. وهـذه الـزيادات التى زادها القطيعى غالبها كذب، كما سيأتى ذكر بعضها [إن شاء الله][4]، وشيوخ القطيعى يروون عمن فى طبقـة أحمـد. وهؤلاء الرافضة جهّال إذا رأوا فيه حديثا ظنوا أن القائل لذلك أحمد بن حنبل، ويكون القائل لذلك هو القطيعى، وذاك الرجل من شيوخ القطيعى الذين يروون عمن فى طبقة أحمد. وكذلك / فى المسنـد زيادات زادها ابنه عبدالله[5]، لا سيما فى مسند على بن أبى طالب [رضى الله عنه][6]، فإنه زاد زيادات كثيرة.

٧/٣

(*ـ*) : بدلا من هذه العبارات فى (و): فيقال: هذا الحديث.

(١) ذكـر الحديث ابن الجوزى فى «الموضوعات» ١/٣٧٤ ـ ٣٧٥ من أربعة طرق كلها غير صحيحة أو موضوعة، وتابعة السيوطى فى «اللآلىء المصنوعة» ١/٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٢) وهو الكتاب الذى حققه الأستاذ وصى الله بن محمد عباس، وأصدرته جامعة أم القرى: ١٩٨٣/١٤٠٣ وسبق الرجوع إليه.

(٣) أ، ب: رواية.

(٤) إن شاء الله: زيادة فى (أ)، (ب).

(٥) ح، ى، ر: ابنه عبدالله بن أحمد؛ و: عبدالله بن أحمد.

(٦) ن، م: فى مناقب علىّ؛ و: فى مناقب علىّ بن أبى طالب.

الفصل [السادس][1]

تابع كلام الرافضي عن فضائل عليّ رضي الله عنه

قال الرافضي[2]: «وعن يزيد بن أبى مريم[3] عن عليّ رضى الله عنه[4]: قال: انطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم[5] حتى أتينا الكعبة، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجلس، فصعد على منكبى، فذهبت لأنهض به، فرأى منى ضعفا، فنزل وجلس لى نبى الله صلى الله عليه وسلم وقال: اصعد على منكبى، فصعدت على منكبه[6]. قال: فنهض بى. قال: فإنه تخيل لى[7] أنى لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت عَلَى البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس[8]، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقذف به، فقذفت به فتكسر كما تنكسر[9] القوارير، ثم نزلت

---

(١) ن، م، أ: فصل. وسقطت «الفصل السادس» من (و).

(٢) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ١٢١ (م).

(٣) ن: زيد بن أبى مريم؛ ك: أبى مريم.

(٤) ك، و: علىّ عليه السلام.

(٥) ك: أنا والنبى صلى الله عليه وآله.

(٦) ح، ر، ب: منكبيه.

(٧) أ، ب، ق، ى، و، ر: يخيل لى.

(٨) ك: تمثال من صفر ونحاس.

(٩) ن، ى، ر، ق، ب: تتكسر؛ و: ينكسر.

فانطلقت[1] أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى توارينا فى البيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس».

الرد عليه

والجواب[2]: أن هذا الحديث إن صح فليس فيه شيء من خصائص الأئمة ولا خصائص علىّ؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلّى وهو حامل أمامة بنت أبى العاص بن الربيع[3] على منكبه، إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها. وكان إذا سجد جاء الحسن فارتحله، ويقول: «إن ابنى ارتحلنى»[4] وكان يقبل زبيبة الحسن[5]. فإذا كان يحمل الطفلة والطفل لم يكن فى حمله لعلىّ ما يوجب أن يكون ذلك من خصائصه، [بل قد أشركه فيه غيره][6]، وإنما حمله لعجز علىّ عن

(١) و: وانطلقت.

(٢) ح، ب: الجواب.

(٣) بن الربيع: زيادة فى (ن)، (م).

(٤) الحديث عن عبدالله بن شداد عن أبيه شدّاد بن الهاد رضى الله عنه فى: سنن النسائى ١٨٢/٢ (كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة) ونصه فيه: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إحدى صلاتى العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبّر للصلاة، فصلى، فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها. قال أبى: فرفعت رأسى، وإذا الصبى على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت إلى سجودى، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة، قال الناس: يارسول الله إنك سجدت بين ظهرانى صلاتك سجدة أطلتهاحتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك. قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته». والحديث فى المسند (ط. الحلبى) ٤٩٣/٣ - ٤٩٤.

(٥) أ: رأس الحسن. ولم أجد هذا الحديث.

(٦) ما بين المعقوفتين فى (أ) فقط.

حمله، فهذا يدخل فى مناقب رسول الله صلى الله عليه وسلم، (*وفضيلة من يحمل النبى صلى الله عليه وسلم أعظم من فضيلة من يحمله النبى صلى الله عليه وسلم*)، كما حمله يوم أحد من حمله من الصحابة، مثل طلحة بن عبيد الله[1]، فإن هذا نفع النبى[2] صلى الله عليه وسلم، وذاك نفعه النبى صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن نفعه بالنفس والمال أعظم من انتفاع الإنسان بنفس النبى صلى الله عليه وسلم وماله.

الفصل [السابع][3]

ـديث موضوع ـر يذكره ـرافضى فى ـضائل علىّ رضى الله عنه

قال الرافضى[4]: «وعن ابن أبى ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصدِّيقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل

(*ـ*) ما بين النجمتين ساقط من (أ).

(1) عن الزبير بن العوام رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ٣٠٧/٥ (كتاب المناقب، باب مناقب أبى محمد طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه) قال: كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة، فلم يستطع، فأقعد تحته طلحة، فصعد النبى صلى الله عليه وسلم حتى استوى على الصخرة. قال: فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «أوجب طلحة» قال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح غريب». والحديث فى: المسند (ط. المعارف) ١٢/٣ (وصححه أحمد شاكر رحمه الله)؛ سيرة ابن هشام ٩١/٣ ـ ٩٢.

(2) ن، م، ح: أنفع للنبى..؛ و، ر: نفع للنبى.

(3) ن، م، و: فصل.

(4) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ص ١٢١ (م). ويوجد قبل هذا الكلام سطران فى (ك) لم يردا فى جميع النسخ وهما: «وعن معقل بن يسار أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله قال لفاطمة عليها السلام: ألا ترضين أن زوجك أقدم أمتى إسلاما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما؟».

ياسين[1]، وحزقيل مؤمن آل فرعون[2]، وعليّ بن أبى طالب وهو أفضلهم».

الرد عليه

والجواب: أن هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه قد ثبت عنه فى الصحيح أنه وصف أبا / بكر رضى الله عنه بأنه صدِّيق[3].

ص ١٨٠

وفى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقا. وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور[4] يهدى إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابا»[5]. فهذا يبيّن أن الصدّيقين كثيرون.

وأيضا فقد قال تعالى عن مريم ابنة[6] عمران إنها صدِّيقة، وهى امرأة.

---

(١) مؤمن آل ياسين: كذا فى (و)، (ك). وفى سائر النسخ: من آل ياسين. وزادت (ك): الذى قال: {ياقوم اتبعوا المرسلين} [سورة يس: ٢٠].

(٢) زادت (ك): الذى قال: {أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله} [سورة غافر: ٢٨].

(٣) ذكرت فى ت ٢ ص ٥٠١ من الجزء الثالث الحديث الذى رواه سعيد بن زيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم: «اثبت حراء، إنه ليس عليك إلا نبى أو صدّيق أو شهيد» وبينت مواضع وروده فى: سنن أبى داود والترمذى وابن ماجة والمسند. وقد سمّى الصحابة والتابعون أبا بكر الصدِّيق. انظر: سنن أبى داود ٣/٩٤ (كتاب الجهاد، باب فى السلب يعطى القاتل) والحديث فيه عن أبى قتادة رضى الله عنه. وانظر أيضاً: المسند (ط. الحلبى) ٤/٤ والأثر عن عبدالله بن الزبير رضى الله عنه.

(٤) ب (فقط): والفجور.

(٥) سبق الحديث فيما مضى ٤/٢٦٦.

(٦) أ، ب، ح: بنت.

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع»[1]. فالصديقون من الرجال كثيرون.

الفصل [الثامن][2]

حديث آخر صحيح يذكره الرافضى قال لعلى: أنت منى وأنا منك

قال الرافضى[3]: «وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعليّ: «أنت منى وأنا منك».

(1) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، ولكن ذكر الهيثمى فى «مجمع الزوائد» ٩/٢١٨ «وبقية الأحاديث التى فيها: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربعة» فى مواضعها مفرقة فى فضل آدم وفاطمة وخديجة». ولم أجد الحديث فى هذه المواضع ولكن وجدت فى باب فضل خديجة حديثا مقاربا ٩/٢٢٣ هو «وعن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض أربعة خطوط فقال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وسلم، ومريم ابنة عمران، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون». قال الهيثمى: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى ورجاله رجال الصحيح». على أنه يوجد حديث صحيح ألفاظه مقاربة لهذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه ٤/١٥٨ (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون....) عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وهذا الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - فى: البخارى ٤/١٦٤ (كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: إذ قالت الملائكة يامريم)، ٥/٢٩ (كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة)، ٧/٧٥ (كتاب الأطعمة، باب فضل الثريد)، مسلم ٤/١٨٨٦ - ١٨٨٧ (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين)؛ سنن الترمذى ٣/١٧٩ - ١٨٠ (كتاب الأطعمة، باب ما جاء فى فضل الثريد)؛ سنن ابن ماجة ٢/١٠٩١ (كتاب الأطعمة، باب فضل الثريد على الطعام) المسند (ط. الحلبى) ٤/٣٩٤، ٤٠٩.

(2) ن، م، و: فصل.

(3) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ص ١٢٢ (م).

التعـــليق على كلامه

٨/٣

والجواب: أن هذا حديث[1] صحيح أخرجاه فى الصحيحين[2] من حديث البراء بن عازب، لـمّا تنازع على [وجعفر][3] وزيد فى ابنة حمزة، فقضى بها لخالتها، وكانت تحت جعفر، وقال لعليّ: «أنت منى / وأنا منك». وقال لجعفر: «أشبهت خَلْقِى وخُلُقى». وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»[4].

لكـن هذا اللفظ قد قالـه النبى صلى الله عليه وسلم لطائفـة من أصحابه، كما فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو[5] أو قلت نفقة عيالهم[6] فى المدينة[7] جمعوا ما كان معهم فى ثوب واحد، ثم قسموه بينهم بالسوية. هم منى وأنا منهم»[8].

وكـذلـك قال عن جليبيب[9]: «هـو منى وأنا منه» فروى مسلم فى صحيحـه[10] عن أبى برزة قال: كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مغزى[11] له. فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟»

(١) ب: الحديث.
(٢) أ: رواه البخارى ومسلم.
(٣) وجعفر: ساقطة من (ن)، (م).
(٤) سبق الحديث فيما مضى ٣٤/٤.
(٥) ن، م، و: إذا كانوا فى الغزو.
(٦) ر، و: أو نقصت نفقة عيالاتهم؛ أ: أو نقصت نفقتهم غنالهم (وهو تحريف)؛ ن، م: ونقصت نفقة عيالهم.
(٧) ن، م، و، ى: فى السفر.
(٨) سبق الحديث ٤/ ٣٥/٤.
(٩) أ: حبيب، وهو خطأ.
(١٠) ٤/١٩١٨ ـ ١٩١٩ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جليبيب رضى الله عنه).
(١١) ح، ب: غزوة.

قالوا: نعم، فلانا وفلانا[1]. ثم قال: «هل[2] تفقدون من أحد؟» قالوا: نعم، فلانا وفلانا وفلانا. ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا. قال: «لكنى أفقد جُلَيْبيباً، فاطلبوه» فطلبوه[3] فى القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه. فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فوقف عليه فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه. هذا منى وأنا منه، هذا منى وأنا منه» قال: فوضعه عليّ على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبى صلى الله عليه وسلم[4]. قال: فحفر له فوضع[5] فى قبره، ولم يذكر غسلا[6].

فتبين أن قوله لعليّ: «أنت منى وأنا منك» ليس من خصائصه، بل قال ذلك للأشعريين، وقاله لجليبيب. وإذا لم يكن من خصائصه، بل قد شاركه فى ذلك غيره من[7] هو دون [الخلفاء][8] الثلاثة فى الفضيلة، لم يكن دالاً على الأفضلية[9] ولا على الإمامة.

الفصل [التاسع][10]

تابع كلام الرافضى عن فضائل علىّ رضى الله عنه قال عمرو بن ميمون: لعلىّ عشر فضائل ليست لغيره

قال الرافضى[11]: «وعن عمرو بن ميمون قال: لعلى [بن أبى

(1) مسلم: فلانا وفلانا وفلانا. (2) ن، م، و، ر، ح، ى، ب: وهل.

(3) مسلم: فَطُلب.

(4) ح، ب: ليس له سرير إلا ساعديه صلى الله عليه وسلم؛ ر، ى، أ: ليس له سرير إلا ساعدا النبى صلى الله عليه وسلم. (5) و: فوضعه؛ مسلم: ووُضع.

(6) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٣٥. (7) ى، ب: ممن.

(8) الخلفاء: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(9) و: الأفضلية عليهم. (10) ن، م، و، أ: فصل.

(11) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ص ١٢٢ (م) - ١٢٤ (م).

طالب[1] عشر][2] فضائل ليست لغيره. قال [له][3] النبى صلى الله عليه وسلم: لأبعثن رجلا لا يخزيه اللّه أبدا، يحب الله ورسوله، [ويحبه اللّه ورسوله][4]، فاستشرف إليها[5] من استشرف. قال[6]: أين علىّ [بن أبى طالب][7]؟. قالوا: هو أرمد[8] فى الرحى يطحن. [قال:][9] وما كان أحدهم يطحن.

قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر. قال: فنفث[10] فى عينيه ثم هز الراية ثلاثا وأعطاها إياه[11]، فجاء بصفية بنت حيىّ. قال: ثم بعث أبا بكر بسورة التوبة[12]، فبعث عليًّا خلفه[13] فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلا رجل هو منى وأنا منه.

---

(١) بن أبى طالب: ساقطة من (ن)، (م). وفى (ك): لعلىّ عليه السلام.

(٢) عشر: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) له: فى (و)، (ك) فقط.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و)، (ى)، (أ).

(٥) ك: لها.

(٦) ح، ب: فقال.

(٧) بن أبى طالب: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (ى)، (أ). وفى (ك): علىّ عليه السلام.

(٨) أرمد: ليست فى (ك).

(٩) قال: فى (و)، (ك) فقط.

(١٠) ك: فتفل.

(١١) ن، م، و، ر، ق، ى، آ: وأعطاه إياها؛ ك: فأعطاها إياه.

(١٢) ح، ر، ى، ب، ق: براءة.

(١٣) و: فبعث عليًّا عليه السلام خلفه؛ ك: فبعث عليه السلام خلفه.

وقـال لبنى عمه[1] : أيكم يوالينى فى الدنيا والآخرة؟ قال: وعليّ معهم جالس[2] فأبَوْا، فقال علـيّ[3] : أنا أواليك فى الدنيا والآخرة. [قال][4] : فتركه، ثم أقبل على رجلٍ رجل منهم[5] ، فقـال: أيكم يوالينى فى الدنيا والآخرة؟ فأَبَوْا، فقال عليٌّ: أنا أواليك فى الدنيا والآخرة، فقال: أنت وليى فى الدنيا والآخرة.

قال: وكان عليّ أول من أسلم من الناس بعد خديجة. قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم[6] ثوبه فوضعه على عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

قال: وشرى عليّ نفسه ولبس ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه، وكان[7] المشركون يرمونه بالحجارة.

وخرج النبى صلى الله عليه وسلم[8] بالناس فى غزاة تبوك، فقال له علـيّ[9] : أخرج معك؟ قال[10]:لا. فبكى عليٌّ، فقال له:

---

(١) ك: وقال صلى الله عليه وآله لبنى عمه.

(٢) أ، ب: وعليّ جالس معهم.

(٣) و، ك: عليّ عليه السلام.

(٤) قال: ساقطة من (ن)، (م).

(٥) ك: على رجل منهم.

(٦) ك (ص ١٢٣م): أخذ النبى صلى الله عليه وآله.

(٧) ك: فكان.

(٨) ح، ى، ر، ق، ب: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ك: قال: وخرج النبى صلى الله عليه وآله.

(٩) و، ك: عليّ عليه السلام.

(١٠) و، ر، أ، ب، ح، ى: فقال.

أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنك لست بنبى، لا [1] ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى [2].

وقال [3] له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت وليى فى كل مؤمن بعدى.

قال: وسدّ [4] أبواب المسجد إلا باب علىّ [5]. قال: وكان يدخل المسجد [6] جُنبا، وهو طريقه ليس له طريق غيره.

وقال له: من كنت مولاه فعلىّ مولاه [7].

وعن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا أنه بعث أبا بكر فى براءة إلى مكة [8]، فسار بها [9] ثلاثا ثم قال لعلىّ: «الحقه فردّه وبلغها أنت، [ففعل] [10]. فلما [11] قدم أبو بكر على النبى صلى الله عليه وسلم بكى وقال: يارسول الله حدث [12] فىَّ شىء؟ قال: لا، ولكن أمرت [13] أن لا يبلغها [14] إلا أنا أو رجل منى».

---

(1) ك: ولا.
(2) ك: خليفتى فى المدينة.
(3) ك: قال: وقال.
(4) ك: قال: وقال صلى الله عليه وآله: سدوا.
(5) ك: غير باب علىّ عليه السلام.
(6) ك: فليدخل المسجد.
(7) و: فإن مولاه علىّ؛ ك: فهذا علىّ مولاه.
(8) ك: بالبراءة إلى أهل مكة.
(9) ب (فقط): لها.
(10) ففعل: ساقطة من (ن)، (م).
(11) ك (ص ١٢٤م): ولما.
(12) ك: أحدث.
(13) ا، ب: ولكنى أمرت؛ ك: ولكن أمرنى ربّى.
(14) ك: ألا يبلغه.

الرد عليه **والجواب**، أن هذا[1] ليس مسندا بل [هو] [2] مرسل لو ثبت عن

ظ ١٨٠ عمرو بن / ميمون، وفيه ألفاظ هى كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كقوله [: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، غير أنك لست بنبى] [3]، لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى. فإن النبى صلى الله عليه وسلم ذهب غير مرة وخليفته على المدينة غير علىّ، كما

٩/٣ اعتمر عمرة الحديبية وعلىّ / معه وخليفته غيره، وغزا بعد ذلك خيبر ومعه علىّ وخليفته بالمدينة غيره، وغزا غزوة الفتح وعليّ معه وخليفته فى المدينة[4] غيره، وغزا حُنَيْنا والطائف وعليّ معه وخليفته بالمدينة غيره، [وحج حجة الوداع وعلىّ معه وخليفته بالمدينة غيره][5]، وغزا غزوة بدر ومعه علىّ وخليفته بالمدينة غيره.

وكل هذا معلوم بالأسانيد الصحيحة وباتفاق أهل العلم بالحديث، وكان علىّ معه فى غالب الغزوات وإن لم يكن فيها قتال.

فإن قيل: استخلافه يدل على أنه لا يستخلف إلا الأفضل، لزم أن يكون علىٌّ مفضولا فى عامة الغزوات، وفى عمرته وحجته، لا سيما وكل مرة كان يكون الاستخلاف على رجال مؤمنين، وعام تبوك ما كان الاستخلاف إلا على النساء والصبيان ومن عَذَرَ الله، وعلى الثلاثة [الذين

---

(١) و: فيقال هذا..

(٢) هو: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٣) ما بين المعقوفتين فى (و) فقط.

(٤) ح، ب، ى، م، ر: بالمدينة.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

خُلِّفوا][1] أو مُتَّهم بالنفاق، وكانت المدينة آمنة لا يُخاف على أهلها، ولا يحتاج المستخلِف إلى جهاد، كما يحتاج فى أكثر الاستخلافات.

وكذلك قوله: «وسد الأبواب كلها إلاَّ باب علىّ» فإن هذا مما وضعته الشيعة على طريق المقابلة[2]، فإن الذى فى الصحيح عن أبى سعيد عن النبى صلى اللّه عليه وسلم أنه قال فى مرضه الذى مات فيه «إن أمنَّ الناس علىّ فى ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربّى لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودّته، لا يبقين فى المسجد خَوْخه إلا سُدت إلا خوخه أبى بكر» ورواه ابن عباس أيضاً فى الصحيحين[3]. ومثل قوله: «أنت وليى فى كل مؤمن بعدى» فإن هذا

(1) عبارة «الذين خلفوا»: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(2) أورد ابن الجوزى هذا الجزء من حديث عمرو بن ميمون الموضوع فى «الموضوعات» ٣٦٤/١ وحكم عليه بالوضع ٣٦٦/١ وذكر أن هذا الحديث من هذا الطريق وغيره حديث موضوع ثم قال: «فهذه الأحاديث كلها من وضع الرافضة قابلوا بها الحديث المتفق على صحته فى: «سدوا الأبواب إلا باب أبى بكر».

(3) سبق الحديث فيما مضى ٥١٢/١. والحديث عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما فى: البخارى ٩٦/١-٩٧ (كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر فى المسجد)، ٤/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا). والحديث فى مسلم عن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس رضى الله عنهم ١٨٥٥/٤ - ١٨٥٦ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبى بكر..) ونص الشيخ أحمد شاكر على أن الحديث من رواية ابن عباس فى مسلم وذلك عند ورود الحديث فى المسند (ط. المعارف) ٢٠٢/٥ (حديث رقم ٣٥٨٠) كما جاء الحديث قبل ذلك عن ابن عباس فى المسند (ط. المعارف) ١٤٣/٤ (حديث رقم ٢٤٣٢) وجاءت قطعة منه ٢٥٤/٥ (حديث رقم ٣٦٨٩).

موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث[1]، والذى فيه من الصحيح[2] ليس هو من خصائص الأئمة، بل ولا من خصائص علىّ، بل قد شاركه فيه غيره، مثل كونه يحب اللّه ورسوله ويحبه اللّه ورسوله، ومثل استخلافه وكونه منه بمنزلة هارون من موسى، ومثل كون علىّ مولى مَن النبى صلى الله عليه وسلم مولاه[3] فإن كل مؤمن موالٍ لله ورسوله، ومثل كون «براءة» لا يبلّغها إلا رجلٌ من بنى هاشم؛ فإن هذا يشترك فيه جميع الهاشميين، لما رُوى أن العادة كانت جارية بأن لا ينقض العهود [ويحلّها][4] إلا رجل من قبيلة المطاع.

الفصل [العاشر][5]

تابع كلام الرافضى عن فضائل علىّ رضى الله عنه: كلام أخطب خوارزم.

قال الرافضى[6]: «ومنها ما رواه أخطب خوارزم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: ياعلىّ لو أن عبدا[7] عبدالله عز

---

(١) جاء هذا الحديث فى كتاب «فضائل الصحابة» ١/٥٠٣ (رقم ٥٢١)، ١/٥٢٤ (رقم ٨٦٨) وقال المحقق ١/٥٠٣: «موضوع وفيه متروكان متهمان بالوضع: طلحة وعبيدة». وجاء الحديث فى حق عثمان بن عفان رضى الله عنه فى «الموضوعات» ١/٣٣٤، «البداية والنهاية» ٧/٢١٣ وغيرها من المراجع، وذكر المحقق أن هذا الحديث أيضا موضوع.

(٢) ن، م: فى الصحيح.

(٣) أ، ب: مولى من والاه.

(٤) ويحلها: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (ن).

(٥) ن، م، و، أ: فصل.

(٦) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك؛ ص١٢٤ (م) - ١٢٦ (م).

(٧) أ، ب: رجلا.

وجل مثل ما قام[1] نوح فى قومه، وكان له مثل أُحُد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله، ومدّ فى عمره حتى حج ألف عام على قدميه[2]، ثم قُتل بين الصفا والمروة مظلوما، ثم لم يوالك ياعلىّ، لم يشم رائحة الجنه ولم يدخلها.

وقال رجل لسلمان: ما أشدّ حبك لعلىّ. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أحب عليًّا فقد أحبنى، ومن أبغض عليا فقد أبغضنى. وعن أنس[3] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلق الله من نور وجه علىّ[4] سبعين ألف مَلَك يستغفرون له ولمحبيه[5] إلى يوم القيامة.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحب عليًّا قبل الله عنه[6] صلاته وصيامه وقيامه، واستجاب دعاءه[7]. ألا ومن أحب عليا أعطاه الله بكل عرق من بدنه[8] مدينة فى الجنة. ألا ومن أحب آل محمد أمن من الحساب والميزان والصراط. ألا ومن مات على حب آل محمد فأنا كفيله فى الجنة[9] مع الأنبياء، [ألا][10] ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة

---

(١) ب (فقط): أقام.

(٢) ن، م، و، ح، ى: قدمه.

(٣) ح، ى، ر، ب: وعن أنس بن مالك.

(٤) ك: خلق الله تعالى من نور وجه علىّ بن أبى طالب عليه السلام..

(٥) ك: يستغفرون لمحبيه..

(٦) أ، ب: منه.

(٧) و، ر، ى: دعواه.

(٨) ك: فى بدنه.

(٩) ك: بالجنة.

(١٠) ألا: ساقطة من (ن)، (م)، (أ)، (ح)، (ى)، (ر).

مكتوباً[1] بين عينيه: «آيس من رحمة الله».

وعن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول][2]: من زعم أنه آمن بى وبما جئت به وهو يبغض[3] عليًّا فهو كاذب ليس بمؤمن.

وعن أبى برزة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس ذات يوم: والذى نفسى بيده لا يزول قدم[4] عبد يوم القيامة حتى يسأله الله تبارك وتعالى[5] [عن أربع][6]: عن عمره فيما[7] أفناه، وعن جسده فيما[8] أبلاه، وعن ماله مم اكتسبه وفيم أنفقه[9]، وعن حُبنا أهل البيت[10]. فقال له عمر: فما آية حبكم من بعدكم[11]؟ فوضع يده على رأس علىّ [بن أبى طالب][12] وهو إلى جانبه[13] [فقال[14]]: إن حبى من بعدى حب هذا.

---

(١) أ، ب، ح: مكتوب.

(٢) ن، م، ر، ح، أ، ى: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) ك: مبغض.

(٤) أ، ب: لا تزول قدما.

(٥) أ، ب، ر، ى، ح، م، ق: حتى يسأله تبارك وتعالى ؛ ك: حتى يسأله ربه تبارك وتعالى.

(٦) عن أربع: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

(٧) ب: فيم.

(٨) ب، و: فيم.

(٩) ن، ى، ر، ح: مما اكتسبه وفيما أنفقه.

(١٠) ك: أهل البيت عليهم السلام.

(١١) ح، ر، ب، ن، م، ق، أ، ى: من بعدك.

(١٢) ك، و: علىّ عليه السلام؛ ن، م، ق، أ: علىّ.

(١٣) م: وهو جالس إلى جانبه.

(١٤) فقال: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

٣/ ١٠ وعن [عبد الله] بن عمر[١] قال: سمعت رسول الله / صلى الله عليه وسلم وقد سئل[٢]: بأى لغه خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبنى بلغة علىّ[٣]، فألهمنى أن قلت: يارب خاطبتنى أم علىّ؟ فقال: يامحمد[٤] أنا شىء لست كالأشياء[٥]، لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء[٦]، خلقتك من نورى وخلقت عليًّا من نورك فاطلعت عَلَى سرائر قلبك، فلم أجد إلى قلبك أحبَّ من علىّ [٧]، فخاطبتك بلسانه كيما [٨] يطمئن قلبك.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن الرياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حسّاب، والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل علىّ [بن أبى طالب[٩]].

ص١٨١ وبالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله / عليه وسلم: إن الله تعالى جعل الأجر عَلَى[١٠] فضائل علىّ لا يُحصى كثرة[١١]،

---

(١) ن، م: وعن ابن عمر.

(٢) ح، ب: . . وسلم يقول وقد سئل . .

(٣) ك، و: علىّ عليه السلام.

(٤) ك: ياأحمد.

(٥) م، و: ليس كالأشياء؛ ك: لا كالأشياء.

(٦) عبارة «لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء» سقطت من الطبعة الأولى ولكنها فى (ك) ص ٣٦.

(٧) و: علىّ عليه السلام؛ ك: علىّ بن أبى طالب.

(٨) ك: كما.

(٩) و، ك: بن أبى طالب عليه السلام؛ ن، م: علىّ.

(١٠) ح، ب: فى.

(١١) ك: إن الله تعالى جعل لأخى علىّ فضائل لا تحصى كثرة.

فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرًّا بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التى اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى[1] كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التى اكتسبها بالنظر، ثم قال: النظر إلى وجه أمير المؤمنين علىّ[2] عبادة، وذكره عبادة، لا يقبل[3] الله إيمان عبدٍ إلاّ بولايته والبراءة من أعدائه.

وعن حكيم [بن حزام][4] عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال[5]: لَمُبارزة علىّ[6] لعمرو بن [عبد][7] ودّ يوم الخندق أفضل من عمل أمتى إلى يوم القيامة.

وعن سعد بن أبى وقاص قال: أمر معاوية بن أبى سُفيان سعداً بالسبّ فأبى، فقال: ما منعك أن تسب علىّ بن أبى طالب؟[8] قال: ثلاث قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن

---

(١) أ، ب: فى.

(٢) ك ص ١٢٥ (م) - ١٢٦ (م): على بن أبى طالب عليه السلام.

(٣) أ، ب، : ولا يقبل؛ م: فلا يقبل.

(٤) بن حزام: ليست فى (ك).

(٥) ن، م: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال.

(٦) أ، ب، ر، ح، ى: علىّ بن أبى طالب؛ و: على بن أبى طالب عليه السلام؛ ك: علىّ عليه السلام.

(٧) عبد: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (ح).

(٨) ك: أن تسب أبا تراب؟

أسبه، لأن يكون لى واحدة منهن أحب[1] إلىّ من حمر النعم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلىّ وقد خلّفه فى بعض مغازيه، فقال [له][2] عليٌّ: تخلّفنى مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى[3] أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدى. وسمعته يقول يوم خيبر[4] لأعطين الراية رجلاً[5] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فتطاولنا، فقال[6]: ادعوا لى[7] عليًّا، فأتاه وبه رمد، فبصق في عينيه[8] ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. وأنزلت[9] هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٦١] دعا[10] رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا وفاطمة والحسن والحسين فقال: «هؤلاء[11] أهلى».

الرد عليه

والجواب: أن أخطب خوارزم هذا له مصنّف فى هذا الباب [فيه][12] من

---

(١) ك: لأن يكون أحب.

(٢) له: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) ك: فقال له: يا علىّ أما ترضى...

(٤) أ، ب: يوم خيبر يقول.

(٥) ك: لأعطين الراية غدا رجلا..

(٦) ك: قال.

(٧) ك: ادعوا إلىّ.

(٨) أ، و، ب، ق: عينه.

(٩) ك: ولما نزلت.

(١٠) م، ب: فدعا؛ ر، ح: ودعا.

(١١) ك: اللهم هؤلاء..

(١٢) فيه: ساقطة من (ن)، (م).

الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى كذبه على من له أدنى معرفة بالحديث، فضلاً عن علماء الحديث، وليس هو من علماء الحديث ولا ممن يُرجع إليه فى هذا الشأن ألبتة[1]. وهذه الأحاديث مما يعلم أهل المعرفة بالحديث أنها من المكذوبات. وهذا الرجل قد ذكر أنه يذكر ما هو صحيح عندهم، ونقلوه فى المعتمد من قولهم وكتبهم. فكيف يذكر ما أجمعوا على أنه كذب موضوع، ولم يُروَ[2] فى شىء من كتب الحديث المعتمدة، ولا صححه أحد من أئمة الحديث.

فالعشرة الأول[3] كلها كذب إلى [آخر حديث]: قتله[4] لعمرو بن عبد ودّ. وأما حديث سعد لما أمره معاوية بالسب فأبى، فقال: ما منعك أن تسب علىَّ بن أبى طالب؟ فقال: ثلاث قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه، لأن يكون لى واحدة منهن أحب إلىَّ من حمر النعم.. الحديث. فهذا حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه[5] وفيه ثلاث فضائل لعلىٍّ لكن ليست من خصائص الأئمة ولا من خصائص

(١) يقول الأستاذ محب الدين الخطيب فى تعليقه على «منهاج الاعتدال» ص ٣١٢: «أخطب خوارزم أديب متشيع من تلاميذ الزمخشرى، اسمه الموفق بن أحمد بن إسحاق (٤٨٤ - ٥٦٨) له ترجمة فى «بغية الوعاة» ٤٠١ و «روضات الجنات» (الطبعة الثانية) ٧٢٢ وغيرهما، وكتابه الذى كَذَب فيه هذا الخبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه «مناقب أهل البيت».. وانظر ترجمة أبى المؤيد الموفق بن أحمد المكّى الخوارزمى فى: الأعلام ٢٨٩/٨ وذكر الزركلى أن كتابه «مناقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب» مطبوع.

(٢) ن، م، و، ى: ولا يروى.

(٣) أ، ب: الأولى.

(٤) ن، م، و: إلى قوله...

(٥) سبق الحديث فيما مضى ٥٠١/١ وذكرت هناك أنه فى: مسلم ١٨٧١/٤.

عليّ، فإن قوله وقد خلّفه فى بعض مغازيه فقال له علىّ: يارسول الله تخلّفنى مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبى بعدى، ليس من خصائصه؛ فإنه استخلف عَلَى المدينة غير واحد، ولم يكن هذا الاستخلاف أكمل من غيره. ولهذا قال له علىّ: أتخلفنى مع النساء والصبيان؟ لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى كل غزاة[1] يترك بالمدينة رجالا من المهاجرين والأنصار، إلا فى غزوة تبوك فإنه أمر المسلمين جميعهم بالنفير[2]، فلم يتخلف / بالمدينة إلا عاصٍ أو معذور غير النساء والصبيان. ولهذا كره علىّ الاستخلاف، وقال: أتخلفنى مع النساء والصبيان؟ يقول تتركنى مخلفا لا تستصحبنى معك؟ فبيّن له النبى صلى الله عليه وسلم أن الاستخلاف ليس نقصا[3] ولا غضاضه؛ فإن موسى استخلف هارون على قومه لأمانته عنده، وكذلك أنت استخلفتك لأمانتك عندى، لكن موسى استخلف نبيًّا وأنا لا نبى بعدى. وهذا تشبيه فى أصل الاستخلاف، فإن موسى استخلف هارون على جميع بنى إسرائيل، والنبى صلى الله عليه وسلم استخلف عليًّا على قليل من المسلمين، وجمهورهم استصحبهم فى الغزاة. وتشبيهه بهارون ليس بأعظم من تشبيه أبى بكر وعمر: هذا بإبراهيم وعيسى، وهذا بنوح وموسى؛ فإن هؤلاء الأربعة أفضل من هارون، وكل من أبى بكر وعمر شبه باثنين لا بواحد، فكان[4] هذا التشبيه أعظم من تشبيه

٣/ ١١

---

(١) ح، ب، ر: غزوة. (٢) أ، ب: بالنفر.
(٣) ن (فقط): بغضا. (٤) ن، م: وكان.

عليّ، مع أن استخلاف عليّ له فيه اشباه وأمثال من الصحابه.

وهـذا التشبيه ليس لهـٰذين فيه شبيه، فلم يكن الاستخلاف من الخصائص، ولا التشبيه بنبى فى بعض أحواله من الخصائص.

وكـذلـك قوله: «لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله [ويحبه الله ورسوله][1] قال: فتطاولنا، فقال: ادعوا لى عليًّا، فأتاه وبه رمد، فبصق فى عينيه[2] ودفع الراية إليه، ففتح الله على يديه. وهذا الحديث أصح ما رُوى لعليّ من الفضائل، أخرجاه فى الصحيحين من غير وجه. وليس هذا الوصف مختصًّا بالأئمة ولا بعليّ؛ فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقى، وكل مؤمن تقى يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يُحتج به على النواصب الذين يتبرؤون منه ولا يتولونه ولا يحبونه، بل [قـد][3] يكفِّـرونه [أو يفسقونه][4] كالخوارج؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم شهد له بأنه يحب الله ورسوله [ويحبه اللّٰه ورسوله][5].

لكن هذا الاحتجـاج لا يتم على قول الـرافضـة الـذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم؛ فإن الخوارج / تقول فى عليّ مثل ذلك، لكن هذا باطل، فإن الله ـ ورسوله ـ لا يطلق هذا المدح على من يعلم أنه يموت كافرا[6]، وبعض أهل الأهواء من

ظ ١٨١

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (و).
(٢) ح، ى، ن، م، أ، ب: عينه.
(٣) قد: ساقطة من (ن)، (م)، (و).
(٤) أو يفسقونه: ساقطة من (ن)، (م)، (و).
(٥) ويحبه الله ورسوله: فى (أ)، (ب)، (م) فقط.
(٦) ن، م، و: فإن الله ورسوله لا يحب ولا يرضى عمن يعلم أنه يموت كافرا.

المعتزلة وغيرهم، وبعض المروانية ومن كان على هواهم، الذين كانوا يبغضونه ويسبونه.

وكذلك حديث المباهلة شركه فيه فاطمة وحسن وحسين[1]، كما شركوه[2] فى حديث الكساء، فعُلم أن ذلك[3] لا يختص بالرجال ولا بالذكور ولا بالأئمة، بل يشركه[4] فيه المرأة والصبى، فإن الحسن والحسين كانا صغيرين عند المباهلة، فإن المباهلة كانت لما قدم وفد نجران بعد فتح مكة [سنة تسع أو عشر][5]، والنبى صلى الله عليه وسلم مات ولم يكمل الحسين سبع سنين، والحسن أكبر منه بنحو سنة، وإنما دعا هؤلاء لأنه أُمر أن يدعو كل واحد من[6] الأقربين: الأبناء[7] والنساء والأنفس، فيدعو[8] الواحد من أولئك: أبناءه ونساءه، وأخص الرجال به نسباً.

وهؤلاء أقرب الناس إلى النبى صلى الله عليه وسلم نسبا، وإن كان غيرهم أفضل منهم عنده، فلم يؤمر أن يدعو أفضل أتباعه، لأن المقصود أن يدعو كل واحد [منهم][9] أخصّ الناس به، لما فى جبلة الإنسان من الخوف عليه وعلى ذوى[10] رحمه الأقربين إليه، ولهذا خصهم فى حديث الكساء.

---

(1) أ، ب: والحسن والحسين.
(2) ر، أ، ب، ح، ى: شركه.
(3) ن، م، و: وأن ذلك...
(4) ح، ى، ر، م: شركه؛ أ: تشركه.
(5) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و).
(6) من: ساقطة من (أ)، (ب).
(7) أ، ب: والأبناء.
(8) أ، ب: فدعا.
(9) منهم: زيادة فى (أ)، (ب).
(10) ر، ح، ى، ب: ذى.

والدعاء لهم والمباهلة مبناها على العدل[1]، فأولئك أيضاً يحتاجون أن يدعوا أقرب الناس إليهم نسبا، وهم يخافون عليهم ما لا يخافون على الأجانب، ولهذا امتنعوا عن[2] المباهلة، لعلمهم بأنه[3] على الحق، وأنهم إذا باهلوه حقت عليهم بهلة الله[4] وعلى الأقربين إليهم، بل قد يحذر الإنسان على ولده ما لا يحذره[5] على نفسه.

فإن قيل: فإذا[6] كان ما صح من فضائل عليّ رضى الله عنه، كقوله صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، وقوله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى»، وقوله: «اللهم [هؤلاء][7] أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» ليس من خصائصه، بل له فيه شركاء، فلماذا تمنّى بعض الصحابة أن يكون له ذلك، كما روى عن سعد[8] وعن عمر؟

١٢/٣ فالجواب: أن فى ذلك شهادة / النبى صلى الله عليه وسلم لعلىّ بإيمانه باطنا وظاهرا، وإثباتا لموالاته لله ورسوله ووجوب موالاة المؤمنين له. وفى ذلك رد على النواصب الذين يعتقدون كفره أو فسقه، كالخوارج المارقين الذين كانوا من أعبد الناس، كما قال [النبى][9] صلى الله عليه

---

(١) ن، م: مبناها على الأعداء. (٢) أ، ب: من.

(٣) أ: أنه.

(٤) أ، ب: لعنة الله. وفى «اللسان»: «البَهْل: اللعن... وعليه بَهْلة الله وبُهلته أى لعنته».

(٥) م، ح، ى، ر: ما لا يحذر. (٦) ن، م، ب: إذا.

(٧) هؤلاء: ساقطة من (ن)، (م).

(٨) ن (فقط): عن سعيد.

(٩) النبى: ساقطة من (ن)، (م).

وسلم [فيهم][(1)]: «يحقـر أحـدكم صلاتـه مع صلاتهم، وصيامـه مع صيامهم، وقـراءتـه مع قراءتهم، يقـرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمـرقـون من الإسـلام كمـا يمـرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم»[(2)] وهؤلاء يكفّـرونه ويستحلّون قتله، ولهذا قتله واحد منهم، وهو عبدالرحمن بن ملجم المرادى، مع كونه كان من أعبد الناس.

وأهل العلم والسنة يحتاجون إلى إثبات إيمان علىّ وعدله ودينه للرد على هؤلاء، أعظم مما يحتاجون إلى مناظرة الشيعه؛ فإن هؤلاء أصدق وأدْيَن، والشبـه[(3)] التى يحتجـون بها أعظم من الشبه[(4)] التى تحتج بها الشيعة، كما أن المسلمين يحتاجون فى أمر المسيح صلوات الله وسلامه عليه إلى مناظرة اليهود والنصارى، فيحتاجون أن ينفوا عنه ما يرميه به اليهود من أنه كاذب ولد زنا، وإلى نفى ما تدّعيه النصارى من الإلـٰهية، وجدل اليهود أشد من جدل النصارى، ولهم شبه لا يقدر النصارى أن يجيبوهم عنها، وإنما يجيبهم عنها المسلمون. كما أن للنواصب شبهاً[(5)]

---

(1) فيهم: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(2) سبق الكلام على أحاديث الخوارج فيما مضى ٦٦/١. وما ذكره ابن تيمية هنا جزء من حديث ـ مع اختلاف فى الألفاظ ـ عن علىّ وأبى سعيد الخدرى وجابر بن عبدالله رضى الله عنهم فى: البخارى ٤/٢٠٠ ـ ٢٠١ (كتاب المناقب، باب علامات النبوة)؛ مسلم ٢/٧٤٠ ـ ٧٤٧ (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، باب التحريض على قتل الخوارج). وانظر: جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٤٣٦ ـ ٤٤٠؛ سنن أبى داود ٤/٣٣٦ (كتاب السنة، باب فى قتال الخوارج)؛ سنن أبى ماجة ١/٦٠ ـ ٦١ (المقدمة، باب فى ذكر الخوارج)؛ المسند (ط. الحلبى) ٣/٦٥، ٦٨، ٧٣، ٣٥٣، ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(3) ح، ب: والشبهة؛ أ: والسنة.

(4) ح، ب: الشبهة؛ أ: السنة.

(5) ب (فقط): شبهة.

لا يمكن الشيعه أن يجيبوا عنها، وإنما يجيبهم عنها أهل السنة.

فهذه الاحاديث الصحيحة المثبته لإيمان عليّ باطنا وظاهرا ردّ على هؤلاء، وإن لم يكن ذلك من خصائصه، كالنصوص الدالّة على إيمان أهل بدر وبيعة الرضوان باطنا وظاهرا؛ فإن فيها ردًّا على من ينازع فى ذلك من الروافض والخوارج، وإن لم يكن ما يستدل به من خصائص واحد منهم. وإذا شهد النبى صلى الله عليه وسلم لمعيَّن بشهادة، أو دعا له بدعاء، أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة ومثل[1] ذلك الدعاء، وإن كان النبى صلى الله عليه وسلم يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو به لخلق كثير، وكان تعيينه لذلك المعيّن من أعظم فضائله ومناقبه، وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس بن شماس[2] وعبدالله بن سلام[3] وغيرهما، وإن كان قد شهد بالجنة لآخرين. والشهادة بمحبة الله

---

(١) ب (فقط): أو مثل.

(٢) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى: مسلم ١/١١٠ (كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله) أن ثابت بن قيس رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى﴾ [سورة الحجرات: ٢] حزن واحتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال كلاما آخره.. فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد (بن معاذ) للنبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل هو من أهل الجنة». والحديث فى المسند (ط. الحلبى) ٣/١٣٧، ١٤٥ - ١٤٦، ٢٨٧.

(٣) روى البخارى ٥ / ٣٧ - ٣٨ (كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبدالله بن سلام رضى الله عنه) ومسلم ٤/١٩٣٠ - ١٩٣٢ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبدالله بن سلام رضى الله عنه) حديثا عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يقول فيه - وهذه رواية البخارى -: ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشى على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام.. الحديث. كما رويا حديثا آخر عن قيس بن عُبَاد ذكر فيه أنه كان فى حلقة فيها قوم (عند مسلم: فيها سعد بن مالك وابن عمر رضى الله عنهم) =

ورسوله لعبد الله حمار الذى ضرب فى الخمر[1]، وإن شهد بذلك لمن هو أفضل منه، وكشهادته لعمرو بن تغلب بأنه ممن لا يعطيه لما فى قلبه من الغنى والخير لمـا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحـديث الصحيح: «إنى لأعـطى رجالا وأدع رجالا، والذى أدع أحبُّ إلىَّ من الـذى أعـطى. أعطى رجالا لما فى قلوبهم من الهلع والجزع، وأكِلُ رجالا إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب»[2].

وفى الحديث الصحيح لما صلّى على ميت[3] قال: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه / واعف عنه، وأكرم منزله، ووسّع[4] مدخله، واغسله بالمـاء والثلج والبَرَد[5]، ونقِّه من الذنوب والخطايا[6] كما يُنقّى[7] الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيرا من داره، وأهلاً خيرا من أهله، وقه فتنة القبر وعذاب النار، وافسح له فى قبره، ونوِّر له فيه». قال عوف بن

ص ١٨٢

= فمر عبدالله بن سلام فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة. فسأله قيس عن ذلك فذكر له عبدالله بن سلام أنه رأى رؤيا قصها على النبى صلى الله عليه وسلم فأولها له وقال فى آخر كلامه صلى الله عليه وسلم «.. وأما العروة فهى عروة الإسلام، ولن تزال مستمسكا بها حتى تموت».

(١) سبق الحديث فيما مضى ٤/٤٥٧ـ٤٥٨.

(٢) سبق الحديث فيما مضى ١/ ٦٤ـ٦٥

(٣) أ، ب: الميت.

(٤) ن، م: وأوسع.

(٥) ح، ى، و، ر: بماء وثلج وبرد.

(٦) و، ر، ح، ى: من الخطايا.

(٧) ن، م، و، ح، ى: كما نقيت.

مالك: فتمنيت أن أكون [أنا][1] ذلك الميت[2]. وهذا الدعاء ليس مختصا بذلك الميت.

الفصل [الحادى عشر][3]

تابع كلام الرافضى عن فضائل علىّ رضى الله عنه

قال الرافضى[4]: «وعن عامر بن واثلة[5] قال: كنت مع علىّ عليه السلام[6] [يوم الشورى][7] يقول لهم[8]: لأحتجنّ عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميكم تغيير ذلك، ثم قال: أنشدكم بالله أيها النفر جميعا، أفيكم[9] أحد وحّد الله تعالى

(١) أنا: زيادة فى (ى)، (ر)، (ب).

(٢) الحديث.. مع اختلاف فى الألفاظ - عن عوف بن مالك رضى الله عنه فى: مسلم ٢/٦٦٢ - ٦٦٣ (كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت فى الصلاة)؛ سنن النسائى ١/٤٦ (كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البرد)، ٤/٥٩ - ٦٠ (كتاب الجنائز، باب الدعاء)؛ المسند (ط. الحلبى) ٦/٢٣.

(٣) ن، م، و، أ: فصل.

(٤) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ص ١٢٦ (م) - ١٣٠ (م).

(٥) ن: وايلة.

(٦) عليه السلام: فى (ن)، (و)، (ك). وفى (ر)، (ى)، (ق): رضى الله عنه.

(٧) يوم الشورى: كذا فى (ق) فقط. وفى (ك): فى البيت يوم الشورى، فسمعت عليا عليه السلام.

(٨) أ، ب، ق، ر، ح، ى: وهو يقول لهم؛ و: يقول.

(٩) ك (ص ١٢٦م - ١٢٧م): هل فيكم.

قبلى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم[1] بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخى جعفر الطيّار فى الجنة مع الملائكة غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله: هل فيكم أحد له عمّ مثل عمى حمزة أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له زوجه مثل زوجتى فاطمة بنت محمد سيدة [نساء][2] أهل الجنة غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له[3] سبطان مثل سبطىّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله صلى الله عليه / وسلم عشر مرات قدّم[4] بين يدى نجواه[5] صدقة غيرى[6]؟ ٣/ ١٣ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلىّ[7] مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه[8]، ليبلغ[9] الشاهد الغائب غيرى؟

---

(١) أ، ب: أنشدكم.

(٢) نساء: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (ق)، (أ)، (ى).

(٣) و، أ، ب، ح، ى، ر، ق: من له.

(٤) قدّم: كذا فى (ب). وفى (ك): وقدّم. وفى سائر النسخ: أقدّم.

(٥) نجواه: كذا فى (ب)، (ك) وفى سائر النسخ: نجواى.

(٦) ك: مثلى.

(٧) ك: فهذا علىّ.

(٨) ك: من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

(٩) ك: وليبلغ.

قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ائتنى بأحب خلقك[1] إليك وإلىّ يأكل معى من هذا الطير[2]، فأتاه فأكل[3] معه غيرى؟ قالوا: اللهم لا. (*قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأعطين الراية رجلا[4] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه إذ رجع غيرى منهزما غيرى؟[5] قالوا: اللهم لا*). قال[6]: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى وكيعة[7]: لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلا نفسه كنفسى، وطاعته كطاعتى، ومعصيته كمعصيتى[8] يفصلكم[9] بالسيف غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال

---

(١) ك: الخلق.

(٢) ك: وإلىّ وأشدهم لك حبا ولى حبا يأكل معى هذا الطائر.

(٣) م: يأكل؛ ك: وأكل.

(*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٤) ك: الراية غدا رجلا.

(٥) أ، ب: على يديه غيرى. وسقطت «غيرى» الثانية من جميع النسخ ما عدا (ن)، (ق)، (ك)، (و).

(٦) قال: ساقطة من (ك).

(٧) ك: لبنى ربيعة.

(٨) ك: وطاعته طاعتى ومعصيته معصيتى.

(٩) ن، م: يعطلكم.

له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذب من زعم أنه يحبنى ويبغض هذا غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد[1] سلَّم عليه فى ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة: جبرائيل[2] وميكائيل وإسرافيل حيث جئت بالماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القليب غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نودى به من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علىّ غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له جبريل هذه[3] هى المواساة، فقال له[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه منى[5] وأنا منه. فقال جبريل[6]: وأنا منكما غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، على لسان النبى صلى الله عليه وسلم غيرى[8]؟ قالوا: اللهم لا. قال:

---

(١) أ، ر، ن، م، ب، ح: رجل.

(٢) أ، ح، ب، ن، م، ق، و: جبريل؛ ك (ص ١٢٨م): جبرئيل.

(٣) ك: جبرئيل يوم حنين هذه؛ ى: جبرئيل هذه..

(٤) له: ساقطة من (ك)، (و).

(٥) أ، ب: هو منى.

(٦) ى: فقال له جبرئيل؛ ك: فقال جبرئيل عليه السلام.

(٧) له: ساقطة من (ك).

(٨) ك: على النبى غيرى.

فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى قاتلت على تنزيل القرآن وأنت تقاتل على تأويله غيرى؟[1] قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد رُدّت عليه الشمس حتى صلى العصر فى وقتها غيرى؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ «براءة» من أبى بكر، فقال له أبو بكر: يارسول الله أنزل[2] فىّ شىء؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه[3] لا يؤدّي عنى إلا علىّ[4] غيرى قالوا: اللهم لا.

قال فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق [كافر][5] غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل تعلمون[6] أنه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابى فقلتم فى ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا سددت أبوابكم[7] ولا فتحت بابه،بل الله سد أبوابكم وفتح بابه

---

(١) ك: وتقاتل على تأويل القرآن غيرى.

(٢) ن، م: هل نزل. (٣) ك: فقال: إنه...

(٤) أ، ب: إلا أهلى.

(٥) ن، م، ق: إلا منافق؛ و، ك: إلا كافر؛ أ: إلا كافر منافق.

(٦) ك: أتعلمون. (٧) ن، م، ر: بابكم.

غيرى؟ قالوا: اللهم لا[1].

(*) قال: فأنشدكم بالله أتعلمون[2] أنه ناجانى[3] يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك، فقلتم: ناجاه دوننا، فقال: ما أنا انتجيته بل الله انتجاه غيرى؟ قالوا: اللهم نعم(*).

قال: فأنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحق مع علىّ وعليّ مع الحق يزول الحق مع علىّ كيفما زال[4]؟ قالوا[5]: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله أتعلمون[6] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال. إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتى، لن تضلوا ما استمسكتم بهما، ولن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه من المشركين واضطجع فى مضجعه غيرى[7]؟

---

(١) ن، م، أ، ر، ى: اللهم نعم.

(*ـ*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) أ، ب، ق، ح: هل تعلمون.

(٣) ك: أنه صلى الله عليه وآله ناجانى..

(٤) ك (ص ١٢٩م): مع الحق يدور معه حيث دار.

(٥) ر، و، ح، ى، ب: فقالوا.

(٦) ح، ب: هل تعلمون.

(٧) ك: هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين هرب من المشركين: من يفدينى بنفسه؟ ففدى له بنفسه واضطجع فى مضطجعه غيرى؟.

قالوا: [اللهم](1) لا.

قال: فأنشدكم بالله(2) هل فيكم أحد بارز عمرو بن [عبد](3) ودّ العامري حيث(4) دعاكم إلى البراز غيري؟ قالوا: اللهم لا.

ظ ١٨٢ قال: / فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نزل فيه آية التطهير حيث(5) يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت سيد المؤمنين(6) غيري؟ قالوا: اللهم لا.

٣/ ١٤ قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله / صلى الله عليه وسلم: ما سألت الله شيئا إلا وسألت لك(7) مثله غيري؟ قالوا: [اللهم](8) لا.

ومنها ما رواه أبو عمرو(9) الزاهد عن ابن عباس قال: لعليّ

---

(١) اللهم: ساقطة من (ن) فقط.
(٢) ك: بالله ربكم.
(٣) عبد: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (ى)، (ق).
(٤) أ، ب: حين.
(٥) حيث: ساقطة من (ك).
(٦) ك: أنت سيد العرب المؤمنين.
(٧) ك: إلا سألت لك.
(٨) اللهم: ساقطة من (ن)، (م).
(٩) أبو عمرو: كذا في (أ)، (ر)، (ك). وفي سائر النسخ: أبو عمر.

أربع خصال ليست[1] لأحد من الناس غيره، هو أوّل عربى وعجمى صلّى مع النبى صلى الله عليه وسلم[2]، وهو الذى كان لواؤه[3] معه فى كل زحف، وهو الذى صبر معه يوم حنين[4]، وهو الذى غسَّله وأدخله قبره[5].

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال: مررت ليلة المعراج بقوم[6] تُشرشر أشداقهم، فقلت: ياجبريل[7] من هؤلاء؟ قال: قوم يقطعون[8] الناس بالغيبه. قال: ومررت بقوم وقد ضوضؤا[9]، فقلت: ياجبريل[10] من هؤلاء؟ قال: هؤلاء[11] الكفار. قال: ثم عدلنا عن الطريق[12]، فلما انتهينا إلى السماء الرابعة رأيت عليا يصلّى، فقلت: ياجبريل[13] هذا علىّ قد سبقنا. قال: لا ليس هذا عليًّا[14]. قلت: فمن هو[15]؟ قال: إن الملائكه

---

(١) ك: ليس.

(٢) ك: صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) م، ح، ى، ر، و: لواه؛ ك: لوائه.

(٤) ن: خيبر؛ أ: فى يوم حنين.

(٥) ك: وأدخله فى قبره صلى الله عليهما؛ أ: وأدخله فى قبره.

(٦) أ: بأقوام.

(٧) أ، ك: ياجبرئيل.

(٨) ك (ص ١٢٩م - ١٣٠م): هؤلاء الذين يقطعون؛ و: هؤلاء قوم يقطعون.

(٩) أ، ب: بقوم قد ضوضؤا؛ ك: بقوم ضوْضوْا.

(١٠) ى، ك: ياجبرئيل.

(١١) هؤلاء: ساقطة من (ك).

(١٢) ر: عدلنا الطريقة؛ ك: عدلنا عن ذلك الطريق.

(١٣) ى: فقلت ياجبرئيل؛ ك: فقلت لجبرئيل: ياجبرئيل.

(١٤) ك: علىّ.

(١٥) أ، ب: فمن هذا؟

المقـرَّبـين والملائكة الكروبيين لما سمعت فضائل عليّ وخاصته[1] وسمعت[2] قولك فيه: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، اشتاقت إلى علـيّ، فخلق الله تعالى لها ملَكًا على صورة عليّ، فإذا اشتاقت إلى علـيّ[3] جاءت[4] إلى ذلك المكان، فكأنها قد رأت عليًّا.

وعن ابن عباس قال: إن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهـو نشيط: أنـا الفتى ابن الفتى أخـو الفتى. قال: فقـولـه: أنـا الفتى، [يعنى][5] هو فتى العـرب[6]، وقوله ابن الفتى، يعنى إبراهيم[7] من قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَـالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٠]، وقوله: أخو الفتى، يعنى عليًّا، وهو معنى قول جبريل [فى][8] يوم بدر وقد عرج إلى السماء [وهو فرح][9] وهو يقول[10]: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ.

---

(١) ك: ومحاسنه.

(٢) ن، م، و، ق، ر: سمعت.

(٣) ن، م: إليه.

(٤) ك: جاءوا..

(٥) يعنى: ساقطة من (ن)، (م).

(٦) ك: العرب بالإجماع أى سيدها.

(٧) ك، و: إبراهيم الخليل عليه السلام.

(٨) فى: ساقطة من (ن)، (م).

(٩) وهو فرح: ساقطة من (ن)، (م)، (ق).

(١٠) ك: وقد عرج إلى السماء بالفتح وهو فرح مسرور يقول..

وعن ابن عباس[1] قال: رأيت أبا ذر وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا أبو ذر، لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار، وصليتم حتى تكونوا كالحنايا، ما نفعكم ذلك حتى تحبوا عليًّا»[2].

الرد عليه

والجواب: أما قوله[3] عن عامر بن واثلة وما ذكره يوم الشورى، فهذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث[4]، ولم يقل علىّ رضى الله عنه يوم الشورى شيئاً من هذا ولا ما يشابهه[5]، بل قال له عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه: لئن أمرتك لتعدلنّ؟ قال: نعم. قال: وإن[6] بايعت عثمان لتسمعن وتطيعن؟ قال: نعم. وكذلك قال لعثمان. ومكث [عبدالرحمن][7] ثلاثة أيام يشاور المسلمين.

ففى الصحيحين[8] ـ وهذا لفظ البخارى[9] ـ عن عمرو بن ميمون فى

---

(1) ب: وعن ابن عباس رضى الله عنهما؛ ح: وعن ابن عباس رضى الله عنه.

(2) ك، و: عليا عليه السلام؛ ر، ى: عليا رضى الله عنه.

(3) و: فيقال قوله.

(4) ذكر ابن الجوزى قسما من هذا الحديث فى «الموضوعات» ١/٣٧٨ ـ ٣٨٠ وقال: «هذا حديث موضوع لا أصل له» وانظر باقى كلامه. وقد ذكر كلاما مماثلا السيوطى فى «اللآلىء المصنوعة» ١/٣٦١.

(5) ن، م: ولم ينقل عن علىّ يوم الشورى شىء من هذا ولا ما يشبهه.

(6) أ: ولئن.

(7) عبدالرحمن: ساقطة من (ن)، (م).

(8) لم أجد الحديث فى مسلم مع طول بحثى عنه..

(9) ٥/١٥ ـ ١٨ (كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب قصة البيعة) والكلام التالى ص ١٧ ـ ١٨.

مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «فلما فُرِغَ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبدالرحمن[1]: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. قال[2] الزبير: قد جعلت أمرى إلى عليّ. وقال[3] طلحة: قد جعلت أمرى [إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمرى][4] إلى عبدالرحمن[5]. فقال عبدالرحمن: أيكم تبرأ[6] من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه[7]؟ فأُسْكِت الشيخان. فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إلىّ والله عَلَىَّ [أن] لا آلو[8] عن أفضلكم. قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم فى الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرتك لتعدلن ولئن أمَّرت عليك لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك ياعثمان»[9].

---

(١) ر، و، ح، ى: عبدالرحمن بن عوف.

(٢) البخارى ١٧/٥: فقال.

(٣) البخارى: فقال.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ ما عدا (ب) وهو فى «البخارى».

(٥) البخارى: إلى عبدالرحمن بن عوف.

(٦) ن، ر، أ، ح، ى: يتبرأ.

(٧) ن، ر، ح، ى: أفضل من فى نفسه؛ أ: أفضل من نفسه؛ و: أفضل فى نفسه؛ م: أفضل من هو فى نفسه.

(٨) ن، م: علىّ لا آلو؛ ح: علىّ من أن لا آلو.

(٩) جاء جزء من هذا الحديث فى: البخارى ١٠٣/٢ (كتاب الجنائز، باب ما جاء فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم). . والحديث فى: البخارى ٧٨/٩ (كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس).

وفى حديث المسـور بن مخرمة[1] قال المسور[2]: «إن الرهط الذين ولاّهم عمر اجتمعوا فتشاوروا. قال لهم عبدالرحمن[3]: لست بالذى أتكلم فى هذا الأمـر[4] ولكنكم إن شئتم[5] اخـترت لكم منكم، فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمن، فلما ولَّوْا عبدالرحمن أمرهم مال الناس على عبدالرحمن [حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع ذلك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبدالرحمن][6] يشاورونه تلك[7] الليالى، حتى إذا كانت الليلة التى أصبحنا منهـا فبايعنا[8] عثمان. قال المسور: طرقنى عبدالرحمن بعد هَجْعٍ[9] من الليل، فضرب البـاب حتى استيقـظت، فقـال: أراك نائـما، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة[10] بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعداً، فدعوتهما له، فشاورهما[11] ثم دعانى، فقال: ادع لى عليًا، فدعوته، فناجاه [حتى إبهار الليل، ثم قام علىّ من عنده وهو على طمع، وقد كان عبدالرحمن يخشى

---

(١) بن مخرمة: ساقطة من (ح)، (ب).

(٢) عبارة «قال المسور»: ساقطة من (ب) فقط. وفى (و): قال المسور بن مخرمة.

(٣) أ: فقال عبدالرحمن؛ ب، ح، ى: فقال عبدالرحمن بن عوف؛ ن، م، ر: قال عبدالرحمن.

(٤) البخارى: لست بالذى أنافسكم على هذا الأمر.

(٥) ن، م، أ: إن شئت.

(٦) ما بين المعقوفتين فى (و)، البخارى فقط وفى «البخارى»: أولئك الرهط.

(٧) ح، ب: فى تلك.

(٨) ن: فيها بايعنا.

(٩) ح، ب: هجعة.

(١٠) و، ح، ى: هذه الثلاث؛ أ، ر، ب: فى هذه الثلاث.

(١١) ح، أ، ب، ر: فسارهما.

من عليّ شيئاً. ثم قال: ادع لى عثمان، فدعوته فناجاه][1] حتى فرّق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلّى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر

٣/ ١٥ / أرسل إلى من[2] كان حاضرا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهّد عبدالرحمن، ثم قال: أما بعد يا عليّ إنى[3] قد نظرت فى أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلا. فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله[4] والخليفتين من بعده، فبايعه عبدالرحمن، وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون» هذا لفظ البخارى.

وفى هذا الحديث الذى ذكره هذا الرافضى أنواع من الأكاذيب التى نزَّه الله عليًّا عنها، مثل احتجاجه بأخيه وعمه وزوجته، وعليّ رضى الله عنه أفضل من هؤلاء، وهو يعلم أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم. ولو قال

ص ١٣٨ العباس / : هل فيكم مثل أخى حمزه ومثل أولاد إخوتى[5] محمد وعلى وجعفر؟! لكانت هذه الحجة من جنس تلك، بل احتجاج الإنسان ببنى إخوته أعظم من احتجاجه بعمه. ولو قال عثمان: هل فيكم من تزوج بنتَىْ نبى ؟[6] لكان من جنس قول القائل: هل فيكم من زوجته كزوجتى[7]؟ وكانت فاطمة قد ماتت قبل الشورى كما ماتت زوجتا عثمان، فإنها ماتت

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ وأثبته من «البخارى».

(٢) ب: أرسل لمن؛ البخارى: فأرسل إلى من.

(٣) ن، م، أ: فإنى.

(٤) ح، ب: على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٥) ر، ح: إخوتى.

(٦) ن، م: بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٧) أ، ب: مثل زوجتى.

بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بنحو ستة أشهر[1].

وكذلك قوله: «هل فيكم مَنْ له ولد كولدى[2]؟».

وفيه أكاذيب متعددة، مثل قوله: «ما سألت الله شيئاً إلا وسألت لك مثله». وكذلك قوله: «لا يؤدّى عنى إلا علىّ» من الكذب[3].

وقال الخطابى فى كتاب «شعار الدين»[4]: «وقوله: لا يؤدّي عنى إلا رجل من أهل بيتى» هو شيء جاء به أهل الكوفه عن زيد بن يُثَيْع[5]، وهو متهم فى الرواية منسوب إلى الرفض. وعامة[6] من بلّغ عنه غير أهل بيته، فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة إلى المدينة يدعو الناس إلى الاسلام، ويعلّم الأنصار القرآن، ويفقههم فى الدين. وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين فى مثل ذلك، وبعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، وبعث عتاب بن أسيد إلى مكة. فأين قول من زعم أنه لا يبلّغ عنه إلا رجل من أهل بيته؟!

وأما حديث ابن عباس ففيه أكاذيب: منها قوله: كان لواؤه معه فى كل

---

(١) ح، ب: بستة أشهر.

(٢) أ: هل فيكم من وُلد له ولدين كولدى؛ ب: هل فيكم أحد له ولد كولدى؛ ح: هل فيكم ولد كولدى.

(٣) أ، ب: فمن الكذب.

(٤) سبقت ترجمة الخطابى ١/٣٠٣. ولم يذكر سزكين فى ترجمته للخطابى م١ جـ١، ص ٤٢٧ - ٤٢٩ كتاب «شعار الدين» فهو من الكتب المفقودة.

(٥) أ: زيد بن بقيع. وذكره الذهبى فى «ميزان الاعتدال» ٢/١٠٧. وقال: «زيد بن يُثَيْع الهمدانى، عن علىّ وأبى ذر. ما روى عنه سوى أبى إسحاق، وسماه أبان بن تغلب: زيد ابن نُفيع. والأول أصح».

(٦) أ: وغايه.

زحف، فإن هذا من الكذب المعلوم، إذ لواء النبى صلى الله عليه وسلم كان يوم أُحد مع مصعب بن عمير باتفاق الناس، ولواؤه يوم الفتح كان مع الزبير بن العوام، وأمره[1] رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم أن يركّز رايته بالحجون، فقال العباس للزبير [بن العوام][3]: أهاهنا أمرك رسول الله صلىّ الله عليه وسلم أن تركز الراية؟ أخرجه البخارى فى صحيحه[4].

وكذلك قوله: «وهو الذى صبر معه يوم حُنين».

وقد عُلم أنه لم يكن أقرب إليه من العباس بن عبدالمطلب، وأبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، والعباس آخذ[5] بلجام بغلته، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه، وقال له النبى صلى الله عليه وسلم: «ناد أصحاب السمرة» قال: فقلت بأعلى صوتى: أين أصحاب السمرة؟ فوالله كأن عطفتهم علىّ حين سمعوا صوتى عطفة[6] البقر على أولادها، فقالوا: يالبيك يالبيك. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا النبى لاكذب، أنا ابن عبدالمطلب» ونزل عن بغلته وأخذ كفًّا من حصى فرمى بها[7] القوم وقال: «انهزموا ورب الكعبة» قال العباس: «فوالله ما هو إلا

---

(١) وأمره: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: وأمر.

(٢) رسول الله: ليست فى (ح)، (ب).

(٣) بن العوام: فى (ح)، (س)، (ر)، (ب) فقط.

(٤) الحديث عن نافع بن جبير (وهو تابعى) فى: البخارى ٥٣/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل فى لواء النبى صلى الله عليه وسلم، ونصه: قال سمعت العباس يقول للزبير رضى الله عنه: أههُنا أمرك النبى صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية؟.

(٥) ن، م، و: وهو آخذ.

(٦) و: عطف.

(٧) ح: به.

أن رماهم فمازلت أرى حدّهم كليلا وأمرهم مدبرا، حتى هزمهم الله» أخرجاه فى الصحيحين[1]. وفى لفظ للبخارى قال: «وأبو سفيان آخذ بلجام بغلته»[2] وفيه: «قال العباس: لزمت أنا وأبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين فلم نفارقه»[3].

وأما غُسله صلى الله عليه وسلم وإدخاله قبره، فاشترك فيه أهل بيته،

---

(1) الحديث عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه فى: مسلم ١٣٩٨/٣ - ١٤٠٠ (كتاب الجهاد والسير، باب فى غزوة حنين)؛ المسند (ط. المعارف) ٢٠٨/٣ - ٢١٠. وذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فى تعليقه: «والحديث رواه مسلم ١٠/٢ - ٦١ من طريق يونس عن الزهرى، ومن طريق عبدالرازق عن معمر عن الزهرى. وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ٣٢٧ وزعم أن الشيخين لم يخرجاه، واستدرك عليه الذهبى بإخراج مسلم إياه». وهكذا لا نجد ما يدل على أن حديث العباس رواه البخارى ولعل ابن تيمية يقصد أن الحديث بمعناه من رواية البراء بن عازب فى البخارى. وأما قوله: «فمازلت أرى حدهم كليلا» أى: مازلت أرى قوتهم ضعيفة.

(2) الحديث عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى: البخارى ٣٠/٤ - ٣١ (كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره) ونصه . . قال رجل للبراء بن عازب رضى الله عنهما: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين؟ قال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، إن هوازن كانوا قوماً رماة، وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم، واستقبلونا بالسهام، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر، فلقد رأيته على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان آخذ بلجامها، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا النبى لاكذب . . أنا ابن عبدالمطلب». والحديث فى: مسلم ١٤٠٠/٣ - ١٤٠١ (الموضع السابق). وجاء الحديث عن البراء رضى الله عنه فى مواضع أخرى فى البخارى: ٣٢/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب بغلة النبى صلى الله عليه وسلم البيضاء)، ٤٣/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب من صف أصحابه عند الهزيمة . .)، ٦٧/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب من قال خذها وأنا ابن فلان)؛ ١٥٣/٥ (كتاب المغازى، باب قول الله تعالى: ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم . .). وانظر: فتح البارى ٢٨/٨ - ٣٢.

(3) هذه العبارة فى حديث العباس رضى الله عنه فى: مسلم ١٣٩٨/٣؛ المسند (ط. المعارف) ٢٠٨/٣ .

كالعباس وأولاده، ومولاه [شقران][1]، وبعض الأنصار، لكن عليٌّ كان[2] يباشر الغسل، والعباس حاضر لجلالة العباس، وأن عليا أولاهم بمباشرة ذلك.

وكذلك قوله: «هو أوّل عربى [وعجمى][3] صلّى» يناقض ما هو المعروف عن ابن عباس.

﴿فصــــل﴾

وأما حديث المعراج وقوله فيه: إن الملائكه المقرّبين والملائكة الكروبيين / لما سمعت فضائل علىّ وخاصته وقول النبى صلى الله عليه وسلم[4]: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟» اشتاقت إلى علىّ فخلق الله[5] لها مَلَكاً على صورة علىّ».

٣/١٦

فالجواب: أن هذا[6] من كذب الجُهّال الذين لا يحسنون أن يكذبوا، فإن المعراج كان بمكة قبل الهجرة بإجماع الناس، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: ١].

---

(١) شقران: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٢) أ، ب، ى: لكن كان علىّ.

(٣) وعجمى: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٤) ن، م: وخاصة قوله صلى الله عليه وسلم؛ و، ر، ح، ى: وخاصة قول النبى صلى الله عليه وسلم.

(٥) لفظ الجلالة ليس فى (ح)، (ر)، (و)، (ى). (٦) و: فيقال هذا..

[وكان الإسراء من المسجد الحرام][1]. وقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: ١ - ٤] إلى قوله ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ [سورة النجم: ١٢ - ١٤] إلى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [سورة النجم: ١٩] وهذا كله نزل بمكة بإجماع الناس.

وقوله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟» قاله فى غزوة تبوك، وهى آخر الغزوات عام تسعٍ من الهجرة. فكيف يُقال: إن الملائكة ليلة المعراج سمعوا قوله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟».

ثم قد علم أن الاستخلاف على المدينة مشترك، فكل الاستخلافات التى قبل غزوة تبوك وبعد تبوك كان يكون بالمدينة رجال من المؤمنين [المطيعين][2] يستخلف عليهم. وغزوة[3] تبوك لم يكن فيها رجل مؤمن مطيع إلا من عذره الله ممن هو عاجز عن الجهاد، فكان المستخلف عليهم فى غزوة تبوك أقل وأضعف من المستخلف عليهم فى جميع أسفاره ومغازيه وعمره وحجه، وقد سافر [النبى صلى الله عليه وسلم][4] من المدينة قريبا من ثلاثين سفرة، وهو يستخلف فيها من يستخلفه، كما استخلف فى غزوة الأبواء سعد بن عُبادة[5]، و[استخلف] فى غزوة[6]

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).
(٢) المطيعين: ساقطة من (ن)، (م)، (و).
(٣) وغزوة: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: وفى غزوة.
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و).
(٥) انظر فى ذلك: جوامع السيرة لابن حزم، ص ١٠٠
(٦) ن، م، و: وفى غزوة...

بُوَاط سعد بن معاذ[1]، ثم لما رجع وخرج فى طلب كُرْز بن جابر (*الفِهري
ظ ١٨٣ استخلف زيد بن حارثة[2] / ، واستخلف فى غزوة العُشَيْرَة أبا سلمة بن عبدالأشهل[3]، وفى غزوة بدر استخلف ابن أم مكتوم[4]، واستخلفه فى غزوة قَرْقَـرَة الكُدْر[5]، ولما ذهب إلى بنى سُلَيم، وفى غزوة[6] حمراء الأسد، وغزوة بنى النضير، وغزوة بنى قريظة، واستخلفه[7] لما خرج فى طلب اللقاح التى استاقها عيينة بن حصن، ونودى ذلك[8] اليوم : يا خَيْلَ الله اركبى، وفى غزوة الحديبية، واستخلفه فى غزوة الفتح، واستخلف

---

(١) الذى فى «سيرة ابن هشام» ٢٤٨/٢ وفى «جوامع السيرة»، ص ١٠٢ أن الذى استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على المدينة فى غزوة بُوَاط هو السائب بن عثمان بن مظعون. ولكن يذكر ابن كثير فى «البداية والنهاية» ٢٤٦/٣ : «وقال الواقدى: استخلف عليها سعد ابن معاذ». وقال المقريزى فى «إمتاع الأسماع» ص ٥٤ : «واستخلف على المدينة سعد ابن معاذ، وقيل: السائب بن عثمان بن مظعون».

(*ـ*) ما بين النجمتين ساقط من (و).

(٢) انظر فى ذلك (وهذه غزوة بدر الأولى): البداية والنهاية ٢٤٧/٣؛ إمتاع الأسماع، ص ٥٤، ابن هشام ٢٥١/٢.

(٣) فى: البداية والنهاية ٢٤٦/٣، إمتاع الأسماع ص ٥٥؛ ابن هشام ٢٤٨/٢؛ جوامع السيرة، ص ١٠٢ : أن النبى صلى الله عليه وسلم استخلف فى غزوة العشيرة على المدينة أبا سَلَمة بن عبد الأسد المخزومى.

(٤) انظر فى ذلك: جوامع السيرة، ص ١٠٧؛ ابن هشام ٢٦٣/٢ - ٢٦٤.

(٥) وتعرف بغزوة بنى سُليم. قال ابن هشام ٤٦/٣ وابن حزم «جوامع السيرة» ص ١٥٢ : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم. وقال المقريزى فى «إمتاع الأسماع»، ص ١٠٧ : واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم.

(٦) ن، م: إلى بنى سليم فى غزوة. . .

(٧) ن، م، أ، ى: واستخلف.

(٨) ح، ب: ونودى فى ذلك. .

أبا لبابة فى غزوة بنى قينقاع وغزوة السويق، واستخلف عثمان بن عفان فى غزوة غطفان التى يقال لها غزوة أنمار، واستخلفه فى غزوة ذات الرقاع، واستخلف ابن رواحة فى غزوة بدر الموعد، واستخلف سباع بن عرفطة الغفارى فى غزوة دومة الجندل وفى غزوة خَيْبر، واستخلف زيد بن حارثة فى غزوة المريسيع، و[استخلف] أبا رهم[1] فى عمرة[2] القضية*، وكانت تلك الاستخلافات أكمل من استخلاف علىّ رضى الله عنه عام تبوك، وكلهم كانوا منه بمنزلة[3] هارون من موسى، إذ المراد التشبيه فى أصل الاستخلاف[4].

وإذا قيل: فى تبوك كان السفر بعيداً.

قيل: ولكن كانت المدينة وما حولها أمناً، لم يكن هناك عدوّ يُخاف، لأنهم كلهم أسلموا، ومن لم يسلم ذهب. وفى غير تبوك كان العدو موجودا حول المدينة، وكان يُخاف على من بها، فكان خليفته يحتاج الى مزيد اجتهاد ولا يحتاج إليه فى الاستخلاف [فى] تبوك[5].

﴿فصـــل﴾

وكذلك الحديث المذكور عن ابن عباس: أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال [ذات يوم][6] وهو نشيط: أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى» قال:

---

(١) ن، م: وأبا رهم. (٢) ر، ح: فى غزوة.

(٣) ن، م، و: وكلهم كان بمنزلة؛ ر، ح، ى: وكلهم كان.

(٤) ن: الاستخلافات.

(٥) ن، م، و: فى استخلاف تبوك. وسقطت عبارة «فى تبوك»: من (ح)، (ى)، (ر).

(٦) ذات يوم: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

فقـوله أنا الفتى: يعنى فتى العرب، وقوله: ابن الفتى، يعنى إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، من قولـه ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٠] وقوله: أخو الفتى: يعنى عليًّا، وهو معنى قول جبريل فى يوم بدر وقد عرج إلى السماء وهو فرح وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علىّ».

فإن هذا الحديث[١] من الأحاديث المكذوبة الموضوعة باتفاق أهل المعرفة بالحديث[٢]، وكذبه معروف من غير جهة الإسناد من وجوه.

منها: أن لفظ «الفتى» فى الكتاب والسنة ولغة العرب ليس هو من أسماء المدح، كما ليس هو من أسماء الذم، ولكنه بمنزلة اسم[٣] الشاب / والكهل والشيخ ونحو ذلك، والذين قالوا عن إبراهيم: سمعنا فتى يذكرهم يُقال له: إبراهيم، هم الكفار، ولم يقصدوا مدحه بذلك، وإنما الفتى كالشاب الحدَث[٤].

٣/١٧

---

(١) ن: فإن هذه الأحاديث. .

(٢) لم أجد الجزء الأول من هذا الحديث الموضوع، وأما الجزء الأخير منه وهو: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علىّ» فوصفه بالوضع وتكلم على الكذّابين من رواته كل من ابن الجوزى فى «الموضوعات» ١/٣٨١ - ٣٨٢؛ والسيوطى فى «اللآلىء المصنوعة» ١/٣٦٤ - ٣٦٥؛ وعلى القارىء فى «الأسرار المرفوعة» ص ٣٨٤ - ٣٨٥؛ وابن عراق الكنانى فى «تنزيه الشريعة» ١/٣٨٥؛ وابن العجلونى فى «كشف الخفاء» ٢/٣٦٣ - ٣٦٤.

(٣) اسم: ساقطة من (أ)، (ب).

(٤) بعد كلمة «الحَدَث» يوجد سقط طويل فى (ح)، (ى)، (ر) ينتهى عند عبارة «نفعه إيمانه وإن أبغضه» (ص ٧٥).

ومنها: أن النبى صلى الله عليه وسلم أجلُّ من أن يفتخر بجده وابن عمه[1].

ومنها: أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ عليًّا ولا غيره، وحديث المؤاخاة لعلىّ، ومؤاخاة أبى بكر لعمر من الأكاذيب. وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، ولم يؤاخ بين مهاجرىّ ومهاجرىّ.

ومنها: أن هذه المناداة يوم بدر كذب.

ومنها: أن ذا الفقار لم يكن لعلىّ، وإنما كان سيفا من سيوف أبى جهل غنمه المسلمون منه يوم بدر، فلم يكن يوم بدر ذو الفقار من سيوف المسلمين، بل من سيوف الكفّار، كما روى ذلك أهل السنن. فروى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم تنفل[2] سيفه ذا الفَقَار[3] يوم بدر[4].

ومنها:أن النبى صلى الله عليه وسلم كان بعد النبوة كهلا قد تعدّى سن الفتيان.

---

(1) ب (فقط): أو ابن عمه.
(2) ب (فقط): نفل.
(3) ب: سيف ذى الفقار؛ أ: سيف ذو الفقار؛ ن: سيفه ذو الفقار.
(4) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: سنن الترمذى ٣/٦٠ - ٦١ (كتاب السير، باب فى النفل) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب». وهو فى: سنن ابن ماجة ٢/٩٣٩ (كتاب الجهاد، باب السلاح). وجاء الحديث مطولا فى: المسند (ط. المعارف) ٤/١٤٦ - ١٤٧. وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «إسناده صحيح.. والحديث ذكره ابن كثير فى التاريخ ٤/١١ - ١٢ من رواية البيهقى من طريق ابن وهب عن ابن أبى الزناد بأطول مما هنا.... ذو الفقار: بفتح الفاء، سمى بذلك لأنه كانت فيه حفر صغار حسان، والسيف المفقر: الذى فيه حزوز مطمئنة عن متنه».

﴿فصـــل﴾

وأمــا حديث أبى ذر الـذى رواه الـرافضى فهـو موقـوف عليه ليس مرفوعا[1]، فلا يحتج به، مع أن[2] نقله عن أبى ذر فيه[3] نظر، ومع هذا فحب علىّ واجب، وليس ذلك من خصائصه، بل علينا أن نحبه، كما علينا أن نحب عثمان وعمر وأبا بكر، وأن نحب الأنصار.

ففى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»[4] وفى صحيح مسلم عن علىّ رضى الله عنه أنه قال: «إنه لعهد النبى الأمىّ إلىّ أنه لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق»[5].

﴿فصـــل﴾

تـابع كـلام الـرافضى عن فضـائـل علىّ رضى الله عنه

قال الرافضى[6]: «ومنها ما نقله صاحب «الفردوس» فى كتابه عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال[7]: «حب

---

(١) عبارة «ليس مرفوعا»: ساقطة من (أ)، (ب).

(٢) أ، ب: مع أنه.

(٣) أ، ب: وفيه.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٢٩٧/٤.

(٥) سبق الحديث فيما مضى ٢٩٦/٤.

(٦) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ص ١٣٠ (م) - ١٣١ (م).

(٧) ك: عن معاذ عن النبى صلى الله عليه وآله قال؛ و: عن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال.

علي[1] حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا ينفع[2] معها حسنة».

الرد عليه

والجواب: أن كتاب «الفردوس»[3] فيه من الأحاديث الموضوعات ماشاء الله، ومصنفه شيرويه بن شهردار الديلمي[4] وإن كان من طلبة الحديث ورواته، فإن هذه الأحاديث التى جمعها وحذف أسانيدها، [نقلها][5] من غير اعتبار لصحيحها وضعيفها وموضوعها؛ فلهذا كان فيه من الموضوعات أحاديث كثيرة جداً.

وهـذا الحـديث مما يشهـد المسلم بأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يقوله[6]؛ فإن حب الله ورسوله أعظم من حب علي، والسيئات تضر مع ذلك. وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يضرب عبدالله / بن حمار[7] فى

ص ١٨٤

(١) ك: على بن أبى طالب عليه السلام.

(٢) ك: لا تنفع.

(٣) و: فيقال أما كتاب «الفردوس».

(٤) أ، ن، ب، م: شهريار، وهو خطأ. وهو شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، ولد سنة ٤٤٥ وتوفى سنة ٥٠٩، مؤرخ ومحدث، له «تاريخ همذان» و«فردوس الأخبار» وهو كتاب كبير فى الحديث اختصره ابنه شهردار، واختصر المختصر ابن حجر العسقلانى. انظر ترجمة شيرويه فى: شذرات الذهب ٤/٢٣ - ٢٤؛ الأعلام ٣/٢٦٨.

(٥) نقلها: ساقطة من (ن)، (م))، (و).

(٦) أ، ب: ما يقوله. ولم أجد هذا الحديث الموضوع ولكنى وجدت حديثا موضوعا مقاربا ذكره ابن الجوزى فى «الموضوعات» ١ - ٣٧ وهو: «حب علىّ بن أبى طالب يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب». وذكره أيضا السيوطى فى «اللآلىء المصنوعة» ١/٣٥٥.

(٧) و: عبدالله حماراً؛ ن، م: عبدالله حمار.

الخمر، وقال: «إنه يحب الله ورسوله»[1].وكل مؤمن فلابد أن يحب الله ورسوله، والسيئات تضره. وقد أجمع المسلمون وعُلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الشرك يضر صاحبه[2] ولا يغفره الله لصاحبه[2]، ولو أحب عليّ ابن أبى طالب؛ فإن أباه أبا طالب كان يحبه وقد ضره الشرك حتى دخل النار، والغالية يقولون إنهم يحبونه وهم كفّار من أهل النار.

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[3]. وقد عُلم بالإضطرار من دين الإسلام أن الرجل لو سرق لقُطعت يده وإن كان يحب عليًّا، ولو زنى أُقيم عليه الحد ولو كان يحب عليًّا، ولو قتل لأقيد بالمقتول وإن كان يحب عليًّا. وحب النبى صلى الله عليه وسلم أعظم من حب عليّ، ولو ترك رجل الصلاة والزكاة وفعل الكبائر لضرّه ذلك مع حب النبى صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يضره ذلك مع حب علي؟.

---

(١) سبق الحديث فيما مضى ٤/٤٥٧ ـ ٤٥٨.

(٢-٢) : ساقط من (أ)، (ب).

(٣) أ، ب: ولو أن فاطمة.. والحديث عن عائشة رضى الله عنها، وجاء فى البخارى فى ثلاثة مواضع: ٥/٢٣ (كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب ذكر أسامة بن زيد)، ٤/١٧٥ (كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان..) ونصه فيه: ... أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت... وفيه: ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتشفع فى حد من حدود الله؟» ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم...»، الحديث. وهو فى: البخارى ٨/١٦٠ (كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع)؛ مسلم ٣/١٣١٥ ـ ١٣١٦ (كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره...)؛ سنن أبى داود ٤/١٨٨ (كتاب الحدود، باب فى الحد يشفع فيه). وجاء الحديث فى: سنن الترمذى وابن ماجة والنسائى والدارمى ومسند أحمد.

ثم من المعلوم أن المحبّين له الذين رأوه وقاتلوا معه أعظم من غيرهم، وكان هو دائما يذمّهم [ويعيبهم][1] ويطعن عليهم ويتبرأ من فعلهم به[2]، ودعا الله عليهم أن يبدله بهم خيرا منهم، ويبدلهم به شرًّا منه، ولو لم تكن إلا ذنوبهم بتخاذلهم فى القتال معه ومعصيتهم لأمره ـ فإذا كان أولئك خيار الشيعة وعلىّ يبين أن تلك الذنوب تضرهم ـ فكيف بما هو أعظم منها لمن هو شر من أولئك؟!

وبالجملة فهذا[3] القول كفر [ظاهر][4] يُستتاب صاحبه، ولا يجوز أن يقول هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر.

وكذلك قوله: «وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة» فإن من أبغضه إن كان كافرا / فكفره هو الذى أشقاه، وإن كان مؤمنا نفعه إيمانه وإن أبغضه[5]. ١٨/٣

وكذلك الحديث الذى ذكره[6] عن ابن مسعود [أن النبى صلى الله عليه وسلم قال][7]: حب آل محمد يوماً خير من عبادة سنة، ومن مات عليه دخل الجنة. وقوله عن علىّ: أنا وهذا حجة الله على خلقه ـ هما حديثان

---

(١) ويعيبهم: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) به: ساقطة من (أ)، (ب)، (م).

(٣) أ، ب: وبالجملة هذا...

(٤) ظاهر: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٥) هنا ينتهى السقط الطويل فى (ح)، (ر)، (ى).

(٦) ح، ر: ومنها الذى ذكره؛ ى: ومنها ما ذكره.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و)، (أ)، (ى).

موضوعان عند أهل العلم بالحديث[1]. وعبادة سنة فيها الإيمان والصلوات الخمس كل يوم وصوم شهر رمضان، وقد أجمع المسلمون على أن هذا لا يقوم مقامه حب آل محمد شهراً، فضلا عن حبهم يوما.

وكذلك حجة الله على عباده قامت بالرسل فقط. كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٥]. ولم يقل: بعد الرسل والأئمة أو الأوصياء[2] أو غير ذلك.

وكذلك قوله: «لو اجتمع الناس عَلَى حب عليّ لم يخلق الله النار» من أبين الكذب[3] باتفاق أهل العلم [والإيمان][4]، ولو اجتمعوا على حب عليّ لم ينفعهم ذلك حتى يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويعملوا صالحا، وإذا فعلوا ذلك دخلوا الجنة، وإن لم يعرفوا عليًّا بالكلية، ولم يخطر بقلوبهم لا حبه ولا بغضه.

---

(١) لم أجد الحديث الأول. أما الحديث الثانى فقد وصفه بالوضع وتكلم على رواتة الوضاعين كل من: ابن الجوزى فى «الموضوعات» ١/٣٨٢ - ٣٨٣؛ والسيوطى فى «اللآلىء المصنوعة» ١/٣٦٥ - ٣٦٦؛ والشوكانى فى «الفوائد المجموعة» ص ٣٧٣. ولم ينقل ابن تيمية كعادته كلام ابن المطهر بنصه ثم يرد عليه ولكنه ذكر كلامه هنا مباشرة مع الرد عليه فى نفس الوقت. ونص كلام ابن المطهر فى (ك) ص ١٣١ (م)؛ «وعن ابن مسعود قال: حب آل محمد صلى الله عليه وآله يوما خير من عبادة سنة، ومن مات عليه دخل الجنة. وعن أنس قال: كنت جالساً مع النبى صلى الله عليه وآله إذ أقبل عليّ عليه السلام فقال: أنا وهذا حجة الله على خلقه».

(٢) أو الأوصياء: كذا فى (أ)، (ى)، (ب). وفى سائر النسخ: والأوصياء.

(٣) و: المكذوبات. وهذا الكلام ذكره ابن المطهر فى (ك) ص ١٣١ (م) بهذا النص، ولم يفرده ابن تيمية بكلام مستقل كعادته من قبل.

(٤) ن، م: أهل العلم؛ و: أهل المعرفة.

قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [سورة آل عمران ١٣٣ - ١٣٦][1] فهؤلاء فى الجنة، ولم يشترط عليهم ما ذكروه من حب علي.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [سورة المعارج ١٩ - ٢٢][2] إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [سورة المعارج: ٣٥] وأمثال ذلك، ولم يشترط حب علي.

وقد قَدِم على النبى صلى الله عليه وسلم عدة وفود، وآمنوا به، وآمن

---

(١) ن، م: ﴿أعدت للمتقين﴾ إلى قوله: ﴿فنعم أجر العاملين﴾.

(٢) جاءت هذه الآيات كاملة فى (أ)، (ب) فقط. وفى سائر النسخ: ﴿هلوعا﴾ إلى قوله: ﴿إلا المصلين﴾.

به طوائف ممن لم يره، وهم لم يسمعوا بذكر عليّ ولا عرفوه، وهم من المؤمنين المتقين المستحقين للجنة. وقد اجتمع على دعوى حبه الشيعة الرافضة[1] والنصيرية والإسماعيلية، وجمهورهم من أهل النار بل مخلّدون في النار.

﴿فصـــل﴾

تابع كلام الرافضي عن فضائل عليّ رضي الله عنه

وكذلك الحديث الذى ذكره فى العهد الذى عهده الله[2] فى علي، وأنه راية الهدى وإمام الأولياء، وهو الكلمة التى ألزمها للمتقين[3] . . . الخ[4].

---

(١) أ، ب، ت، م، و: الشيعة والرافضة. (٢) أ، م، ح، ب: عهد الله.

(٣) أ، ب، م: المتقين.

(٤) نص كلام ابن المطهر فى (ك) ص ١٣١: «ومنها ما رواه أبو عبدالله الحافظ الشافعى بإسناده عن أبى بردة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عهد إلىّ عهداً فى علىّ عليه السلام، فقلت: ياربّ بيّنه لى، فقال: اسمع، فقلت: سمعت، فقال: إن عليًّا راية الهدى، وإمام الأولياء، ونور من أطاعنى، وهو الكلمة التى ألزمتها المتقين، من أحبّه أحبنى، ومن أبغضه أبغضنى، فبشّره بذلك، فجاء علىّ عليه السلام فبشّرته، فقال: يارسول الله، أنا عبدالله وفى قبضته، فإن يعذبنى فبذنوبى، وإن يتم لى الذى بشرتنى فالله أولى بى، قال: فقلت: اللهم اجل قلبه، واجعل ربيعه الإيمان، فقال الله عز وجل: قد فعلت به ذلك، ثم إنه رُفع إلىّ أنه سيخصه من البلاء شىء لم يخص به أحد من أصحابى، فقلت: ياربِّ أخى وصاحبى، فقال: إن هذا شىء قد سبق، إنه مبتلى ومبتلى به. وروى صاحب كتاب «حلية الأولياء» عن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: آمن (فى الأصل: أو من) من آمن بى وصدقنى بولاية على بن أبى طالب عليه السلام، ومن تولاه فقد تولانى، ومن تولانى فقد تولى الله عز وجل. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علىّ من سبّك فقد سبّنى، ومن سبّنى فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أكبّه على منخريه فى النار. والأخبار الواردة من قبل المخالفين أكثر من أن تحصى، لكن اقتصرنا فى هذا المختصر على هذا القدر».

الرد عليه

فإن هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة [بالحديث][1] والعلم. ومجرد رواية صاحب «الحلية» ونحوه[2] لا تفيد ولا تدل على الصحة؛ فإن صاحب «الحلية» قد روى فى فضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ والأولياء وغيرهم أحاديث ضعيفة بل موضوعة باتفاق العلماء[3]، وهو وأمثاله من الحفاظ الثقات أهل[4] الحديث ثقات فيما يروونه عن شيوخهم، لكن الآفة ممن هو فوقهم. وهم لم يكذبوا فى النقل عمَّن نقلوا عنه، لكن يكون واحد من رجال الإسناد ممن يتعمد الكذب أو يغلط، وهم يبلغون عمَّن حدثهم ما سمعوه منه، ويروون الغرائب لتُعرف. وعامة الغرائب ضعيفة، كما قال الإمام أحمد: «اتقوا هذه الغرائب، فإن عامتها ضعيفة».

وقوله فى الحديث: «هو كلمة التقوى» مما يبين أن [هذا] كذب[5]؛ فإن تسميته «كلمة» من جنس تسمية المسيح عليه السلام «كلمة [الله][6]» والمسيح سُمِّىَ بذلك لأن مثله عند الله كمثل آدم، خلقه من / تراب ثم قال له كن فيكون، فهو مخلوق بالكلمة. وأما علىّ فهو مخلوق كما خُلق

ظ ١٨٤

---

(١) بالحديث: زيادة فى (ح)، (ب).

(٢) ونحوه: ساقطة من (أ)، (ح)، (ب)، (ر).

(٣) أ، ب: باتفاق أهل العلم. وقال الذهبى عن السلمى فى ميزان الاعتدال ٣/٤٦ ـ ٤٧. «قيل: كان يضع الأحاديث للصوفية». وانظر: لسان الميزان ٥/١٤٠ ـ ١٤١. وسبقت ترجمة السلمى ٢/٤٦٥.

(٤) ح، ب: وأهل.

(٥) ن، م: أنه كذب.

(٦) كلمة الله: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ «كلمة».

سائر الناس.

وكلمة التقوى مثل لا إلـه إلا الله، والله أكبر، من الكلمات التى يصدّق المؤمنون بمضمونها إن كانت خبرا[1]، ويطيعونها إن كانت أمرا، فمثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة / الدنيا وفى الآخرة. ٣/ ١٩

وكلمة «التقوى» اسم جنس لكل كلمة يُتقى الله فيها[2]، وهو الصدق والعدل.

فكل من تحرّى الصدق فى خبره، والعدل فى أمره، فقد لزم كلمة التقوى. وأصدق الكلام وأعدله قول لا إلـه إلا الله، فهو أخص الكلمات بأنها كلمة التقوى.

وكذلك حديث عمّار وابن عباس كلاهما من الموضوعات[3].

---

(١) أ، ن، م، و: خيرا.

(٢) ح، ب، ق: بها.

(٣) لم أجد هذين الحديثين.

قال الرافضى : المطاعن فى الصحابة كثيرة حتى صنف الكلبى كتاب «مثالب الصحابة» ولم يذكر فيه منقصة واحدة لأهل البيت

﴿فصــل﴾[1]

قال الرافضى[2]: «وأما المطاعن فى الجماعة فقد نقل الجمهور منها أشياء كثيرة[3]: حتى صنَّف الكلبى كتابا «فى مثالب[4] الصحابة» ولم يذكر فيه منقصة واحدة لأهل البيت[5] ».

الرد عليه

والجواب: أن يقال: قبل[6] الأجوبة المفصَّلة عمَّا يُذكر من المطاعن أن ما يُنقل عن الصحابة من المثالب فهو نوعان: أحدهما: ما هو كذب: إما كذب كله، وإما محرَّف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يُخرجه إلى الذم والطعن. وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذَّابون المعروفون بالكذب، مثل أبى مخنف لوط بن يحيى[7]، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبى وأمثالهما من الكذَّابين. ولهذا استشهد هذا الرافضى بما صنَّفه هشام الكلبى فى ذلك، وهو من أكذب

---

(١) ى، ر: الفصل الثالث عشر. وسقطت كلمة «فصل» من (ح)، (أ).

(٢) عبارة «قال الرافضى»: ساقطة من (أ). والكلام التالى فى (ك) ص ١٣٢ (م). ويستغرق الرد عليه حوالى مائة صفحة من نسخة (ب) ١٩/٣ - ١١٦.

(٣) ن، م، و: شيئا كثيرا.

(٤) ك: كتابا كله فى مثالب.

(٥) ك: أهل البيت عليهم السلام؛ و: لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

(٦) و: فيقال قبل..

(٧) سبقت ترجمته ٥٩/١.

الناس[1]، وهو شيعي يروى عن أبيه[2] وعن أبى مخنف، وكلاهما متروك كذّاب. وقال الإمام أحمد فى هذا: «الكلبى ما ظننت[3] أن أحداً يحدِّث عنه[4]، إنما هو صاحب سمر [وشبه][5]». وقال الدارقطنى: «هو متروك» وقال ابن عدى: «هشام الكلبى الغالب عليه الأسمار، ولا أعرف له فى المسند شيئا، وأبوه أيضا كذّاب». وقال زائدة والليث وسليمان التيمى[6]: «هو كذّاب». وقال يحيى: [ليس بشىء][7] كذّاب ساقط». وقال ابن حبّان[8]: «وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق[9] فى وصفه».

النوع الثانى: ما هو صدق. وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها

---

(1) سبقت ترجمة هشام الكلبى فيما مضى ٥٩/١. وترجمته عند سزكين م١، حـ٢، ص٥١ - ٥٧ ولم يذكر من كتبه الموجودة كتاب «مثالب الصحابة» وكذلك لم يذكره الزركلى فى كتابه «الأعلام» ٨٧/٩ وبروكلمان فى «تاريخ الأدب العربى» ٣/ ٣٠ - ٣٣ ولكنهم ذكروا جميعا كتاب «مثالب العرب» وذكر بروكلمان أن الكلبى تكلم على «مثالب الأمويين»، وذكر خبر كتابته فى مثالب الأمويين الطبرى فى تاريخه ونقل ذلك عنه الأستاذ أحمد أمين فى «ضحى الإسلام» ٢/ ٢٧ (الطبعة الثالثة ١٣٧١/ ١٩٥٢).

(2) انظر ما ذكره الأستاذ محب الدين الخطيب عن محمد بن السائب الكلبى فى «المنتقى»، ص ٣١٨ - ٣١٩.

(3) و: وقال الإمام أحمد بن حنبل فيه ما ظننت...

(4) ن، م: يروى عنه.

(5) وشبه: ساقطة من (ن)، (م). وفى (أ)، (ب)، (ر): ونسب. وفى (ق): ذنوبا وشبه.

(6) ن: سليمان والتيمى.

(7) عبارة «ليس بشىء»: ساقطة من (ن)، (م).

(8) ن، و، ر: ابن حيان.

(9) ن، أ: الإعراف؛ و: الاعتراف؛ ح: التعريف؛ ق: الإغراب.

عن أن تكـون ذنـوبـا، وتجعلهـا من موارد الاجتهاد، التى إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر. وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب، وما قُدِّر من هذه الأمور ذنبا محققا فإن ذلك لا يقدح فيما عُلم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه فى الآخرة بأسباب متعددة.

يرتفع عقاب الذنوب فى الآخرة بأسباب متعددة

منها[1]: التوبة الماحية. وقد ثبت عن أئمة الإمامية[2] أنهم تابوا من الذنوب المعروفة عنهم.

ومنها: الحسنات الماحية للذنوب؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات. وقد قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٣١].

ومنها: المصائب المكفِّرة.

ومنها: دعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة نبيهم، فما من سبب يسقط به الذم والعقاب عن أحد [من الأمة][3] إلا والصحابة أحق بذلك، فهم أحق بكل مدح، ونفي كل ذم ممن بعدهم من الأمة.

استطراد طويل: قاعدة جامعة فى هذا الباب

ونحن نذكر قاعدة جامعة فى هذا الباب لهم ولسائر الأمة فنقول: لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعـرف الجـزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى فى كذب وجهـل فى الجزئيات وجهل وظلم فى الكليات، [فيتولَّد فساد عظيم][4].

---

(١) و: أحدها.
(٢) و: عن أئمتهم.
(٣) من الأمة: ساقطة من (ن)، (م).
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

الكلام فى تصويب المجتهدين وتخطئتهم وتأثيمهم فى مسائل الفروع والأصول

فنقول: الناس قد تكلّموا فى تصويب المجتهدين وتخطئتهم وتأثيمهم وعدم تأثيمهم فى مسائل الفروع والأصول. ونحن نذكر أصولا جامعة نافعة.

الأصل الأول: أنه هل يمكن كل أحد أن يعرف باجتهاده الحق فى كل مسألة فيها نزاع، وإذا لم يمكنه فاجتهد وَاسْتَفْرَغ وسعه فلم يصل إلى الحق، بل قال ما اعتقد أنه هو الحق فى نفس الأمر، ولم يكن هو [الحق][1] فى نفس الأمر: هل يستحق أن يُعاقب أم لا؟

هذا أصل هذه المسائل، وللناس فى هذا الأصل ثلاثة أقوال؛ كل قول عليه طائفة من النظّار.

الأول: قول من يقول: إن الله قد نصب على الحق فى كل مسألة دليلا يُعرف به، يمكن كل من اجتهد واستفرغ وسعه أن يعرف الحق، وكل من لم يعرف الحق فى مسألة أصولية أو فروعية، فإنما هو لتفريطه فيما يجب عليه، لا لعجزه. وهذا القول هو المشهور عن القدرية والمعتزلة، و[هو] قول[2] طائفة من / أهل الكلام غير هؤلاء. ٣/ ٢٠

ثم قال هؤلاء: أما المسائل العلمية فعليها أدلة قطعية تُعرف بها، فكل من لم يعرفها فإنه لم يستفرغ وسعه فى طلب الحق فيأثم.

وأما المسائل العملية الشرعية فلهم فيها مذهبان: أحدهما: أنها كالعلمية، وأنه على كل مسألة دليل قطعى، من خالفه فهو آثم. وهؤلاء

(١) الحق: ساقطة من (ن).

(٢) ن، م: وقول.

الـذين يقولون: المصيب واحد فى كل مسألة أصلية وفرعية، وكل من سوى المصيب فهو آثم لأنه مخطىء، والخطأ والإثم عندهم متلازمان. وهذا قول بشر المريسى وكثير من المعتزلة البغداديين.

/ الثانى: أن المسائل العملية[1] إن كان عليها دليل قطعى فإن من خالفه آثم مخطىء كالعلمية، وإن لم يكن عليها دليل قطعى فليس لله فيها حكم فى الباطن، وحكم الله فى حق كل مجتهد ما أدَّاه اجتهاده إليه. وهؤلاء وافقـوا الأوَّلين فى أن الخطأ والإثم متلازمان[2]، وأن كل مخطىء آثم، لكن خالفوهم فى المسائل الاجتهادية، فقالوا: ليس فيها قاطع. ص ١٨٥

والظن ليس عليه دليل عند هؤلاء، وإنما هو من جنس ميل النفوس إلى شىء دون شىء. فجعلوا الاعتقادات الظنيّة من جنس الإرادات، وادعوا أنه ليس فى نفس الأمر [حكم مطلوب بالاجتهاد، ولا ثمَّ فى نفس الأمر][3] أمارة أرجح من أمارة.

وهذا القول قول أبى الهذيل العلاَّف ومن اتَّبعه كالجُبَّائى وابنه، وهو أحد قولَىْ الأشعرى وأشهرهما، وهو اختيار القاضى أبى بكر الباقلانى، وأبى حامـد الغـزالى، وأبى بكر بن العربى، ومن اتّبعهم، وقد بسطنا القول فى ذلك بسطاً كثيرا [فى غير هذا الموضع] .

---

(١) ح، م: العلمية، وهو خطأ.

(٢) ن، م، و: يتلازمان.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

والمخـالفون لهم كأبى إسحاق الإسفراييني، وغيره من الأشعرية، وغيرهم، يقولون: هذا القول أوله سفسطة وآخره زندقة. وهذا قول من يقـول: إن كل مجتهد فى المسائل الشرعية[1] الاجتهادية العملية فهو مصيب باطنا وظاهراً، ولا يُتصور[2] عندهم أن يكون مجتهداً مخطئا إلا بمعنى أنه خَفِىَ عليه بعض الأمور، وذلك الذى خَفِىَ عليه ليس هو حكم الله: لا فى حقّه ولا فى حق أمثاله. وأما من كان مخطئا ـ وهو المخطىء فى المسائل القطعية ـ فهو آثم عندهم.

والقول الثانى فى أصل المسألة: إن المجتهد المستدل قد يمكنه أن يعرف الحق، وقـد يعجز[3] عن ذلك، لكن إذا عجز عن ذلك فقد يعاقبه الله تعالى، وقد لا يعاقبه، فإن له أن يعذِّب من يشاء ويغفر لمن يشاء بلا سبب أصـلا، بل لمحض المشيئة. وهـذا قول الجهمية والأشعرية، وكثير من الفقهاء أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم.

ثم قال هؤلاء: قد عُلم بالسمع أن كل كافر فهو فى النار، فنحن نعلم أن كل كافر فإن الله يعذبه، سواء كان قد اجتهد وعجز عن معرفة صحة دين الإسلام أو لم يجتهد. وأما المسلمون المختلفون، فإن كان اختلافهم فى الفروعيات، فأكثرهم يقول: لا عذاب فيها، وبعضهم يقول: لأن[4] الشارع عفا عن الخطأ فيها، وعُلم ذلك بإجماع السلف على أنه لا إثم على

---

(١) ن، م: الفروعية.

(٢) أ، ب: إذ لا يتصور.

(٣) ن، م: وهو يعجز.

(٤) ن، م، أ: إن.

المخطىء فيها. وبعضهم يقول: لأن[1] الخطأ فى الظنيات ممتنع، كما تقدم ذكـره عن بعض الجهمية والأشعـرية. وأمـا القـطعيات فأكثـرهم يؤثّم المخطىء فيها، ويقول: إن السمع قد دلّ على ذلك. ومنهم من لا يؤثّمه. والقول المحكىّ عن عُبيد الله بن الحسن العنبرى[2] هذا معناه: أنه كان لا يؤثّم المخـطىء من المجتهـدين من هذه الأمـة: لا فى الأصـول ولا فى الفروع. وأنكر جمهور الطائفتين من أهل الكلام والرأى على عبيد الله هذا القول.

وأما غير هؤلاء فيقول: هذا قول السلف وأئمة الفتوى، كأبى حنيفة والشافعى والثورى وداود بن على وغيرهم: لا يؤثّمون مجتهدا مخطئا لا فى المسائل الأصولية ولا فى الفروعية، كما ذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره. ولهـذا كان أبو حنيفة والشافعى وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء، إلا الخطّابية[3]، ويصححون الصلاة خلفهم، والكافر لا تُقبل شهادته على المسلمين، ولا يُصلى خلفه.

وقـالوا: هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين: إنهم لا يكفّرون ولا يفسّقون ولا يؤثّمون أحداً من المجتهدين المخطئين، لا فى مسألة عملية ولا علمية.

قالوا: والفرق بين مسائل الأصول والفروع إنما هو من أقوال أهل البدع

---

(١) ن، م: إن.

(٢) و: القنبرى، وهو خطأ. انظر ترجمته فى: تهذيب التهذيب ٧/٧ ـ ٨ (وفيه: مات فى ذى القعدة سنة ثمان وستين ومائة).

(٣) سبق الكلام على الخطابية ١/ ٦٢.

٣/ ٢١ من أهل الكلام من المعتزلة والجهمية ومن سلك / سبيلهم. وانتقل هذا القول إلى أقوام تكلموا بذلك فى أصول الفقه، ولم يعرفوا حقيقة هذا القول ولا غوره.

قالوا: والفرق فى ذلك بين مسائل الأصول والفروع كما أنه بدعة محدثة[١] فى الإسلام، لم يدل عليها كتاب ولا سنة ولا إجماع، بل ولا قالها أحد من السلف والأئمة، فهى باطلة عقلا؛ فإن المفرِّقين[٢] بين ما جعلوه مسائل أصول ومسائل فروع لم يفرِّقوا[٣] بينهما بفرق صحيح يميِّز بين النوعين، بل ذكروا ثلاثة فروق أو أربعة كلها باطلة.

فمنهم من قال: مسائل الأصول هى العلمية الاعتقادية التى يُطلب فيها العلم والاعتقاد فقط، ومسائل الفروع هى العملية التى يُطلب فيها العمل.

قالوا: وهذا فرق[٤] باطل؛ فإن المسائل العملية فيها ما يكفر جاحده، مثل وجوب الصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وتحريم الزنا والربا والظلم والفواحش. وفى المسائل العلمية مالا يأثم المتنازعون فيه، كتنازع الصحابة: هل رأى محمد ربَّه؟ وكتنازعهم فى بعض النصوص: هل قاله النبى صلى الله عليه وسلم أم لا؟ وما أراد بمعناه؟ وكتنازعهم فى بعض الكلمات: هل هى من القرآن أم لا؟ وكتنازعهم فى بعض معانى القرآن

---

(١) ح: كما أنها بدعة محدثة؛ ب: كما أنها محدثة؛ أ: كما أنه محدثة.

(٢) ن، م، ر، ح، ى: فإن الفرق.

(٣) و: لم يفصلوا.

(٤) ن، م: الفرق.

والسنة: هل أراد الله ورسوله كذا وكذا؟ وكتنازع الناس فى دقيق الكلام: كمسألة الجوهر الفرد، وتماثل الأجسام، وبقاء الأعراض، ونحو ذلك؛ فليس فى هذا تكفير ولا تفسيق.

قالوا: والمسائل العملية فيها علم وعمل، فإذا كان الخطأ مغفوراً [فيها][1]، فالتى فيها علم بلا عمل أَوْلى أن يكون الخطأ فيها مغفورا.

ومنهم من قال: المسائل الأصولية هى ما كان عليها دليل قطعى، والفرعية[2] ما ليس عليها دليل قطعى.

قال أولئك: وهذا الفرق خطأ أيضا، فإن كثيرا من المسائل العملية عليها / أدلة قطعية عند من عرفها، وغيرهم لم يعرفها، وفيها ما هو قطعى بالإجماع، كتحريم المحرَّمات الظاهرة، ووجوب الواجبات الظاهرة، ثم لو أنكرها الرجل بجهل وتأويل لم يكفر حتى تقام عليه الحجة، كما أن جماعة استحلُّوا [شرب][3] الخمر على عهد عمر، منهم قدامة، ورأوا أنها حلال لهم، ولم يكفِّرهم الصحابة حتى بيَّنوا لهم خطأهم فتابوا ورجعوا.

ظ ١٨٥

وقد كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم طائفة أكلوا بعد طلوع الفجر حتى يتبين[4] لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ولم يؤثِّمهم[5] النبى صلى الله عليه وسلم، فضلا عن تكفيرهم، وخطؤهم قطعى.

وكذلك أسامة بن زيد، وقد قتل الرجل المسلم، وكان خطؤه قطعيا.

---

(١) فيها: ساقطة من (ن)، (م).
(٢) ن، م، و، ى، أ: والفروعية.
(٣) شرب: ساقطة من (ن)، (م)، (و).
(٤) أ، ر، ح، ب، ى، و: تبين.
(٥) ن، م: ثم لم يؤثمهم.

وكذلك الذين وجدوا رجلا فى غنم له، فقال: إنى مسلم، فقتلوه وأخذوا ماله، كان خطؤهم قطعيا. وكذلك خالد بن الوليد لما قتل بنى جذيمة وأخذ[1] أموالهم كان مخطئا قطعا. وكذلك الذين تيمموا إلى الآباط. وعمّار الذى تمعّك فى التراب للجنابة [كما تمعك الدابة، بل والذين أصابتهم جنابة فلم يتيمموا ولم يصلوا،][2] كانوا مخطئين قطعا.

وفى زماننا لو أسلم قوم فى بعض الأطراف، ولم يعلموا وجوب الحج، أو لم يعلموا تحريم الخمر، لم يُحدُّوا على ذلك. وكذلك لو نشأوا بمكان جهل.

وقد زنت على عهد عمر امرأة، فلما أقرّت به، قال عثمان[3]: إنها لتستهل به استهلال من لم يعلم[4] أنه حرام. فلما تبين للصحابة أنها لا تعرف التحريم لم يحدُّوها. واستحلال الزنا خطأ قطعا.

والرجل إذا حلف على شىء يعتقده، كما حلف عليه فتبين بخلافه، فهو مخطىء قطعا، ولا إثم عليه بالاتفاق، وكذلك لا كفّارة عليه عند الأكثرين.

ومن اعتقد بقاء الفجر فأكل، فهو مخطىء قطعا إذا تبين له الأكل بعد الفجر، ولا إثم عليه، وفى القضاء نزاع. وكذلك من اعتقد غروب الشمس، فتبين بخلافه، ومثل هذا كثير.

---

(١) و: وأكل.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (أ).

(٣) ن، م: قال عمر.

(٤) ح، ب: من لا يعلم.

وقول الله تعالى فى القرآن : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦] قال الله تعالى: قد فعلت[١]. ولم يفرّق بين الخطأ القطعى والظنى[٢]، بل لا يجزم بأنه خطأ إلا إذا [كان][٣] أخطأ قطعا.

قالوا: فمن قال: إن المخطىء فى مسألة قطعية [أو ظنية][٤] يأثم فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع القديم. قالوا: وأيضا فكون المسألة قطعية أو ظنية هو أمر[٥] إضافى بحسب حال المعتقدين، ليس هو وصفا للقول فى نفسه؛ فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة أو بالنقل المعلوم صدقه عنده، وغيره لا يعرف ذلك لا قطعا ولا ظنًّا، وقد يكون / الإنسان ذكيا قوى الذهن سريع الإدراك [علما وظنا][٦]، فيعرف من الحق ويقطع به ما لا يتصوره غيره ولا يعرفه لا علما ولا ظنا، فالقطع والظن يكون بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلة، وبحسب قدرته على الاستدلال.

٣/ ٢٢

والناس يختلفون فى هذا وهذا، فكون المسألة قطعية أو ظنية ليس هو صفة ملازمة للقول المتنازع فيه، حتى يُقال: كل من خالفه قد خالف القطعى، بل هو صفة لحال الناظر المستدل المعتقد، وهذا مما يختلف فيه الناس. فعُلم أن هذا الفرق لا يَطَّرِد ولا ينعكس.

ومنهم من فرَّق بفرق ثالث، وقال: المسائل الأصولية هى المعلومة

(١) سبق الحديث فيما مضى ٤/ ٣٢٠.
(٢) ح، ب: القطعى فى مسألة قطعية أو ظنية والظنى.
(٣) كان: زيادة فى (أ)، (ب).
(٤) أو ظنية: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (أ)، (ى).
(٥) و: فرق.
(٦) علما وظنا: زيادة فى (و).

بالعقل، فكل مسألة علمية[1] استقل العقل بدركها[2]، فهى من مسائل الأصول التى يكفَّر أو يُفسَّق مخالفها. والمسائل الفروعية هى المعلومة بالشرع. قالوا: فالأول كمسائل الصفات والقدر، والثانى كمسائل الشفاعة وخروج أهل الكبائر من النار.

فيقال لهم: ما ذكرتموه بالضد أَوْلى؛ فإن الكفر والفسق[3] أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التى يستقل بها العقل[4]. فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقا، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمنا ومسلما، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم، والسعيد فى الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد فى الآخرة، والشقى فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقى فيها، والواجب من الصلاة والصيام والصدقة والحج ما أوجبه الله ورسوله، والمستحقون لميراث الميت من جعلهم الله ورسوله وارثين، والذى يُقتل حدًّا أو قصاصا من جعله الله [ورسوله][5] مباح الدم بذلك، [والمستحق للفىء والخمس من جعله الله ورسوله مستحقا لذلك][6]، والمستحق للموالاة والمعاداة *من جعله الله

(١) أ: عقلية.

(٢) ن: اشتغل العقل بذكرها؛ م: استقل العقل بإدراكها.

(٣) ن: والفسوق.

(٤) ن: التى يشتغل العقل بها؛ ر، ح، ى: التى تستقل بالعقل، م: التى يستقل العقل.

(٥) ورسوله: ساقطة من (ن)، (م).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (ح).

ورسوله مستحقا للموالاة والمعاداة*، والحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله. فهذه المسائل كلها ثابتة بالشرع.

وأما الأمور التى يستقل بها العقل فمثل الأمور الطبيعية، مثل كون هذا المرض ينفع فيه الدواء الفلانى، فإن مثل هذا يُعلم[1] بالتجربة والقياس وتقليد الأطباء الذين علموا ذلك بقياس أو تجربة. وكذلك مسائل الحساب والهندسة ونحو ذلك، هذا مما[2] يُعلم بالعقل. وكذلك مسألة الجوهر الفرد، وتماثل الأجسام أو اختلافها، وجواز بقاء الأعراض وامتناع بقائها؛ فهذه ونحوها تُعلم بالعقل.

وإذا كان كذلك فكون الرجل مؤمنا وكافرا وعدلا وفاسقا هو من المسائل الشرعية لا من المسائل العقلية، فكيف يكون من خالف ما جاء به الرسول ليس كافرا، ومن خالف ما ادّعى غيره أنه معلوم / بعقله كافرا؟ وهل يكفر أحد بالخطأ فى مسائل الحساب والطب ودقيق الكلام؟ ص ١٨٦

فإن قيل: هؤلاء لا يكفّرون كل من خالف مسألة عقلية، لكن يكفّرون من خالف المسائل العقلية التى يُعلم بها صدق الرسول؛ فإن العلم بصدق الرسول مبنى عليها[3]: [على مسائل معينة][4]، فإذا اخطأ فيها لم يكن عالما بصدق الرسول فيكون كافرا.

---

(١) ن: يعرف.

(٢) ن: هو مما..

(٣) عليها: ساقطة من (م)، (ى).

(٤) على مسائل معينة: فى (ح)، (ر)، (ى)، (م) فقط.

قيل: تصديق الرسول ليس مبنيا على مسائل معينة من مسائل النزاع، بل ما جعله أهل الكلام المحدَث أصلا للعلم بصدق الرسول، كقول من قال من المعتزلة والجهمية: إنه لا يُعلم صدق الرسول إلا بأن يُعلم أن العالم حادث، ولا يُعلم ذلك إلا بأن يُعلم[1] أن الأجسام محدَثة، ولا يُعلم ذلك إلا [بالعلم][2] بأنها لا تنفك من الحوادث: إما الأعراض مطلقا، وإما الأكوان[3]، وإما الحركات، ولا يُعلم حدوثها[4] حتى يُعلم امتناع حوادث لا أول لها، ولا يُعلم أنه صادق حتى يُعلم أن الرب غنى، ولا يُعلم غناه حتى يُعلم أنه ليس بجسم.

ونحو ذلك من الأمور التى تزعم طائفة من أهل الكلام أنها أصول لتصديق الرسول لا يُعلم صدقه بدونها، هى مما يُعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه لم يكن يجعل إيمان الناس موقوفا عليها، بل ولا دعا الناس إليها، ولا ذُكرت فى كتاب ولا سنة، ولا ذكرها أحد من الصحابة، لكن الأصول التى بها يُعلم[5] صدق الرسول مذكورة فى القرآن، وهى غير هذه، كما قد بُيِّنَ[6] فى غير هذا الموضع.

٣/٢٣ وهؤلاء الذين / ابتدعوا أصولا زعموا أنه لا يمكن تصديق الرسول إلا بها، وأن معرفتها شرط فى الإيمان، أو واجبة على الأعيان ـ هم من أهل

(١) ح، أ، ر، ى: ولا نعلم ذلك إلا بأن نعلم.
(٢) بالعلم: ساقطة من (ن)، (م).
(٣) ن، م، ب: الألوان.
(٤) ح: ولا نعلم حدثها.
(٥) ر، ح، ى: التى نعلم بها.
(٦) ن: تبين.

البدع عند السلف والأئمة، وجمهور العلماء يعلمون أن أصولهم بدعة فى الشريعة. لكن كثير من الناس يظن أنها صحيحة فى العقل، وأما الحذَّاق من الأئمة ومن اتبعهم فيعلمون أنها باطلة فى العقل، مبتدعة فى الشرع، وأنها تناقض ما جاء به الرسول.

وحينئذ فإن كان الخطأ فى المسائل العقلية التى يُقال: إنها أصول الدين كفراً[1]، فهؤلاء السالكون هذه الطرق الباطلة فى العقل المبتدعة فى الشرع هم الكفَّار لا من خالفهم، وإن لم يكن الخطأ فيها كفراً. فلا يكفر من خالفهم فيها، فثبت أنه ليس كافرا فى حكم الله ورسوله على التقديرين.

ولكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالا يجعلونها واجبة فى الدين، بل يجعلونها من الإيمان الذى لابد منه، ويكفِّرون من خالفهم فيها ويستحلُّون دمه، كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم. وأهل السنة لا يبتدعون قولا ولا يكفِّرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفاً لهم، مكفِّرا لهم، مستحلا لدمائهم، كما لم تكفِّر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلىّ ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم.

وكلام هؤلاء المتكلمين فى هذه المسائل بالتصويب والتخطئة، والتأثيم [ونفيه][2]، والتكفير ونفيه، لكونهم بنوا على القولين المتقدمَيْن: قول القدرية الذين يجعلون كل مستدل قادراً على معرفة الحق، فيعذِّب كل من

---

(١) ن: أصول الذين كفروا، وهو تحريف.

(٢) ونفيه: ساقطة من (ن)، (م).

لم يعرفه، وقول الجهمية الجبرية الذين يقولون: لا قدرة للعبد على شىء أصلا، بل الله يعذِّب بمحض المشيئة، فيعذِّب من لم يفعل ذنبا قط، وينعِّم من كفر وفسق، وقد وافقهم على ذلك كثير من المتأخرين، وهؤلاء يقولون: يجوز أن يعذِّب الأطفال والمجانين وإن لم يفعلوا ذنبا قط، ثم منهم من يجزم بعـذاب أطفال الكفار فى الآخرة، ومنهم من يجوِّزه ويقول: لا أدرى ما يقع، وهؤلا يجوِّزون أن يَغْفِر لأفسق أهل القبلة بلا سبب أصلا، ويعذِّب الرجل الصالح على السيئة الصغيرة، وإن كانت له حسنات أمثال الجبال بلا سبب أصلا بل بمحض المشيئة.

وأصل الطائفتين أن القادر المختار يرجِّح أحد المتماثلَيْن على الآخر بلا مرجِّح. لكن هؤلاء الجهمية يقولون: إنه فى كل حادث يرجِّح بلا مرجِّح، وأولئك القدرية والمعتزلة والكرَّامية، وطوائف غيرهم من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث وغيرهم يقولون: أصل الإحداث والإبداع كان ترجيحا بلا مرجِّح، وأما بعد ذلك فقد خلق أسبابا وحكما علَّق الحوادث بها.

واختلفت القدرية والجهمية الجبرية فى الظلم. فقالت القدرية: الظلم فى حقّه هو ما نعرفه من ظلم الناس بعضهم بعضا. فإذا قيل: إنه خالق أفعال العباد وإنه مريد لكل ما وقع، وقيل مع ذلك: إنه يعذب العاصى، كان هذا ظلما كظلمنا، وسمّوا أنفسهم العدلية. وقالت الجهمية: الظلم فى حقه هو ما يمتنع وجوده، فأما كل ما يمكن وجوده فليس بظلم؛ فإن الظلم: إما مخالفة أمر من تجب طاعته، وإما التصرف فى ملك الغير بغير

إذنه، فالإنسان يُوصف بالظلم لأنه مخالف لأمر ربه، ولأنه قد[1] يتصرف فى ملك غيره بغير إذنه. والرب تعالى ليس فوقه آمر، ولا لغيره ملك، بل إنما يتصرف فى ملكه، فكل ما يمكن فليس بظلم، بل إذا نعَّم فرعون وأبا جهل وأمثالهما ممن كفر به وعصاه، وعذَّب موسى ومحمداً ممن آمن به وأطاعه فهو مثل العكس، الجميع بالنسبة إليه سواء، ولكن لما أخبر أنه ينعِّم المطيعين وأنه يعذِّب العصاة صار ذلك معلوم الوقوع لخبره الصادق، لا لسبب اقتضى ذلك. / والأعمال علامات على الثواب والعقاب، ليست أسبابا. ظ ١٨٦

فهذا قول جهم وأصحابه، ومن وافقه كالأشعرى، ومن وافقه من أتباع الفقهاء الأربعة والصوفية وغيرهم. ولهذا جوَّز هؤلاء أن يُعذِّب العاجز عن معرفة الحق ولو اجتهد، فليس عندهم فى نفس الأمر أسباب للحوادث ولا حكم، ولا فى الأفعال صفات لأجلها كانت مأمورا بها ومنهياً عنها، بل عندهم يمتنع أن يكون فى خلقه وأمره لام «كى».

وأما / القدرية فيثبتون له شريعة فيما يجب عليه ويحرم عليه بالقياس على عباده. وقد تكلمنا على قول الفريقين فى مواضع، وذكرنا فصلا فى ذلك فى هذا الكتاب فيما تقدَّم، لما تكلمنا على ما نسبه هذا الرافضى إلى [جميع][2] أهل السنة من قول هؤلاء الجهميه الجبرية، وبيّنا أن هذه المسألة لا تتعلق بمسألة الإمامة والتفضيل، بل من الشيعة من يقول بالجبر والقدر، وفى أهل السنة من يقول بهذا وبهذا. ٣/ ٢٤

---

(١) قد: ساقطة من (أ)، (ب).

(٢) جميع: ساقطة من (ن)، (م).

والمقصود هنا أن نبينّ أن الكلام فى تصويب المتنازعين: مصيبين أو مخطئين، مثابين أو معاقبين، مؤمنين أو كفارا - هو فرع عن هذا الأصل العام الشامل لهذه المسائل وغيرها .

وبهذا يظهر القول الثالث فى هذا الأصل، وهو أنه ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق، ولا يستحق الوعيد إلا من تَرَك مـأمورا به[1] أو فَعَل محظورا. وهذا هو قول[2] الفقهاء والأئمة، وهو القول المعروف عن سلف الأمة، وقول جمهور المسلمين.

وهذا القول يجمع الصواب من القولين، فالصواب من القول الأول - قول الجهمية الذين وافقوا فيه السلف والجمهور - وهو أنه ليس كل من طلب واجتهـد واستـدل على الشىء يتمكن من معـرفـة الحق فيه، بل استطاعة الناس فى ذلك متفاوتة.

والقـدرية يقولون[3]: إن الله تعالى سوّى بين المكلفين فى القدرة، ولم يخص المؤمنين بما فضّلهم به على الكفار حتى آمنوا، ولا خص المطيعين بما فضّلهم به على العصاة حتى أطاعوا.

وهـذا من أقـوال[4] القدرية والمعتزلة وغيرهم التى خالفوا بها الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل الصريح كما بسط فى موضعه. ولهذا قالوا: إن كل مستدل فمعه قدرة تامة يتوصل بها إلى معرفة الحق.

---

(١) به: زيادة فى (ن)، (م).

(٢) ن، م: وهذا من قول...

(٣) يقولون: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: يجعلون.

(٤) ن، م: من قول.

ومعلوم أن النـاس إذا اشتبهت عليهم القبلة [فى السفـر][1] فكلهم مأمورون بالاجتهاد والاستدلال على جهة القبلة، ثم بعضهم يتمكن من معرفة جهتها، وبعضهم يعجز عن ذلك فيغلط، فيظن فى بعض الجهات أنها جهتها، ولا يكون مصيبا فى ذلك. لكن هو مطيع لله ولا إثم عليه فى صلاته إليها، لأن الله لا يكلّف نفساً إلا وسعها، فعجزه عن العلم بها كعجزه عن التوجه إليها، [كالمقيَّد والخائف والمحبوس والمريض الذى لا يمكنه التوجه إليها][2].

ولهذا كان الصواب فى الأصل الثانى: قول من يقول: إن الله لا يعذِّب فى الآخـرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور. والمعتزلة فى هذا وافقوا الجماعة، بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم؛ فإنهم قالوا: بل يعذِّب من لا ذنب له، أو نحو ذلك.

ثم هؤلاء يحتجّون على المعتزلة فى نفس الإيجاب والتحريم العقلى بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [سورة الاسراء: ١٥]. وهو حجة عليهم أيضا فى نفى العذاب مطلقا إلا بعد إرسال الرسل، وهم يجوِّزون التعـذيب قبل إرسال الرسل، فأولئك يقولون: يعذِّب من لم يبعث إليه رسولا لأنه فعل القبائح العقلية، وهؤلاء يقولون: بل يعذِّب من لم يفعل قبيحا قط كالأطفال.

وهـذا مخـالف للكتاب والسنة والعقل أيضا. قال تعالى: ﴿وَمَاكُنَّا

(١) فى السفر: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

مُعَـذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُـولاً﴾ [سورة الاسراء: ١٥]. وقال تعالى عن النار: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [سورة الملك: ٨، ٩]. فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلّما أُلقى فيها فوجٍ سألهم الخزنة: هل جاءهم[١] نذير؟ فيعترفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم يبق فوج يدخل النار إلا وقد جاءهم نذير، فمن لم يأته نذير لم يدخل النار.

وقـال تعـالى لإبليس: ﴿لَأَمْـلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنـكَ وَمِمَّن تَبِعَـكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص: ٨٥]، فقـد أقسم سبحـانـه أنه يملؤها من إبليس وأتباعه، وإنما أتباعه من أطاعه، فمن لم يعمل ذنبا لم يطعه، فلا يكون ممن تُملأ[٢] به النار، وإذا مُلئت بأتباعه لم يكن لغيرهم فيها موضع.

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وأنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال يُلقى فى النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه» وفى رواية: «فيضع قدمه عليها فتقـول: قط قط، وينـزوى بعضهـا إلى بعض»[٣] أى تقـول: حسبى

---

(١) ن، م: جاءكم.

(٢) ن، ر، ح، و، ى: تمتلىء.

(٣) الحديث ـ مع اختلاف فى الألفاظ ـ عن أبى هريرة وأنس بن مالك رضى الله عنهما فى: البخارى ١٣٨/٦ (كتاب التفسير، سورة ق، قوله تعالى: وتقول هل من مزيد). وعن أنس فيه ١٣٤/٨ ـ ١٣٥ (كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكماله). وعنه أيضا ١١٦/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وهو العزيز الحكيم). وعن أبى هريرة فيه ١٣٤/٩ (كتـاب التـوحيد، باب ما جاء فى قولـه تعـالى: إن رحمـة الله قريب من

حسبى. وأما الجنة فيبقى فيها «فضل، فينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضول / الجنة»[1]. هكذا رُوى فى الصحاح من غير وجه، ووقع فى بعض طرق البخارى غلط قال فيه: «وأما النار فيبقى فيها فضل»[2] والبخارى رواه فى سائر المواضع على الصواب ليبين غلط هذا الراوى، كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواه غلط فى لفظ، ذكر ألفاظ سائر / الرواة التى يُعلم بها الصواب، وما علمتُ وقع فيه غلط إلا

٣/ ٢٥

ص ١٨٧

المحسنين). وجاء الحديث أيضا فى مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وأنس بن مالك رضى الله عنهم ٤/٢١٨٦ - ٢١٨٨ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون). وفى المسند عن أبى هريرة (ط. المعارف) ١٣/١٧ - ١٤، (ط. الحلبى) ٢/ ٥٠٧.

(١) هذا جزء من حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه ولفظه «. . وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقا» فى: البخارى ١٣٨/٦ - ١٣٩ (الموضع السابق)؛ مسلم ٤/٢١٨٦ - ٢١٨٧ (الموضع السابق). وفى مسلم ٢١٨٨/٦ عن أنس رضى الله عنه: «يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى، ثم ينشىء الله تعالى لها خلقا مما يشاء».
وعن أنس رضى الله عنه رواية أخرى جاء فيها: «. . ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشىء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة» وهى فى البخارى ١١٧/٩ (الموضع السابق) وفى مسلم ٢١٨٨/٤ (الموضع السابق).

(٢) لم أجد هذه الألفاظ فى البخارى مع طول البحث ولكنى وجدت حديثا فيه ١٣٤/٩ (كتاب التوحيد، باب ما جاء فى قول الله تعالى: إن رحمة الله قريب من المحسنين) عن أبى هريرة رضى الله عنه وفيه: «. . وقال للنار: أنت عذابى أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها. قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا وإنه ينشىء للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثا، حتى يضع فيها قدمه فتمتلىء ويرد بعضها إلى بعض وتقول: قط قط قط».
وذكر ابن حجر فى شرحه للحديث (فتح البارى ٤٣٦/١٣ - ٤٣٧): «قال أبو الحسن القابسى: المعروف فى هذا الموضع أن الله ينشىء للجنة خلقا، وأما النار فيضع فيها

وقد بيَّن فيه[1] الصواب، بخلاف مسلم فإنه وقع فى صحيحه عدة أحاديث غلط، أنكرها جماعة من الحفّاظ على مسلم. والبخارى قد أنكر عليه بعض الناس تخريج أحاديث، لكن الصواب فيها مع البخارى، والذى أُنكر على الشيخين أحاديث قليلة جدا، وأما سائر متونهما فمما اتفق علماء المحدّثين على صحتها وتصديقها وتلقيها بالقبول لا يستريبون فى ذلك.

وقد قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۞ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٠،

قدمه. قال: ولا أعلم فى شىء من الأحاديث أنه ينشىء للنار خلقا إلا هذا. انتهى.... وقد قال جماعة من الأئمة إن هذا الوضع مقلوب. وجزم ابن القيم بأنه غلط، واحتج بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلىء من إبليس وأتباعه، وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقينى واحتج بقوله: (ولا يظلم ربك أحدا) ثم قال: وحمله على أحجار تلقى فى النار أقرب من حمله على ذى روح يعذب بغير ذنب انتهى».... وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز فى تعليقه على الحديث ٤٣٤/١١: «جزم ابن القيم بأن هذا غلط من الراوى، صوابه «ينشىء للجنة» كما تقدم برقم ٤٨٥٠ (حديث أبى هريرة فى تفسير سورة ق : قوله تعالى: وتقول هل من مزيد) وكما فى رقم ٧٣٨٤ (حديث أنس فى كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وهو العزيز الحكيم) من طريق قتادة عن أنس. فتبين منهما أن الراوى هنا سبق لفظه من الجنة إلى النار، ويسمونه فى مصطلح الحديث «المنقلب».

وجدت كلام ابن القيم المشار إليه فى كتابه «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح» ص ٣٨٥ (ط. المدنى، ١٣٩٨).

(١) ر، ح: فيها.

١٣١]، فقد خاطب الجن والإنس، واعترف المخاطَبون بأنهم جاءتهم رسل يقصّون عليهم آياته وينذرونهم لقاء يوم القيامة. ثم قال: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ أى هذا بهذا السبب، فعُلم أنه لا يعذِّب من كان غافلا ما لم يأته نذير، فكيف الطفل الذى لا عقل له؟!.

ودل أيضا على أن ذلك ظلم تنزَّه سبحانه عنه، وإلا فلو كان الظلم هو الممتنع لم يتصور أن يهلكهم بظلم، بل كيفما أهلكهم فإنه ليس بظلم عند الجهمية الجبرية.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَاكُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [سورة القصص: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [سورة هود: ١١٧]. وقال تعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ [سورة طه: ١١٢]. قال المفسرون: الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره، والهضم أن ينقص من حسناته، فجعل سبحانه عقوبته بذنب غيره ظلما ونزّه نفسه عنه.

ومثل هذا كثير كقوله: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤]، وكذلك قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة ق: ٢٨، ٢٩]، فبين سبحانه أنه قدَّم

بالوعيد وأنه ليس بظلّام لِلعَبيد[1]، كما قال فى الآية الأخرى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [سورة هود: ١٠٠،١٠١]، فهو سبحانه نزّه نفسه عن ظلمهم، وبيّن أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم، فمن لم يكن ظالما لنفسه تكون عقوبته ظلما تنزّه الله عنه.

وقال فى الآية الأخرى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٤ - ٧٦].

وهذا الظلم الذى نزّه نفسه عنه: إن كان هو الممتنع الذى لا يمكن فعله فأىّ فائدة فى هذا؟ وهل أحد يخاف أن يفعل به ذلك؟ وأى تنزيه فى هذا؟ وإذا قيل: هو لا يفعل إلا ما يقدر عليه. قيل: هذا معلوم لكل أحد، وكل أحد لا يفعل إلا ما يقدر عليه، فأى مدح فى هذا مما يتميز به الرب سبحانه عن العالمين؟[2].

(*فعُلم أن من الأمور الممكنة ما هو ظلم تنزّه الله سبحانه عنه مع قدرته عليه، وبذلك يُحمد ويثنى عليه؛ فإن الحمد والثناء يقع بالأمور الاختيارية من فعل وترك، كعامة ما فى القرآن من الحمد، والشكر أخص

---

(١) للعبيد: كذا فى (ن)، (م)، (ى): وفى سائر النسخ: لهم.

(٢) ح، ر: عن العالمين الظالمين؛ و، أ: عن الظالمين.

(*ـ*) : ما بين النجمتين جاء فى (ر)، (ح)، (ى) فى غير موضعه الصحيح.

من ذلك يكون على النعم، والمدح أعم من ذلك، وكذلك التسبيح فإنه تنزيه وتعظيم، فإذا سبح بحمده جمع له[1] بين هذا وهذا، كما قد بسطنا الكلام على حقيقة التسبيح والتحميد، ومعنى التسبيح بحمده فى غير هذا الموضع*.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦]، فالاتخاذ فعل من الأفعال، وقد نزَّه سبحانه نفسه عنه. فعُلم أن من الأفعال ما نزَّه سبحانه نفسه عنه. والجبرية[2] عندهم لا يُنزَّه عن فعل من الأفعال.

وفى حديث «البطاقة» الذى رواه الترمذى وصححه [وغيره][3]، ورواه الحاكم فى صحيحه. قال فيه: «فيُنشر له تسعة / وتسعون سجلا، كل سجل منها مدّ البصر. ثم يقال: لا ظلم عليك، إن لك عندنا بطاقة، فتوضع البطاقة فى كفّة، والسجلات فى كفة، فثقلت البطاقة، وطاشت السجلات»[4] فقوله: «لا ظلم عليك» دليل على أنه إن لم يجاز بتلك

٣/ ٢٦

(١) له: ساقطة من (أ)، (ب)، (م)، (ر)، (ح)، (ى).

(٢) ر، ح: والجبريين.

(٣) وغيره: زيادة فى (و).

(٤) الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فى: سنن الترمذى ٤/ ١٣٣ - ١٣٤ (كتاب الإيمان، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله) من روايتين (رقم ٢٧٧٦، ٢٧٧٧) وقال الترمذى بعد الأولى: «هذا حديث حسن غريب». والحديث فى: سنن ابن ماجة ٢/ ١٤٣٧ (كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة)؛ المسند (ط. المعارف) ١١/ ١٩٧ - ٢٠٠، ١٢/ ٢٣ - ٢٤ (مختصرا)؛ المستدرك للحاكم ١/ ٥٢٩. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى. وأول الحديث فى سنن الترمذى: «إن الله سيُخلِّص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا..الحديث.

الحسنات، وتُوزن حسناته مع سيئاته، كان ذلك ظلما يُقدَّس[1] الله عنه؛ فإنه القائم بالقسط.

وقد قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [سورة الكهف: ٤٩]، فهل يُقال: هذا النفى أنه لا يفعل مع أحد ما لا يمكن ولا يقدر عليه؟ أو لا يظلمهم شيئا من حسناتهم، بل يحصيها كلها ويثيبهم[2] عليها؟ فدل على أن العبد يُثاب على حسناته، ولا يُنقص شيئا منها، ولا يُعاقب إلا على سيئاته، وأن عقوبته بغير ذنب، وبخس حسناته ظلم يُنزه[3] الرب تبارك وتعالى عنه.

وأيضا فقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة القلم: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢١] إلى غير ذلك.

ظ ١٨٧

فدل على أن التسوية بين هذين المختلفين من الحكم السيىء الذى يُنزَّه عنه، وأن ذلك منكر لا يجوز نسبته إلى الله تعالى، وأن من جوَّز ذلك

(١) ن، م: تقدس.
(٢) و: يحصرها كلها ويثيبه..
(٣) ن، م: تنزه.

فقد جوز منكراً لا يصلح أن يُضاف إلى الله تعالى ؛ فإن قوله : ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة القلم: ٣٥] استفهام إنكار، فعُلم أن جعل هؤلاء مثل هؤلاء منكر لا يجوز أن يُظن بالله أنه يفعله . فلو كان هذا وضده بالنسبة إليه سواء، جاز أن يفعل هذا وهذا .

وقوله : ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦] دلّ على أن هذا حكم سيىء، والحكم السيىء هو الظلم الذى لا يجوز، فعُلم أن الله تعالى منزّه عن هذا . ومن قال إنه يسوِّى بين المختلفين، فقد نسب إليه الحكم السيىء . وكذلك تفضيل أحد المتماثلين، بل التسوية بين المتماثلين والتفضيل بين المختلفين هو من العدل والحكم الحسن الذى يُوصف به الرب سبحانه وتعالى .

والظلم وضع الشىء فى غير موضعه؛ فإذا جُعل النور كالظلمة، [والمحسن كالمسىء][1]، والمسلم كالمجرم ـ كان هذا ظلماً وحكما سيئا [يُقدَّس] وينزَّه عنه[2] سبحانه وتعالى .

وقال تعالى : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٠]. وعند هؤلاء لو حكم بحكم الجاهلية لكان حسنا، وليس فى نفس الأمر حكم حسن وحكم غير حسن، بل الجميع سواء. فكيف يُقال مع هذا : ومن أحسن من الله حكما؟! فدلّ هذا النص على أن حكمه حسن لا أحسن منه، والحكم الذى يخالفه

---

(١) : ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٢) ن، م : سيئا تنزه عنه . .

سيىء ليس بحسن. وذلك دليل على أن الحسن صفة لحكمه، فلو لم يكن الحسن إلا ما تعلق به[1] الأمر، أو ما لم ينه عنه، لم يكن في الكلام فائدة، ولم يقسّم الحكم إلى حسن وأحسن، لأن عندهم يجوز أن يحكم الرب بكل ما يمكن وجوده، وذلك كله حسن، فليس عندهم حكم يُنزَّه الرب عنه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤][2]، فدلّ على أنه أعلم بالمحل الذى يناسب الرسالة، ولو كان الناس مستوين، والتخصيص بلا سبب، لم يكن لهذا العلم معلوم يختص به محل الرسالة.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ * أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [سورة القمر: ٤١ ـ ٤٣]، وقال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة الدخان: ٣٧]. فهذا يبين أن أولئك إذا كانوا كفّارا وقد عذبناهم، والكفار الذين كذّبوا محمدًا ليسوا خيرا من أولئك بل هم مثلهم[3]ـ استحقّوا من العقوبة ما استحقه أولئك، ولو كانوا خيراً منهم لم يستحقوا ذلك. فعُلم انه سبحانه يسوِّى بين المتماثلين، ويفضِّل صاحب الخير، فلا يسوِّى بينه وبين من هو دونه.

---

(١) و: إلا ما يتعلق به.

(٢) ن، م، و: رسالاته.

(٣) و: بل هم منهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَاأُوْلِى الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر: ٢] إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: ١٣]، والاعتبار ٣/ ٢٧ أن يعبر منهم إلى أمثالهم، فيعرف أن من فعل كما فعلوا استحق كما استحقوا، ولو كان تعالى قد يسوِّى بين المتماثلين وقد لا يسوى، لم يمكن الاعتبار حتى يعلم أن هذا المعيّن[1] مما يسوّى بينه وبين نظيره، وحينئذ فلا يمكن الاعتبار إلا بعد معرفة حكم ذلك المعيّن[1]، وحينئذ فلا يحتاج إلى الاعتبار.

ومن العجب أن أكثر أهل الكلام احتجّوا بهذه الآية على القياس، وإنما تدل عليه لكون الاعتبار[2] يتضمن التسوية بين المتماثلين، فعُلم أن الرب يفعل هذا فى حكمه، فإذا اعتبروا بها فى أمره الشرعى لدلالة مطلق الاعتبار على ذلك، فهلَّا استدلوا بها على حكمه الخلقى الكونى فى الثواب والعقاب، وهو الذى قُصد بالآية، فدلالتها عليه أَوْلى ؟

فعُلم أن المتماثلَيْن فى الذنب متماثلان فى استحقاق العقاب،

---

(١) و: المعنى.

(٢) ح: لأن الاعتبار؛ ر: بكون الاعتبار.

بخلاف من لم يشركهما فى ذلك. وإذا قيل: هذا قد عُلم بخبره. قيل: هو لم يخبر قبل بهذا، بل دلّ على أن هذا هو حكمه الذى لا يجوز أن يُضاف إليه سواه، كما دل على ذلك ما تقدم من الآيات.

وأيضا فالنصوص قد أخبرت بالميزان بالقسط، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما، فدلّ هذا على أن مثقال ذرة إذا زيد فى السيئات أو نقص من الحسنات كان ظلما يُنزّه الله عنه، ودلّ على أنه يزن الأعمال بالقسط، الذى هو العدل، فدل على أن خلاف ذلك ليس قسطا، بل ظلم[1] تنزّه الله عنه، ولو لم يكن هنا[2] عدل لم يحتج إلى الموازنة؛ فإنه إذا كان التعذيب والتنعيم بلا قانون عدلى، بل بمحض المشيئة، لم يحتج إلى الموازنة.

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٨] قال الزجاج وغيره: قد أعلمنا أنه يعذِّب من عذَّبه لاستحقاقه. وقال آخر: معناه أنه لا يعاقبهم بلا جرم، فسمَّى هذا ظلما.

وأيضا فإن الله تعالى قد أخبر فى غير موضع أنه لا يكلّف نفسا إلا وسعها، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة الأعراف: ٤٢]، وقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣]، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾

---

(١) بل ظلم: كذا فى (ب) فقط، وفى سائر النسخ: بل ظلما.

(٢) ح: هذا.

[سورة الطلاق: ٧]، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: ١٦]، وقد دعاه المؤمنون بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦] فقال: قد فعلت[١]. ص ١٨٨

فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسا ما تعجز عنه، خلافا للجهمية المجبرة[٢]، ودلت على أنه لا يؤاخذ المخطىء والناسى، خلافا للقدرية والمعتزلة، وهذا فصل الخطاب فى هذا الباب.

فالمجتهد المستدل ـ من إمام وحاكم وعالم وناظر ومناظر ومفت وغير ذلك ـ إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع، كان هذا هو الذى كلّفه الله إياه، وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع، ولا يعاقبه الله ألبتة، خلافا للجهمية المجبرة[٣]، وهو مصيب بمعنى أنه مطيع لله، لكن قد يعلم الحق فى نفس الأمر، وقد لا يعلمه، خلافا للقدرية والمعتزلة فى قولهم: كل من استفرغ وسعه علم الحق، فإن هذا باطل كما تقدم، بل كل من استفرغ وسعه استحق الثواب.

وكذلك الكفّار من بلغته[٤] دعوة النبى صلّى الله عليه وسلم فى دار الكفر، وعلم أنه رسول الله فآمن به، وآمن بما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشى وغيره، ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام،

(١) سبق الحديث فيما مضى ٤/ ٣٢٠.
(٢) و: الجبرية.
(٣) و: الجبرية.
(٤) من بلغته: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: من بلغه.

ولا التزام جميع شرائع[1] الإسلام، لكونه ممنوعا من الهجرة، وممنوعاً من إظهار دينه، وليس عنده من يعلّمه جميع شرائع الإسلام ـ فهذا مؤمن من أهل الجنة، كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وكما كانت امرأة فرعون، بل وكما كان يوسف الصدّيق عليه السلام مع أهل مصر؛ فإنهم كانوا كفّارا، ولم يكن يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام، فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه.

قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ [سورة غافر: ٣٤].

وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول في الاسلام، بل إنما دخل معه نفر منهم. ولهذا لما مات لم يكن هناك من[2] يصلّي عليه، / فصلّى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة: خرج بالمسلمين إلى المصلّى فصفهم صفوفا وصلّى عليه، وأخبرهم بموته يوم مات، وقال: «إن أخا لكم صالحاً من أهل الحبشة مات»[3].

٣/ ٢٨

---

(١) ن: شعائر.

(٢) ب (فقط): أحد.

(٣) حديث نعي النبي صلى الله عليه وسلم النجاشي إلى المسلمين وصلاته عليه بعد أن صف المسلمين صفوفا روى عن عدة من الصحابة فرواه أبو هريرة وجابر بن عبدالله وعمران بن حصين رضي الله عنهم في: البخاري ٥/ ٥١ (كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي) وجاء الحديث في البخاري في عدة مواضع من كتاب الجنائز، وهو في: مسلم

وكثير من شرائع الإسلام ـ أو أكثرها ـ لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك، فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت، بل قد رُوى أنه لم يكن يصلى الصلوات الخمس، ولا يصوم شهر رمضان، ولا يؤدى الزكاة الشرعية، لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه، وهو لا يمكنه مخالفتهم . ونحن نعلم قطعا أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن.

والله قد فرض على نبيه بالمدينة أنه إذا جاءه أهل الكتاب لم يحكم بينهم إلا بما أنزل الله إليه، وحذّره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه. وهذا مثل الحكم فى الزنا للمحصن بحد الرجم، وفى الديات بالعدل والتسوية فى الدماء بين الشريف والوضيع: النفس بالنفس، والعين بالعين، وغير ذلك.

والنجاشى ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن؛ فإن قومه لا يقرّونه على ذلك. وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيا ـ بل وإماما ـ وفى نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها، فلا يمكنه ذلك، بل هناك من يمنعه [ذلك][1]، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

وعمر بن عبدالعزيز عُودى وأوذى على بعض ما أقامه من العدل، وقيل: إنه سمّ على ذلك.

٢/ ٦٥٦ ـ ٦٥٨ (كتاب الجنائز، باب فى التكبير على الجنازة). والحديث فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة ومسند الإمام أحمد. وانظر: مفتاح كنوز السنة (النجاشى).

(١) ذلك: ساقطة من (ن)، (م). وفى (و): عن ذلك.

فالنجاشى وأمثاله سعداء فى الجنة، وإن كانوا لم يلتزموا[1] من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه، بل كانوا يحكمون بالأحكام التى يمكنهم الحكم بها، ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٩]. وهذه الآية قد قال طائفة من السلف: إنها نزلت فى النجاشى. ويُروى هذا عن جابر وابن عباس وأنس. ومنهم من قال: فيه وفى أصحابه[2]، كما قال الحسن وقتادة، وهذا مراد الصحابة، لكن[3] هو المطاع؛ فإن لفظ الآية لفظ الجمع لم يُرَد بها واحد، وعن عطاء قال: نزلت فى أربعين من أهل نجران وثلاثين من أهل[4] الحبشة، وثمانية من الروم، كانوا[5] على دين عيسى فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم[6].

---

(١) و: لم يلزموا.

(٢) و: وفى الصحابة.

(٣) ب: ولكن.

(٤) أهل: زيادة فى (ن)، (م).

(٥) ب: وكانوا.

(٦) انظر فى تفسير هذه الآية: الدر المنثور للسيوطى ١١٣/٢ (وذكر من وجوه تأويل الآية: وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة، قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى النجاشى وفى ناسٍ من أصحابه آمنوا بنبى الله وصدّقوا به). وانظر: تفسير الطبرى (ط. المعارف) ٤٩٦/٧ - ٥٠٠؛ زاد المسير لابن الجوزى ٥٣٢/١ - ٥٣٣ (وذكر الوجه الرابع من وجوه تأويل الآية: فى أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم، قاله عطاء). وانظر: تفسير ابن عطية

ولم يذكر هؤلاء من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة، مثل عبدالله بن سَلَام وغيره ممن كان يهوديا، وسلمان الفارسى وغيره ممن كان نصرانيا؛ لأن هؤلاء صاروا من المؤمنين، فلا يقال فيهم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٩]. ولا يقول أحد: إن اليهود والنصارى، بعد إسلامهم وهجرتهم، ودخولهم فى جملة المسلمين المهاجرين المجاهدين، يقال: إنهم من أهل الكتاب، كما لا يُقال عن الصحابة الذين كانوا مشركين: وإن من المشركين لمن يؤمن بالله ورسوله، فإنهم بعد الإيمان ما بقوا يسمون مشركين؛ فدل على أن هؤلاء قوم من أهل الكتاب، أى من جملتهم، وقد آمنوا بالرسول.

كما قال تعالى فى المقتول خطأ: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [سورة النساء: ٩٢][1] فهو من العدو، ولكن هو كان قد آمن وما أمكنه الهجرة وإظهار الإيمان والتزام شرائعه، فسمّاه مؤمنا لأنه فعل من الإيمان ما يقدر عليه.

وهذا كما أنه / قد كان بمكة جماعة من المؤمنين يستخفون ظ ١٨٨

= (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، للقاضى أبى محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسى، المتوفى سنة ٥٤٦هـ، تحقيق المجلس العلمى، فاس، المغرب، (١٣٩٧/١٩٧٧) ص٣٢٧-٣٢٨. وانظر: تفسير ابن كثير (ط. الشعب) ١٦٨/٢ - ١٦٩.

(١) فى (ح)، (ب): وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق... إلى قوله.. عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة، وهو خطأ إذ أنه يخالف ترتيب كلمات الآية الكريمة.

بإيمانهم، وهم عاجزون عن الهجرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ [سورة النساء: ٩٧ - ٩٩] فعذر سبحانه المستضعف العاجز عن الهجرة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾ [سورة النساء: ٧٥]، فأولئك كانوا عاجزين عن إقامة دينهم، فقد سقط عنهم ما عجزوا عنه.

فإذا كان هذا فيمن كان مشركا وآمن، فما الظن بمن كان من أهل الكتاب / وآمن؟ ٣/ ٢٩

وقوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [سورة النساء: ٩٢] قيل: هو الذى يكون عليه لباس أهل الحرب، مثل أن يكون[1] فى صفهم[2] فيُعذر القاتل لأنه مأمور بقتاله، فتسقط عنه الدية وتجب الكفّارة. وهو قول الشافعى وأحمد فى أحد القولين.

---

(١) ر، ح، ى، و: مثل من يكون.

(٢) ن، م: فى صفتهم.

وقيل: بل هو من أسلم ولم يهاجر، كما يقوله أبو حنيفة. لكن هذا قد أوجب فيه الكفارة. وقيل: إذا كان من أهل الحرب لم يكن له وارث، فلا يُعطى أهل الحرب ديته[1]، بل تجب الكفارة فقط. وسواءٌ عُرف أنه مؤمن وقُتل خطأً، أو ظُن أنه كافر. وهذا ظاهر الآية. وقد قال بعض المفسرين: إن هذه الآية نزلت فى عبدالله بن سَلَام وأصحابه، كما نقل عن ابن جريج ومقاتل وابن زيد، يعنى قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وبعضهم قال: إنها فى مؤمنى أهل الكتاب من اليهود والنصارى[2].

فهذا إن أراد به من كان فى الظاهر معدودا من أهل الكتاب، فهو كالقول الأول. وإن أراد العموم، فهو كالثانى. وهذا قول مجاهد، ورواه أبو صالح عن ابن عباس، وقول من أُدْخَل فيها مثل ابن سلام وأمثاله ضعيف؛ فإن هؤلاء من المؤمنين ظاهراً وباطنا من كل وجه، لا يجوز أن يُقال فيهم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٩].

أما أوّلا: فلأن ابن سلام أسلم فى أول ما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة، وقال: «فلما رأيت وجهه علمت[3] أن وجهه ليس بوجه كذّاب»[4].

---

(١) ح: دية؛ ى: الدية.

(٢) انظر ما ذكرته عن تفسير هذه الآية قبل صفحات (ص ١١٤).

(٣) أ، ب: عرفت.

(٤) الحديث عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ٤/ ٦٥ (كتاب صفة

وسورة آل عمران إنما نزل ذكر أهل الكتاب فيها لما قدم وفد نجران سنة تسع أو عشر.

وثـانياً: أن ابن سلام ـ وأمثالـه ـ هو واحـد من جملة الصحـابـة والمؤمنين، وهو من أفضلهم. وكذلك سلمان الفارسى. فلا يقال فيه: إنه[1] من أهل الكتاب. وهؤلاء لهم أجور مثل أجور سائر المؤمنين، بل يؤتـون أجـرهم مرتين، وهم ملتـزمون جميع شرائع الإسلام، فأجرهم أعظم من أن يُقال فيه: أولئك لهم أجرهم عند ربهم.

وأيضا فإن أمر هؤلاء كان ظاهرا معروفا، ولم يكن أحد يشك فيهم، فأى فائدة فى الإخبار بهم؟.

ومـا هذا إلا كما يُقال: الإسلام دخل فيه من كان مشركا ومن كان كتابيا. وهذا معلوم لكل أحد بأنه دين لم يكن يُعرف قبل محمد صلى الله عليه وسلم، فكل من دخل فيه كان قبل ذلك إما مشركا وإما من أهل الكتاب، إما كتابيا وإما أُمِيًّا، فأى فائدة فى الإخبار بهذا؟

القيامة، باب ١٥) ونصه: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعنى المدينة، انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت فى الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب، وكان أول شىء تكلّم به أن قال: «يا أيها الناس افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». قال الترمذى: «هذا حديث صحيح». والحديث ـ مع اختلاف فى الألفاظ ـ فى: سنن ابن ماجة ٤٢٣/١ (كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فى قيام الليل)، ١٠٨٣/٢ (كتـاب الأطعمـة، باب إطعـام الـطعـام)؛ سنن الـدارمى ٣٤٠/١ ـ ٣٤١ (كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الليل)، ٢٧٥/٢ (كتاب الاستئذان، باب فى إفشاء السلام؛ المسند (ط. الحلبى) ٤٥١/٥.

(١) ب (فقط): إن..

بخلاف أمر النجاشى وأصحابه ممن كانوا متظاهرين بكثير مما عليه النصارى؛ فان أمرهم قد يشتبه، ولهذا ذكروا فى سبب نزول هذه الآية أنه لما مات [النجاشى][1] صلّى عليه النبى صلّى الله عليه وسلم، فقال قائل: «تُصلِّي على هذا العلج النصرانى وهو فى أرضه؟!» فنزلت هذه الآية. هذا منقول عن جابر وأنس بن مالك وابن عباس، وهم من الصحابة الذين باشروا الصلاة على النجاشى[2].

وهذا بخلاف ابن سَلاَم وسلمان الفارسى؛ فإنه إذا صلّى على واحد من هؤلاء لم ينكر ذلك أحد. وهذا مما يبين أن المظهرين للإسلام فيهم منافق لا يُصلى عليه، كما نزل[3] فى حق ابن أُبىّ وأمثاله، وأن من هو فى أرض الكفر قد يكون مؤمنا يُصلّى عليه كالنجاشى.

ويشبه هذه الآية أنه لما ذكر تعالى أهل الكتاب فقال: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُواْ سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

---

(١) النجاشى: زيادة فى (ح).

(٢) ن، م: الصلاة عليه. وانظر الكلام على هذا الحديث قبل صفحات (ص ١١٢).

(٣) ر، ح، ى: كما نزلت.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠ - ١١٤]. وهذه الآية[1] قيل: إنها نزلت فى عبدالله بن سَلَام وأصحابه، وقيل: إن قوله: ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ هو عبدالله بن سَلَام وأصحابه[2].

٣/ ٣٠ وهذا والله أعلم - من نمط الذى قبله؛ فإن هؤلاء / ما بقوا من أهل الكتاب.

وإنما المقصود من هو منهم فى الظاهر، وهو مؤمن لكن لا يقدر على ما يقدر عليه المؤمنون المهاجرون المجاهدون، كمؤمن آل فرعون: هو من آل فرعون وهو مؤمن.

ص ١٨٩ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة غافر: ٢٨] فهو من آل فرعون وهو مؤمن.

---

(١) الآية: ليست فى (م)، (و).

(٢) يقول الطبرى فى تفسيره: «منهم المؤمنون» يعنى: من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، المؤمنون المصدِّقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله، وهم عبدالله بن سلام وأخوه، وثعلبة بن سَعْيَه وأخوه، وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله، «وأكثرهم الفاسقون»: يعنى الخارجون عن دينهم، وذلك أن من دين اليهود اتباع ما فى التوراة والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومن دين النصارى اتباعُ ما فى الإنجيل، والتصديق به وبما فى التوراة، وفى كلا الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه وأنه نبى الله. وكلتا الفرقتين - أعني اليهود والنصارى - مكذِّبة، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذى يدّعون أنهم يدينون به، الذى قال جل ثناؤه «وأكثرهم الفاسقون».

وكـذلـك هؤلاء منهم المؤمنـون، ولهـذا قال تعـالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]. وقد قال قبل هذا: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم﴾ [سورة آل عمران: ١١٠] ثم قال: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠] ثم قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [سورة آل عمران: ١١١] وهذا عائد إليهم جميعهم لا إلى أكثرهم. ولهذا قال: ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١١]. وقد يقاتلون وفيهم مؤمن يكتم إيمانه، يشهد القتال معهم ولا يمكنه الهجرة، وهو مكره على القتال، ويُبعث يوم القيامة على نيته.

كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انـه قال: «يغزو جيش هذا البيت فبينما هم ببيداء من الأرض إذ خسف بهم». فقيل: يارسول الله، وفيهم المكره؟ فقال: «يبعثون على نياتهم»[1].

ويقول ابن الجوزى فى «زاد المسير»: (منهم المؤمنون): من أسلم، كعبدالله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) يعنى: الكافرين، وهم الذين لم يسلموا.

(١) جاء هذا الحديث مختصرا عن عائشة رضى الله عنها فى: البخارى ٢/ ١٤٩ (كتاب الحج، باب هدم الكعبة). وجاء مطولا عنها فى: البخارى ٣/ ٦٥ - ٦٦ (كتاب البيوع، باب ما ذكر ما فى الأسواق) ونصه: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم». قالت: قلت: يارسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم» وروى النسائى الحديث فى سننه ٥/١٦٢-١٦٣ (كتاب المناسك، باب حرمة الحرم) عن أبى هريرة رضى الله عنـه مختصرا من طريقين وعن حفصة رضى الله عنها مع اختلاف فى الألفاظ من طريقين. وخصص ابن ماجة بابا فى سننه لهذه الأحاديث ٢/ ١٣٥٠ - ١٣٥١ (كتاب الفتن، باب جيش البيداء) ذكر فيه الحديث مع اختلاف فى الألفاظ عن حفصة وصفية وأم سلمة رضى الله عنهن. وفى الحديث الأخير قالت أم سلمة: لعل فيهم المكره؟

وهذا فى ظاهر الأمر وان قُتل[1] وحكم عليه بما يحكم على الكفّار، فاللّه يبعثه على نيته. كما أن المنافقين منا يُحكم لهم فى الظاهر بحكم الإسلام[2] ويبعثون على نياتهم، فالجزاء يوم القيامة على ما فى القلوب لا على مجرد الظواهر[3].

ولهـذا رُوى أن العبـاس قال: يارسول الله كنت مكرها. قال: «أما ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فإلى اللّه»[4].

وبالجملة لا خلاف بين المسلمين أن من كان فى دار الكفر، وقد آمن وهـو عاجز عن الهجرة، لا يجب عليه من الشرائع ما يعجز عنها، بل الوجوب بحسب الإمكان. وكذلك ما لم يَعلم حكمه، فلو لم يعلم أن الصلاة واجبة عليه، وبقى مدة لم يصل، لم يجب عليه القضاء فى أظهر قولَيْ العلماء. وهذا مذهب أبى حنيفة وأهل الظاهر، وهو أحد الوجهين فى مذهب أحمد. وكذلك سائر الواجبات من صوم شهر رمضان وأداء

قال: «إنهم يبعثون على نياتهم». والحديث عنها رضى الله عنها فى المسند (ط. الحلبى) ٦/٣١٨.

(١) ن، م، و، أ: قوتل.

(٢) ن: بالظاهر بحكم الإسلام؛ ح: فى الظاهر بالإسلام.

(٣) ن، م: الظاهر.

(٤) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، ولكن أورد أحمد فى مسنده (ط. المعارف) ٥/١٠٥ ـ ١٠٦ حديثا عن ابن عباس رضى الله عنهما جاء فيه أن أبا اليسر بن عمرو أسر العباس... الحديث، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يا عباس افد نفسك وابن أخيك..» وقال (العباس): إنى كنت مسلما قبل ذلك، وإنما استكرهونى، قال: «الله أعلم بشأنك، إن يك ما تدّعى حقًا فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا... الحديث. قال أحمد شاكر رحمه الله: «إسناده ضعيف».

الـزكـاة وغير ذلك، ولو لم يعلم تحريم الخمر فشربها لم يحد باتفاق المسلمين، وإنما اختلفوا فى قضاء الصلاة[1].

وكذلك لو عامل بما يستحلّه من ربا أو ميسر ثم تبين له تحريم ذلك بعد القبض: هل يَفْسخ العقد أم لا؟ كما لا يفسخه[2] لو فعل ذلك قبل الإسلام. وكذلك لو تزوج نكاحا يعتقد صحته على عادتهم، ثم لما بلغه شرائع الإسلام رأى أنه قد أخل ببعض شروطه، كما لو تزوج فى عدة وقد انقضت، فهل يكون هذا فاسدا أو يُقر عليه، كما لو عقده قبل الإسلام ثم أسلم.

وأصل هذا كله أن الشرائع هل تلزم من لم يعلمها؟ أم لا تلزم أحداً[3] إلّا بعد العلم؟ أو يُفرَّق بين الشرائع الناسخة والمبتدأة؟ هذا فيه ثلاثة أقوال، هى ثلاثة أوجه فى مذهب أحمد، ذكر القاضى أبويعلى الوجهين المطلقين فى كتاب له، وذكر هو وغيره الوجه المفرّق فى أصول الفقه، وهو أن النسخ لا يثبت فى حق المكلَّف حتى يبلغه الناسخ[4]، وخرّج أبو الخطاب وجها بثبوته.

ومن هذا الباب من ترك الطهارة الواجبة ولم يكن علم بوجوبها، أو صلّى[5] فى الموضع المنهى عنه قبل علمه بالنهى، هل يعيد الصلاة؟

---

(١) ب (فقط): الصلوات.

(٢) ب (فقط): نفسخه.

(٣) أحدا: ساقطة من (ح)، (ر).

(٤) ح، ر: حتى يبلغه النسخ.

(٥) ن، م: وصلى.

فيه روايتان منصوصتان عن أحمد. والصواب فى هذا الباب كله أن الحكم لا يثبت إلا مع التمكن من العلم، وأنه لا يُقضى ما لم يعلم وجوبه[1].

فقد ثبت فى الصحيح أن من الصحابة من أكل بعد طلوع الفجر فى رمضان حتى تبين له الحبل[2] الأبيض من الأسود[3]، ولم يأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالقضاء[4].

ومنهم من كان يمكث جنبا مدة لا يصلى، ولم يكن يعلم جواز الصلاة بالتيمم، كأبى ذر، وكعمر بن الخطاب وعمَّار

---

(١) ن، م: ما لم يعلم بوجوبه.

(٢) أ، ب، م: الخيط.

(٣) أ، ب، م: من الخيط الأسود.

(٤) الحديث عن عدى بن حاتم وسهل بن سعد رضى الله عنهما فى: البخارى ٦/٢٦ (كتاب التفسير، باب سورة البقرة: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض...)؛ مسلم ٢/٧٦٦ - ٧٦٧ (كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول فى الصوم يحصل بطلوع الفجر..) ونص الحديث عن عدى فى مسلم: قال: لما نزلت (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) [سورة البقرة: ١٨٧] قال له عدى بن حاتم: يارسول الله، إنى اجعل تحت وسادتى عقالين: عقالا أبيض وعقالا أسود، أعرف الليل من النهار.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن وسادتك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار». والحديث فى: سنن أبى داود ٢/٤٠٨ (كتاب الصوم، باب وقت السحور)؛ سنن الدارمى ٢/٥ - ٦ (كتاب الصوم، باب متى يمسك المتسحر من الطعام والشراب).

لما أجنبا، ولم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم أحداً منهم بالقضاء[1].

ولا شك أن خلقاً من المسلمين بمكة والبوادى صاروا يصلون إلى بيت المقدس حتى بلغهم النسخ، ولم يؤمروا بالإعادة. ومثل هذا كثير.

وهذا يطابق الأصل الذى عليه السلف والجمهور: أن الله تعالى لا يكلّف نفسا إلا وسعها. فالوجوب مشروط بالقدرة، والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمورٍ أو فعل محظور بعد قيام الحجة.

---

(1) ذكر ابن الأثير فى «جامع الأصول» ١٥٣/٥ ـ ١٥٥ حديثا رواه أبو داود والترمذى والنسائى عن أبى ذر رضى الله عنه قال فيه: «فكانت تصيبنى الجنابة، فأمكث الخمس والست، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أبو ذر؟ فسكت. فقال... الحديث وفيه: «الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمِسَّه جلدك، فإن ذلك خير». كما ذكر حديثا آخر رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن عبدالرحمن بن أبزى عن أبيه أن رجلا أتى عمر فقال إنى أجنبت ولم أجد ماءً، فقال: لا تصل. فقال عمّار: أما تذكر يا أمير المؤمنين، إذ أنا وأنت فى سرية فأصابتنا جنابة، فلم نجد الماء، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت فى التراب وصليت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض وتنفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك».. الحديث وهو فى: البخارى ٧١/١ (كتاب التيمم، باب المتيمم هل ينفخ فيهما ؟).

٣/ ٣١

/ فصـــل

وقـد ذكـرنـا فى غير هذا الموضوع حكم الناس فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب، وأن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب. فإذا كان هذا الحكم فى المجتهدين وهذا الحكم فى المذنبين حكما عاماً فى جميع الأمة، فكيف فى أصحاب[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! وإذا كان المتأخرون من المجتهدين ومن المذنبين[2] يندفع عنهم الذم والعقاب بما ذُكر من الأسباب، فكيف بالسابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار؟!

ونحن نبسط هذا وننبـه بالأدنى على الأعلى، فنقـول: كلام الذَّامّ للخلفاء ولغيرهم من الصحابة - من رافضى وغيره - هو من باب الكلام فى الأعراض، وفيه حق لله تعالى، لما يتعلق به من الولاية والعداوة، والحب والبغض، وفيه حق للآدميين [أيضا][3].

ومعلوم أنَّا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة، مثل الملوك المختلفين على الملك، والعلماء والمشايخ المختلفين فى[4] العلم والدين، وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل لا بجهل وظلم؛ فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد فى كل حال. والظلم محرَّم مطلقا، لا يباح قط بحال. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ

---

(١) ن، م: بأصحاب.
(٢) ن، ب: والمذنبين.
(٣) أيضا: ساقطة من (ن)، (م)، (و).
(٤) ن، م: على.

لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: ٨] وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به. فإذا كان البغض الذى أمر الله به قد نُهِىَ صاحبه أن يظلم من أبغضه[١]، / فكيف فى بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس ؟! فهو أحق أن لا يظلم، بل يعدل عليه[٢]. ظ ١٨٩

وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق من عدل عليهم فى القول والعمل. والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته، والثناء على أهله ومحبتهم. والظلم مما اتفقوا[٣] على بغضه وذمه[٤] وتقبيحه، وذم أهله وبغضهم، وليس المقصود الكلام فى التحسين والتقبيح العقلى، فقد تكلمنا عليه فى غير هذا الموضوع فى مصنَّف مفرد[٥]، ولكن المقصود أن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض، وهو محبوب فى النفوس، مركوز حبه فى القلوب، تحبه القلوب وتحمده، وهو من المعروف الذى تعرفه القلوب، والظلم من المنكر الذى تنكره القلوب فتبغضه وتذمه.

والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥][٦]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِى أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

(١) ح، ب: من يبغضه.
(٢) ن، م: يعذب عليه، وهو تحريف.
(٣) ح، ب: مما اتفق.
(٤) على بغضه وذمه. . : كذا فى (ن)، (م). . وفى سائر النسخ: على ذمه. . .
(٥) لابن تيمية رسالة فى «مسألة تحسين العقل وتقبيحه» نشرت فى مجموع فتاوى الرياض ٨/٤٢٨ - ٤٣٦.
(٦) آيةسورة الحديد ليست فى (ن)، (م).

والْمِيزَانَ﴾ [سورة الشورى: ١٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء: ٥٨].

وقال: ﴿فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة المائدة: ٤٢].

وقال: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [سورة المائدة ٤٨] فأمره أن يحكم بالقسط، وأن يحكم بما أنزل الله، فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله، فما أنزل الله هو القسط، والقسط هو ما أنزل الله.

ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء: ٥٨] فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبدا، والشرع الذى يجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله، ليس فى الشرع ظلم أصلا، بل حكم الله أحسن الأحكام[1].

والشرع هو ما أنزل الله؛ فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل، لكن العدل قد يتنوع بتنوع الشرائع والمناهج، فيكون العدل فى كل شرعة بحسبها.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) ن، م، و، ر: الحكم.

الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهم التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٢ - ٤٤].

إلى قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٧ - ٥٠]. ٣٢/٣

ذكر سبحانه حكم التوراة والإنجيل، ثم ذكر أنه أنزل القرآن، وأمر نبيّه أن يحكم بينهم بالقرآن ولا يتّبع أهواءهم عمَّا جاءه من الكتاب، وأخبر أنه جعل لكل واحد من الأنبياء شرعة ومنهاجا، فجعل لموسى وعيسى ما في التوراة والإنجيل من الشرعة والمنهاج[1]، وجعل للنبي صلى الله عليه

(١) ح، ر: والمناهج.

وسلم ما فى القرآن من الشرعة والمنهاج[1]، وأمره أن يحكم بما أنزل الله، وحذَّره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله، وأخبره أن ذلك هو حكم الله، ومن ابتغى غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله[2] فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل[3] الله فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا وهى تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل فى دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التى لم ينزلها الله سبحانه وتعالى، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين [فيهم][4]، ويرون أن هذا هو الذى ينبغى الحكم به دون الكتاب والسنة.

وهذا هو الكفر، فإن كثيرا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التى يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلُّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفَّار، وإلا كانوا جهَّالا، كمن تقدَّم أمرهم[5].

وقد أمر الله المسلمين كلهم إذا تنازعوا فى شىء أن يردوه إلى الله

(١) ح، ر: والمناهج.

(٢) ر: على رسله.

(٣) و: لما أنزله.

(٤) فيهم: زيادة فى (أ)، (ب).

(٥) أمرهم: كذا فى (ن)، (م). وفى سائر النسخ: أمره.

والرسول، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [سورة النساء: ٥٩].

ص ١٩٠ وقال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [سورة النساء: ٦٥] فمن لم يلتزم تحكيم[1] الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا، لكن عصى واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة.

وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاة الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله. وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هنا، وما ذكرته يدل عليه سياق الآية.

والمقصود أن الحكم بالعدل واجب مطلقا، فى كل زمان ومكان على كل أحد ولكل أحد، والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو عدل خاص، وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به واجب على النبى صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر.

وهذا واجب على الأمة فى كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية. قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا

(١) و: بحكم.

اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى: ١٠]. وقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [سورة النساء: ٥٩] فالأمور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة، ليس لأحد أن يلزم الناس[1] بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك.

ومن اعتقد أنه يحكم بين الناس بشيء من ذلك، ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر، وحكّام المسلمين يحكمون فى الأمور المعيّنة، لا يحكمون فى الأمور الكليّة، وإذا حكموا فى المعيّنات فعليهم أن يحكموا بما فى / كتاب الله، فإن لم يكن فبما فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجدوا اجتهد الحاكم برأيه.

٣٣/٣

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: «القضاة ثلاثة: قاضيان فى النار، وقاض فى الجنة؛ فمن علم الحق وقضى به فهو فى الجنة، ومن علم الحق وقضى بخلافه فهو فى النار، ومن قضى للناس على جهل فهو فى النار»[2].

وإذا حكم بعلم وعدل؛ فإذا اجتهد فأصاب[3] فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» كما ثبت ذلك فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجهين[4].

---

(١) ن، م، و: الإنسان.

(٢) سبق الحديث فيما مضى ٣١٢/٤.

(٣) ح، ر، ى: فإن أصاب.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٤٢٢/٤.

والمقصود هنا أنه إذا وجب فيما شجر بين عموم[1] المؤمنين أن لا يتكلم إلا بعلم وعدل، ويردّ ذلك إلى الله والرسول، فذاك فى أمر الصحابة أظهر. فلو طعن طاعن فى بعض ولاة الأمور، من ملك وحاكم وأمير وشيخ ونحو ذلك، وجعله كافرا معتدياً على غيره فى ولاية أو غيرها، وجعل غيره هو العالم العادل المبرأ من كل خطأ وذنب، وجعل كل من أحب الأول وتولاّه كافرا أو ظالما مستحقا للسبِّ وأخذ يسبه، فإنه يجب الكلام فى ذلك بعلم وعدل.

والرافضة سلكوا فى الصحابة مسلك التفرّق، فوالوا بعضهم وغلوا فيه، وعادوا بعضهم وغلوا فى معاداته. وقد يسلك كثير من الناس ما يشبه هذا فى أمرائهم وملوكهم وعلمائهم وشيوخهم، فيحصل بينهم رفض فى غير الصحابة: تجد أحد الحزبين يتولى فلانا ومحبيه، ويبغض فلانا ومحبيه، وقد يسب ذلك بغير حق.

وهذا كله من التفرّق والتشيّع الذى نهى الله عنه ورسوله. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوْا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢ : ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا

(١) ح، ر: والمقصود هنا إذا وجب فيما بين عموم...

الَّـذِينَ اسْـوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥ ـ ١٠٧]. قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة وتسودّ وجوه أهل البدعة[1]. ولهذا كان أبو أمامة الباهلى وغيره يتأولها فى الخوارج.

فالله تعـالى قد أمـر المؤمنين كلهم أن يعتصمـوا بحبله جميعا ولا يتفـرقـوا، وقـد فُسِّر حبله بكتابه، وبدينه، وبالإسلام، وبالإخلاص، وبأمره، وبعهده، وبطاعته، وبالجماعة. وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وكلها صحيحة[2]؛ فإن القرآن يأمر بدين الإسلام، وذلك هو عهده وأمره وطاعته، والاعتصام به جميعا إنما يكون فى الجماعة، ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثـا: أن تعبـدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم[3]».

---

(١) فى «الـدر المنثـور» للسيوطى ٢/٦٣: «وأخـرج ابن أبى حاتم وأبـو نصـر فى «الإبانة» والخطيب فى «تاريخه» واللالكائى فى «السنة» عن ابن عباس فى هذه الآية قال: «تبيض وجـوه وتسـود وجـوه: قال: تبيض وجـوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدع والضلالة». وأورد اللالكائى هذا الأثر فى كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ١/٧١ ـ ٧٢، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر، الرياض، ١٤٠٢.

(٢) انظر وجوه تفسير «حبل الله» فى قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣] فى تفسير الطبرى (ط. المعارف) ٧/٧٠ ـ ٧٦؛ زاد المسير لابن الجوزى ١/٤٣٢ ـ ٤٣٣. (٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٣/١٦١ ـ ١٦٢

والله تعالى قد حرّم ظلم المسلمين: أحيائهم وأمواتهم، وحرّم دماءهم وأموالهم وأعراضهم. وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا. ألا هل بلّغت، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلَّغ أوعى من سامع»[1].

وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [سورة الأحزاب: ٥٨]، فمن آذى مؤمنا: حيًّا أو ميتا بغير ذنب يوجب ذلك، فقد دخل فى هذه الآية، ومن كان مجتهداً لا إثم عليه، فإذا آذاه مؤذ[2] فقد آذاه بغير ما اكتسب، ومن كان مذنبا ـ وقد تاب من ذنبه، أو غُفر له بسبب آخر بحيث لم يبق عليه عقوبة ـ فآذاه مؤذ، فقد آذاه بغير ما اكتسب، وإن حصل له بفعله مصيبة.

ولما حاج موسى آدم[3]، وقال: «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال آدم: بِكَمْ وجدتَ مكتوبا علىَّ قبل أن أخلق: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [سورة طه: ١٢١]؟ قال: بأربعين سنة. قال: فحج آدم موسى» وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين[4]، لكن غلط كثير من الناس فى معناه، فظنوا أن آدم احتج بالقدر / على أن الذنب[5] لا يُلام عليه، ثم تفرّقوا بعد هذا: بين مكذب بلفظه ومتأول لمعناه تأويلات فاسدة. وهذا فهم

٣/ ٣٤

(١) سبق الحديث فيما مضى ٤/ ٣١٩.

(٢) و، ر، ى: فآذاه مؤذ. .

(٣) آدم: كذا فى (م)، (ب). وفى سائر النسخ: لآدم.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٣/ ٧٨ ـ ٧٩. .

(٥) الذنب: كذا فى (ن)، (ى)، (ب): وفى سائر النسخ: المذنب.

فاسد وخطأ عظيم، لا يجوز أن يُظن بأقل الناس علماً وإيمانا؛ أن يظن أن كل من أذنب فلا ملام عليه، لكون الذنب مقدَّراً عليه، وهو يسمع ما أخبر الله به فى القرآن من تعذيبه لقوم نوح وعاد وثمود، وقوم فرعون ومدين، و[قوم] لوط[1] وغيرهم.

والقدر شامل لجميع الخلق، فلو كان المذنب معذورا لم يعذِّب هؤلاء على ذنوبهم، وهو يعلم ما أرسل الله به رسله ـ محمداً وغيره ـ من عقوبات المعتدين / ، كما فى التوراة والقرآن[2]، وما أمر الله به من إقامة الحدود على المفسدين، ومن قتال الكافرين، وما شرعه الله من إنصاف المظلومين من الظالمين، وما يقضى به يوم القيامة بين عباده من عقوبة الكفّار[3]، والاقتصاص للمظلوم من الظالم. وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا الموضع.

ظ ١٩٠

لكن مقصود الحديث أن ما يصيب العبد من المصائب فهى مقدَّرة عليه، ينبغى أن يسلم لقدر الله. كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [سورة التغابن: ١١]. قال علقمة: هو الرجل[4] تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم. وروى الوالبى عن ابن عباس: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وقال ابن السائب وابن قتيبة: إنه إذا ابتُلى صبر، وإذا أُنعم عليه شكر، وإذا ظُلم غفر.

---

(١) ن، م، و، ى، أ: ومدين ولوط..

(٢) ن (فقط): المعتدين والإنجيل والقرآن..

(٣) ح، ب: الكافرين.

(٤) ح، ر، ب، ى: هو العبد.

وإن كانت المصيبة بسبب فعل الأب أو الجد، فإن آدم قد تاب من الأكل، فما بقى عليه ملام للتوبة، والمصيبة كانت مقدَّرة، فلا معنى للوم آدم عليهـا، فليس للإنسان أن يؤذى مؤمنا جرى له على يديه[1] ما هو مصيبة فى حقه.

والمؤمن إما معذور وإما مغفور له. ولا ريب أن كثيرا ممن حصل له مصيبة[2] أو فوات غرض ببعض الماضين يُسرع بذمه، كما يظن[3] بعض الرافضة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم كانوا هم السبب فى منع حقهم ظلمـا، وهذا كذب عليهم. أو يقولون: بسببهم ظَلَمَنا غيرُهم، وهذا عدوان عليهم؛ فإن القوم كانوا عادلين متّبعين لأمر الله ورسوله.

ومن أصابته مصيبة بسبب ما جاء به الرسول فبذنوبه أصيب، فليس لأحد أن يعيب الرسول وما جاء به، لكونه فيه[4] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـر وجهـاد المنـافقين، أو لكـونه بسبب تقديمه أبا بكر وعمر قدمهمـا المسلمـون بعـده، كما يُذكر عن بعض الرافضة أنه آذى الله ورسوله بسبب تقديم الله ورسوله[5] لأبى بكر (*وعمر.

وعن بعضهم أنهم كانوا يقرؤون شيئا من الحديث فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم، فأتـوا على فضـائل أبى بكر، فلما سمعها قال

---

(١) ن، أ: على يده.

(٢) ن، ر، م: معصية.

(٣) ح، و، ر: يطعن.

(٤) ن، م، ر، ح: لكون فيه.

(٥) ح، ب: والرسول.

(*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (و).

لأصحابه: تعلمون والله بلاءكم من صاحب هذا القبر، يقول: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس، لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر.

وهذا كما أنه ليس لأحد* أن يقول بسبب نزول القرآن بلسان العرب[1] اختلفت الأمة فى التأويل واقتتلوا، إلى أمثال هذه الأمور التى يُجعل الشر الواقع فيها بسبب ما جاء به الرسول؛ فإن هذا كله باطل، وهو من كلام الكفّار.

قال تعالى عن الكفّار الذين قالوا[2] لرسلهم: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [سورة يس: ١٨ - ١٩].

وقال عن قوم فرعون: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾ [سورة الأعراف: ١٣١].

وقال لما ذكر الأمر بالجهاد وأن من الناس من يبطىء عنه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَ * قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَا لِهَـٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً * مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [سورة النساء: ٧٨ - ٧٩].

---

(١) ن، م، ر، ى: بسبب نزول القرآن ونزوله بلسان العرب؛ ح: بسبب نزول القرآن ونزوله بلسان الأعراب.

(٢) و: أنهم قالوا.

والمراد بالحسنات والسيئات هنا النعم والمصائب، كما قد سمّى الله ذلك حسنات وسيئات فى غير هذا االموضع من القرآن كقوله: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٨]. وقوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٠].

٣٥/٣ / ولهذا قال: ﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ ولم يقل: ما أُصبت. وهكذا قال [السلف]. ففى رواية أبى صالح[١] عن ابن عباس: أن الحسنة: الخصب[٢] والمطر، والسيئة: الجدب والغلاء. وفى رواية الوالبى عنه: أن الحسنة: الفتح والغنيمة، والسيئة والهزيمة والجراح ونحو ذلك[٣]. وقال فى هذه الرواية: ما أصابك من حسنة: ما فتح الله عليه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أحد. وكذلك قال ابن قتيبة: الحسنة: [الغنيمة و] النعمة[٤]، والسيئة البليّة. ورُوى ذلك عن أبى العالية، ورُوى عنه أن الحسنة: الطاعة، والسيئة: المعصية.

وهذا يظنه طائفة من المتأخرين، ثم اختلف هؤلاء، فقال مثبتة القدر: هذا حجة لنا، لقوله سبحانه: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: ٧٨]. وقال نفاته: بل هو حجة لنا لقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [سورة النساء: ٧٩]. وحجة كل فريق تدل على فساد قول الآخر. والقولان

---

(١) وهكذا... أبى صالح: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: وهكذا قال فى معنى رواية أبى صالح...

(٢) ر، ح، ى، ب: الحسنة هى الخصب..

(٣) ح، ب: والجراح والهزيمة. وسقطت «نحو ذلك» من (ب) فقط.

(٤) ن، م، و، أ: الحسنة النعمة.

باطلان فى هذه الآية ؛ فإن المراد : النعم والمصائب ، ولهذا قال : ﴿وإن تصبهم﴾ والضمير قد قيل : إنه يعود على المنافقين ، وقيل : على اليهود ، وقيل : على الطائفتين .

والتحقيق أنه يعود على من قال هذا من أىّ صنف كان . ولهذا قيل : هذا لا يُعيّن قائله ؛ لأنه دائما يقوله بعض الناس ، فكل من قاله تناولته الآية ؛ فإن الطاعنين فيما جاء به الرسول[1] من كافر ومنافق ، بل ومَنْ فى قلبه مرض أو عنده جهل يقول مثل ذلك ، وكثير من الناس يقول ذلك فى بعض ما جاء به الرسول ، ولا يعلم أنه جاء به ، لظنه خطأ صاحبه ، ويكون هو المخطىء ، فإذا أصابهم نصر ورزق ، قالوا : هذا من عند الله ، لا يضيفه إلى ما جاء به الرسول ، وإن كان سبباً له . وان أصابهم نقص رزقٍ وخوف من العدو وظهوره ، قالوا : هذا من عندك ، لأنه أمر بالجهاد فجرى ما جرى ، وأنهم تطيّروا بما جاء به ، كما تطيّر قوم فرعون بما جاء به موسى .

والسلف ذكروا المعنيين ، فعن ابن عباس ، قال : بشؤمك . وعن ابن زيد قال : بسوء تدبيرك . قال تعالى : ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء : ٧٨] . وعن ابن عباس : الحسنة والسيئة ، أما الحسنة فأنعم بها عليك ، وأما السيئة فابتلاك بها . فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا !؟ وقد قيل فى مثل هذا : لم يفقهوه[2] ولم يكادوا ، وأن النفى مقابل الإثبات . وقيل : بل معناه فقهوه[3] بعد أن كادوا لا يفقهونه[4] . كقوله : ﴿فَذَبَحُوهَا

---

(١) ح ، ب : الرسل. (٢) ح ، ب : لم يفقهوا.

(٣) ح ، ب : فقهوا. (٤) ن ، م : لا يفقهوه ؛ ح : لا يفقهوا ؛ ب : لا يفقهون.

﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧١]، فالمنفى بها مثبت، والمثبت بها منفى[1]، وهذا هو المشهور، وعليه عامة الاستعمال. وقد يُقال[2]: يُراد بها هذا تارة وهذا تارة؛ فإذا صرّحت بإثبات الفعل فقد وجد، فإذا لم يؤت إلا بالنفى المحض كقوله ﴿لم يكد يراها﴾ و﴿ لا يكادون يفقهون حديثا ﴾ فهذا نفى مطلق، ولا قرينة معه تدل على الإثبات، فيفرق بين مطلقها ومقيدها. ص ١٩١

وهذه الأقوال الثلاثة للنحاة، وقال بكل قول طائفة. وقد وصف الله تعالى المنافقين بعدم الفقه فى مثل قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٧].

وفى مثل قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٦]. فدل على أنهم لم يكونوا يفقهون القرآن.

لكن قوله (حديثا) نكرة فى سياق النفى فتعم، كما قال فى الكهف: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ [سورة الكهف: ٩٣]. ومعلوم أنهم[3] لابد أن يفقهوا بعض الأقوال، وإلا فلا يعيش الإنسان بدون ذلك، فعُلم أن المراد أنهم يفقهون بعد أن كادوا لم يفقهوه[4].

(١) ن، م، و، ر، ى: منتف.

(٢) ن، م: وقد قيل.

(٣) ن، م، أ: أنه.

(٤) م، أ: كادوا لا يفقهون؛ ح: كادوا لم يفقهوا.

وكذلك فى الرواية[1]، وهذا أظهر أقوال النحاة[2] وأشهرها.

والمقصود أن هؤلاء لو فقهوا القرآن لعلموا أنك ما أمرتهم إلا بخير، وما نهيتهم إلا عن شر، وأنه لم تكن المصيبة الحاصلة لهم بسببك، بل بسبب ذنوبهم. ثم قال الله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [سورة النساء: ٧٩]. قال ابن عباس: وأنا[3] كتبتها عليك. وقيل: إنها فى حرف عند الله[4] وأنا قدَّرتها عليك.

وهذا كقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فِبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى: ٣٠]، وقوله: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥]، وقوله: ﴿ وإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ [سورة الشورى: ٤٨].

٣/٣٦ وأما رواية كردم عن يعقوب (فمن / نفسك) فمعناها يناقض القراءة المتواترة فلا يعتمد عليها.

ومعنى هذه الآية كما فى الحديث الصحيح الإلـهى: «يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفِّيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»[5].

ومعنى هذه الآية متناول لكل من نسب ما أصابه من المصيبة إلى ما

---

(١) م، و، أ، ر: الرواية؛ ى: الرؤية.

(٢) ح، ر، ب: الأقوال للنحاة.

(٣) ن: فأنا.

(٤) عند الله: كذا فى (ن). والكلمة غير منقوطة فى (م)، (ى). وفى سائر النسخ: عبدالله.

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ١/١٣٩.

أمر الله به ورسوله كائنا من كان[1]. فمن قال: إنه بسبب تقديمه لأبى بكر وعمر، واستخلافه فى الصلاة، أو بسبب ولايتهما، حصل لهم[2] مصيبة. قيل: مصيبتكم بسبب ذنوبكم: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢، ٣]، بل هذا كله من أذى المؤمنين بغير ما اكتسبوا. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

و[ثبت] فى الصحيح[3] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الغِيبَة ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه[4]». فمن رمى أحداً بما ليس فيه فقد بهته، فكيف إذا كان ذلك فى الصحابة؟!

ومن قال عن مجتهد: إنه تعمّد الظلم وتعمّد[5] معصية الله ورسوله ومخالفة الكتاب والسنة، ولم يكن كذلك فقد بهته، وإذا كان فيه ذلك فقد اغتابه، لكن يباح من ذلك ما أباحه[6] الله ورسوله، وهو ما يكون[7]

---

(١) ن: ما كان. (٢) ن، م: له.

(٣) ن، م: وفى الصحيح.

(٤) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: مسلم ٢٠٠١/٤ (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة) وأوله: «أتدرون ما الغيبة. الحديث وهو مع اختلاف فى اللفظ فى: سنن أبى داود ٣٧٠/٤ - ٣٧١ (كتاب الأدب، باب فى الغيبة)؛ سنن الترمذى ٢٢٠/٣ - ٢٢١ (كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى الغيبة)؛ سنن الدارمى ٢٩٩/٢ (كتاب الرقاق، باب ما جاء فى الغيبة)؛ المسند (ط. المعارف) ١٣٢/١٢ - ١٣٣. ٩٥/١٧، ١٠٥، ٧٠/١٩.

(٥) ح، ب: أو تعمد.

(٦) ن: ما أباح. (٧) ن: ما كان يكون.

على وجـه القصاص والعدل، وما يُحتاج إليه لمصلحة الدين ونصيحة المسلمين. فالأول كقول المشتكى المظلوم: فلان ضربنى وأخذ مالى ومنعنى حقّى ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [سـورة النسـاء: ١٤٨]، وقـد نزلت فيمن ضاف قوماً فلم يقروه، لأن قِرى الضيف واجب، كمـا دلت [عليه][1] الأحاديث الصحيحة، فلما منعوه حقـه كان له ذكـر ذلـك، وقـد أذن له النبى صلى الله عليه وسلم أن يعاقبهم[2] بمثل قِراه فى زرعهم ومالهم، وقال: «نصره واجب على كل مسلم»[3] لأنه قد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال: «انصر أخاك ظالما أو مظلومـا». قلت: يارسـول أنصره مظلوما، فكيف أنصره ظالما؟ قال: «تمنعه[4] من الظلم فذلك نصرك إياه»[5].

وأما الحاجة فمثل استفتاء هند بنت عتبة، كما ثبت فى الصحيح أنها

---

(١) عليه: زيادة فى (ح)، (ب).

(٢) يعاقبهم: كذا فى (ح)، (ر)، (ب). وفى سائر النسخ: يعقبهم.

(٣) أورد ابن كثير فى تفسيره ٢/٣٩٤ـ ٣٩٦ الأحاديث الواردة فى تفسير آية ١٤٨ من سورة النساء، ومنها حديث تفرد أحمد به فى مسنده (ط. الحلبى) ٤/١٣٣ عن المقدام بن أبى كريمـة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيما مسلم أضاف قوما فأصبح الضيف محروما، فإن حقًّا على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقرى الليلة ـ ليلته ـ من زرعه وماله». والحديث بمعناه عن أبى هريرة فى المسند وصحح الألبانى حديث أبى هريرة فى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٢/١٩٤.

(٤) ن، م: بمنعه.

(٥) الحديث ـ مع اختلاف يسير فى الألفاظ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى: البخارى ٣/١٢٨ ـ ١٢٩ (كتـاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوما)، ٩/٢٢ (كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه. .)؛ سنن الترمذى ٣/٣٥٦ـ ٣٥٧

قالت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى وبنىَّ ما يكفينى بالمعروف. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف» أخرجاه فى الصحيحين من حديث عائشة[1]، فلم ينكر عليها قولها، وهو من جنس قول المظلوم.

وأما النصيحة فمثل قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس لما استشارته فيمن خطبها فقالت: خطبنى أبو جهم ومعاوية. فقال: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» وفى لفظ: «يضرب النساء»، «انْكحى أسامة»[2] فلما استشارته حتى تتزوج[3] ذكر ما تحتاج إليه.

وكذلك من استشار رجلا فيمن[4] يعامله. والنصيحة مأمور بها ولو لم

(كتاب الفتن، باب ٥٩ حدثنا محمد بن حاتم المؤدب...)؛ المسند (ط. الحلبى) ٩٩/٣، ٢٠١.

(١) الحديث عن عائشة رضى الله عنها فى: البخارى ٧٩/٣ (كتاب البيوع، باب من أجرى الأمصار على ما يتعارفون بينهم...). وجاء الحديث بمعناه فى مواضع أخرى كثيرة فى البخارى (فى ط. الدكتور مصطفى البغا: الأرقام: ٢٣٢٨، ٣٦١٣، ٥٠٤٤، ٥٠٤٩، ٥٠٥٥، ٦٢٦٥، ٦٧٤٢، ٦٧٥٨). وأورد مسلم الحديث فى صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة ١٣٣٨/٣ ـ ١٣٣٩ (كتاب الأقضية، باب قضية هند). والحديث فى سنن النسائى وابن ماجة والدارمى.

(٢) الحديث عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها فى: مسلم ١١١٤/٢ (كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها)؛ سنن أبى داود ٣٨٣/٢ (كتاب الطلاق، باب فى نفقة المبتوتة)؛ سنن الترمذى ٣٠١/٢ ـ ٣٠٢ (كتاب النكاح، باب ما جاء أن لا يخطب الرجل على خطبة أخيه)؛ المسند (ط. الحلبى) ٤١١/٦، ٤١٢. والحديث فى سنن النسائى والموطأ.

(٣) ح، ر، ب: فيمن تتزوج.

(٤) ن، م، و، ى: ممن.

يشـاوره، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : «الدين النصيحة، الدين النصيحة» ثلاثا. قالوا: لمن يارسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

وكذلك بيان أهل العلم لمن غلط فى رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم، أو تعمّد الكذب عليه، أو على من ينقل عنه العلم. وكذلك بيان من غلط فى رأى رآه فى أمر الدين من المسائل العلمية والعملية؛ فهذا إذا تكلم فيه الإنسان بعلم وعدل، وقصد النصيحة، فالله تعالى يثيبه على ذلك، لا سيما إذا كان المتكلم فيه داعياً إلى بدعة، فهذا يجب بيان أمره للناس، فإن دفع شره عنهم أعظم من دفع شر قاطع الطريق.

وحـكم المتكلم باجتهـاده فى العلم والـدين حكم أمثـالـه من المجتهدين. ثم قد يكون مجتهداً مخطئا أو مصيبا، وقد يكون كل من الرجلين المختلفين باللسان أو اليد مجتهدا يعتقد / الصواب معه، وقد يكونان جميعاً مخطئين مغفورا لهما، كما ذكرنا نظير ذلك مما كان يجرى بين الصحابة.

ظ ١٩١

ولهـذا ينهى عمّـا شجر بين هؤلاء سواء كانوا من الصحابة أو ممن بعدهم[2]، فإذا تشاجر مسلمان فى قضية، ومضت ولا تعلق للناس بها، ولا يعرفون حقيقتها، كان كلامهم فيها كلاما[3] بلا علم ولا عدل يتضمن أذاهما[4] بغير حق، ولو عرفوا أنهما مذنبان أو مخطئان، لكان ذكر ذلك

(١) سبق الحديث فيما مضى ٥٢٨/٤.

(٢) أو ممن بعدهم: كذا فى (ن)، (م)، (ر). وفى سائر النسخ: أو من بعدهم

(٣) ن (فقط): ذكر.

(٤) ح، ب: أذاهم.

من غير مصلحة راجحة من باب الغيبة المذمومة.

لكن الصحابة رضوان الله / عليهم [أجمعين][1] أعظم حرمة، وأجل قدرا، وأنزه أعراضا. وقد ثبت من فضائلهم خصوصا وعموما ما لم يثبت لغيرهم، فلهذا كان الكلام الذى فيه ذمّهم على ما شجر بينهم أعظم إثما من الكلام فى غيرهم. ٣/٣٧

فإن قيل: فأنتم فى هذا المقام[2] تسبّون الرافضة وتذمونهم وتذكرون عيوبهم.

قيل: ذكر الأنواع المذمومة غير ذكر الأشخاص المعيّنة؛ فإنه قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم لعن أنواع كثيرة، كقوله: «لعن الله الخمر وشاربها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها وآكل ثمنها[3]» و«لعن الله آكل الربا وموكله، وكاتبه وشاهديه»[4]، و«لعن الله من غيرّ منار الأرض»[5] وقال: «المدينة

(١) ن، م، أ: رضى الله عنهم؛ ى، ر: رضوان الله عليهم.

(٢) ن: فأنتم فيه فى هذا المقام؛ و: فأنتم فى هذا المكان.

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٤/٥٦٨ - ٥٦٩.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٤/٥٦٨.

(٥) الحديث عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بروايات مختلفة فى: مسلم ٣/١٥٦٧ (كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله) ونص الرواية الأولى... حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة، قال: كنت عند علىّ بن أبى طالب فأتاه رجل فقال: ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يُسِرُّ إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يُسِرُّ إلىّ شيئا يكتمه الناس، غير أنه حدّثنى بكلمات أربع. قال: فقال: ما هن يأمير المؤمنين؟ قال: قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدِثاً، ولعن الله من غيرَّ منار الأرض». قال النووى فى شرحه على مسلم ١٣/١٤١: «المراد بمنار الأرض بفتح الميم علامات حدودها». والحديث فى سنن =

حرم[1] ما بين عِير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حَدَثا ، أو آوى محدِثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا »[2].

وقال : «لعن الله من عَمِل عَمَلَ قوم لوط»[3] وقال : «لعن الله المخنّثين من الرجال والمترجّلات من النساء»[4] وقال : «من ادّعى إلى غير[5] أبيه ،

النسائي ٧/٢٠٤ ـ ٢٠٥ (كتاب الضحايا ، باب من ذبح لغير الله عز وجلّ) ؛ المسند (ط. المعارف) ٢/١٥٦ ، والحديث بمعناه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى : المسند (ط. المعارف) ٣/٢٦٦ ، ٤/٢٩٢ ـ ٢٩٣ ، ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

(١) ح ، م ، ب : حرام.

(٢) الحديث ـ مع اختلاف فى اللفظ ـ عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى:البخارى ٣/٢٠ (كتاب فضائل المدينة ، باب حرم المدينة) وهو فى مواضع أخرى من البخارى (انظر ط. د. البغا: الأرقام ٣٠٠١ ، ٣٠٠٨ ، ٦٣٧٤ ، ٦٨٧٠). والحديث فى : مسلم ٢/٩٩٤ ـ ٩٩٩ (كتاب الحج ، باب فضل المدينة . . .) ؛ وهو فى مواضع أخرى فى مسلم وفى سنن أبو داود والترمذى والنسائى ومسند أحمد.

(٣) جاء ذلك فى حديث ابن عباس الذى أشرت إليه قبل قليل ، ونصه فى : المسند (ط. المعارف) ٣/٢٦٦ : «ملعون من سبّ أباه ، ملعون من سبّ أمّه ، ملعون من ذبح لغير الله ، ملعون من غيرَّ تخوم الأرض ، ملعون من كَمَه أعمى عن طريق ، ملعون من وقع على بهيمة ، ملعون من عَمِل بعمل قوم لوط». وصحح أحمد شاكر رحمه الله الحديث ، وكذلك الأحاديث الأخرى رقم ٢٨١٧ ، ٢٩١٥ ، ٢٩١٦ ، ٢٩١٧ . وأورد الترمذى فى سننه ٣/٩ (كتاب الحدود ، باب ما جاء فى حد اللوطى) حديثا عن عمرو بن أبى عمرو ونصه: «ملعون من عَمِل عَمَل قوم لوط».

(٤) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى : البخارى ٧/١٥٩ (كتاب اللباس ، باب إخراج المتشبهين من الرجال بالنساء . . .) ولفظه : «لعن النبى صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال : «أخرجوهم من بيوتكم». قال: فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلانا وأخرج عمر فلانا. وجاء الحديث مختصرا فى : سنن الترمذى ٤/١٩٤(كتاب الاستئذان ، باب ما جاء فى المتشبهات بالرجال من النساء). وهو فى : سنن الدارمى ٢/٢٨٠ ـ ٢٨١ (كتاب الاستئذان ، باب لعن المخنثين والمترجلات) ؛ المسند (ط. المعارف) ٣/٣٠٥ ـ ٣١٤ وفى مواضع أخرى.

(٥) م ، و: لغير؛ ن: من غير.

أو تولّى[1] غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا»[2].

وقال الله تعالى فى القرآن: ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ [سورة الأعراف: ٤٤، ٤٥].

فالقرآن والسنة مملوءان من ذم الأنواع المذمومة وذم أهلها ولعنهم، تحذيرا من ذلك الفعل، وإخبارا بما يلحق أهله من الوعيد.

ثم المعاصى التى يَعْرِف صاحبها أنه عاصٍ [يتوب منها، والمبتدع الذى يظن أنه على حق ـ كالخوارج والنواصب الذى نصبوا العداوة والحرب][3] لجماعة المسلمين ـ فابتدعوا بدعة، وكفّروا من لم يوافقهم عليها، فصار بذلك ضررهم على المسلمين أعظم من ضرر الظلمة، الذين يعلمون أن الظلم محرَّم، وإن كانت عقوبة أحدهم فى الآخرة ـ لأجل التأويل ـ قد تكون أخف، لكن أَمَرَ النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) ن: وتولى؛ و: ومن تولى.

(٢) ذكر أبو داود فى سننه ٤/٤٤٩ ـ ٤٥٠ (كتاب الأدب، باب فى الرجل ينتمى إلى غير مواليه) ثلاثة أحاديث: الأول عن سعد بن أبى وقاص (سعد بن مالك) رضى الله عنه ونصه: «من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» والثانى عن أبى هريرة: «من تولّى قَوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف» والثالث عن أنس بن مالك: «من ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة». والظاهر أن ابن تيمية أدمج هذه الأحاديث الثلاثة. وانظر حديث سعد بن أبى وقاص فى المسند (ط. المعارف) جـ٣ الأرقام ١٤٥٤، ١٤٩٧، ١٤٩٩، ١٥٠٤، ١٥٥٣. وانظر المسند (ط. الحلبى) ٥/٢٦٧. وقد صحح الألبانى حديث أنس وسعد بن أبى وقاص فى «صحيح الجامع الصغير» ٥/٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

بقتالهم، ونهى عن قتال الأمراء الظلمة، وتواترت عنه بذلك الأحاديث الصحيحة.

فقال فى الخوارج: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وقراءته مع قراءتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمِيَّة، أينما لقيتموهم فاقتلوهم»[1].

وقال فى بعضهم: «يقتلون أهل الإيمان، ويدعون أهل الأوثان»[2].

وقال للأنصار: «إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض»[3] أى تلقون من يستأثر عليكم بالمال ولا ينصفكم، فأمرهم بالصبر، ولم يأذن لهم فى قتالهم.

وقال أيضا: «سيكون عليكم بعدى أمراء يطلبون منكم حقهم ويمنعونكم حقكم». قالوا: فما تأمرنا يارسول الله؟ قال: «أدّوا إليهم

---

(١) انظر ما سبق من الكلام عن أحاديث الخوارج فى هذا الكتاب ٦٦/١.

(٢) هذا جزء من حديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أوله (وهذه رواية البخارى): بعث على رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم بذهيبة فقسمها بين الأربعة... الحديث وفيه: إن من ضئضىء هذا - أو فى عقب هذا - قوم يقرأون القرآن.. إلخ والحديث فى: البخارى ١٣٧/٤ (كتاب الأنبياء، باب قول الله عز وجل وأما عاد فأهلكوا.. الآية)، ١٢٧/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: تعرج الملائكة والروح إليه)؛ مسلم ٧٤١/٢ - ٧٤٢ (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم)؛ سنن أبى داود ٣٣٥/٤ (كتاب السنة، باب فى قتال الخوارج)؛ سنن النسائي (بشرح السيوطى) ٦٥/٥ - ٦٦ (كتاب الزكاة، باب المؤلفة قلوبهم)، ١٠٨/٧ - ١٠٩ (كتاب تحريم الدماء، من شهر سيفه ثم وضعه فى الناس)؛ المسند (ط. المعارف) ٣٠٨/٧ (عن عبدالله بن عمر وهو جزء من الحديث مع اختلاف فى اللفظ).

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٢٤٠/٤.

حقهم وسلوا الله حقكم»[1].

وقال: «من رأى من أميره شيئا فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة قَيْد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[2].

وقال: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات مِيتة جاهلية»[3].

وقال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا ما صلّوا»[4].

وهذه الأحاديث كلها فى الصحيح، إلى أحاديث أمثالها.

فهذا أمره بقتال الخوارج، وهذا نهيه عن قتال الولاة الظلمة. وهذا مما يُستدل به على أنه ليس كل ظالم باغ يجوز قتاله.

ومن أسباب ذلك أن الظالم [الذى][5] يستأثر بالمال والولايات لا يُقاتل فى العادة إلا لأجل [الدنيا][6]، يقاتله[7] الناس حتى يعطيهم المال والولايات، وحتى لا يظلمهم، فلم يكن أصل قتالهم ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هى العليا، ولا كان قتالهم من جنس قتال المحاربين قطّاع الطريق، الذين قال فيهم[8]: «من قُتل دون ماله فهو

(١) سبق الحديث فيما مضى ١/١١٨.

(٢) سبق الحديث فيما مضى ١/١١٣.

(٣) سبق الحديث فيما مضى ١/١١٢-١١٣.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ١/١١٦.

(٥) الذى: ساقطة من (ن)، (م)، (ى).

(٦) الدنيا: ساقطة من (ن)، (م)، (ى).

(٧) ن، م: يقاتل، وهو خطأ.

(٨) ن، م: الذين قتل فيهم، وهو تحريف.

شهيد، ومن قتل دون [دينه فهو شهيد، ومن قتل دون][1] حرمته فهو شهيد»[2] لأن أولئك معادون لجميع الناس، وجميع الناس يعينون على قتالهم، ولو قُدِّر أنه ليس كذلك العداوة والحرب، فليسوا ولاة أمر قادرين على الفعل والأخذ، بل هم بالقتال يريدون أن يأخذوا أموال الناس ودماءهم، فهم مبتدؤون الناس بالقتال، بخلاف ولاة الأمور فإنهم لا يبتدؤون بالقتال للرعية.

وفرق [بين][3] من تقاتله دفعا وبين من تقاتله ابتداءً. ولهذا هل يجوز في حال الفتنة قتال الدفع؟ فيه عن أحمد روايتان / لتعارض الآثار والمعاني.

٣/ ٣٨

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (ح)، (ب)، (أ)، وفي (ر): دون دمه.

(٢) لم أجد عبارة «ومن قتل دون حرمته فهو شهيد» ولكن وجدت حديثا في قوله صلى الله عليه وسلم «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد» والحديث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه في: سنن أبي داود ٤/ ٣٣٩ (كتاب السنة، باب في قتال اللصوص)؛ سنن الترمذي ٢/ ٤٣٥، ٤٣٦ (كتاب الديات، باب ما جاء من قتل دون ماله فهو شهيد) (زاد في بعض الأحاديث: ومن قتل دون دمه فهو شهيد ـ وجاء الحديث مختصرا عن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنه)؛ سنن النسائي ٧/ ١٠٥ـ١٠٧ (كتاب تحريم الدم، باب من قتل دون ماله (عن عبدالله بن عمرو وعن سليمان بن بريده)، باب من قاتل دون أهله، باب من قاتل دون دينه، باب من قاتل دون مظلمته (عن سويد بن مقرن)؛ سنن ابن ماجة ٢/ ٨٦١ (كتاب الحدود، باب من قتل دون ماله فهو شهيد). وجاء حديث عبدالله بن عمرو (من قتل دون ماله فهو شهيد) في: البخاري ٣/ ١٣٦ (كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله)؛ مسلم ١/ ١٢٤، ١٢٥ (كتاب الإيمان، باب عن أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق..)؛ المسند (ط. المعارف) ٣/ ١١٩، ١٠/ ٤٣، ١١/ ١٥٣، ١٥٤.

(٣) بين: ساقطة من (ن).

ولهـذا قال أبـو برزة الأسلمى عن فتنـة ابن الزبير، وفتنة القرَّاء مع الحجاج، وفتنة مروان بالشام: هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء إنما يقاتلون على الدنيا، وأما أهل البدع كالخوارج فهم يريدون إفساد دين الناس، فقتالهم قتال [على][1] الدين.

والمقصود بقتالهم أن تكون كلمة الله هى العليا، ويكون الدين كله لله. فلهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم بهذا، ونهى عن ذلك.

ولهـذا كان قتـال علىّ رضى الله عنـه للخـوارج[2] ثابتـاً بالنصـوص الصـريحـة، وبـإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين. وأمـا قتـال الجمـل وصفِّين فكان قتال فتنة، كرهه فضلاء الصحـابـة والتـابعين لهم بإحسـان وسـائـر العلمـاء، كمـا دلت عليه النصوص. حتى الذين / حضروه كانوا كارهين له، فكان كارهه فى الأمة أكثر وأفضل من حامده. ص١٩٢

وقد ثبت فى الصحيحين من غير وجه أنه صلّى الله عليه وسلم كان يقسم مالاً فجـاء ذو الخـويصـرة التميمى، وهـو محلوق الرأس، كث اللحية، ناتىء الجبين، بين عينيه أثـر السجود، فقال: يامحمد اعدل فإنك لم تعدل. فقال: «ويحك ومن[3] يعدل إذا لم أعدل؟» ثم قال: «أيأمننى[4] من فى السماء ولا تأمنونى[5]؟» فقال له بعض الصحابة: دعنى

---

(١) على: ساقطة من (ن)، (م). وفى (و)، (ر)، (ى): عن.

(٢) م، ب: الخوارج.

(٣) ن، م: فمن.

(٤) ب (فقط): ويحك أيأمننى..

(٥) م: ولا تأمنونى فى الأرض.

أضرب عنقه. فقال: «يخرج من ضئضىء هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم. . » الحديث[1].

فهذا كلامه فى هؤلاء العباد لمَّا كانوا مبتدعين. وثبت عنه فى الصحيح أن رجلا كان يشرب الخمر، وكان النبى صلى الله عليه وسلم كلما أُتى به إليه جلده الحد، فأُتى به إليه مرة فلعنه رجل، وقال: ما أكثر ما يُؤتى به النبى صلى الله عليه وسلم. فقال: «لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله»[2] فنهى عن لعن هذا المعيّن المدمن الذى يشرب الخمر، وشهد له بأنه يحب الله ورسوله، مع لعنة شارب الخمر عموما.

فعُلم الفرق بين العام المطلق والخاص المعيّن، وعُلم أن أهل الذنوب الذين يعترفون بذنوبهم أخف ضررا على المسلمين من أمر أهل البدع الذين يبتدعون بدعة يستحلّون بها عقوبة من يخالفهم.

والرافضة أشد بدعة من الخوارج، وهم يكفّرون من لم تكن الخوارج تكفّره، كأبى بكر وعمر، ويكْذِبون على النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة كذباً ما كذب أحد مثله، والخوارج لا يكذبون، لكن الخوارج كانوا أصدق وأشجع منهم، وأوفى بالعهد منهم، فكانوا أكثر قتالا منهم، وهؤلاء أكذب وأجبن وأغدر وأذل.

---

(١) الحديث عن أبى سعيد الخدرى وجابر بن عبدالله رضى الله عنهما مع اختلاف فى الألفاظ فى البخارى ٤/٢٠٠ (كتاب المناقب، باب علامات النبوة)؛ مسلم ٢/٧٤٤ ـ ٧٤٥ (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم)؛ المسند (ط. الحلبي) ٣/٦٥، ٦٨، ٧٣، ٣٥٣، ٣٥٤ ـ ٣٥٥. وانظر جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٤٣٦ ـ ٤٤٠؛ سنن ابن ماجة ١/٦٠ ـ ٦١ (المقدمة، باب فى ذكر الخوارج).

(٢) سبق الحديث فيما مضى ٤/٤٥٧ ـ ٤٥٨.

وهم يستعينون بالكفّار على المسلمين، فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتُلى المسلمـون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين، كما جرى لجنكزخان[1] ملك التتر[2] الكفار، فإن الرافضة أعانته على المسلمين[3].

وأمـا إعانتهم لهولاكو ابن ابنه لما جاء إلى خراسان والعراق والشام فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد، فكانوا بالعراق وخراسان من أعظم أنصاره ظاهرا وباطنا[4] وكان وزير الخليفة [ببغداد][5] الذى يقال له ابن العلقمى منهم[6]، فلم يزل يمكر بالخليفة والمسلمين، ويسعى فى قطع أرزاق عسكر المسلمين وضعفهم، وينهى العامة عن قتالهم، ويكيد أنواعا من الكيد، حتى دخلوا فقتلوا من المسلمين ما يُقال: إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان، أو أكثر أو أقل، ولم ير فى الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر، وقتلوا الهاشميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير [العباسيين][7]، فهل يكون موالياً لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يسلِّط الكفّار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين؟

---

(1) ن: لجنكشخان؛ ى، ر، أ، م: لجنكسخان.

(2) ملك التتر: كذا فى (ن)، (م). وفى سائر النسخ: ملك الترك.

(3) انظر عن غزو جنكزخان لمناطق من العالم الإسلامي أحداث سنة ٦١٧هـ فى: تاريخ ابن الأثير ١٢/١٣٧ - ١٥٣؛ البداية والنهاية ١٣/٨٦ - ٩١. وقد توفى جنكزخان سنة ٦٢٤ وانظر عنه: البداية والنهاية ١٣/١١٧ - ١٢١؛ دائرة المعارف الإسلامية مقالة بارتولد.

(4) ح، ب: باطنا وظاهرا.

(5) ببغداد: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

(6) الذى يقال له ابن العلقمى منهم: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: منهم يقال له ابن العلقمى.

(7) ن، م: وغيرهم. وانظر ما سبق أن ذكرته عن ذلك فى المقدمة، ص ٢١ (م). وانظر ما ذكره الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله فى تعليقه على «المنتقى من منهاج الاعتدال»

وهم يكذبون على الحجَّاج وغيره أنه قتل الأشراف، ولم يقتل الحجاج هاشميا قط، مع ظلمه وغشمه؛ فإن عبد الملك نهاه عن ذلك، وإنما قتل ناساً من أشراف العرب غير بنى هاشم، وقد تزوج هاشمية، وهى بنت عبد الله بن جعفر، فما مكَّنه بنو أمية من ذلك، وفرَّقوا بينه وبينها وقالوا ليس الحجاج كفواً لشريفة هاشمية.

وكذلك من كان[1] بالشام من الرافضة الذين لهم كلمة أو سلاح يعينون الكفَّار من المشركين و[من] النصارى[2] أهل الكتاب على المسلمين، على قتلهم وسبيهم وأخذ أموالهم.

٣/ ٣٩ والخوارج / ما عملت من هذا شيئا، بل كانوا هم[3] يقاتلون الناس، لكن ما كانوا يسلِّطون الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين.

= ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ حيث نقل عن الخوانسارى فى كتابه «روضات الجنات» ص ٥٧٨ عند ترجمة نصير الدين الطوسى قوله عنه: «.. ومجيئه فى موكب السلطان المؤيد (هولاكو) مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح العباد، وقطع دابر سلسلة البغى والفساد، وإخماد ثائرة الجور والإلباس، بإبادة دائرة ملك بنى العباس، وإيقاع القتل العام، من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار، كأمثال الأنهار، فانهار بها فى ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار، ومحل الأشقياء والأشرار». وانظر تعليق الأستاذ محب الدين فى هذا الموضع وفى ص ٢٠ من الكتاب، وانظر تعليقه فى هامش ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ على ابن العلقمى وكلامه على دوره فى تحريض هولاكو على الزحف على بغداد وخداعه للخليفة المستعصم.. الخ.

(١) ن: وكان كذلك من كان.

(٢) ن: والنصارى.

(٣) هم: فى (ن)، (م)، (أ) فقط..

ودخل في الرافضة من الزنادقة [المنافقين][1]: الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم ممن[2] لم يكن يجترىء أن يدخل عسكر الخوارج، لأن الخوارج كانوا عبَّادا متورعين، كما قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم [وصيامه مع صيامهم][3]» الحديث[4]، فأين هؤلاء الرافضة من الخوارج؟!

والرافضة فيهم من هو متعبّد متورّع زاهد، لكن ليسوا فى ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء، فالمعتزلة أعقل منهم وأعلم وأدْيَن، والكذب والفجور فيهم أقل منه فى الرافضة. والزيدية من الشيعة خير منهم: أقرب إلى الصدق والعدل والعلم[5]، وليس فى أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج، ومع هذا فأهل السنة يستعملون معهم العدل والانصاف ولا يظلمونهم؛ فإن الظلم حرام مطلقا كما تقدم، بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض.

وهـذا مما يعترفون هم به، ويقولون: أنتم تنصفوننا[6] ما لا ينصف

---

(١) المنافقين: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

(٢) أ، ب: من.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (أ)، (و). وسبق الكلام على أحاديث الخوارج فى الصفحات السابقة.

(٤) مضى هذا الحديث من قبل فى هذا الجزء، ص ١٥٠ ، ١٥٤ .

(٥) ن، م، أ: والعلم والعدل.

(٦) أنتم تنصفوننا: كذا فى (ح)، (ب). وفى (أ)، (ى)، (و)، (ر) أنتم تنصفونا. وفى (ن)، (م): أنهم ينصفونا.

بعضنا بعضا. وهذا لأن الأصل الذى اشتركوا فيه أصل فاسد مبنى على جهل وظلم، وهم مشتركون فى ظلم سائر المسلمين، فصاروا بمنزلة قطّاع الطريق المشتركين فى ظلم الناس. ولا ريب أن المسلم العالم العادل أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض.

والخوارج تكفّر أهل الجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يكفّرون من خالفهم، وكذلك أكثر الرافضة، ومن لم يكفّر فسّق. وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأيا، ويكفّرون[1] من خالفهم فيه، وأهل السنة يتّبعون الحق من ربهم الذى جاء به الرسول، ولا يكفّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق، كما وصف الله به المسلمين بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس[2].

وأهل السنة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس. وقد عُلم أنه كان بساحل الشام جبل كبير، فيه ألوف من الرافضة يسفكون دماء / الناس، ويأخذون أموالهم، وقتلوا خلقا عظيما وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون سنة غازان[3]، أخذوا الخيل والسلاح

ظ ١٩٢

(١) ويكفّرون: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: فيكفرون.

(٢) ورد هذا الأثر فى: البخارى ٦/٣٧ - ٣٨ (كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب كنتم خير أمة أخرجت للناس) ونصه فيه: «.. عن أبى هريرة رضى الله عنه: كنتم خير أمة أخرجت للناس قال: خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام» وانظر تفسير ابن كثير للآية ٢/٧٧ (ط. دار الشعب).

(٣) ن، م: فى غازان؛ و: سنة قازان؛ أ: سنة غازاب (وهو تحريف). وذكر الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله فى تعليقه على «المنتقى من منهاج الاعتدال» ص ٣٢٩ ت ٢ ما يلى: «سنة غازان هى سنة ٦٩٩. وغازان (٦٧٠ - ٧٠٣) هو أخو خدابنده

والأسرى[1] وباعوهم للكفار النصارى[2] بقبرص، وأخذوا من مرّ بهم من الجند، وكانوا أضرّ على المسلمين من جميع الأعداء، وحمل بعض أمرائهم راية النصارى، وقالوا له: أيّما[3] خير: المسلمون أو النصارى؟ فقال: بل النصارى. فقالوا له: مع من تُحشر يوم القيامة؟ فقال: مع النصارى. وسلّموا إليهم[4] بعض بلاد المسلمين.

= (٦٨٠ - ٧١٦) الذى ألف له الرافضى الكتاب المردود عليه، وقد تقدم التعريف به وبأسلافه فى التعليق على خطبة هذا الكتاب (ص ١٨). والواقعة التى أشار إليها شيخ الإسلام هى أن دمشق كانت فى ذلك الحين تابعة للمملكة المصرية، وكان ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون الذى عاد من منفاه بالكرك بعد قتل المنصور لاجين فى السنة الماضية (٦٩٨)، وكان نائب السلطان المصرى فى دمشق وبلاد الشام أقوش الأفرم بعد أن فر سلفه سيف الدين قبجق المنصورى إلى إيران والتحق بملكها غازان المذكور، فوردت الأخبار فى أواخر سنة ٦٩٨ بزحف غازان من إيران نحو حلب، وعلم بذلك الناصر محمد بن قلاوون فخرج من مصر إلى غزة فى محرم ٦٩٩ ولبث فيها شهرين يستعد ويراقب حركات غازان. وفى ربيع الأول ٦٩٩ وصل الناصر إلى دمشق، وكان الوقت شتاء (ديسمبر ١٢١٩م) فتموّن من دمشق بالرجال والأموال والعتاد حتى اقترضوا أموال الأيتام، وزحف إلى الشمال، فالتقى بالتتار فى وادى سلمية يوم ٢٧ ربيع الأول ٦٩٩ وكانت ملحمة انكسرت فيها جيوش الناصر محمد بن قلاوون، وواصل غازان زحفه فاستولى على بعلبك والبقاع، فنزح أعيان دمشق إلى مصر يتبعون الملك الناصر فى انسحابه، وبقيت دمشق بلا رعاة، والتف الشاميون حول شيخ الإسلام ابن تيمية يطلبون منه الخروج لمقابلة غازان وطلب الأمان منه للشعب». وذكر الأستاذ محب الدين بعد ذلك ما جرى بين ابن تيمية وغازان فى لقاء بينهما. ثم ذكر ما جرى من التتار بعد ذلك حتى أواسط شعبان سنة ٦٩٩ (انظر هامش ص ٣٣٠ - ٣٣٢). وانظر عن سنة غازان أو وقعة غازان: البداية والنهاية ٦/١٤ - ١١.

(١) ح، ب: والأسارى.

(٢) ح، ب: للكفار والنصارى.

(٣) ن، م: من.

(٤) ح: لهم.

ومع هذا فلما استشار [بعض][1] ولاة الأمر فى غزوهم، وكتبت جوابا مبسوطا فى غزوهم، وذهبنا إلى ناحيتهم، وحضر عندى جماعة منهم، وجرت بينى وبينهم مناظرات ومفاوضات يطول وصفها، فلما فتح المسلمون بلدهم[2]، وتمكّن المسلمون منهم، نهيتهم عن قتلهم وعن سبيهم[3]، وأنزلناهم فى بلاد المسلمين متفرقين لئلا يجتمعوا.

فما أذكره فى هذا الكتاب من[4] ذم الرافضة وبيان كذبهم وجهلهم قليل من كثير مما أعرفه منهم، ولهم شرّ كثير لا أعرف تفصيله.

ومصنِّف هذا الكتاب وأمثاله من الرافضة، إنما نقابلهم ببعض ما فعلوه بأمة محمد صلى الله عليه وسلم: سلفها وخلفها؛ فإنهم عمدوا إلى خيار أهل الأرض من الأوَّلين والآخرين بعد النبيّين والمرسلين، وإلى خيار أمة أخرجت للناس، فجعلوهم شرار الناس، وافتروا عليهم العظائم، وجعلوا حسناتهم سيئات[5]، وجاؤوا إلى شر من انتسب إلى الإسلام من أهل الأهواء - وهم الرافضة بأصنافها: غاليّها وإماميّها وزيديّها - والله يعلم، وكفى بالله عليما[6]، ليس فى جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام مع بدعة وضلالة شرّ منهم: لا أجهل ولا أكذب، ولا أظلم، ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان، وأبعد عن حقائق

---

(١) بعض: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٢) و: فلما فتح الله بلدهم.

(٣) ح: وسبيهم.

(٤) ح، ب: فى.

(٥) ح، ب: سيئاتهم.

(٦) ن، م، أ، و: وكفى به عليما.

الإيمان منهم، فزعموا أن هؤلاء هم صفوة الله من عباده؛ فإن ما سوى أمة محمد كفار، وهؤلاء كفَّروا الأمة كلها أو ضللوها، سوى طائفتهم التى[1] يزعمون أنها الطائفة المحقّة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، فجعلوهم صفوة بنى آدم.

٣/ ٤٠ فكان مثلهم كمن جاء إلى غنم / كثيرة، فقيل له: أعطنا خير هذه الغنم لنضحّى بها، فعمد إلى شرّ تلك الغنم: إلى شاة عوراء عجفاء عرجاء مهزولة لا نقىّ لها[2]، فقال: هذه خيار هذه الغنم لا تجوز الأضحية إلا بها، وسائر هذه الغنم ليست غنماً، وإنما هى خنازير يجب قتلها، ولا تجوز الأضحية[3] بها.

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من حَمَى مؤمنا من منافق حَمَى الله لحمه من نار جهنم يوم القيامة»[4].

وهؤلاء الرافضة: إما منافق وإما جاهل، فلا يكون رافضى ولا جهمى إلا منافقا أو جاهلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يكون فيهم أحد عالما بما جاء به الرسول مع الإيمان به؛ فإن مخالفتهم لما جاء

(١) أ، ح، ر، و: الذين.

(٢) فى «اللسان»: «النقاوة: أفضل ما انتقيت من الشىء... قال اللحيانى: وجمع النقاوة نُقًا ونُقَاءٌ».

(٣) ن، م: التضحية.

(٤) الحديث عن معاذ بن أنس الجهنى رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٣٧٣/٤ (كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبته) ولفظه: «من حمى مؤمنا من منافق» أراه قال: بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلما بشىء يريد شينه به حَبَسَه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال». والحديث فى: المسند (ط. الحلبى) ٤٤١/٣. وضعف الألبانى الحديث فى «ضعيف الجامع الصغير» ١٩٣/٦.

به الرسول وكذبهم عليه لا يخفى قط إلا على مفرط فى الجهل والهوى.

وشيوخهم المصنِّفون فيهم طوائف يعلمون أن كثيرا مما يقولونه كذب، ولكن يصنِّفون لهم لرياستهم عليهم.

وهذا المصنِّف يتهمه الناس بهذا، ولكن صنَّف لأجل أتباعه؛ فإن كان أحدهم يعلم أن ما يقوله باطل ويظهره ويقول: إنه حق من عند الله، فهو من جنس علماء اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون. وإن كان يعتقد أنه حق، دلّ ذلك على نهاية جهله وضلاله:

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة . . وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

وهم فى دينهم لهم عقليات وشرعيات، فالعقليات متأخروهم فيها أتباع المعتزلة، إلا من تفلسف منهم[1]، فيكون إما فيلسوفا، وإما ممتزجا من فلسفة واعتزال، ويضمّ إلى ذلك الرفض، مثل مصنف هذا الكتاب وأمثاله، فيصيرون بذلك من أبعد الناس عن الله ورسوله، وعن دين المسلمين[2] المحض.

وأما شرعياتهم فعمدتهم فيها على ما يُنقل عن بعض أهل البيت[3]، مثل أبى جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق وغيرهما.

---

(١) ن، م: فيهم.

(٢) ح، ب: الإسلام.

(٣) ن، م: أهل العلم.

ولا ريب أن هؤلاء من سادات المسلمين ، وأئمة الدين ، ولأقوالهم من الحرمة والقدر ما يستحقه أمثالهم ، لكن كثير مما ينقل عنهم كذب ، والرافضة لا خبرة لها بالأسانيد ، والتمييز بين الثقات وغيرهم، بل هم فى ذلك من أشباه أهل الكتاب، كل ما[1] يجدونه فى الكتب منقولا عن أسلافهم قبلوه ، بخلاف أهل السنة ؛ فإن لهم من الخبرة بالأسانيد ما يميِّزون به بين الصدق والكذب .

وإذا صح النقل عن على بن الحسين[2] فله أسوة نظرائه كالقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله وغيرهما ، كما كان على ابن أبى طالب مع سائر الصحابة . وقد قال تعالى :

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء : ٥٩] . فأمر برد ما تنازع فيه المسلمون إلى الله والرسول .

والرافضة لا تعتنى بحفظ القرآن ، ومعرفة معانيه وتفسيره ، وطلب الأدلة الدالة على معانيه . ولا تعتنى أيضا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة صحيحه من سقيمه ، والبحث عن معانيه ، ولا تعتنى بآثار الصحابة والتابعين ، حتى تعرف مآخذهم ومسالكهم ، ويُرد[3] ما

---

(١) ب (فقط): فكل.

(٢) ن: على بن الحسن، وهو خطأ.

(٣) ح، ب: وترد.

تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، بل عمدتها آثار تنقل عن بعض أهل البيت فيها صدق وكذب.

وقد أصّلت لها ثلاثة أصول : أحدها : أن كل واحد من هؤلاء إمام معصوم بمنزلة النبى ، لا يقول إلا حقًّا ولا يجوز لأحد أن يخالفه ، ولا يرد ما ينازعه فيه / غيره إلى الله والرسول ، فيقولون عنه ما كان هو وأهل بيته يتبرّؤون منه.

ص ١٩٣

والثانى : أن كل ما يقوله واحد من هؤلاء فإنه قد عُلم منه أنه قال : أنا أنقل كل ما أقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ويا ليتهم قنعوا بمراسيل التابعين كعلىّ بن الحسين ، بل يأتون إلى من تأخر زمانه كالعسكريين فيقولون : كل ما قاله واحد من أولئك فالنبى قد قاله.

وكل من له عقل يعلم أن العسكريين بمنزلة أمثالهما ممن كان فى زمانهما من الهاشميين، ليس عندهم من العلم ما يمتازون به عن غيرهم ، ويحتاج إليهم فيه أهل العلم ، ولا كان أهل العلم يأخذون عنهم ، كما يأخذون عن علماء زمانهم ، وكما كان أهل العلم فى زمن علىّ بن الحسين ، وابنه أبى جعفر ، وابن ابنه جعفر بن محمد ؛ فإن هؤلاء الثلاثة رضى الله عنهم قد أخذ أهل / العلم عنهم ، كما كانوا يأخذون

٣/ ٤١

عن أمثالهم، بخلاف العسكريين ونحوهما[1]؛ فإنه لم يأخذ أهل العلم المعروفون بالعلم عنهم شيئا، فيريدون أن يجعلوا ما قاله الواحد من هؤلاء هو قول الرسول الذى بعثه الله إلى جميع العالمين، بمنزلة القرآن والمتواتر من السنن. وهذا مما لا يبنى عليه دينه إلا من كان من أبعد الناس عن طريقة أهل العلم والإيمان.

زعم الرافضة أن إجماعهم هو إجماع العترة وأن إجماع العترة معصوم

وأصَّلوا أصلا ثالثا: وهو أن إجماع الرافضة هو إجماع العترة، وإجماع العترة معصوم. والمقدمة الأولى كاذبة بيقين، والثانية فيها نزاع، فصارت الأقوال التى فيها صدق وكذب على أولئك بمنزلة القرآن لهم، وبمنزلة السنة المسموعة من الرسول، وبمنزلة إجماع الأمة وحدها.

وكل عاقل يعرف دين الإسلام وتصوَّر هذا، فإنه يمجّه أعظم مما يمجّ الملح الأجاج والعلقم، لا سيّما من كان له خبرة بطرق أهل العلم، لا سيما مذاهب أهل الحديث وما عندهم من الروايات الصادقة التى لا ريب فيها عن المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى؛ فإن هؤلاء جعلوا الرسول الذى بعثه الله إلى الخلق هو إمامهم المعصوم، عنه يأخذون دينهم، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرّمه، والدين ما شرعه، وكل قول يخالف قوله فهو مردود عندهم، وإن كان الذى قاله من خيار المسلمين وأعلمهم، وهو مأجور فيه على اجتهاده، لكنهم لا يعارضون قول الله وقول رسوله بشىء أصلا: لا نقل نُقل عن غيره، ولا رأى رآه غيره.

ومن سواه من أهل العلم فإنما هم وسائط فى التبليغ عنه: إما للفظ حديثه، وإما لمعناه. فقوم بلَّغوا ما سمعوا منه من قرآن وحديث، وقوم

(1) ر، ى: وأمثالهما.

تفقّهوا فى ذلك وعرفوا معناه، وما تنازعوا فيه ردّوه إلى الله والرسول.

الحق لا يخرج عن أهل السنة لأن كل ما اجتمعوا عليه فهو مما جاء به الرسول

فلهذا لم يجتمع قط أهل الحديث على خلاف قوله فى كلمة واحدة، والحق لا يخرج عنهم قط، وكل ما اجتمعوا عليه فهو مما جاء به الرسول، وكل من خالفهم من خارجيّ ورافضيّ ومعتزليّ وجهميّ وغيرهم من أهل البدع، فإنما يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل من خالف مذاهبهم فى الشرائع العملية كان مخالفا للسنة الثابتة، وكل من هؤلاء يوافقهم فيما خالف فيه الآخر، فأهل الأهواء معهم بمنزلة أهل الملل مع المسلمين؛ فإن أهل السنة فى الإسلام كأهل الإسلام فى الملل، كما قد بسط فى موضعه.

فإن قيل: فإذا كان الحق لا يخرج عن أهل الحديث، فلم لم يُذكر فى أصول الفقه أن إجماعهم حجة، وذكر الخلاف فى ذلك، كما تكلم على إجماع أهل المدينة وإجماع العترة؟.

الاستدلال بالكتاب والسنة وبإجماع الصحابة يغنى عن دعوى أى إجماع آخر

قيل: لأن أهل الحديث لا يتفقون إلا على ما جاء عن الله ورسوله[1] وما هو منقول عن الصحابة، فيكون الاستدلال بالكتاب والسنة وبإجماع الصحابة مغنيا[2] عن دعوى إجماع ينازع فى كونه حجة بعض الناس، وهذا بخلاف من يدّعى إجماع المتأخرين من أهل المدينة إجماعا؛ فإنهم يذكرون ذلك فى مسائل لا نصّ فيها، بل النص على خلافها. [وكذلك المدّعون إجماع العترة يدّعون ذلك فى مسائل لا نصّ معهم

(١) ح، ب: ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ و: ما جاء به الرسول.

(٢) ن، م، أ: معينا، وهو تحريف.

فيها، بل النص على خلافها][1]، فاحتاج هؤلاء إلى دعوى ما يدّعونه من الإجماع الذى يزعمون أنه حجة.

وأما أهل الحديث فالنصوص الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هى عمدتهم، وعليها يجمعون إذا أجمعوا، لا سيما وأئمتهم يقولون: لا يكون قط إجماع صحيح على خلاف نصّ إلا ومع الإجماع نصّ ظاهر معلوم، يُعرف أنه معارض لذلك النص الآخر. فإذا كانوا لا يسوِّغون أن تُعارض النصوص بما يدّعى من إجماع الأمة، لبطلان تعارض النص والإجماع عندهم، فكيف إذا عورضت النصوص بما يدّعى من إجماع العترة أو أهل المدينة؟!

وكل من سوى أهل السنة والحديث من الفرق فلا ينفرد عن أئمة الحديث بقول صحيح، بل لابد أن يكون معه من دين الإسلام ما هو حق. وبسبب ذلك وقعت الشبهة، وإلا فالباطل المحض لا يشتبه على أحد، ولهذا سُمى أهل البدع أهل الشبهات، وقيل فيهم: إنهم يلبسون الحق بالباطل.

أهل الكتاب معهم حق وباطل

وهكذا أهل الكتاب معهم حق وباطل، ولهذا قال تعالى لهم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٢]، وقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٨٥]، / وقال عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٥٠]، وقال عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا

٣/ ٤٢

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٩١].

وذلك لأنهم ابتدعوا بدعا خلطوها بما جاءت به الرسل، وفرَّقوا دينهم وكانوا[١] شيعا، فصار[٢] فى كل فريق منهم حق وباطل، وهم يكذِّبون بالحق الذى مع الفريق الآخر، ويصدِّقون / بالباطل الذى معهم.

ظ ١٩٣

أهل البدع أيضا معهم حق وباطل

[وهذا حال أهل البدع كلهم؛ فإن معهم][٣] حقًّا وباطلا[٤]، فهم فرَّقوا دينهم وكانوا شيعا، كل فريق يكذِّب بما مع الآخر من الحق، ويصدق بما معه من الباطل، كالخوارج والشيعة؛ فهؤلاء يكذِّبون بما ثبت من فضائل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، ويصدّقون بما روى فى فضائل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، ويصدّقون بما ابتدعوه من تكفيره وتكفير من يتولاه ويحبه. وهؤلاء يصدقون بما روى فى فضائل علىّ بن أبى طالب، ويكذِّبون بما روى فى فضائل أبى بكر وعمر، ويصدّقون بما ابتدعوه من التكفير والطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان.

ودين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة. فالمسلمون وسط فى التوحيد بين اليهود والنصارى، فاليهود[٥] تصف الرب بصفات النقص التى يختص بها المخلوق، ويشبهون الخالق بالمخلوق. كما قالوا: إنه بخيل، وإنه فقير، وإنه لمّا خلق السموات والأرض تعب. وهو سبحانه

(١) أ، ى، ر، و: وصاروا. (٢) ح، ب: فكان.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٤) حقا وباطلا: كذا فى (ب) فقط وهو الصواب. وفى سائر النسخ: حق وباطل.

(٥) ن (فقط): فالنصارى، وهو خطأ.

الجواد الذى لا يبخل والغنى الذى لا يحتاج إلى غيره، والقادر الذى لا يمسّـه لغوب. والقدرة والإرادة والغنى عمّا[1] سواه هى صفات الكمال التى تستلزم سائرها.

والنصـارى يصفـون المخلوق بصفـات الخـالق التى يختص بها، ويشبّهون المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة. وقالوا المسيح ابن الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلـهاً واحدا لا إلـه إلا هو سبحانه عمّا يشركون.

فالمسلمون وحّدوا الله ووصفوه بصفات الكمال، ونزّهوه عن جميع صفات النقص، ونزّهوه عن أن يماثله شىء من المخلوقات فى شىء من الصفات، فهو موصوف بصفات الكمال لا بصفات النقص، وليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله.

وكـذلـك فى النبـوات؛ فاليهـود تقتـل بعض الأنبياء، وتستكبر عن اتّبـاعهم، وتكـذبهم[2] وتتهمهم بالكبائر. والنصارى يجعلون من ليس بنبى ولا رسول نبيا ورسولا، كما يقولون فى الحواريين: إنهم رسل، بل يطيعـون أحبـارهم ورهبـانهم كمـا تُطاع الأنبياء. فالنصـارى تصـدق بالباطل، واليهود تكذّب بالحق.

ولهذا كان فى مبتدعة أهل الكلام شبه[3] من اليهود، وفى مبتدعة أهل

---

(١) ب (فقط): عمّن.

(٢) وتكذبهم: كذا فى (ن)، (ب). وفى سائر النسخ: وتكذب بهم.

(٣) ن، م: شبهة.

التعبد شبه[1] من النصارى؛ فآخر أولئك الشك والريب، وآخر هؤلاء الشطح والدعاوى الكاذبة، لأن أولئك كذّبوا بالحق فصاروا إلى الشك، وهؤلاء صدَّقوا بالباطل فصاروا إلى الشطح، فأولئك كظلمات فى بحر لجىّ، [يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض][2]، وهؤلاء كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

فمبتدعة أهل العلم والكلام طلبوا العلم بما ابتدعوه، ولم يتّبعوا العلم المشروع ويعملوا به، فانتهوا إلى الشك المنافى للعلم، بعد أن كان لهم علم بالمشروع، لكن زاغوا فأزاغ الله قلوبهم، وكانوا مغضوبا عليهم.

ومبتدعة العبّاد[3] طلبوا القرب من الله بما ابتدعوه فى العبادة، فلم يحصل لهم إلا البعد منه؛ فإنه ما ازداد مبتدع اجتهادا إلا ازداد من الله تعالى بعداً.

والبعد عن رحمته[4] هو اللعنة، وهو غاية النصارى. وأما الشرائع فاليهود منعوا الخالق أن يبعث رسولا بغير شريعة الرسول الأول، وقالوا: لا يجوز أن ينسخ ما شرعه. والنصارى جوَّزوا لأحبارهم أن يغيِّروا من الشرائع ما أرسل الله بهم رسوله[5]، فأولئك عجَّزوا الخالق، ومنعوه ما

---

(1) ن، م: شبهة.

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و)، (أ)، (ى). وفى (ر).. لجىّ إلى قوله: بعضها فوق بعض.

(3) ن، أ، ر: العبادة.

(4) ن، م: عن رحمة الله.

(5) ن، م: رسله.

تقتضيه قدرته وحكمته فى النبوات والشرائع. وهؤلاء جوَّزوا للمخلوق أن يغيرّ ما شرعه الخالق، فضاهوا المخلوق بالخالق[1].

وكذلك فى العبادات؛ فالنصارى يعبدونه ببدع ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان. واليهود مُعْرِضون عن العبادات، حتى فى يوم السبت الذى أمرهم الله أن / يتفرغوا فيه لعبادته، إنما يشتغلون فيه بالشهوات. فالنصارى مشركون به، واليهود مستكبرون عن عبادته.

٣/ ٤٣

والمسلمون عبدوا الله وحده بما شرع، ولم يعبدوه بالبدع. وهذا هو دين الإسلام الذى بعث الله به جميع النبيين، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره، وهو الحنيفية دين إبراهيم. فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨]

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: ٦٠].

وكذلك فى أمر الحلال والحرام: فى الطعام واللباس وما يدخل فى ذلك من النجاسات؛ فالنصارى لا تحرِّم ما حرمه الله ورسوله، ويستحلّون الخبائث المحرَّمة كالميتة والدم ولحم الخنزير، حتى أنهم يتعبدون بالنجاسات كالبول والغائط، ولا يغتسلون من جنابة، ولا يتطهرون للصلاة، وكلما كان الراهب عندهم أبعد عن الطهارة، وأكثر ملابسة للنجاسة. كان معظماً عندهم.

(١) ح: المخلوقات بالخالق؛ و: الخالق بالمخلوق.

واليهود[1] حُرِّمت عليهم طيّبات أحلّت لهم، فهم يحرّمون من الطيّبات ما هو منفعة للعباد، ويجتنبون الأمور الطاهرات[2] مع النجاسات، فالمرأة الحائض لا يأكلون معها ولا يجالسونها، فهم فى آصار وأغلال عُذِّبوا بها.

فأولئك[3] يتناولون الخبائث المضرّة، مع أن الرهبان يحرّمون على أنفسهم طيّبات أحلت لهم، فيحرّمون الطيّبات ويباشرون النجاسات، وهؤلاء يحرّمون الطيبات النافعة، مع أنهم من أخبث الناس قلوبا، وأفسدهم بواطن.

وطهارة الظاهر إنما يُقصد بها طهارة القلب، فهم يطهرون ظواهرهم وينجسون قلوبهم.

وكذلك أهل السنة فى الإسلام متوسطون فى جميع الأمور. فهم فى علىٍّ وسط بين الخوارج والروافض / . وكذلك فى عثمان وسط بين المروانية وبين الزيدية. وكذلك فى سائر الصحابة وسط بين الغلاة فيهم والطاعنين عليهم. وهم فى الوعيد وسط بين الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة. وهم فى القدر وسط بين القدرية من المعتزلة ونحوهم وبين القدرية المجبرة من الجهمية ونحوهم. وهم فى الصفات وسط بين المعطّلة وبين الممثلة. ص١٩٤

والمقصود أن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتّبعين آثار

---

(١) ح، ر، ى، ب: فاليهود.

(٢) ح، ب: الطاهرة.

(٣) ب (فقط): وأولئك.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ينفردون عن سائر طوائف الأمة[1] إلا بقول فاسد، لا ينفردون قط بقول صحيح. وكل من كان عن السنة أبعـد، كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر. وليس فى الطوائف المنتسبين إلى السنة أبعد عن آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرافضة.

أقوال الرافضة التى انفردوا بها عن الجماعة فى غاية الفساد.

فلهذا تجد فيما انفردوا به عن الجماعة أقوالاً فى غاية الفساد، مثل تأخيرهم صلاة المغرب حتى يطلع الكوكب مضاهاة لليهود، وقد تواترت النصـوص عن النبى صلى الله عليه وسلم بتعجيل المغـرب[2]. ومثـل صومهم قبـل النـاس بيومين، وفـطرهم قبـل النـاس بيومين، مضـاهاة لمبتدعة[3] أهل الكتاب الذين عدلوا عن الصوم بالهلال إلى الاجتماع، وجعلوا الصوم بالحساب.

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّا أمةٌ أُمِّية لا تحسب ولا تكتب، إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا ؛ فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له». وفى رواية «فأكملوا العدة»[4].

---

(1) ن، م: عن طوائف أهل السنة.

(2) انظر ما ذكره الشيخ السيد سابق فى كتابه «فقه السنة» (ط ١٣٦٥) في الجزء الأول، باب وقت صلاة المغرب (ص ١٧٤ - ١٧٦)، عن تعجيل صلاة المغرب والأحاديث الواردة فى ذلك - وانظر ما أورده الألبانى فى «إرواء الغليل» ١/٢٧٧ - ٢٧٨ فى ذلك.

(3) ب (فقط): للمبتدعة.

(4) الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما فى: البخارى ٣/٢٧ - ٢٨ (كتاب الصوم، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: لا نكتب ولا نحسب) ولفظه فيه: «إنا أمّة أميه لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا». يعنى مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين. والحديث فى:

ومثل تحريمهم بعض أنواع السمك، مضاهاة لليهود فى تحريم[٢] الطيّبات ومثل معاونة الكفّار على قتال المسلمين، وترغيب الكفّار فى قتال المسلمين. وهذا لا يُعرف لأحد من فرق الأمة.

ومثل تنجيس المائعات التى يباشرها أهل السنة، وهذا من جنس دين السامرة وهم رافضة اليهود، هم فى اليهود كالرافضة فى المسلمين، والرافضة تشابههم من وجوه كثيرة؛ فإن السامرة لا تؤمن بنبى بعد موسى وهارون غير يوشع، وكذلك الرافضة لا تقرّ لأحد من الخلفاء والصحابة بفضل ولا إمامة إلا لعلىّ. والسامرة تنجّس وتحرّم ما باشره غيرهم من المائعات، وكذلك الرافضة. والسامرة لا يأكلون إلا ذبائح أنفسهم، وكذلك الرافضة فإنهم يحرّمون ذبائح أهل الكتاب، ويحرّم أكثرهم ذبائح الجمهور لأنهم مرتدون عندهم، وذبيحة[١] المرتد لا تباح. والسامرة / فيهم كبر ورعونة وحمق ودعاوٍ كاذبة، مع القلة والذلة، وكذلك الرافضة. ٣/ ٤٤

مسلم ٢/٧٦١ (كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال...)؛ سنن أبى داود ٢/٣٩٨ (كتاب الصوم، باب الشهر يكون تسعا وعشرين)؛ المسند (ط. المعارف) الأرقام: ٥٠١٧، ٥١٣٧، ٥٥٣٦، ٦٠٤١. وجمع ابن تيمية فى كلامه بين هذا الحديث وحديث آخر عن ابن عمر نصه فى: مسلم ٢/٧٥٩ - ٧٦٠ - مع اختلاف فى الألفاظ والروايات - «الشهر تسع وعشرون، فإذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له». وهو فى البخارى عن ابن عمر ٣/٢٦ - ٢٧ (كتاب الصوم، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الهلال فصوموا...) ولفظه: «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين». وجاء الحديث بألفاظ مقاربة عن أبى هريرة فى نفس الصفحة.

(١) ن: تحريمهم.

(٢) ح، ب: لأنهم مرتدون وعندهم ذبيحة... الخ.

والرافضة تجعل الصلوات الخمس ثلاث صلوات، فيصلون دائما الظهر والعصر جميعا، والمغرب والعشاء جميعا، وهذا لم يذهب إليه غيرهم من فرق الأمة، وهو يشبه دين اليهود؛ فإن الصلوات عندهم ثلاث[1].

وغلاة العبّاد يوجبون على أصحابهم صلاة الضحى والوتر وقيام الليل، فتصير الصلاة عندهم سبعا، وهو دين النصارى. والرافضة لا تصلى جمعة ولا جماعة، لا خلف أصحابهم ولا غير أصحابهم، ولا يصلون إلا خلف المعصوم، ولا معصوم عندهم. وهذا لا يوجد فى سائر الفرق أكثر مما يوجد [فى الرافضة]. فسائر أهل البدع[2] سواهم، لا يصلون الجمعة والجماعة إلا خلف أصحابهم، كما هو دين الخوارج والمعتزلة وغيرهم. وأما أنهم لا يصلون ذلك بحال، فهذا ليس إلا للرافضة.

ومن ذلك أنهم لا يؤمِّنون فى الصلاة ـ هم[3] أو بعضهم ـ وهذا ليس لأحد من فرق الأمة، بل هو دين اليهود؛ فإن اليهود حسدوا المؤمنين على التأمين. وقد حكى طائفة عن بعضهم أنه يحرِّم لحم الإبل، وكان ذلك[4] لركوب عائشة على الجمل. وهذا من أظهر الكفر؛ وهو[5] من جنس دين اليهود.

---

(١) انظر عن السامرة: الملل والنحل ١/١٩٩ ـ ٢٠٠؛ الفصل فى الملل والنحل ١/١٧٧ ـ ١٧٨، ٢٠٢.

(٢) ن، م، و، ى: أكثر مما يوجد فى سائر أهل البدع؛ أ: أكثر مما يوجد فى أهل البدع.

(٣) هم: ساقطة من (ح)، (أ)، (ب).

(٤) ح، ب: وذلك.

(٥) ح، ب: فهو.

وكثير من عوامهم يقـول[1]: إن الـطلاق لا يكون إلا برضا المرأة، وعلماؤهم ينكرون هذا. وهذا لم يقله أحد غيرهم[2].

وهم يقولون بإمام منتظر موجود غائب لا يُعرف له عين ولا أثر، ولا يُعلم[3] بحس ولا خبر، لا يتم الإيمان إلا به.

ويقولون: أصول الدين أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة. وهـذا منتهى الإمام عندهم: الإيمان بأنه معصوم غائب عن الأبصار، كائن[4] فى الأمصار، سيُخرج[5] الدينار من قعر البحار، يطبع الحصى، ويورِّق العصـا. دخـل سرداب سامـرًا سنـة ستين ومـائتين، ولـه [من العمر][6]: إما سنتان، وإما ثلاث، وإما خمس، أو نحو ذلك؛ فإنهم مختلفـون فى قدر عمره، ثم إلى الآن لم يُعرف له خبر. ودين الخلق مسلم إليه؛ فالحلال ما حلّله، والحرام ما حرّمه، والدين ما شرعه، ولم ينتفع به أحد من عباد الله.

وكذلك كراهتهم لأسماء نظير أسماء من يبغضونه[7]، ومحبتهم لأسماء نظير أسماء من يحبونه، من غير نظر إلى المسمَّى، وكراهتهم لأن يُتكلم أو يُعمـل بشىء[8] عدده عشرة لكراهتهم نفرا عشرة، واشتفاؤهم[9] ممن

---

(١) ح، ب: يقولون.
(٢) ح، أ، ب، ى، ر، و: أحد من غيرهم.
(٣) و: ولا يعرف.
(٤) أ، ب: حاضر.
(٥) و: يستخرج.
(٦) من العمر: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (أ).
(٧) أ: يبغضونهم.
(٨) ن، ر، و، ى: شىء؛ ح، أ: شيئا.
(٩) واشتفاؤهم: كذا فى (ب) وهو الصواب. وفى سائر النسخ: واشتفائهم.

يبغضونه كعمر وعائشة وغيرهما، بأن[1] يقدّروا جمادا كالحيس[2]، أو حيوانا كالشاة الحمراء، أنه هو الذى يعادونه، ويعذّبون تلك الشاة تشفيا من العدو، من الجهل البليغ الذى لم يُعرف عن غيرهم.

وكذلك إقامة المآتم والنوائح، ولطم الخدود، وشق الجيوب، وفرش الرماد، وتعليق المسوح، وأكل المالح حتى يعطش، ولا يشرب ماء، تشبها بمن ظُلم وقُتل، وإقامة مأتم[3] بعد خمسمائة أو ستمائة سنة من قتله، لا يعرف لغيرهم من طوائف الأمة.

ومفاريد الرافضة التى تدل على غاية الجهل والضلال كثيرة لم نقصد ذكرها هنا. لكن المقصود أن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين لآثار النبى صلى الله عليه وسلم لا ينفردون عن سائر الطوائف بحق، والرافضة أبلغ / فى ذلك من غيرهم. ظ ١٩٤

وأما الخوارج والمعتزلة والجهمية فإنهم أيضا لم ينفردوا[4] عن أهل السنة والجماعة *بحق، بل كل ما معهم من الحق ففى أهل السنة*[5] من يقول به، لكن لم يبلغ[6] هؤلاء من قلة العقل وكثرة الجهل ما بلغت الرافضة.

---

(١) أ: بل، وهو تحريف.

(٢) ب (فقط): كالجبس. وفى «اللسان»: «هو الطعام المتخذ من التمر والأقِط والسمن».

(٣) و: مأتمه.

(٤) ح، ب: لا ينفردون.

(*ـ*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٥) ب (فقط): أهل السنة والجماعة.

(٦) ح، ر: لكن ما يبلغ؛ ب: ولكن ما يبلغ.

الأقوال التى انفردت بها الطوائف المنتسبة إلى السنة من أهل الكلام والرأى لا تكون صوابا إلا إذا وافقت السنة وأقوال الصحابة

وكذلك الطوائف المنتسبون إلى السنة من أهل الكلام والرأى، مثل الكُلاَّبية والأشعرية والكرَّامية والسالمية، ومثل طوائف الفقه من الحنفية والمالكية والسفيانية والأوزاعية والشافعية والحنبلية والداوودية وغيرهم، مع تعظيم الأقوال المشهورة عن أهل السنة والجماعة[*]، لا يوجد لطائفة منهم قول انفردوا به عن سائر الأمة وهو صواب، بل ما مع كل طائفة منهم من الصواب يوجد عند غيرهم[1] من الطوائف، وقد ينفردون بخطأ لا يوجد عند غيرهم، لكن قد تنفرد طائفة بالصواب عمّن يناظرها من الطوائف، كأهل المذاهب الأربعة: قد يوجد لكل واحد[2] منهم أقوال انفرد بها، وكان الصواب الموافق للسنة معه دون الثلاثة، لكن يكون قوله قد قاله غيره من الصحابة والتابعين / وسائر علماء الأمة، بخلاف ما انفردوا به ولم ينقل عن غيرهم، فهذا لا يكون إلا خطأ. وكذلك أهل الظاهر كل قول انفردوا به عن سائر الأمة فهو خطأ، وأما ما انفردوا به عن الأربعة وهو صواب فقد قاله غيرهم من السلف.

٣/ ٤٥

وأما الصواب الذى ينفرد به كل طائفة من الثلاثة فكثير[3]، لكن الغالب أنه يوافقه عليه بعض أتباع الثلاثة. وذلك كقول أبى حنيفة بأن المحرم يجوز له أن يلبس الخف المقطوع وما أشبهه كالجمجم والمداس، وهو وجه فى مذهب أحمد[4] وغيره، وقوله: [بأن][5] الجد يسقط الإخوة، وقد وافقه عليه بعض أصحاب الشافعى وأحمد، وكقوله بأن طهارة المسح

(١) ح، ب، ر، ى، و: غيرها.
(٢) واحد: فى (ن)، (م) فقط.
(٣) ح، ب: فهو كثير.
(٤) ح، ب: الشافعى.
(٥) بأن: ساقطة من (ن)، (م). وفى (ح)، (ب): إن.

يشترط لها دوام الطهارة دون ابتدائها، وقوله: إن النجاسة تزول بكل ما يزيلها، وهذا أحد الأقوال الثلاثة فى مذهب أحمد ومذهب مالك، وكذلك قوله بأنها تطهر بالاستحالة.

ومثل قول مالك بأن الخمس مصرفة مصرف الفىء، وهو قول فى مذهب أحمد، فإنه عنه روايتان فى خمس الركاز[1]: هل يُصرف مصرف الفىء أو [مصرف] الزكاة[2]؟ وإذا صرف مصرف الفىء فإنما هو تابع لخمس الغنيمة.

ومثل قوله بجواز أخذ الجزية من كل كافر جازت معاهدته، لا فرق بين العرب والعجم، ولا بين أهل الكتاب وغيرهم، فلا يُعتبر قط أمر النسب، بل الدين[3] فى الذمة والاسترقاق وحل الذبائح والمناكح، وهذا أصح الأقوال فى هذا الباب، وهو أحد القولين فى مذهب أحمد؛ فإنه لا يخالفه إلا فى أخذ الجزية من مشركى العرب، ولم يبق من مشركى العرب أحد بعد نزول[4] آية الجزية، بل كان جميع مشركى العرب قد أسلموا.

ومثل قول مالك: إن أهل مكة يقصرون الصلاة بمنى وعرفة، وهو قول فى مذهب أحمد وغيره.

ومثل مذهبه فى الحكم بالدلائل[5] والشواهد، وفى إقامة الحدود

---

(١) أ: الزكاة.

(٢) ن، م: الفىء والزكاة.

(٣) أ، ر، ح، ى: الذين.

(٤) بعد عبارة «بعد نزول» توجد ورقة ناقصة من مصورة (م).

(٥) ن: ومثل حكمه بالدلائل...

ورعاية مقاصد الشريعة، وهذا من محاسن مذهبه، ومذهب أحمد قريب من مذهبه فى أكثر ذلك.

ومثل قول الشافعى بأن الصبى إذا صلّى فى أول الوقت ثم بلغ لم يعد الصلاة. وكثير من الناس يعيب هذا على الشافعى، وغلطوا فى ذلك، بل الصواب قوله، كما بسط فى موضعه، وهو وجه[1] فى مذهب أحمد.

وقوله بفعل[2] ذوات الأسباب فى وقت النهى وهو إحدى الروايتين عن أحمد. وكذلك قوله بطهارة المنىّ، كقول أحمد فى أظهر الروايتين.

ومثل قول أحمد فى نكاح البغىّ: لا يجوز حتى تتوب. وقوله بأن الصيد إذا جُرح ثم غاب أنه يؤكل ما لم يوجد فيه أثر آخر، وهو قول فى مذهب الشافعى. وقوله بأن صوم النذر يُصام عن الميت، بل وكل المنذورات تفعل عن الميت، ورمضان يطعم عنه. وبعض الناس يضعّف هذا القول، وهو قول [الصحابة][3]: ابن عباس وغيره، ولم يفهموا غوره[4].

وقوله: إن المحرم إذا لم يجد النعلين والإزار لبس الخفين والسراويل بلا قطع ولا فتق؛ فإن هذا [كان][5] آخر الأمرين من النبى صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ن: وهذا وجه.

(٢) أ، ر، ى، ح، ب: تفعل.

(٣) الصحابة: ساقطة من (ن).

(٤) أ: غيره.

(٥) كان: ساقطة من (ن)، (ر).

وقوله بأن مرور المرأة والكلب الأسود والحمار يقطع الصلاة.

وقوله بأن الجدة ترث وابنها حيّ. وقوله بصحة المساقاة والمزارعة وما أشبه ذلك، وإن كان البذر من العامل، على إحدى الروايتين عنه، وكذلك طائفة من أصحاب الشافعى.

وقوله فى إحدى الروايتين: إن طلاق السكران لا يقع، وهو قول بعض أصحاب أبى حنيفة والشافعى.

وقوله بأن الوقف إذا تعطَّل نفعه بيع واشتُرى به ما يقوم مقامه.

وفى مذهب أبى حنيفة ما هو أقرب إلى قول[1] أحمد من غيره، وكذلك [فى][2] مذهب مالك.

وكذلك قوله فى إبدال الوقف، كإبدال مسجد بغيره، ويُجعل الأول غير مسجد، كما فعل[3] عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وفى مذهب أبى حنيفة ومالك جواز[4] الإبدال للحاجة فى مواضع.

وقوله بقبول شهادة العبد، وقوله بأن صلاة المنفرد خلف الصف يجب عليه فيها الإعادة، وقوله: إن فسخ الحج إلى العمرة جائز مشروع، بل هو أفضل، وقوله بأن القارن إذا ساق الهَدْى فقرانه أفضل[5] من التمتع والإفراد، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم. ومثل قوله: إن صلاة الجماعة فرض على الأعيان.

---

(١) ح، ب: مذهب.

(٢) فى: ساقطة من (ن).

(٣) و: كما أمر بذلك.

(٤) ح، ب، ر: يجوز.

(٥) و: الهدى فهو أفضل..

٣/ ٤٦ وبالجملة فما اختص به كل إمام من المحاسن والفضائل كثير / ليس هذا موضع استقصائه؛ فإن المقصود أن الحق دائما مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره الصحيحة، وإن كان كل[1] طائفة تضاف إلى غيره إذا انفردت بقول عن سائر الأمة، لم يكن القول الذى انفردوا به[2] إلا خطأ، بخلاف المضافين إليه أهل السنة والحديث؛ فإن الصواب معهم دائما، ومن وافقهم كان الصواب معه دائما لموافقته إياهم، ومن خالفهم فإن الصواب معهم دونه فى جميع أمور الدين؛ فإن الحق مع الرسول، فمن كان أعلم بسنته / وأتبع لها كان الصواب معه.

استطراد لبيان أن الحق دائما مع السنة والآثار الصحيحة

ص ١٩٥

وهؤلاء هم الذين لا ينتصرون إلا لقوله، ولا يضافون إلا إليه، وهم أعلم الناس بسنته وأتبع لها. وأكثر سلف الأمة كذلك، لكن التفرّق والاختلاف كثير فى المتأخرين. والذين رفع الله قدرهم فى الأمة هو بما أحيوه من سنته ونصرته. وهكذا سائر طوائف الأمة، بل سائر طوائف الخلق، كل حير معهم فيما جاءت به الرسل عن الله، وما كان معهم من خطأ أو ذنب فليس من جهة الرسل.

ولهذا كان الصحابة إذا تكلموا فى مسألة باجتهادهم، قال أحدهم: أقول فيها برأيى؛ فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه. كما قال أبوبكر رضى الله عنه فى الكلالة، وكما قال ابن مسعود فى المفوّضة إذا مات عنها زوجها، وكلاهما[3] أصاب فيما قاله برأيه، لكن قال الحق؛ فإن القول إذا كان

---

(١) أ، ب، ح، ر، ى: وأن كل..

(٢) ح، ب: الذى انفردت به.

(٣) و: وكل منهما.

صوابا فهو مما جاء به الرسول عن الله، فهو من الله، وإن كان خطأ فالله لم يبعث الرسول بخطأ، فهو من نفسه ومن الشيطان، لا من الله ورسوله.

والمقصود بالإضافة إليه[1] الإضافة إليه من جهة إلاهيته، من جهة الأمر والشرع والدين، وأنه يحبه ويرضاه، ويثيب فاعله عليه. وأما من جهة الخلق، فكل الأشياء منه. والناس لم يسألوا الصحابة عمّا مِن الله خلقا وتقديرا، فقد علموا أن كل ما وقع فمنه. والعرب كانت فى جاهليتها تقرّ بالقضاء والقدر. قال ابن قتيبة وغيره: ما زالت العرب فى جاهليتها وإسلامها مقرّة بالقدر[2]. [وقد][3] قال عنترة:

ياعبل أين من المنيّة مهرب .. إن كان ربى فى السماء قضاها

وإنما كان سؤال الناس عمّا من الله من جهة أمره ودينه وشرعه الذى يرضاه ويحبه ويثيب أهله.

وقد علم الصحابة أن ما خالف الشرع والدين فإنه يكون من النفس والشيطان، وإن كان بقضاء الله وقدره، وإن كان يُعفى عن صاحبه، كما يُعفى عن النسيان والخطأ.

ونسيان الخير يكون من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٨]. وقال فتى موسى صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [سورة الكهف: ٦٣] وقال: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [سورة يوسف: ٤٢].

---

(١) ر، ح، ى، ب: والمقصود هنا بالإضافة إليه.

(٢) ب (فقط): مقرة بالقضاء والقدر.

(٣) وقد: ساقطة من (ن).

ولما نام النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الوادى عن الصلاة قال: «هذا وادٍ حضرنا فيه الشيطان»[1]. وقال: «إن الشيطان أتى بلالا فجعل يهدّيه[2] كما يهدّى الصبى حتى نام»[3] فإنه كان وكّل بلالا أن يكلأ لهم الصبح[4]، مع قوله: «ليس فى النوم تفريط»[5] وقال: «إن الله قبض

---

(١) و: شيطان. والحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: مسلم ١/٤٧١ - ٤٧٢ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها): ولفظه: «عرَّسنا مع نبى الله صلى الله عليه وسلم فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «ليأخذ كل رجل برأس راحلته، فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان» قال: ففعلنا، ثم دعا بالماء فتوضأ، ثم سجد سجدتين». (التعريس: نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة). والحديث فى: سنن النسائى ١/٢٤٠ (كتاب المواقيت، باب كيف يقضى الفائت من الصلاة)؛ المسند (ط. المعارف) ١٨/١٥٢. وأما لفظ: «هذا وادٍ حضرنا فيه الشيطان» فانظر عنه التعليق التالى.

(٢) ح: يهدّه.

(٣) الحديث عن زيد بن أسلم رضى الله عنه فى: الموطأ ١/١٤ - ١٥ (كتاب وقوت الصلاة، باب النوم عن الصلاة): ونصه: «عرّس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بطريق مكة، ووكّل بلالا أن يوقظهم للصلاة، فرقد بلال ورقدوا، حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس، فاستيقظ القوم وقد فزعوا. فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى، وقال: «إن هذا وادٍ به شيطان» فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى.. الحديث وفيه: ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر فقال: «إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلّى، فأضجعه، فلم يزل يُهَدِّئُهُ كما يُهَدَّأُ الصبى حتى نام»... الخ. وفى التعليق: «هذا مرسل باتفاق رواة الموطأ».

(٤) يكلأ لهم الصبح: أى يرقبه ويحفظه ويحرسه، ومصدره الكِلاء.

(٥) هذه عبارة جاءت فى حديث رواه أبو قتادة رضى الله عنه فى: مسلم ١/٤٧٢ (كتاب المساجد.. ، باب قضاء صلاة الفائتة..) ولفظه: «أما أنه ليس فى النوم تفريط» وأول الحديث: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم. الحديث.

أرواحنا»[1]. [وقال له بلال: «أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك»][2] وقال: «من نام عن صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك».

ومع قوله تعالى عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]. قال تعالى: «قد فعلت»[3].

وكذلك الخطأ فى الاجتهاد من النفس والشيطان وإن كان مغفورا لصاحبه. وكذلك الاحتلام فى المنام من الشيطان. وفى الصحيحين عنه أنه قال: «الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه فى اليقظة فيراه فى المنام»[4]. فالنائم يرى فى منامه ما يكون من الشيطان، وهو كما قال صلى الله عليه وسلم «رفع

---

(١) جاءت هذه العبارة فى حديث الموطأ المشار إليه قبل قليل. وجاءت عبارة مماثلة فى حديث ذى مخمر الحبشى فى المسند (ط. الحلبى) ٤/ ٩٠-٩١.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (أ). وفى (و).. أخذ بنفسك يارسول الله. وهذه العبارة والعبارة التالية: «من نام عن صلاة.. الخ. جاءت فى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى مسلم فى الموضع السابق ١/ ٤٧١ وانظر ما يلى بعد صفحات (ص ٢١١).

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٤/ ٤٥٨.

(٤) هذا جزء من حديث عن أبى هريرة - وفى رواية عن عوف بن مالك - رضى الله عنهما فى: مسلم ٤/ ١٧٧٣ (كتاب الرؤيا، أول الكتاب)؛ سنن الترمذى ٣/ ٣٦٣ (كتاب الرؤيا، باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)؛ سنن أبى داود ٤/ ٤١٦، ٤١٧ (كتاب الأدب، باب ما جاء فى الرؤيا)؛ سنن ابن ماجة ٢/ ١٢٨٥ (كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا ثلاث)؛ المسند (ط. المعارف) ١٤/ ٦٠، ٦١.

واختلفت ألفاظ هذا الحديث، والرواية عن أبى هريرة فى مسلم أولها: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب... الحديث.. وفيه: الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة (فى سنن أبى داود: فالرؤيا الصالحة) بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه».

القلم عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصبى حتى يحتلم»[1]. وأعذرهم النائم، ولهذا لم يكن لشىء من أقواله التى تسمع منه[2] فى المنام حكم باتفاق العلماء، فلو طلّق أو أعتق أو تبرع أو غير ذلك فى منامه كان لغواً، بخلاف الصبى المميّز، فإن أقواله قد تعتبر، إما بإذن الولى، وإما بغير إذنه، فى مواضع بالنص، وفى مواضع بالإجماع.

٣/ ٤٧ وكذلك الوسواس فى النفس يكون من الشيطان / تارة ومن النفس تارة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [سورة ق: ١٦]. وقال: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [سورة طه: ١٢٠][3]، وقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠].

والوسوسة من جنس الوشوشة بالشين المعجمة[4]، ومنه وسوسة[5] الحلى، وهو الكلام الخفى والصوت الخفى.

---

(١) الحديث عن عائشة وعلىّ رضى الله عنهما فى: سنن أبى داود ٤/ ١٩٧ - ١٩٩ (كتاب الحدود، باب فى المجنون يسرق أو يصيب حدا) فى أكثر من موضع؛ سنن الترمذى ٢/ ٤٣٨ (كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد)؛ سنن ابن ماجة ١/ ٦٥٨ (كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم)؛ سنن الدارمى ٢/ ١٧١ (كتاب الحدود، باب رفع القلم عن ثلاثة)؛ المسند (ط. الحلبى) ٦/ ١٠٠/ ١٠١/ ١٤٤. وجاء الحديث موقوفا عن علىّ رضى الله عنه فى: البخارى ٧/ ٤٦ (كتاب الطلاق، باب الطلاق فى الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما...)، ٨/ ١٦٥ (كتاب الحدود، باب لا يرجم المجنون والمجنونة).

(٢) عند عبارة «التى تسمع منه» تعود نسخة (م).

(٣) آية سورة طه فى (أ)، (ب) فقط.

(٤) المعجمة: ساقطة من (ن).

(٥) ن، ر: وشوشة.

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَـٰهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ١-٦]. وقد قيل: إن المعنى: من الذى يوسوس فى صدور الناس: من الجنة ومن الناس، وأنه جعل الناس أولا تتناول الجنة والناس، فسمّاهم ناساً، كما سماهم رجالا. قاله الفراء.

وقيل: المعنى: من شر الموسوس فى صدور الناس من الجن، ومن شر الناس مطلقا. قاله الزجّاج. ومن المفسرين كأبى الفرج بن الجوزى من لم يذكر غيرهما، وكلاهما ضعيف. والصحيح أن المراد القول الثالث، وهو [أن][1] الاستعاذة من شر الموسوس من الجِنّة ومن الناس فى صدور الناس، فأمر بالاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن[2].

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

وفى حديث أبى ذر الطويل الذى رواه أبو حاتم بن حبّان فى صحيحه

---

(١) أن: زيادة فى (أ)، (ب).

(٢) انظر القولين الأول والثانى فى تفسير ابن الجوزى «زاد المسير» ٩/ ٢٧٩. وذهب إلى القول الثالث الذى ذكره ابن تيمية ابن كثير فى تفسيره فذكر آية ١١٢ من سورة الأنعام ثم ذكر حديث أبى ذر رضى الله عنه. وذهب إلى هذا التفسير القرطبى قبل ابن تيمية فقال: «أخبر أن الموسوس قد يكون من الناس. قال الحسن: هما شيطانان؛ أما شيطان الجن فيوسوس فى صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتى علانية. وقال قتادة: إن من الجن شياطين وإن من الإنس شياطين، فتعوذوا بالله من شياطين الإنس والجن». ثم ذكر القرطبى حديث أبى ذر (رواية مخالفة للحديث هنا) وأورد آية ١١٢ من سورة الأنعام.

بطوله قال: «يا أبا ذر تعوّذ بالله من شياطين الإنس والجن». فقال: يارسول الله أو للإنس شياطين؟ قال: «نعم، شر من شياطين الجن»[1].

وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٤]. والمنقول عن عامة المفسرين أن المراد شياطين الإنس، وما علمت أحدا قال: إنهم شياطين الجن[2]. فعن ابن مسعود وابن عباس والحسن والسدى: أنهم رؤوسهم[3] فى الكفر. وعن أبى العالية ومجاهد: إخوانهم من المشركين. وعن الضحاك وابن السائب: كهنتهم[4].

والآية تتناول هذا كله وغيره، ولفظها يدل على أن المراد شياطين الإنس، لأنه قال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [سورة: البقرة: ١٤]. ومعلوم أن شيطان[5] الجن معهم لما لقوا الذين آمنوا، لا يحتاج أن يخلوا به[6]، وشيطان الجن هو

---

(١) الحديث عن أبى ذر رضى الله عنه فى: سنن النسائى ٢٤٢/٨ (كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس). وهو عنه فى: المسند (ط. الحلبى) ١٧٨/٥، ١٧٩، ٢٦٥ وأوله: يا أبا ذر... هل صليت؟ قلت: لا. قال: قم فصل. قال: فقمت فصليت ثم جلست. فقال: يا أبا ذر تعوّذ بالله من شر شياطين الإنس... الحديث.

(٢) إنهم شياطين الجن: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: إنهم من الجن.

(٣) ح، ب: رؤساؤهم.

(٤) انظر تفسير ابن كثير (ط. الشعب) للآية ٧٦/١-٧٧؛ زاد المسير لابن الجوزى ٣٤/١-٣٥.

(٥) شيطان: كذا فى (و) فقط. وفى سائر النسخ: شياطين.

(٦) ن، م، ح، ب: أن يخلو به؛ و: أن يخلونه.

الذى أمرهم بالنفاق، ولم يكن ظاهرا حتى يخلو[1] معهم، ويقول: إنا معكم، لا سيما إذا كانوا يظنون أنهم على حق.

ظ ١٩٥ / كما قال تعالى: ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَآءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣]، ولو علموا أن الذى يأمرهم[2] بذلك شيطان لم يرضوه.

وقد قال الخليل بن أحمد: كل متمرد عند العرب شيطان. وفى اشتقاقه قولان أصحهما أنه من شَطَنَ يَشْطن إذا بعد عن الخير، والنون أصلية. قال أمية بن أبى الصلت فى صفة سليمان عليه السلام:

أيُّما شاطنٍ[3] عصَاه عكاهُ .. ثُم يُلقى فى السِّجن والأغلال[4]

عكاه: أوثقه. وقال النابغة:

نأت بسُعاد عنك نَوَىَ شَطُون .. فبانت والفؤاد بها رهينُ[5]

ولهذا قرنت به[6] اللعنة؛ فإن اللعنة هى البعد من الخير، والشيطان بعيد من الخير، فيكون وزنه «فيعالا»، و«فيعال»[7] نظير فعَّال، وهو من صفات المبالغة، مثل القيّام والقوّام، فالقيّام فيعال، والقوّام فعّال، ومثل العيّاذ والعوّاذ[8]. وفى قراءة عمر: (الحىّ القيّام).

---

(١) أ، ر: حتى يخلوا.
(٢) ن: أمرهم.
(٣) و، أ: شيطان.
(٤) البيت فى تفسير الطبرى (ط. المعارف) ١١٢/١ وهو فى ديوانه تحقيق د. عبدالحفيظ السطلى) ص ٤٤٥.
(٥) فى ديوان النابغة (تحقيق الدكتور شكرى فيصل) ص ٢٥٦.
(٦) ح: قارنته، ر: قرنته.
(٧) وفيعال: ساقطة من (أ)، (ب)
(٨) و: العيّاذ والعوّاذ؛ أ: العبّاد والقوّاد.

فالشيطان المتصف بصفة ثابتة قوية فى كثرة البعد عن الخير، بخلاف من بعد عنه مرة وقرب منه أخرى؛ فإنه لا يكون شيطانا. ومما يدل على ذلك قولهم: تشيطن يتشيطن شيطنة، ولو كان من شاط يشيط لقيل تشيط يتشيط. والذى قال: هو من شاط يشيط إذا احترق والتهب، جعل النون زائدة، وقال: وزنه فعلان. كما قال الشاعر:

وقد يَشِيطُ على أرمَاحنا البَطَلُ[1]

وهـذا يصـح فى الاشتقاق الأكبر الذى يعتبر فيه الاتفاق فى جنس الحروف، كما يُروى عن أبى جعفر أنه قال: العامة مشتق من العمى، ما رضى الله أن يشبههم[2] بالأنعام، حتى قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ وهذا كما يقال: السرية مأخوذة من السر، وهو النكاح. ولو جرت على القياس لقيل: / سرّيرة[3] فإنها على وزن فعّيلة[4]. ولكن العرب تعاقب بين الحرف المضاعف والمعتل، كما يقولون تقضّى البازى وتقضض.

٤٨/٣

قال الشاعر: تقضّى البازى إذا[5] البازى كسر[6]

ومنـه قولـه تعـالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩]، وهذه الهاء تحتمل أن تكون أصلية فجُزمت بلم، ويكون من سانهت، وتحتمـل أن تكـون هاء السكت، كالهـاء من «كتـابيه»

---

(١) البيت للأعشى فى ديوانه (ط. جاير) ص ٤٠ وصدره: قَدْ نَطْعَنُ العَيْرَ فى مكنون فَائِلِهِ

(٢) أ، و: أن شبههم.

(٣) أ: سرية.

(٤) ن، أ، ر: فعلية.

(٥) ن، و، ح: إن.

(٦) البيت للعجاج فى ديوانه (ط. د. عزة حسن) ص ٢٨.

و «حسابيه» و «اقتده» و «ماليه» و «سلطانيه». وأكثر القراء يثبتون الهاء وصلا ووقفا، وحمزة والكسائى يحذفانها من الوصل هنا ومن «اقتده» فعلى قراءتهما يجب أن تكون هاء السكت، فإن الأصلية لا تُحذف، فتكون لفظة «لم يتسنّ» كما تقول: لم يتغن، وتكون مأخوذة من قولهم: تسنّى يتسنّى. وعلى الاحتمال الآخر تكون من: تسنه يتسنه، والمعنى واحد. قال ابن قتيبة: أى لم يتغير بمرّ السنين عليه. قال: واللفظ مأخوذ من السنه، يُقال[1]: سانهت النخلة إذا حملت عاما وحالت عاما. فذكر ابن قتيبة لغة من جعل الهاء أصلية، وفيها لغتان: يقال: عاملته مسانهة ومساناة. ومن الشواهد لما ذكره ابن قتيبه قول الشاعر:

فليست بسَنهاء ولا رُجَّبِيَّة[2] . . ولكن عرايا[3] فى السنين الجوائح[4]

يمدح النخلة، والمقصود مدح صاحبها بالجود، فقال: إنه[5] يعرّيها لمن يأكل ثمرها، لا يرجبها[6] لتخلية[7] ثمرها[8]، ولا هى بسنهاء[9].

والمفسرون من أهل اللغة يقولون فى الآية: معناه: لم يتغير. وأما لغة من قال: إن أصله سنوة فهى مشهورة، ولهذا يُقال فى جمعها: سنوات،

---

(١) م، ر، ى: يقول؛ ح، ب: تقول.

(٢) و: ولا رحبيه؛ ب، ر: ولا رحبية. وفى سائر النسخ: ولا عربية.

(٣) ن، م، و، أ: عرايا

(٤) أ: الحوايج. وذكر ابن منظور البيت فى «اللسان» كما أثبته هنا، وقال إنه لبعض الأنصار، وهو سُويد بن الصامت.

(٥) أ: بالجود وانه.

(٦) أ، ر، ى، ح: لا يرجيها.

(٧) أ، ر: لتحلية؛ و: لنحليته.

(٨) و: الثمرة.

(٩) أ: ولا هى منها.

ويشابهه فى الاشتقاق الأكبر الماء الآسن، وهو المتغير المنتن، ويشابهه فى الاشتقاق الأصغر الحمأ المسنون، فإنه مِنْ سَنَّ، يقال: سننت الحجر على الحجر إذا حككته، والذى يسيل بينهما[1] سنن[2] ، ولا يكون إلا منتنا[3]. وهذا أصح من قول من يقول: المسنون المصبوب على سنة الوجه، أو المصبوب[4] المفرّغ، أى أبدع صورة الإنسان؛ فإن هذا إنما كان بعد أن خُلق من الحمأ[5] المسنون، ونفس الحمأ لم يكن على صورة الإنسان ولا صورة وجه، ولكن المراد المنتن.

فقوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾ بخلاف قوله: ﴿ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [سورة محمد: ١٥]، فإنه من قولهم: أسن يأسن؛ فهذا من جنس الاشتقاق الأكبر، لاشتراكهما فى السين والنون [والنون][6] الأخرى، والهمزة والهاء متقاربتان فإنهما حرفا حلق، وهذا باب واسع.

والمقصود أن اللفظين إذا اشتركا فى أكثر الحروف وتفاوتا فى بعضها، قيل: أحدهما مشتق من الآخر، وهو الاشتقاق الأكبر، والأوسط أن يشتركا فى الحروف لا فى ترتيبها، كقول الكوفيين: الاسم مشتق من السمة. والاشتقاق الأصغر الخاص الاشتراك فى الحروف وترتيبها وهو المشهور، كقولك: عَلِمَ يَعْلَمُ فهو عَالِم.

---

(١) و: منهما.

(٢) ب (فقط): سنين.

(٣) أ: مبنيا؛ ر: بستا؛ و: مستنا.

(٤) ن: والمصبوب؛ و: أى المصبوب.

(٥) أ، ب، ن: الحماء.

(٦) والنون: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

وعلى هذا فالشيطان مشتق من شَطَنَ، وعلى الاشتقاق الأكبر هو من باب[1] شاط يشيط، لأنهما اشتركا فى الشين والطاء. والنون والياء متقاربتان.

فهو سبحانه[2] أمر فى سورة الناس بالاستعاذة من: شر الوسواس من الجِنَّة والناس، الذى يوسوس فى صدورالناس. ويدخل فى ذلك وسوسة نفس الإنسان له، ووسوسة غيره له.

والقول فى معنى الآية مبسوط فى مصنف مفرد[3].

والمقصود هنا أنه قد ثبت[4] فى الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة وابن عباس: «أن العبد إذا همّ بخطيئة لم تكتب عليه، فإن تركها لله كتبت له حسنة كاملة، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، وأنه إذا[5] همّ بحسنة كتبت له حسنة كاملة، فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة»[6].

---

(١) باب: زيادة فى (ن)، (م)

(٢) ح، ب: فالله سبحانه.

(٣) و: فى غير هذا الموضع. وقول ابن تيمية: «والقول فى معنى الآية... الخ» يفهم منه أن له مصنفا مفردا عن آية ٢٥٩ من سورة البقرة، ولم أجد فيما بين يدى من مراجع ومخطوطات ما يدل على ذلك. ولعل الصواب «والقول فى معنى السورة مبسوط فى مصنف مفرد» ويكون مقصود ابن تيمية سورة الناس فإن له رسالة خاصة فى تفسيرها نشرت فى مجموع فتاوى الرياض ١٧/٥٠٩ - ٥٣٦.

(٤) ن: فإن قيل إنه قد ثبت.

(٥) ن، م: وإذا.

(٦) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: البخارى ٨/١٠٣ (كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة)؛ مسلم ١/١١٧ - ١١٨ (كتاب الإيمان، =

وفى الصحيحين [عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم] أنه قال:[1] «إن الله تجاوز لأمتى عمَّا حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به»[2].

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل، فإذا ثُوِّب بالصلاة أدبر - يعنى الإقامة - فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر[3] بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يضل[4] الرجل إن يدرى كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين»[5].

= باب إذا هم العبد بحسنة كتبت...)؛ سنن الترمذى ٤/٣٣٠ (كتاب التفسير، سورة الأنعام). والحديث فى سنن الدارمى وفى سنن أحمد فى مواضع كثيرة.

(١) ن، م، و: وفى الصحيحين عنه أنه قال.

(٢) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٧/٤٦ (كتاب الطلاق، باب الطلاق فى الإغلاق والكره والسكران...) وأوله: «إن الله تجاوز عن أمتى... الحديث. وفى رواية مسلم: لأمتى. وهو فى: مسلم ١/١١٦ (كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس...)؛ سنن أبى داود ٢/٣٥٥ (كتاب الطلاق، باب فى الوسوسة بالطلاق)؛ سنن النسائى ٦/١٢٧ - ١٢٨ فى موضعين (كتاب الطلاق، باب من طلق فى نفسه)؛ سنن ابن ماجة (كتاب الطلاق، باب من طلق فى نفسه ولم يتكلم)؛ المسند (ط. الحلبى) ٢/٤٢٥.

(٣) ن: حتى يحضر.

(٤) ح، ى، ب، و: يظل.

(٥) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ١/١٢١ (كتاب الأذان، باب فضل التأذين) وأوله: إذا نودى للصلاة...؛ مسلم ١/٢٩١ - ٢٩٢ (كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه)؛ سنن النسائى ٢/١٩ (كتاب الأذان، باب فضل التأذين)؛ المسند (ط. المعارف) ١٦/٤٢ - ٤٣، (ط. الحلبى) ٢/٤٦٠، ٥٢٢.

فقد أخبر أن / هذا التذكير والوسواس من الشيطان، وأنه ينسيه حتى لا يدرى كم صلى، وأمره بسجدتى السهو، ولم يؤثّمه بذلك. والوسواس الخفيف لا يبطل الصلاة باتفاق العلماء. وأما إذا كان / هو الأغلب، فقيل: عليه الإعادة، وهو اختيار أبى عبدالله بن حامد. والصحيح الذى عليه الجمهور، وهو المنصوص عن أحمد وغيره، أنه لا إعادة عليه. فإن حديث أبى هريرة عام مطلق فى كل وسواس، ولم يأمر[1] بالإعادة، لكن ينقص أجره بقدر ذلك.

٣/ ٤٩

ص ١٩٦

قال ابن عباس: ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها. وفى السنن عن عمّار بن ياسر أنه صلّى صلاة فخففها، فقيل له فى ذلك، فقال: هل نقصت منها شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فإنى بدرت الوسواس، وإن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا عشرها، إلا تسعها، إلا ثمنها، حتى قال: إلا نصفها»[2].

وهذا الحديث حجة على ابن حامد؛ فإن أدنى ما ذكر نصفها، وقد ذكر إنه يكتب له عشرها. وأداء الواجب له مقصودان: أحدهما: براءة الذمة، بحيث يندفع عنه الذم والعقاب المستحق بالترك، فهذا لا تجب معه الإعادة، فإن الإعادة يبقى مقصودها حصول ثواب مجرد، وهو شأن

---

(١) ب (فقط): ولم يؤمر.

(٢) الحديث عن عمّار بن ياسر رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ١/٢٩٤ (كتاب الصلاة، باب ما جاء فى نقصان الصلاة) ولفظه: «إن الرجل لينصرف وما كُتب له إلا عُشْر صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نُصفها». وحسّن الألبانى الحديث فى «صحيح الجامع الصغير» ٢/٦٥.

التطوعات، لكن حصول الحسنات الماحية للسيئات[1] لا يكون إلا مع القبول الذى عليه الثواب، فبقدر ما يكتب له من الثواب يكفر عنه [به][2] من السيئات الماضية، وما لا ثواب فيه لا يكفر وإن برئت به الذمة.

كما فى الحديث المأثور: «رُبَّ صائم ليس حظه من صيامه إلا الجوع والعطش[3]، ورب قائم حظه من قيامه السهر»[4] يقول: إنه تعب ولم يحصل له منفعة، لكن برئت ذمته[5]، فسلم من العقاب، فكان على حاله لم يزدد بذلك خيرا.

والصوم إنما شرع لتحصيل التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «الصيام[6] جُنَّة، فإذا كان أحدكم

---

(١) ن، م، أ: السيئات؛ و: بالسيئات.

(٢) به: ساقطة من (ن)، (م). وفى (و): به عنه.

(٣) إلا الجوع والعطش: كذا فى (ب) فقط. وفى (و): حظه من صيامه العطش. وفى سائر النسخ: إلا العطش.

(٤) الحديث ـ مع اختلاف فى اللفظ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن ابن ماجة ١/٥٣٩ (كتاب الصيام، باب ما جاء فى الغيبة والرفث للصائم)، وجاء الحديث فيه بلفظ «رب صائم ليس له من صيامه.. الخ. وهو فى: سنن الدارمى ٢/٣٠١ (كتاب الرقاق، باب فى المحافظة على الصوم) ولفظه: «كم من صائم.... وجاء الحديث فى المسند (ط. المعارف) ١٧/٣٥ وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: إسناده صحيح، ١٨/٢٠٤ وصححه أيضا. وصحح الألبانى الحديث بروايتين له فى «صحيح الجامع الصغير» ٣/١٧٤.

(٥) ح، ب: لكن ذمته برئت وإن برئت ذمته..

(٦) ح، ب: الصوم.

صائما فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إنى صائم»[1]. وفيها ثلاثة أقوال فى مذهب أحمد وغيره. قيل: يقول[2] فى نفسه فلا يردّ عليه. وقيل: يقول[2] بلسانه. وقيل: يفرّق بين الفرض فيقول[3] بلسانه والنفل يقول فى نفسه؛ فإن صوم الفرض مشترك، والنفل يخاف عليه من الرياء. والصحيح أنه يقول[4] بلسانه، كما دل عليه الحديث؛ فإن القول المطلق لا يكون إلا باللسان، وأما [ما][5] فى النفس فمقيد، كقوله: «عمَّا حدثت به أنفسها» ثم قال: «ما لم تتكلم أو تعمل به» فالكلام المطلق إنما هوالكلام المسموع. وإذا قال بلسانه: إنى[6] صائم، بيّن عذره فى إمساكه عن الرد، وكان أزجر لمن بدأه بالعدوان.

وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»[7]. بيّن[8]

---

(١) هذا جزء من حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٣/٢٤ ـ ٢٥ (كتاب الصوم، باب فضل الصوم)، ٩/١٤٣ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدّلوا كلام الله)؛ مسلم ٢/٨٠٦ ـ ٨٠٧ (كتاب الصيام، باب فضل الصيام)؛ سنن أبى داود ٢/٤١٢ (كتاب الصوم، باب الغيبة للصائم). وجاء الحديث ـ مع اختلاف الألفاظ ـ فى باقى كتب السنن الأربعة وسنن الدارمى والموطأ والمسند فى مواضع كثيرة.

(٢) ح، ب: يقوله. (٣) ح، ب، ر: فيقوله. (٤) ح، ب: يقوله.

(٥) ما: ساقطة من (ن)، (م). (٦) ن، م: أنا.

(٧) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٣/٢٦ (كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور. . .)، ٨/١٧ ـ ١٨ (كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: واجتنبوا قول الزور)؛ سنن أبى داود ٢/٤١٢ (كتاب الصوم، باب الغيبة للصائم). والحديث فى سنن الترمذى وابن ماجة والمسند.

(٨) ح، ب، ر، ى: فبين.

صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لم يحرّم على الصائم الأكل لحاجته إلى ترك الطعام والشراب، كما يحرم السيد على عبيده بعض ماله، بل المقصود محبة الله تعالى، وهو حصول التقوى، فإذا لم يأت به فقد أتى بما ليس فيه محبة ورضا، فلا يثاب عليه، ولكن لا يعاقب[1] عقوبة التارك.

والحسنات المقبوله تكفّر السيئات، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في [الحديث] الصحيح[2]: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفّارة لما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر»[3] ولو كفّر الجميع بالخمس[4] لم يحتج إلى الجمعة، لكن التكفير بالحسنات المقبولة. وغالب الناس لا يكتب له من الصلاة إلا بعضها، فيكفر ذلك بقدره، والباقي يحتاج إلى تكفير.

ولهذا جاء من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعماله الصلاة؛ فإن أكملت وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فإن كان له تطوع أكملت به[5] الفريضة، ثم يصنع في سائر الأعمال[6] كذلك»[7].

---

(١) ب (فقط): ولكن لا يعاقب عليه. (٢) ن، م: في الصحيح.

(٣) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي هريرة رضي الله عنه في: مسلم ١/٢٠٩ (كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس...)؛ سنن الترمذي ١/١٣٨ (كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس) وقال الترمذي: «وفي الباب عن جابر وأنس وحنظلة الأسيدي، حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح».

(٤) أ: بالجنس. (٥) و: كملت به. (٦) أ: الأفعال؛ ح، ب: أعماله.

(٧) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي هريرة رضي الله عنه في: سنن الترمذي =

وتكميل الفرائض[1] بالتطوع مطلق، فإنه يكون يوم القيامة يوم الجزاء، فإنه إذا ترك بعض الواجبات استحق العقوبة، فإذا كان له من جنسه[2] تطوع سدّ مسدّه فلا يعاقب، وإن[3] كان ثوابه ناقصا وله تطوع سدّ مسده فكمل ثوابه. وهو فى الدنيا يُؤمر بأن يعيد حيث تمكن إعادة ما فعله[4] ناقصا [من] الواجبات[5]، أو يجبره / بما ينجبر به، كسجدتَىْ السهو فى الصلاة، وكالدم الجابر لما تركه من واجبات الحج، ومثل صدقة الفطر التى فرضت طهرة للصائم من اللغو والرّفث. وذلك لأنه إذا أمكنه[6] أن يأتى بالواجب كان ذلك عليه، ولم يكن قد برىء من عهدته، بل هو مطلوب به[7] كما لو لم يفعله، بخلاف ما إذا تعذّر فعله يوم[8] الجزاء؛ فإنه لم يبق هناك إلا الحسنات.

٣/ ٥٠

ولهذا كان جمهور العلماء على أن من ترك واجبا من واجبات الصلاة

= ١/٢٥٨ - ٢٥٩ (كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة) وأوله: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة.. الحديث. وقال الترمذى: «حديث أبى هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد رُوى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبى هريرة». والحديث فى: سنن أبى داود ١/٣١٧ (كتاب الصلاة، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: كل صلاة لا يتمها صاحبها..)؛ سنن النسائى ١/١٨٧ - ١٨٩ (كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة)؛ سنن ابن ماجة ١/٤٥٨ (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فى أول ما يحاسب به العبد الصلاة)، المسند (ط. المعارف) ١٥/١٩ - ٢٦. وقال أحمد شاكر رحمه الله: وإسناده صحيح، وتكلم على الحديث. والحديث فى المسند فى مواضع أخرى كثيرة.

(١) ن، م: الفرض. (٢) أ: من حسنة.. (٣) ن: فإن.

(٤) ر، ى: إلا ما فعله. (٥) ن، م، و، ى، ر: ناقص الواجبات.

(٦) ر، ح، ى: إذا أمكن. (٧) ن: مطلوب منه به. (٨) و: ليوم.

عمدا فعليه إعادة الصلاة مادام يمكن فعلها، وهو إعادتها فى الوقت. هذا مذهب مالـك والشـافعى وأحمد، لكن مالك وأحمد يقولان: قد يجب فيها ما يسقط بالسهو، ويكون سجود السهو عوضا عنه، وسجود السهو واجب عندهما. وأما الشافعى فيقول: كل ما وجب بطلت الصلاة بتركه عمدا أو سهوا. وسجود السهو عنده[1] ليس بواجب؛ فإن ما صحت الصـلاة مع السهو عنه[2] لم يكن واجبا ولا مبطلا. والأكثرون يوجبون سجود السهو، كمـالك وأبى حنيفة وأحمد، ويقولون: قد أمر به النبى صلى الله عليه وسلم. والأمر يقتضى الإيجاب، ويقولون: الزيادة فى الصلاة لو فعلها عمدا بطلت الصلاة بالاتفاق، مثل أن يزيد ركعة خامسة عمداً، أو يسلّم عمدا قبل إكمال الصلاة، ثم إذا فعله سهوا سجد للسهو بالسنة والإجماع.

فهذا سجود لما تصح الصلاة مع سهوه دون عمده. وكذلك ما نقصه منهـا؛ فإن السجـود يكون للزيادة تارة وللنقص أخرى، كسجود النبى صلى الله عليه وسلم لما ترك التشهد الأول، ولو فعل ذلك أحد عمدا بطلت / صلاته عند مالك وأحمد. وأما أبو حنيفة فيوجب (*فى الصلاة ما لا تبـطل بتركه[3] [لا][4] عمدا ولا سهوا، ويقول: هو مسىء بتركه، كالطمأنينة وقراءة الفاتحة.

ظ ١٩٦

(١) ن، م، ر، ح، و، ى: عندهم.
(٢) ن، م: عن السهو عنه، وهو تحريف.
(*ـ*) : ما بين النجمتين ساقط من (أ).
(٣) و: ما لا يبطل تركه.
(٤) لا: ساقطة من (ن)، (م).

وهذا مما نازعه فيه الأكثرون، وقالوا: من ترك الواجب عمدا فعليه الإعادة الممكنة، لأنه لم يفعل ما أُمر به، وهو قادر على فعله، فلا يسقط عنه.

وقد أخرجا[1] فى الصحيحين حديث المسىء فى صلاته، لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم*: «ارجع فصل؛ فإنك لم تصل» وأمره بالصلاة التى فيها طمأنينة[2]، فدل هذا الحديث الصحيح على أن من ترك الواجب لم يكن ما فعله صلاة، بل يؤمر بالصلاة. والشارع [صلى الله عليه وسلم][3] لا ينفى الاسم إلا لانتفاء بعض واجباته، فقوله: «فإنك[4] لم تصل» لأنه ترك بعض واجباتها، ولم تكن صلاته تامة مقامة الإقامة المأمور بها فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [سورة النساء: ١٠٣]، فقد أمر بإتمامها.

ولهذا لما أمر بإتمام الحج والعمرة بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

---

(١) ن، م، ر: وقد أخرجاه.

(٢) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه، وهو حديث مطول أوله عبارة: «ارجع فصل فإنك لم تصل» فى: البخارى ٨/١٣٥ - ١٣٦ (كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا فى الأيمان)؛ مسلم ١/٢٩٨ (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة....)؛ سنن الترمذى ١/١٨٥ - ١٨٧ (كتاب الصلاة، باب ما جاء فى وصف الصلاة) والحديث فيها عن رفاعة بن رافع وعن أبى هريرة؛ سنن النسائى ٢/٩٦ (كتاب الافتتاح باب فرض التكبيرة الأولى)؛ سنن ابن ماجة ١/٣٣٦-٣٣٧ (كتاب إقامة الصلاة، باب إتمام الصلاة).

(٣) صلى الله عليه وسلم: زيادة فى (ح)، (ب).

(٤) ر، ح، ب: إنك؛ ن: لأنك.

[سورة البقرة: ١٩٦] ألزم[1] الشارع فيهما فعل جميع الواجبات، فإذا[2] ترك بعضها فلابد من الجبران. فعُلم أنه [إن] لم يأت[3] بالمأمور به تاماً التمام الواجب[4] وإلا فعليه ما يمكن من إعادة أو جبران.

وكذلك أمر الذى رآه يصلى خلف الصف وحده أن يعيد. وقال: «لا صلاة لفذ خلف الصف»[5]. وقد صححه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن حزم وغيرهم من علماء الحديث.

فإن قيل: ففى حديث المسىء الذى رواه أهل السنن من حديث

---

(١) ألزم: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: لزم.

(٢) فإذا: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: وإذا.

(٣) إن: ساقطة من (ن)، (م)، (أ)، (ى). وفى (و): من لم يأت.

(٤) ح، ب: المأمور به بإتمام الواجب.

(٥) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن جاء الحديث عن على بن شيبان رضى الله عنه فى: سنن ابن ماجة ١/ ٣٢٠ (كتاب إقامة الصلاة...، باب صلاة الرجل خلف الصف وحده) ولفظه: خرجنا حتى قدمنا على النبى صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا خلفه، ثم صلينا وراءه صلاة أخرى، فقضى الصلاة، فرأى رجلا فرداً يصلى خلف الصف. قال: فوقف عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف، قال: «استقبل صلاتك، لا صلاة للذى خلف الصف». وجاء فى التعليق: «فى الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات». والحديث فى: المسند (ط. الحلبى) ٤/ ٢٣؛ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ص ١١٦ (حديث رقم ٤٠١، ٤٠٢) ط. السلفية. وصحح الألبانى الحديث فى «صحيح الجامع الصغير» ١/ ٣٢٢ وفى «إرواء الغليل» ٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩ وتكلم طويلا على صلاة المنفرد خلف الصف ٢/ ٣٢٣ - ٣٣٠ وتكلم على حديث وابصة بن معبد أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلى خلف الصف فأمره أن يعيد. وهو فى سنن أبى داود والترمذى والمسند.

رفاعة بن رافع أنه جعل ما تركه[1] من ذلك يؤاخذ بتركه[2] فقط، ويحسب له ما فعل، ولا يكون كمن لم يصل.

قيل: وكذلك نقول[3]: من فعلها وترك بعض واجباتها لم يكن بمنزلة من لم يأت بشىء منها، بل يُثاب على ما فعل، ويُعاقب على ما ترك، وإنما يؤمر بالإعادة لدفع عقوبة ما ترك، وترك الواجب سبب للعقاب، فإذا[4] كان يعاقب على ترك البعض لزمه أن يفعلها، فإن كان له جبران أو أمكن فعله وحده، وإلا فعله مع غيره، فإنه لا يمكن فعله مفردا.

فإن قيل: فإذا[5] لم يكن فعله مفردا طاعة لم يُثب عليه أولا.

قيل: هو أولا فعله ولم يكن يعلم أنه لا يجوز، أو كان ساهيا، كالذى يصلى بلا وضوء، أو يسهو عن القراءة والسجود المفروض، فيثاب على ما فعل، ولا يعاقب بنسيانه وخطئه، لكن يؤمر بالإعادة، لأنه لم يفعل ما أمر به أولا، كالنائم إذا استيقظ فى الوقت، فإنه يؤمر بالصلاة لأنها واجبة عليه فى وقتها إذا أمكن، وإلا صلاها أى وقت (*استيقظ؛ فإنه حينئذ يؤمر بها. وأما إذا أمر بالإعادة، فقد علم أنه لا يجوز فعل ذلك*) مفردا[6]، فلا يؤمر به مفردا[6].

---

(١) ن، م، ر، ى، و: ما ترك؛ ح: من ترك.

(٢) أ: بما يتركه؛ و: بما تركه.

(٣) ن، م، و، أ: يقول.

(٤) ب (فقط): فإن.

(٥) ن، م: فإن.

(**) : ما بين النجمتين ساقط من (أ).

(٦) ح، ب: منفردا.

٣/ ٥١ فإن قيل: فلو تعمد أن يفعلها مع ترك الواجبات / التى يعلم وجوبها.

قيل: هذا مستحق للعقاب؛ فإنه عاص بهذا الفعل، وهذا قد يكون إثمه كإثم التارك. وإن قُدِّر أن هذا قد[1] يثاب، فإنه لا يثاب [عليه][2] ثواب من فعله مع غيره كما أمر به، بل أكثر ما يُقال: إن له عليه ثوابا بحسبه[3]، لكن الذى يعرف أنه إذا لم يكن يعرف أن هذا واجب أو منهى عنه فإنه يثاب على ما فعله. قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة: ٧، ٨].

والقرآن وذكر الله ودعاؤه خير. وإلا فالمسلم لا يصلى إلى غير قبلة، أو بغير وضوء أو ركوع أو سجود، ومن فعل ذلك كان مستحقا للذم والعقاب. ومع هذا فقد يمكن إذا فعل ذلك، مع *اعترافه بأنه مذنب، لا على [طريق][4] الاستهانة[5] والاستهزاء والاستخفاف، بل على طريق الكسل، أن يثاب على ما فعله، كمن ترك واجبات الحج المجبورة بدم، لكن لا يكون ثوابه كما إذا فعل ذلك مع* غيره على الوجه المأمور به.

وبهذا يتبين الجواب عن شبهة أهل البدع من الخوارج والمرجئة وغيرهم، ممن يقول: إن الإيمان لا يتبعّض ولا يتفاضل ولا ينقص. قالوا: لأنه إذا ذهب منه جزء ذهب كله، لأن الشىء المركّب من أجزاء

---

(١) قد: ساقطة من (ح)، (ب).

(٢) عليه: زيادة فى (أ)، (ب).

(٣) ن، م، أ، ى: يحسبه.

(*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (أ).

(٤) طريق: ساقطة من (ن)، (م).

(٥) الاستهانة: ساقطة من (ن).

متى[1] ذهب منه جزء ذهب كله، كالصلاة إذا تَرَكَ منها واجبا بطلت. ومن هذا الأصل تشعبت بهم الطرق[2].

وأما الصحابة وأهل السنة والحديث فقالوا: إنه يزيد وينقص. كما قال النبى صلى الله عليه وسلم: «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة خردل[3] من إيمان»[4].

---

(١) ن، م: إذا.

(٢) يقول الأشعرى فى «مقالات الاسلاميين» ١/١٩٨ - ٢٠١ إن الجهمية من المرجئة يقولون: «إن الإيمان لا يتبعّض ولا يتفاضل أهله فيه» والإيمان عند الصالحية من المرجئة «لا يزيد ولا ينقص» ويقول الأشعرى إن السمرية أصحاب يونس السمري يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وقد يكون كافرا لو ترك خصلة منها، وقول الشمرية أصحاب أبى شمر واليونسية أصحاب يونس قريب من هذا فهم يقولون إن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له والمحبة له بالقلب والإقرار بأنه واحد ليس كمثله شىء والاقرار بالأنبياء والتصديق بهم، ولا يسمون كل خصلة من هذه الخصال إيمانا ولا بعض إيمان حتى تجتمع هذه الخصال، مثل الفرس لا تسمى بلقاء حتى يجتمع فيها السواد والبياض، والشبيبة من مرجئة الخوارج يقولون إن الإنسان لا يكون مؤمنا إلا بإصابة كل خصال الإيمان، وأن الخصلة من الإيمان قد تكون طاعة وبعض إيمان ولكن يكون صاحبها كافرا بترك بعض الإيمان.

(٣) أ، و: حبة من خردل...

(٤) الحديث عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فى: مسلم ١/٩٣ (كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه) ولفظه: «لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء». والحديث - مع اختلاف يسير فى الألفاظ - فى: سنن أبى داود ٤/٨٤ (كتاب اللباس، باب ما جاء فى الكبر)؛ سنن ابن ماجة ١/٢٢ - ٢٣ (المقدمة، باب فى الإيمان). وجاء حديث آخر عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ٤/١١٣ (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين...) ولفظه: «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان» قال أبو

وعلى هذا فنقول: إذا نقص شيء من واجباته فقد ذهب ذلك الكمال والتمام، ويجوز نفى الاسم إذا أُريد به نفى ذلك الكمال، وعليه أن يأتى بذلك الجزء: إن كان تَرَكَ واجبا فعله، أو كان ذنبا استغفر منه، وبذلك يصير من المؤمنين المستحقين لثواب الله المحض الخالص عن العقاب. وأما إذا ترك واجبا منه أو فعل محرما؛ فإنه يستحق العقاب على ذلك، ويستحق الثواب على ما فعل. والمنفى إنما هو المجموع، لا كل جزء من أجزائه، كما إذا ذهب واحد من العشرة، لم تبق العشرة عشرة، لكن بقي أكثر أجزائها.

وكذلك جاءت السنة فى سائر الأعمال كالصلاة وغيرها، أنه يُثاب على ما فعله[1] منها، ويُعاقب على الباقى، حتى إنه[2] إن كان له تطوع جُبر ما ترك بالتطوع، ولو كان ما فعل باطلا وجوده كعدمه لا يُثاب عليه لم يجبر بالنوافل شيء. وعلى ذلك دل حديث المسيء الذى فى السنن[3]: أنه إذا نقص منها شيئا أُثيب على ما فعله.

فإن قلت: فالفقهاء يطلقون أنه قد بطلت صلاته وصومه وحجه إذا ترك منه ركنا.

قيل: لأن الباطل فى عرفهم ضد الصحيح، والصحيح فى عرفهم ما

= سعيد: «فمن شك فليقرأ: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة). قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح». وذكره السيوطى. وقال الألبانى فى «صحيح الجامع الصغير»: صحيح وهو فى مسند أحمد وسنن النسائى.

(١) ح، ب: على ما فعل.

(٢) إنه: ساقطة من (ح)، (ب).

(٣) و: حديث النبى صلى الله عليه وسلم الذى فى السنن فى المسيء..

حصل به مقصوده، وترتب عليه حكمه، وهو براءة الذمة. ولهذا يقولون: الصحيح ما أسقط القضاء. فصار قولهم: بطلت، بمعنى: وجب القضاء، لا بمعنى: أنه لا يثاب عليها بشيء في الآخرة.

وهكذا جاء النفي في كلام الله ورسوله، كقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[1]، وقوله: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥]؛ فإن نفي الإيمان عمَّن ترك واجبا منه أو فعل محرما

---

(١) هذا جزء من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في: البخاري ٣/١٣٦ (كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه)، ٧/١٠٤ (كتاب الأشربة، باب إنما الخمر والميسر...)، ٨/١٥٧ (كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر)، ٨/١٦٤ (كتاب الحدود، باب إثم الزناة)؛ مسلم ١/٧٦، ٧٧ (كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي...)؛ سنن أبي داود ٤/٣٠٦ (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)؛ سنن الترمذي ٤/١٢٧ (كتاب الإيمان، باب لا يزني الزاني وهو مؤمن)؛ سنن ابن ماجة ٢/١٢٩٨ - ١٢٩٩ (كتاب الفتن، باب النهي عن النهبة)؛ سنن الدارمي ٢/١١٥ (كتاب الأشربة، باب في التغليظ لمن شرب الخمر)؛ المسند (ط. المعارف) ١٣/٤١. ونص الحديث في: البخاري ٣/١٣٦: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن».

(٢) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه في المسند (ط. الحلبي) ٣/١٣٥ وأوله: «... عن أنس بن مالك قال: ما خاطبنا نبي الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له....» وهو أيضا فيه ٣/١٥٤، ٢١٠، ٢٥١.

فيه كنفي غيره، كقوله: «لا صلاة إلا بأم القرآن»[1]. وقوله للمسيء: «ارجع فصل فإنك لم تصل»[2]. وقوله للمنفرد خلف الصف لما أمره بالإعادة: «لا صلاة لفذ خلف الصف»[3]. وقوله: «من سمع النداء ثم لم يُجِب من غير عذر فلا صلاة له»[4].

ومن قال من الفقهاء: إن هذا لنفي الكمال.

قيل له: إن أردت الكمال المستحب؛ فهذا باطل لوجهين:

أحدهما: أن هذا لا يوجد قط فى لفظ الشارع: أنه ينفى عملا فعله العبد على الوجه الذى وجَبَ عليه، ثم ينفيه لترك بعض المستحبات. بل الشارع لا ينفى عملا إلا إذا لم يفعله العبد كما وجب عليه.

---

(١) و: إلا بفاتحة الكتاب. وجاء الحديث بلفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وبلفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن» عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه فى: البخارى ١/١٤٧ ـ ١٤٨ (كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم....)؛ مسلم ١/٢٩٥ (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة...)؛ سنن أبى داود ١/٣٠١ (كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة فى صلاته بفاتحة الكتاب) ولفظه: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصاعدا». والحديث فى سنن الترمذى والنسائى وابن ماجة والدارمى والموطأ والمسند. وتكلم عليه الألبانى كلاما مفصلا فى «إرواء الغليل» ٢/١٠ ـ ١٢ (حديث رقم ٣٠٢).

(٢) سبق الحديث قبل صفحات. (٣) سبق الحديث قبل صفحات.

(٤) جاء الحديث بلفظ «من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر» عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: سنن ابن ماجة ١/٢٦٠ (كتاب المساجد والجماعات، باب التغليظ فى التخلف عن الجماعة). وجاء الحديث بهذا اللفظ مرة وبلفظ: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له» فى المستدرك للحاكم ١/٢٤٥ (كتاب الصلاة) وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى. وصحح الألبانى الحديث فى «إرواء الغليل» ٢/٣٣٧ ـ ٣٣٨ وتكلم عليه وعلى روايات أخرى له.

الثانى : أنه لو نفى بترك مستحب، لكان عامة الناس لا صلاة لهم ولا صيام. فإن الكمال المستحب متفاوت، ولا أحد يصلى كصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أفكل من لم يكمّلها كتكميل الرسول يُقال: لا صلاة له؟

فإن قيل: فهؤلاء الذين يتركون فرضا من الصلاة أو غيرها / يؤمرون بإعادة الصلاة، والإيمان إذا تُرك بعض فرائضه لا يؤمر باعادته؟ ٣/ ٢

قيل: ليس الأمر بالإعادة مطلقا، بل يؤمر بالممكن؛ فإن أمكن الإعادة أعاد، وإن لم يمكن أُمر أن يفعل حسنات غير ذلك، كما لو ترك الجمعة؛ فإنه وإن أُمر بالظهر فلا تسدّ مسد الجمعة، بل الإثم الحاصل بترك الجمعة لا يزول جميعه بالظهر.

وكذلك من ترك واجبات الحج عمدا؛ فإنه يؤمر بها ما دام يمكن فعلها فى الوقت، فإذا فات الوقت أمر بالدم الجابر، ولم يكن ذلك مسقطا عنه إثم التفويت (*مطلقا، بل هذا الذى يمكنه من البدل، وعليه أن يتوب توبة تغسل إثم التفويت*)، كمن فعل محرما فعليه أن يتوب منه توبة تغسل إثمه، ومن ذلك أن يأتى بحسنات تمحوه. وكذلك من فوّت واجبا لا[1] يمكنه استدراكه، وأما إذا أمكنه استدراكه فعله بنفسه.

وهكذا نقول[2] فيمن ترك بعض واجبات الإيمان، بل كل مأمور تركه فقد ترك جزءا من ايمانه، فيستدركه بحسب الإمكان، فإن فات وقته تاب وفعل حسنات أخر غيره.

(*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (ح).

(١) ح، ب: لم. (٢) ن، م، و: يقول.

ولهذا كان الذى اتفق عليه العلماء أنه يمكن إعادة الصلاة فى الوقت الخاص والمشترك[1]، كما يصلّى الظهر بعد دخول العصر، ويؤخر[2] العصر إلى الإصفرار؛ فهذا تصح صلاته وعليه إثم التأخير، وهو من المذمومين فى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [سورة الماعون: ٤، ٥]، وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ﴾ [سورة مريم: ٥٩]، فان تأخيرها[3] عن الوقت الذى يجب فعلها فيه هو إضاعة لها وسهو عنها بلا نزاع أعلمه [بين العلماء][4]. وقد جاءت الآثار بذلك عن الصحابة والتابعين.

وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الأمراء الذين يؤخّرون الصلاة عن وقتها: «صلّوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة»[5]. وهم إنما كانوا يؤخرون الظهر إلى وقت العصر، والعصر

---

(١) و: أو المشترك. (٢) و: أو يؤخر.

(٣) فإن تأخيرها: كذا فى (ب) فقط. وفى سائر النسخ: فإن إضاعتها تأخيرها. وفى (ن): فإن إضاعتها تأخرها.

(٤) بين العلماء: ساقطة من (ن)، (م).

(٥) الحديث فى: مسلم ١/٤٤٩ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة...) ونصه... عن أبى العالية البرّاء، قال: قلت لعبدالله بن الصامت: نصلّى يوم الجمعة خلف أمراء، فيؤخّرون الصلاة. قال فضرب فخذى ضربة أوجعتنى. وقال: سألت أبا ذر عن ذلك، فضرب فخذى، وقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: «صلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة». قال: وقال عبدالله: ذُكر لى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم ضرب فخذ أبى ذر. والحديث عن أبى ذر رضى الله عنه أيضا فى: سنن الدارمى ١/٢٧٩ (كتاب الصلاة، باب الصلاة خلف من يؤخّر الصلاة عن وقتها)؛ المسند (ط. الحلبى) ٥/١٥٩. وانظر ٤/٣٣٨.

إلى وقت الاصفـرار. وذلك مما هم مذمومون عليه. ولكن ليسوا كمن تركها أو فوّتها حتى غابت الشمس؛ فإن هؤلاء أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتـالهم، ونهى عن قتال أولئك. فإنه لما ذَكَر أنه سيكون أمراء يفعلون ويفعلون. قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال «لا، ما صلوا»[1] وقد أخبر عن هذه الصلاة التى يؤخرونها، وأمر أن تُصلّى فى الوقت، وتعاد معهم نافلة؛ فدل على صحة صلاتهم، ولو كانوا لم يصلّوا لأمر بقتالهم.

وقد ثبت عنه فى الصحيحين أنه قال: «من أدركَ ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك [العصر][2]» مع قوله أيضا فى [الحديث] الصحيح[3]: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنَىْ شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا»[4].

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ١/١١٦.

(٢) العصر: فى (و)، (ب) فقط. والحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ «من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر» فى: البخارى ١/١١٦ (كتاب مواقيت الصلاة وفضلها، باب من أدرك من الفجر ركعة)؛ مسلم ١/٤٢٤ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة). وجاء الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ: «إذا أدرك أحدكم سجدة من صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته. . الحديث. وهو فى البخارى ١/١١٢ (كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب)؛ مسلم ١/٤٢٥ (الموضع السابق) وتكلم الألبانى على الحديثين فى «إرواء الغليل» ١/٢٧٢ - ٢٧٥ (رقم ٢٥٢، ٢٥٣).

(٣) ن، م: فى الصحيح.

(٤) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى: مسلم ١/٤٣٤ (كتاب المساجد. . ، باب استحباب التبكير بالعصر)؛ سنن الترمذى ١/١٠٧ (كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء

وثبت عنه فى الصحيحين[1] أنه قال: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِرَ أهلُه وماله»[2]. وثبت عنه فى الصحيحين[3] أنه قال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»[4]. وقال أيضا: «إن هذه الصلاة عرضت عَلَى من كان قبلكم فضيّعوها، فمن حافظ عليها كان له الأجر مرتين»[5].

وقد اتفق العلماء على ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم من قوله «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فإن ذلك وقتها»[6]. فاتفقوا

فى تعجيل العصر)؛ سنن النسائى ٢٠٣/١ (كتاب المواقيت، باب التشديد فى تأخير العصر). وقد سبق الحديث ٣١/٤.

(١) ن، م: وفى الصحيحين.

(٢) الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما بلفظ: «الذى تفوته صلاة العصر.. الخ فى: البخارى ١١١/١ (كتاب المواقيت، باب إثم من فاتته العصر)؛ مسلم ٤٣٥/١ (كتاب المساجد..، باب التغليظ فى تفويت صلاة العصر)، ٤٣٦/١ (بلفظ: من فاتته...) والحديث فى مواضع أخرى فى البخارى ومسلم وفى كتب السنن وفى الموطأ والمسند.

(٣) ن، م: وفى الصحيحين.

(٤) الحديث عن بريده رضى الله عنه فى: البخارى ١١١/١ (كتاب مواقيت الصلاة، باب من ترك العصر)؛ سنن النسائى ١٩١/١ (كتاب الصلاة، باب من ترك صلاة العصر). وتكلم الألبانى على الحديث فى (إرواء الغليل) رقم ٢٥٥.

(٥) الحديث عن أبى بصرة الغفارى رضى الله عنه فى: مسلم ٥٦٨/١ (كتاب صلاة المسافرين، باب الأوقات التى نهى عن الصلاة فيها) وأوله: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بالمخمص فقال... وآخره: .. كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد (والشاهد: النجم). والحديث فى: سنن النسائى ٢٠٨/١ (كتاب المواقيت، باب تأخير المغرب)؛ المسند (ط. الحلبى) ٣٩٦/٦ - ٣٩٧.

(٦) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه ـ مع اختلاف فى الألفاظ ـ فى: البخارى ١١٨/١ ـ ١١٩ (كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسى صلاة فليصل إذا ذكرها...)؛ مسلم ٤٧٧/١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة...).

على أن النائم يصلى إذا استيقظ، والناسي إذا ذكر، وعليه قضاء الفائتة على الفور عند جمهورهم، كمالك وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وغيرهم. وأما الشافعى فيجعل قضاء النائم والناسي على التراخى، ومن[1] نسى بعض واجباتها فهو كمن نسيها، فلو صلّى ثم ذكر بعد خروج الوقت أنه كان على غير وضوء أعاد، كما أعاد عمر وعثمان وغيرهما لما صلّوا بالناس، ثم ذكروا بعد الصلاة أنهم كانوا جنبا فأعادوا، ولم يأمروا المأمومين بالإعادة.

وفى حديث عمر أنه لم يذكر إلا بعد طلوع الشمس[2].

وكذلك إذا أخّرها تأخيرا يرى أنه جائز. كما أخرها النبى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب وصلّاها بعد مغيب الشمس[3] فإن ذلك التأخير إما أن يكون لنسيان منه، أو لأنه كان جائزا إذا كانوا مشغولين بقتال العدو أن يؤخروا الصلاة.

والحديث فى: سنن أبى داود والنسائى والترمذى وابن ماجة والدارمى والمسند والموطأ، وانظر «إرواء الغليل» ١/ ٢٩١ - ٢٩٣.

(١) ن، م: فمن.

(٢) لعل ابن تيمية يقصد بذلك حديث ابن مسعود رضى الله عنه، وهو فى المسند (ط. المعارف) ٥/ ٢٤٠ (رقم ٣٦٥٧) ولفظه.. أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية ليلا، فنزلنا دهاسا (أى سهلا) من الأرض، فقال: «من يكلؤنا؟» فقال بلال: أنا. قال: «إذن تنام». قال: لا. فنام حتى طلعت الشمس، فاستيقظ فلان وفلان، فيهم عمر، فقال: اهضبوا.فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: «افعلوا ما كنتم تفعلون» فلما فعلوا، قال: «هكذا فافعلوا، لمن نام منكم أو نسى». وصحح أحمد شاكر الحديث. وانظر «إرواء الغليل» ١/ ٢٩٣. وجاء الحديث مختصرا فى: سنن أبى داود ١/ ١٧٩ (كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو نسيها).

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٣/ ٤١١.

والعلماء لهم فى ذلك ثلاثة أقوال: قيل: يصلى حال القتال ولا يؤخر [الصلاة][1]، وتأخير الخندق منسوخ. وهذا مذهب مالك والشافعى والإمام أحمد / فى المشهور عنه. ٣/ ٥٣

وقيل: يخيّر بين تقديمها وتأخيرها. لأن الصحابة لما أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يصلوا العصر إلا فى بنى قريظة، كانت طائفة منهم أخّرت[2] الصلاة فصلوا بعد غروب الشمس، وكانت منهم طائفة / قالوا: لم يُرد منا إلا المبادرة إلى العدو لا تفويت[3] الصلاة. فصلّوا فى الطريق، فلم يعنف النبى صلى الله عليه وسلم أحداً من الطائفتين. والحديث فى الصحيحين من حديث ابن عمر[4]. وهذا قول طائفة من الشاميين وغيرهم، وهو إحدى الروايتين عن أحمد. ظ ١٩٧

وقيل: بل يؤخّرونها كما فعل يوم الخندق. وهو مذهب أبى حنيفة. ففى الجملة كل من أخّرها تأخيرا يُعذر به إما لنسيان أو لخطأ فى الاجتهاد فإنه يصليها بعد الوقت، كمن ظن أن الشمس لم تطلع فأخّرها حتى طلعت، أو ظن أن وقت العصر باقٍ فأخّرها حتى غربت فإن هذا يصلّى. وعلى قول الأكثرين ما بقى تأخيرها جائزا حتى تغرب الشمس، ومن قال: إنه يجوز التأخير فإنه يصلّيها، ولو أخّرها باجتهاده فإنه يصليها.

وإن قيل: إنه أخطأ فى اجتهاده[5]، وليس هذا من أهل الوعيد

---

(١) الصلاة: زيادة فى (ح)، (ب). (٢) ب (فقط): أخّروا.

(٣) أ: ولا تفوت؛ م: لا تفوت؛ ن: ولا تفويت.

(٤) وهو الحديث الذى أشرت إليه قبل قليل وسبق فيما مضى ٣/ ٤١١.

(٥) ح، ب: أخطأ باجتهاده.

المذكور فى قوله: «من ترك صلاة العصر [فقد][1] حبط عمله»[2] فإن هذا مجتهد متأوّل مخطىء. وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم «إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان»[3]. وهو حديث حسن، وقد دل عليه القرآن والحديث الصحيح[4].

وأما من فوَّتها عمدا عالما بوجوبها، أو فوّت بعض واجباتها الذى يعلم وجوبه منها؛ فهذا مما تنازع فيه العلماء. فقيل فى الجميع: يصح أن يصلّيها بعد التفويت، ويجب ذلك عليه، ويُثاب علىٰ ما فعل، ويعاقب على التفويت، كمن أخّر الظهر إلى وقت العصر، والمغرب والعشاء إلى آخر الليل من غير عذر.

وهذا قول أبى حنيفة والشافعى وأحمد يقولون[5]: هو[6] فى كل صلاة وجب[7] إعادتها فى الوقت فيجب إعادتها بعد الوقت. وأما مالك وغيره من أهل المدينة فيفرّقون بين ما يعاد فى الوقت وما يعاد بعد خروج الوقت، فما لم يكن فرضا بل واجبا ـ وهو الذى يسمونه سنة ـ أمروا بإعادة الصلاة إذا تركه فى الوقت، كمن صلّى بالنجاسة. وأما ما كان فرضا، كالركوع والسجود والطهارة، فإنه بمنزلة من لم يصل، فيعيد بعد الوقت.

---

(١) فقد: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

(٢) مضى الحديث قبل صفحات.

(٣) مضى هذا الحديث من قبل ٤/٤٥٨.

(٤) الصحيح: ساقطة من (ح)، (ى)، (ر).

(٥) أ، ح، و، ر، ى: يقولونه.

(٦) هو: زيادة فى (ن)، (م).

(٧) ب (فقط): وجبت.

وقد أنكر عليهم كثير من الناس التفريق بين الإعادة فى الوقت وبعده. وصنَّف المزنى مصنَّفا ردّ فيه على مالك ثلاثين مسألة منها هذه. وقد ردّ على المزنى الشيخ أبوبكر الأبهرى[1] وصاحبه القاضى عبدالوهاب. وعمدتهم أن الصلاة إن[2] فُعلت ـ كما أُمِر بها العبد ـ فلا إعادة عليه فى الوقت ولا بعده، وإن لم تفعل كما أُمر بها العبد فهى فى ذمته، فيعيدها فى الوقت وبعده. وأهل المدينة يقولون: فعلها فى الوقت واجب ليس لأحد قط أن يؤخّرهاعن الوقت، فإن كان الوقت أوكد مما ترك لم يعد بعد الوقت، لأنه ما بقى بعد الوقت يمكنه تلافيها؛ فإن الصلاة مع النجاسة أو عريانا خير من الصلاة بلا نجاسة بعد الوقت، فلو أمرناه أن يعيدها بعد الوقت لكنّا نأمره بأنقص مما صلّى، وهذا لا يأمر به الشارع، وهذا بخلاف من ترك ركنا منها، فذاك بمنزلة من لم يصل، فيعيد بعد الوقت.

وهذا الفرق مبنى على أن الصلاة من واجباتها[3] ما هو ركن لا تتم إلا به، ومنها ما هو واجب تتم بدونه[4]، إما مع السهو وإما مطلقا. وهذا قول الجمهور، وأبو حنيفة يوجب فيها ما لا يجب بتركه الإعادة بحال. فإذا

---

(١) ن، م: البهرى، وهو تحريف. وهو أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد بن صالح التميمى الأبهرى، ولد سنة ٢٨٩ وتوفى سنة ٣٧٥، له تصانيف فى شرح مذهب مالك والرد على مخالفيه. انظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٥/٤٦٢ ـ ٤٦٣؛ الأعلام ٧/٩٨.

(٢) ن، م: إذا.

(٣) بعد عبارة «من واجباتها» يوجد سقط طويل فى نسخة (ى) يظهر أنه كان نتيجة ضياع أوراق من المخطوطة إذ أن الكلام فى الصفحة التالية يبدأ بعبارة «به الشرك بل أرادت التقي الذى لا يقدم على الفجور» ووجدت هذه العبارة فى ص ٧٣/٣ (ب).

(٤) ر، ح: تتم به.

أوجب أهل المدينة فيها ما يجب بتركه الإعادة فى الوقت، كان أقرب إلى الشرع. وأحمد ـ مع مالك ـ يوجبان فيها ما يسقط بالسهو ويُجبر بالسجود، ثم ذلك الواجب إذا تركه عمدا أمره أحمد فى ظاهر مذهبه بالإعادة كما لو ترك فرضا، وأما مالك ففى مذهبه قولان فيمن ترك ما يجب السجود لتركه سهوا، كترك التشهد الأول، وترك تكبيرتين فصاعدا، أو قراءة[1] السورة والجهر والمخافتة فى موضعهما.

وقد اتفق الجميع على أن واجبات الحج منها ما يُجبر الحج مع تركه، ومنها ما يفوت الحج مع تركه فلا يجبر، كالوقوف بعرفة، فكذلك[2] الصلاة.

وقالت طائفة ثالثة: ما أمر الله به فى الوقت إذا تُرِك لغير عذر حتى فات وقته لم يمكن فعله بعد الوقت، كالجمعة، والوقوف بعرفة، ورمى الجمار؛ فإن الفعل / بعد الوقت عبادة لا تُشرع إلا إذا شرعها الشارع، فلا تكون مشروعة إلا بشرعه، ولا واجبة إلا بأمره. وقد اتفق المسلمون على أن من فاته الوقوف بعرفة لعذر أو لغيره[3] لا يقف بعرفة بعد طلوع الفجر، وكذلك رمى الجمار لا تُرمى بعد أيام منى، سواء فاتته[4] لعذر أو لغير عذر[5]. كذلك الجمعة لا يقضيها الإنسان سواء فاتته بعذر أو بغير

٣/ ٥٤

(١) أو قراءة: كذا فى (م)، (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: وقراءة.
(٢) ن، م: وكذلك.
(٣) ن، م، و: أو غيره.
(٤) أ: فاته؛ ن، م: فاتت.
(٥) ن، م: لعذر أو غيره؛ ح: لعذر أو بغير عذر؛ و، ر: بعذر أو بغير عذر.

عذر[1]، وكذلك لو فوّتها[2] أهل المصر كلهم لم يصلوها[3] يوم السبت.

وأما الصلوات الخمس فقد ثبت أن المعذور يصليها إذا أمكنه، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، فإن ذلك وقتها لا كفارة لها إلا ذلك»[4]. وكذلك صوم رمضان أمر الله المسافر والمريض والحائض أن يصوموا[5] نظيره فى أيام أخر.

والوقت المشترك بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء [وقت][6] لجواز فعلهما[7] جميعا عند العذر، وإن فعلتا لغير عذر ففاعلهما آثم، لكن هذه قد فعلت فى وقت هو وقتها فى الجملة.

وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالصلاة خلف الأمراء الذين يؤخّرون الصلاة، ونهى عن قتالهم، مع ذمهم وظلمهم. وأولئك كانوا يؤخّرون الظهر إلى العصر، فجاءت طائفة من الشيعة[8] فصاروا يجمعون بين الصلاتين فى وقت الأولى دائما من غير عذر، فدخل فى الوقت المشترك مِن جواز الجمع للعذر، من تأويل الولاة وتصحيح الصلاة مع إثم التفويت، ما لم يدخل فى التفويت المطلق؛ كمن يفطر شهر رمضان عمداً ويقول: أنا أصوم فى شوال، أو يؤخّر الظهر والعصر

---

(١) ن: بعذر أو بغيره؛ م: بعذر ولا بغيره.

(٢) ح: لو سهى.

(٣) و: وكذلك لو فوت أهل المصر كلهم صلاة الجمعة يوم الجمعة لم يصلوها.

(٤) سبق الحديث قبل صفحات (ص ٢١٢).

(٥) أ، و، ر: أن يصوم؛ ح، ب: أن تصوم.

(٦) وقت: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٧) ن، م: فعلها.

(٨) و: طائفة ثالثة من الشيعة..

عمداً، ويقول: أصليها بعد المغرب، ويؤخّر[1]/ المغرب والعشاء ويقول: ص ١٩٨
أصليهما بعد الفجر، أو يؤخّر الفجر ويقول: أصليها بعد طلوع الشمس، فهذا تفويت محض بلا عذر.

وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»، وقال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»[2]، فلو كان يمكنه الاستدراك لم يحبط عمله. وقوله: «وتر أهله وماله» أى صار وترا لا أهل له ولا مال، ولو كان فعلها ممكنا بالليل لم يكن موتوراً.

وقال: «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك»[3] فلو كان فعلها بعد المغرب صحيحا مطلقا، لكان مدرِكا، سواء أدرك ركعة أو لم يدرك؛ فإنه لم يرد أن من أدرك ركعة صحت صلاته بلا إثم، بل يأثم بتعمد ذلك، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، فإنه أمر بأن تُصلى الصلاة لوقتها الذى حدّه، وأن لا يُؤخر العصر إلى ما بعد الاصفرار، ففعلها قبل الاصفرار واجب بأمره، وقوله «صلو الصلاة لوقتها»[4]؛ فعلم أن هذا الإدراك لا يرفع الإثم عن غير المعذور، بل يكون

(١) ب (فقط): أو يؤخر.

(٢) مضى هذان الحديثان قبل صفحات (ص ٢١٢).

(٣) ب (فقط): فقد أدرك العصر. وسبق الحديث قبل صفحات (ص ٢١١).

(٤) سبق هذا الحديث مطولا قبل صفحات ٢٠٩/٥. وهذه العبارة جزء من عدة أحاديث وجاءت أحيانا بلفظ «صل الصلاة لوقتها» وأحيانا بلفظ «صلوا الصلاة لوقتها» وجمع مسلم هذه الأحاديث فى صحيحه ٤٤٨/١ - ٤٤٩ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار. . .) وهى أحاديث عن أبى ذر رضى الله عنه جاء فى أولها: قال لى رسول الله: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، =

قد صلّاها مع الإثم، فلو كانت أيضا تصلى بعد المغرب مع الإثم، لم يكن فرق بين من يصليها عند الاصفرار أو يصليها بعد الغروب، إلا أن يُقال: ذاك أعظم إثما. ومعلوم أنه كلما أخرها كان أعظم إثما، فحيث جاز القضاء مع وجوب التقديم كلما أخر القضاء كان أعظم لإثمه.

ومن نام عن صلاة أو نسيها فعليه أن يصلّيها إذا ذكرها؛ [فإن ذلك وقتها][1]. وإذا أخّرها من غير عذر أَثِم، كما يأثم من أخّر الواجب على الفور، ويصح فعلها بعد ذلك، فلو كانت العصر بعد المغرب بهذه المنزلة، لم يكن لتحديد وقتها بغروب الشمس، وقوله: «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس»[2] فائدة، بل كانت تكون كالواجب على الفور إذا أخّره، أو كانت تكون كالمغرب إذا أخرها إلى وقت العشاء. ومعلوم أن هذا قد يجوز - بل يُسنّ - كما فى ليلة المزدلفة، كما يُسّن تقديم العصر إلى وقت الظهر يوم عرفة بالسنة المتواترة واتفاق المسلمين.

أو يميتون الصلاة عن وقتها؟» قال: قلت: فما تأمرنى؟ قال: «صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصلِّ، فإنها لك نافلة»، وفى آخر حديث (رقم ٢٤٤) قال النبى صلى الله عليه وسلم: «صلو الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة». وجاء الحديث عن أبى ذر وبمعناه عن ابن مسعود وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم فى: سنن أبى داود ١٧٣/١ - ١٧٤ (كتاب الصلاة، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت)؛ سنن الترمذى ١١٣/١ - ١١٤ (كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء فى تعجيل الصلاة إذا أخّرها الإمام)؛ سنن ابن ماجة ٣٩٨/١ - ٣٩٩ (كتاب إقامة الصلاة...، باب ما جاء فيما إذا أخروا الصلاة عن وقتها).

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و).

(٢) سبق هذا الحديث قبل صفحات فى هذا الجزء ١٢/٥ .

وأما فعل العصر بعد المغرب[1]، فلم يؤذن فيه قط لغير المعذور، كما لم يؤذن فى صلاة المغرب قبل غروب الشمس. قال هؤلاء: والصلاة فى الوقت واجبة على أى حال بترك جميع الواجبات لأجل الوقت، فإذا أمكنه أن يصلّى فى الوقت بالتيمم، أو بلا قراءة، أو بلا إتمام ركوع وسجود، أو إلى غير القبلة، أو يصلّى عريانا، أو كيفما أمكن ـ وجب ذلك عليه، ولم يكن له أن يصلى بعد الوقت مع تمام الأفعال. وهذا مما ثبت بالكتاب والسنة وعامته مجمع عليه.

٣/ ٥٥ فعُلم أن الوقت مقدّم على جميع / الواجبات. وحينئذ فمن صلّى فى الوقت بلا قراءة، أو عريانا متعمدا، ونحو ذلك، إذا أُمر أن يصلّى بعد الوقت بقراءة وسترة، كان ما أُمر به دون ما فعله. ولهذا إذا لم يمكن إلا أحدهما، وجب أن يصلّى فى الوقت بلا قراءة ولا سترة، ولا يؤخرها. ويصلّى بعد الوقت بقراءة وسترة.

فعُلم أن ذلك التفويت[2] ما بقى استدراكه ممكنا، وأما المعذور فالله تعالى جعل الوقت فى حقه متى أمكنه، فمن نسى الصلاة ـ أو بعض واجباتها ـ صلّاها متى ذكرها[3]، وكان ذلك هو الوقت فى حقه.

وإذا قيل: صلاته فى الوقت كانت أكمل.

قيل: نعم، لكن تلك لم تجب عليه لعجزه بالنوم والنسيان، وإنما وجب عليه أن يصلّى إذا استيقظ وذكر، كما نقول فى الحائض إذا طهرت

---

(١) ح، ب: بعد الغروب.

(٢) ح، ب: التوقيت.

(٣) ن، م، و: متى ذكر.

فى وقت العصر فهى حينئذ مأمورة بالظهر والعصر، وتكون مصلية للظهر فى وقتها أداءً، وكذلك إذا طهرت آخر الليل صلت المغرب والعشاء، وكانت المغرب فى حقها أداءً، كما أمرها بذلك أصحاب رسول الله[1] صلى الله عليه وسلم: عبدالرحمن بن عوف، وابن عباس، وأبو هريرة رضى الله عنهم، ولم يُنقل عن صحابى خلافه.

وهذا يدل على أن هذا من السنة التى كان الصحابة يعرفونها؛ فإن مثل هذا يقع على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، حيث جعل الله المواقيت ثلاثة فى حق المعذور، وهـذه معـذورة. وهـذا مذهب مالك والشافعى وأحمد [بن حنبل][2]، وهويدل على أن الوقت مشترك فى حق المعذور، فلا يحتاج أن ينوى الجمع، كما هو قول الأكثرين: أبى حنيفة ومالك والإمام أحمد وقدماء أصحابه.

لكن الشـافعى، وطائفة من أصحاب أحمد، كالخرقى ومن وافقه، قالوا: تجب النيّة فى القصر والجمع. وجمهور العلماء على أنه لا تجب النية لا لهـذا ولا لهذا. وهذا مذهب مالك وأبى حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه[3]، وهو الصواب، كما بُسط فى غير هذا الموضع[4].

وقضية[5] الحائض مما يبين أن فعل الصلاة فى غير وقتها الذى أُمر بها

---

(١) ح، ب: النبى.

(٢) بن حنبل: زيادة فى (ح)، (ب).

(٣) عبارة «وقدماء أصحابه»: ساقطة من (ب) فقط.

(٤) ن، م: فى موضعه.

(٥) وقضية: كذا فى (أ) وفى سائر النسخ: قصة.

فيه غير ممكن؛ فإن ذلك لو كان ممكنا لكانت الحائض تؤمر بقضاء الصلاة أمر إيجاب أو [أمر] استحباب[1].

فإذا قيل: يسقط القضاء عنها تخفيفا.

قيل: فلو أرادت أن تصلّى قضاء لتحصّل[2] ثواب الصلاة التى فاتتها، لم يكن هذا مشروعا باتفاق العلماء، وكان لها أن تصلّى من النوافل ما شاءت؛ فإن تلك الصلاة لم تكن مأمورة بها فى وقتها. والصلاة المكتوبة لا يمكن فعلها إلا فى الوقت الذى أُمر به العبد، فلم يجز فعلها بعد ذلك. وكل من كان معذورا من نائم وناسٍ ومخطىء، فهؤلاء مأمورون بها فى الوقت الثانى، فلم يصلوا إلا فى وقت الأمر، كما أُمرت الحائض والمسافر والمريض بقضاء رمضان، وقيل فى المتعمد لفطره: لا يجزيه صيام الدهر ولو صامه.

قالوا: والناسي إنما أُمر بالصلاة إذا ذكرها، لم يؤمر بها قبل ذلك. وذلك هو الوقت فى حقه، فلم يصل إلا فى وقتها، وكذلك النائم إذا استيقظ إنما صلّى فى الوقت.

قالوا: ولم يجوّز الله لأحد أن يصلّى الصلاة لغير وقتها، ولا يقبلها منه فى غير وقتها ألبتة. وكذلك شهر رمضان. وفى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أفطر يوما من رمضان لم يقضه صيام الدهر وإن صامه»[3] قالوا: وإنما يقبل الله صيامه فى غير الشهر من المعذور،

---

(١) ن، م، و، أ: إيجاب أو استحباب.

(٢) ن، م: لتحصيل.

(٣) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٣٢/٣ (كتاب الصوم، باب إذا جامع =

كالمريض والمسافر والحائض، ومن اشتبه عليه الشهر فتحرّى فصام بعد ذلك، فإنه يجزيه الصيام، أما المعتمد للفطر فلا.

ظ ١٩٨ قالوا: ولهذا لم يأمر / النبى صلى الله عليه وسلم الذى جامع أهله فى رمضان بصوم، بل أمره بالكفّارة فقط. وقد جاء ذكر أمره بالقضاء فى حديث ضعيف ضعّفه العلماء: أحمد بن حنبل وغيره[1]. وكذلك جاء فى الذى يستقىء عمدا أنه يعيد، وهذا لم يثبت رفعه، وإنما ثبت أنه موقوف على أبى هريرة. وبتقدير صحته فيكون المراد به المعذور الذى اعتقد أنه يجوز له الاستقاء، أو المريض الذى احتاج إلى أن يستقىء فاستقاء؛ فإن الاستقاءة لا تكون فى العادة إلا لعذر، وإلا فلا يقصد العاقل أن يستقىء بلا حاجة[2]، فيكون المستقىء متداويا بالاستقاءة، كما يتداوى

= فى رمضان)؛ سنن أبى داود ٢/٤٢٢ - ٤٢٣ (كتاب الصوم، باب التغليظ فيمن أفطر عمدا)؛ سنن الترمذى ٢/١١٣ (كتاب الصوم، باب ما جاء فى الإفطار متعمداً).

(١) انظر كلام ابن قدامة فى «المغنى» ٣/١٠٩ - ١١٠ عن حكم من جامع أهله فى رمضان، ورأى فقهاء المذاهب فيها. ورأى وجوب القضاء لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمجامع «وصم يوما مكانه» رواه أبو داود بإسناده وابن ماجة والأثرم. وأما الكفارة فتلزمه للحديث المتفق عليه عن أبى هريرة قال: بينا نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل، فقال: يارسول الله هلكت. قال: «مالك؟». قال: وقعت على امرأتى فى رمضان وأنا صائم.. الحديث. وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره بالعتق أو بصيام شهرين متتابعين أو بإطعام ستين مسكينا، فلم يستطع، فأعطاه عرق فيه تمر وأمره بالتصدق به، فقال الرجل إنه لا يوجد من هو أفقر من أهل بيته، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال له: «أطعمه أهلك». وانظر ما ذكره الألبانى فى «إرواء الغليل» ٤/٨٨ - ٩٣ وكلامه على الحديثين ومخالفته لابن تيمية فى مسألة القضاء فانه استشهد بكلام ابن حجر فى الفتح (٤/١٥٠) حيث قال «وبمجموع هذه الطرق تعرف أن لهذه الزيادة (وهى قول النبى: وأمره أن يصوم يوماً مكانه) أصلا».

(٢) ن، م: لغير حاجة.

بالأكل، وهذا يُقبل منه القضاء ويؤمر به. وهذا الحديث ثابت عن أبى هريرة، وإنما اختلف فى رفعه، وبكل حال هذا معناه[1].

فإن أبا هريرة هو الذى / روى حديث الأعرابى، وحديث: «من أفطر يوما من رمضان لم يقضه صيام الدهر» فتحمل أحاديثه على الاتفاق لا على الاختلاف. وهذا قول طائفة من السلف والخلف، وهو قول أبى عبدالرحمن صاحب الشافعى، و[هو] قول[2] داود بن علىّ، وابن حزم[3]، وغيرهم.

٣/ ٥٦

قالوا: والمنازعون لنا ليس لهم قط حجة يردّ اليها عند التنازع، وأكثرهم يقولون: لا يجب القضاء إلا بأمر ثانٍ، وليس معهم هنا أمر.

ونحن لا ننازع فى وجوب القضاء فقط، بل ننازع فى قبول القضاء منه وصحة الصلاة فى غير وقتها، فنقول: الصلوات الخمس فى غير وقتها المختص والمشترك، المضيق والموسع، كالجمعة فى غير وقتها، وكالحج فى غير وقته، وكرمى الجمار فى غير وقتها. والوقت صفة للفعل، وهو من آكد واجباته، فكيف تُقبل العبادة بدون صفاتها[4] الواجبة فيها؟

(١) انظر كلام الألبانى على هذا الحديث فى «إرواء الغليل» ٤/ ٥١ ـ ٥٣ وقد صححه مرفوعا ونصه: عن أبى هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض». على أن للحديث وجها آخر ضعيف (انظر ٤/ ٥٣).

(٢) ن، م: وقول.

(٣) انظر ما ذكره ابن حزم فى وجوب القضاء على من استقاء وعدم وجوب القضاء على المتعمد للجماع فى رمضان فى «المحلى» ٦/ ١٧٥ ـ ١٧٧، ١٨٠ ـ ١٨٥.

(٤) ح، ب: صفتها.

وهـو لو صلّى إلى غير القبلة بغير عذر لم تكن صلاتـه إلا باطلة، وكذلك إذا صلّى قبل الوقت المشترك لغير عذر، مثل أن يصلّى الظهر قبل الزوال، والمغرب قبل المغيب، ولو فعل ذلك متأولا، مثل الأسير إذا ظن دخول شهر رمضان فصام، ومثل المسافر فى يوم الغيم وغيرهما إذا اجتهدوا فصلوا الظهر: قبل الزوال أو المغرب قبل الغروب؛ فهؤلاء فى وجوب الإعادة عليهم قولان معروفان للعلماء. والنزاع فى ذلك فى مذهب مالك والشافعى. والمعروف من مذهب أحمد أنه لا يُجْزئهم، ولو فعلوا ذلك فى الوقت المشترك، كصلاة العصر فى وقت الظهر، والعشاء قبل مغيب الشفق، فقياس الصحيح من مذهب أحمد أن ذلك يجزىء، فإنه جَمَع لعذر، وهو لا يشترط النية، وقد نصّ على أن المسافر إذا صلّى العشاء قبل مغيب الشفق أجزأه لجواز الجمع له، وإن كان لم يصلها مع المغرب، ولهذا يستحب له مع أمثاله تأخير الظهر وتقديم العصر، وتأخير المغرب وتقديم العشاء، كما نُقل عن السلف. فدل على أن الثانية إذا فُعلت هنا قبل الوقت الخاص أجزأته.

قالوا: فالنزاع فى صحة مثل هذه الصلاة، كالنزاع فى رمى الجمار [لا يُفعل بعد الوقت][1].

قال لهم الأولون: ما قستم عليه من الجمعة والحج ورمى الجمار لا يفعل بعد الوقت المحدود فى الشرع بحالٍ، لا لمعذورٍ ولا لغير معذور[2]. فعُلم أن هذه الأفعال مختصة بزمان كما هى مختصة بمكان.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و).

(٢) ن، م، و: ولا لغيره.

وأما الصلوات الخمس فيجوز فعلها للمعذور بعد انقضاء الأوقات، فعلم أنه يصح فعلها فى غير الوقت، وأن الوقت ليس شرطا فيها، كما هو شرط فى تلك العبادات.

قال الآخرون: الجواب من وجهين: أحدهما: أن يُقال: هب أنه يجوز فعل الصلاة بعد وقتها للمعذور، توسعةً من الله ورحمة[1]، وأما النائم والناسي فلا[2] ذنب لهما، فوسّع الله لهما عند الذكر والانتباه، إذ كان لا يمكنهما الصلاة إلا حينئذ. فأى شىء فى هذا مما يدل على جواز ذلك لمرتكب الكبيرة الذى لا عذر له فى تفويتها؟ والحج إذا فاته فى عام أمكنه أن يحج فى عام قابل، ورمى الجمار إذا فاته جعل له بدل عنها وهو النسك. والجمعة إذا فاتت صلّى الظهر. فكان[3] المعذور إذا فاتته هذه العبادات المؤقّتة شُرع له أن يأتى ببدلها، ولا إثم عليه، رحمة من الله فى حقه. وأما غير المعذور فجُعل له البدل أيضا فى الحج، لأن الحج يقبل النيابة؛ فإذا مات الإنسان جاز أن يُحَجَّ عنه، وإن كان مفرّطا[4]، فإذا جاز أن يحج عنه غيره فلأن يجوز أن يأتى هو بالبدل بطريق الأحْرى والأوْلى؛ فإن الدم الذى يخرجه هو أوْلى من فعل غيره عنه.

وأما الجمعة إذا فاتته، فإنما يصلى الظهر، لأنها الفرض المعتاد فى كل يوم، لا لأنها بدل عن الجمعة، بل الواجب على كل أحد: إما

---

(١) ح، ر: ورحمة لهما.

(٢) أ، ب: لأن النائم والناسي لا . . .

(٣) ن، م، و: وكان.

(٤) ح: مفروضا.

الجمعة وإما الظهر؛ فإذا أمكنه[1] الجمعة وجبت عليه، وإن لم يمكن صلّى الظهر، فإذا فاتت الجمعة أمكنه أن يصلّى الظهر، فوجب عليه صلاة الظهر. ولهذا لا يجوز فعلها عند أكثر العلماء إلا إذا فاتت الجمعة.

وأما الصلاة المكتوبة فلا تدخلها النيابة بحال، وكذلك صوم رمضان إن[2] كان قادرا عليه وإلا سقط عنه الصوم، وأطعم هو عن كل يوم مسكينا عند الأكثرين، وعند مالك لا شىء عليه. وأما ما وردت به السنة من صيام الإنسان عن وليّه، فذاك فى النذر، كما فسرته الصحابة الذين رووه بهذا، كما يدل عليه لفظه؛ فإنه قال: «من مات وعليه صيام صام / عنه وليه»[3] ٣/ ٥٧ والنذر فى ذمته وهو[4] عليه، وأما صوم رمضان فليس فى ذمته ولا هو عليه، بل هو ساقط عن العاجز عنه.

فلما كانت الصلوات الخمس وصيام رمضان لا يفعله أحد عن أحد أصلا، لم يكن لهما بدل، بخلاف الحج وغيره، فلهذا وسّع الشارع فى قضائهما للمعذور لحاجته إلى ذلك توسعةً منه ورحمة، وغيرهما لم يوسّع فى قضائه لأحد، لأنه لا حاجة [به][5] إلى قضائه لما شرع من البدل،

---

(١) ن، م: أمكنته؛ ح: أمكنت.

(٢) ح، ب: إذا.

(٣) الحديث عن عائشة رضى الله عنها فى: البخارى ٣/٣٥ (كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم)؛ مسلم ٢/٨٠٣ (كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت)؛ سنن أبى داود ٢/٤٢٣ ـ ٤٢٤ (كتاب الصوم، باب فيمن مات وعليه صيام) وقال أبو داود: «هذا فى النذر، وهو قول أحمد بن حنبل».

(٤) ن، م، و: فهو.

(٥) به: ساقطة من (ن)، (م).

ص ١٩٩ إما عبادة أخرى كالظهر عن الجمعة، والدم / عن واجبات الحج، وإما فعل الغير، كالحج عن المغصوب والميت.

فهذا يبين الفرق بين الصلاة والصوم وغيرهما، وبين المعذور وغيره، ويبين أن من وسّع [فيهما] لغير المعذور[١] كما يوسع للمعذور فقد أخطأ القياس.

الجواب الثانى: أنّا لم نقس قياسا استفدنا به حكم الفرع من الأصل؛ فإن ما ذكرناه ثابت بالأدلة الشرعية التى لا تحتاج إلى القياس معها كما تقدم، لكن ذكرنا القياس ليتصور الانسان ما جاء به الشرع فى هذا، كما يضرب الله الأمثال للتفهيم والتصوير، لا لأن ذلك هو الدليل الشرعى.

والمراد بهذا القياس أن يُعرف أن فعل الصلاة بعد الوقت، حيث حرّم الله ورسوله تأخيرها، بمنزلة فعل هذه العبادات. والمقصود تمثيل الحكم بالحكم، لا تمثيل الفعل بالفعل، فيُعرف[٢] أن المقصود أن الصلاة ما بقيت تُقبل ولا تصح، كما لا تقبل هذه ولا تصح؛ فإن من الجهال من يتوهم أن المراد بذلك تهوين[٣] أمر الصلاة، وأن من فوّتها سقط عنه القضاء، فيدعو ذلك السفهاء إلى تفويتها.

وهذا لا يقوله مسلم، بل من قال: إن من فوّتها فلا إثم عليه، فهو كافر مرتد يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل. ولكن تفويت الصلاة عمداً مثل تفويت شهر رمضان عمدا بإجماع المسلمين، فأجمع المسلمون كلهم من

---

(١) ن، م: أن من وسع لغيره.

(٢) ن: فيعلم.

(٣) ح، ب: توهين.

جميع الطوائف على أن من قال: لا أصلى صلاة النهار إلا بالليل، فهو كمن قال: لا أصوم رمضان[1] إلا فى شوال، فإن كان يستجيز تأخيرها ويرى ذلك جائزا له، فهو كمن يرى تأخير رمضان جائزا. وهذا وهذا يجب[2] استتابتهما باتفاق العلماء، فإن تابا واعتقدا وجوب فعل الصلاة والصوم فى وقتهما وإلا قتلا.

وكثير من العامة والجهّال يعتقدون جواز تأخيرها إلى الليل بأدنى شغل، ويرى أن صلاتها بالليل خير من أن يصليها بالنهار مع الشغل، وهذا باطل بإجماع المسلمين، بل هذا كفر[3]. وكثير منهم لا يرى جوازها فى الوقت إلا مع كمال الأفعال، وأنه إذا صلاها بعد الوقت مع كمال الأفعال كان أحسن، وهذا باطل، بل كفر باتفاق العلماء.

ومن أسباب هذه الاعتقادات الفاسدة تجويز القضاء لغير المعذور، وقول القائل: إنها تصح وتقبل وإن أثم بالتأخير، فجعلوا فعلها بعد الغروب كفعل العصر بعد الاصفرار، وذلك جمع بين ما فرّق الله ورسوله بينه. فلو علمت العامة أن تفويت الصلاة كتفويت شهر رمضان باتفاق المسلمين، لاجتهدوا فى فعلها فى الوقت.

ومن جملة أسباب ذلك أن رمضان يشترك فى صومه جميع الناس، والوقت مطابق للعبادة لا يُفصل[4] عنها، وليس له شروط كالصلاة. والصلاة وقتها موسّع، فيصلى بعض الناس فى أول الوقت وبعضهم فى

(١) ن: لا أصوم شهر رمضان.

(٢) ح: وهذا قد يجب؛ ر، م: وهذا يجب؛ ب: وهذان يجب..

(٣) ن، م: بل هو كفر.

(٤) ح، ب: لا ينفصل.

آخره، وكلاهما جائز، وفيها واجبات يظن الجهّال أنه لا يجوز فعلها إلا مع تلك الواجبات مطلقا، فيقولون: نفعلها بعد الوقت، فهو خير من فعلها فى الوقت بدون تلك الواجبات.

فهذا الجهل أوجب تفويت الصلاة [التفويت][1] المحرّم بالإجماع، ولا يجوز أن يُقال لمن فوّتها: لا شيء عليك، أو تسقط عنك الصلاة، وإن قال هذا فهو كافر، ولكن يبيّن له أنك بمنزلة من زنى وقتل النفس، وبمنزلة من أفطر فى رمضان عمداً، إذ أذنبت ذنبا ما بقى له جبران يقوم مقامه، فإنه من الكبائر. بل قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: الجمع بين الصلاتين من غير عذر من الكبائر.

فإذا كان هذا فى الجمع من غير عذر، فكيف بالتفويت من غير عذر. وحينئذ فعليك بالتوبة والاجتهاد فى أعمال صالحة أكثر من قضائها، فصل صلوات كثيرة، لعله أن يكفّر بها عنك ما فوّته، وأنت مع ذلك على خطر، وتصدّق فإن بعض الصحابة ألهاه بستانه عن صلاة المغرب فتصدّق ببستانه.

وسليمان بن داود لما فاتته صلاة / العصر بسبب الخيل، طفق مسحاً بالسوق والأعناق، فعقرها كفّارة لما صنع. ٣/ ٥٨

فمن فوّت صلاة واحدة عمداً فقد أتى كبيرة عظيمة، فليستدرك بما أمكن من توبة وأعمال صالحة. ولو قضاها لم يكن مجرد[2] القضاء رافعا إثم ما فعل بإجماع المسلمين. والذين يقولون: لا يُقبل منه القضاء، يقولون: نأمره بأضعاف القضاء، لعل الله أن يعفو عنه. وإذا قالوا: لا يجب القضاء إلا بأمر جديد، فلأن القضاء تخفيف ورحمة، كما فى حق المريض والمسافر فى رمضان. والرحمة والتخفيف تكون للمعذور والعاجز، لا تكون

(١) التفويت: ساقطة من (ن)، (م). (٢) مجرد: ساقطة من (ح)، (ر).

لأصحاب الكبائر المتعمّدين لها، المفرِّطين فى عمود الإسلام.

والصلاة عمود الإسلام، ألا ترى إلى ما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه لما سُئل عمَّن وجب عليه الحج فعجز عنه، أو نذر صياماً أو حجًّا فمات، هل يُفعل عنه؟ فقال: «أرأيت لو كان على أبيك أو أمك دين فقضيته، أما كان يُجزى عنه؟» قال: بلى. قال: فالله[1] أحق بالقضاء»[2]. ومراده بذلك أن الله أحق بقبول القضاء عن المعذور من بنى آدم؛ فإن الله أرحم وأكرم، فإذا كان الآدميون يقبلون القضاء عمن مات، فالله أحق بقبوله أيضا، لم يرد بذلك أن الله يحب أن تُقضى حقوقه التى كانت على الميت، وهى أوجب ما يُقضى من الدين، فإن دين الميت لا يجب على الورثة قضاؤه، لكن يقضى من تركته، ولا يجب على أحد فعل ما وجب على الميت من نذر.

والسائل إنما سأل عن الإجزاء والقبول، لم يسأل عن الوجوب، فلا بد أن يُجاب عن سؤاله، فعُلم أن الأمر بقضاء العبادات وقبول القضاء من باب الإحسان والرحمة[3]، وذلك مناسب للمعذور[4]. وأما صاحب الكبيرة المفوِّت عمدا[5] فلا يستحق تخفيفا ولا رحمة، لكن إذا تاب فله

---

(١) ح، ب: إن الله.

(٢) الحديث ـ مع اختلاف فى الألفاظ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: مسلم ٢/٨٠٤ (كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت)؛ سنن الترمذى ٢/١١٠ (كتاب الصوم، باب ما جاء فى الصوم عن الميت). قال الترمذى: «وفى الباب عن بريدة وابن عمر وعائشة.. حديث ابن عباس حديث حسن صحيح».

(٣) والرحمة: ساقطة من (ح)، (ر). (٤) ح، ر: للمعرفة.

(٥) ح، ب: .. الكبيرة المتعمد. وسقطت عبارة «المفوّت عمدا» من (و).

أسوة بسائر التائبين من الكبائر، فيجتهد فى طاعة[1] الله / وعباداته بما أمكن، والذين أمروه بالقضاء [من العلماء][2] لا يقولون: إنه بمجرد القضاء [يسقط عنه الإثم، بل يقولون: بالقضاء][3] يخف عنه الإثم، وأما إثم التفويت وتأخير الصلاة عن وقتها فهو كسائر الذنوب التى تحتاج: إما إلى توبة، وإما إلى حسنات ماحية، وإما غير ذلك مما يسقط به العقاب. ظ ١٩٩

وهذه المسائل لبسطها موضع آخر. والمقصود هنا أن ما كان من الشيطان مما لا يدخل تحت الطاقة فهو معفو عنه، كالنوم والنسيان والخطأ فى الاجتهاد ونحو ذلك، وأن كل من مُدح من الأمة[4] - أولهم وآخرهم - على شىء أثابه الله عليه ورفع به قدره، فهو مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فالثواب على ما جاء به [الرسول][5]، والنصرة لمن نصره، والسعادة لمن اتبعه، وصلوات الله وملائكتُه[6] على المؤمنين به والمعلّمين للناس دينه، والحق يدور معه حيثما دار، وأعلم الخلق بالحق وأتبعهم له أعملهم بسنته وأتبعهم لها، وكل قول خالف قوله فهو إما دين منسوخ وإما دين مبدل لم يُشرع قط.

وقد قال علىّ رضى الله عنه فى مفاوضة جرت بينه وبين عثمان رضى الله عنه: «خيرنا أتبعنا لهذا الدين» وعثمان يوافقه على ذلك، وسائر الصحابة [رضى الله عنهم أجمعين][7].

---

(١) ح، ب: طاعات.
(٢) من العلماء: ساقطة من (ن)، (م).
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).
(٤) ر، ح: الأئمة.
(٥) الرسول: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (أ).
(٦) ن: وسلامه؛ أ: والملائكة.
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

﴿فصـــل﴾

ولما قال السلف: إن الله أمر بالاستغفار لأصحاب محمد فسبّهم الرافضة[1]، كان هذا كلاماً حقا. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح: «لا تسبوا أصحابى»[2] يقتضى تحريم سبهم، مع أن الأمر بالاستغفار للمؤمنين والنهى عن سبهم عام.

ففى الصحيحين عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[3]. وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١١] فقد نهى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

واللمز: العيب والطعن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [سورة التوبة: ٥٨] أى يعيبك ويطعن عليك، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [سورة التوبة: ٧٩] وقوله ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ٤٩] أى: لا يلمز بعضكم بعضا، كقوله ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة

(١) و: أمرنا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوهم..

(٢) سبق الحديث فيما مضى ٢/ ٢١.

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٤/ ٤٩٩.

النور: ١٢] وقوله: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٥٤] وقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الآية [سورة الهمزة: ١] والهمز: العيب[1] والطعن بشدة وعنف، ومنه هَمَزَ الأرض بعقبه، ومنه الهمزة وهى نبرة من الصدر.

وأما الاستغفار للمؤمنين عموما فقد قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد: ١٩].

وقد أمر الله بالصلاة على من يموت. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستغفر للمنافقين حتى نُهى عن ذلك[2]. فكل مسلم لم يُعلم أنه منافق جاز الاستغفار له والصلاة عليه، وإن كان فيه بدعة أو فسق، لكن لا يجب على كل أحد أن يصلى عليه. وإذا كان فى ترك الصلاة على الداعى إلى البدعة والمظهر للفجور مصلحة من جهة انزجار الناس، فالكف عن الصلاة كان مشروعا لمن [كان][3] يؤثر ترك صلاته فى الزجر بأن لا يصلى عليه. كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فيمن قتل نفسه:

---

(١) ب (فقط): لعيب.

(٢) فى: البخارى ٢/٩٦ ـ ٩٧ (كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين...) عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أنه لما مات عبدالله بن أبى بن سلول جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه رجاه عمر ألا يفعل فقال له: «أخّر عنى ياعمر» فلما أكثر عليه قال: «إنى خُيّرت فاخترت لو أعلم أنى زدت على السبعين فغُفر له لزدت عليها». قال: فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة: (ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً) إلى (وهم فاسقون) [سورة التوبة: ٨٤].. الحديث وهو فى سنن الترمذى والنسائى وأحمد وانظر كلام الألبانى عليه فى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٣/١٢٣ ـ ١٢٤.

(٣) كان: زياده فى (ح)، (ب).

«صلُّوا على صاحبكم»[1] وكذلك قال فى الغالّ: «صلُّوا على صاحبكم»[2] وقد قيل لسمرة بن جندب: إن ابنك لم ينم البارحة. فقال: أَبَشَماً[3]؟ قالوا: بَشَماً. قال: لو مات لم أصل عليه. يعنى: لأنه يكون قد قتل نفسه.

وللعلماء هنا نزاع: هل يُتْرَكُ[4] الصلاة على مثل هذا الإمام[5] فقط، لقوله صلى الله عليه وسلم: «صلُّوا على صاحبكم»؟ أم هذا الترك يختص بالنبى صلى الله عليه وسلم؟ أم مشروع لمن تطلب صلاته؟ وهل الإمام هو الخليفة أو الإمام الراتب؟ وهل هذا مختص بهذين أم هو ثابت لغيرهما؟ فهذه كلها مسائل تذكر فى غير هذا الموضع.

لكن بكل حال المسلمون المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن،

---

(١) الحديث عن جابر بن سَمُرة فى: سنن الترمذى ٢/٢٦٥ (كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن يقتل نفسه لم يُصَلَّ عليه) ونصه: «أن رجلا قتل نفسه، فلم يصلِّ عليه النبى صلَّى الله عليه وسلم» قال الترمذى «هذا حديث حسن» وذكر الترمذى اختلاف العلماء فى هذا وأن أحمد قال: لا يُصلِّى الإمام على قاتل النفس، ويصلِّى عليه غير الإمام. والحديث ـ مع اختلاف فى اللفظ ـ فى: سنن النسائى ٤/٥٣ (كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة على من قتل نفسه).

(٢) الحديث عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٣/٩١ (كتاب الجهاد، باب فى تعظيم الغلول)؛ سنن النسائى ٤/٥٢ (كتاب الجنائز، باب الصلاة على من غلّ)؛ سنن ابن ماجة ٢/٩٥٠ (كتاب الجهاد، باب الغلول). والحديث فى المسند (ط. الحلبى) ٥/١٩٢؛ المستدرك ٢/١٢٧. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وضعف الألبانى الحديث فى «إرواء الغليل» ٣/١٧٤ ـ ١٧٥ وتكلم عليه.

(٣) قال ابن الأثير فى «النهاية»: «البَشَم: التخمة من الدَّسم».

(٤) ن، م، و: ترك؛ أ: تترك.

(٥) الإمام: ساقطة من (ح)، (ر).

وإما منافق. فمن عُلم نفاقه لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له. ومن لم يُعلم ذلك منه[1] صُلِّى عليه. وإذا عَلِمَ شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه، وصلى[2] عليه من لم يعلم نفاقه.

وكان عمر رضى الله عنه لا يصلِّى على من لم يصل عليه حذيفة، لأنه كان فى غزوة تبوك قد عرف المنافقين، الذين عزموا على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم.

واعلم أنه لا منافاة بين عقوبة الإنسان فى الدنيا على ذنبه وبين الصلاة عليه والاستغفار له؛ فإن الزانى والسارق والشارب وغيرهم من العصاة تُقام عليهم الحدود، ومع هذا فيُحسن إليهم[3] بالدعاء لهم فى دينهم ودنياهم؛ فإن العقوبات الشرعية إنما شُرعت رحمة من الله بعباده، فهى صادرة عن رحمة الله[4] وإرادة الإحسان إليهم[5].

ولهذا ينبغى لمن يعاقب الناس على الذنوب أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة لهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد»[6]. وقد قال تعالى: ﴿النَّبِىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ

---

(١) ح، ب: عنه. وسقطت الكلمة من (ر).

(٢) ب (فقط): ويصلى.

(٣) ح، ب: عليهم.

(٤) عن رحمة الله: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: عن رحمة الخلق.

(٥) ح، ب، ر، أ: لهم.

(٦) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ١/ ٣٠ (كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة) ونصه: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلِّمُكم، فإذا أتى أحدكُم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه» وكان يأمر بثلاثة

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٦] وفى قراءة أُبَىّ: وهو أب لهم[1]. والقراءة المشهورة تدل على ذلك: فإن نساءه إنما كن أمهات المؤمنين تبعا له، فلولا أنه كالأب لم يكن نساؤه كالأمهات. والأنبياء أطباء الدين، والقرآن أنزله الله شفاء لما فى الصدور، فالذى يعاقب الناس عقوبة شرعية إنما هو نائب عنه[2] وخليفة له، فعليه أن يفعل كما يفعل على الوجه الذى فعل.

ولهذا قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠] قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس[3] تأتون بهم فى الأقياد والسلاسل تدخلونهم الجنة[4]. أخبر أن هذه الأمة خير الأمم لبنى آدم: فإنهم يعاقبونهم بالقتل[5] والأسر، ومقصودهم بذلك الإحسان إليهم، وسوقهم إلى كرامة

= أحجار، وينهى عن الروْث والرِّمَّة. والحديث فى: سنن النسائى ١/٣٦ - ٣٧ (كتاب الطهارة، باب النهى عن الاستطابة بالروث) وأوله فيه: «إنما أنا لكم مثل الوالد...» وهو أيضا فى: سنن ابن ماجة ١/١١٤ (كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالحجارة..)؛ المسند (ط. المعارف) ١٣/١٠٠، ١٣٩ وصحح أحمد شاكر الحديثين.

(1) أورد هذه القراءة الطبرى فى تفسيره ٢١/٧٧، والقرطبى فى تفسيره ١٤/١٢٣، وابن كثير ٦/٣٨٢.

(2) ح، ب: نائب له.

(3) أ، ب: كنتم خير أمة أخرجت للناس؛ ح: كنتم خيراً للناس.

(4) ورد هذا الأثر فى: البخارى ٦/٣٧ - ٣٨ (كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب كنتم خير أمة أخرجت للناس) ونصه فيه: «... عن أبى هريرة رضى الله عنه كنتم خير أمة أخرجت للناس. قال: خير الناس للناس، تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام». وانظر تفسير ابن كثير للآية ٢/٧٧ (ط. دار الشعب).

(5) ن، م، و، أ، ر: بالقتال.

الله ورضوانه، وإلى دخول الجنة.

وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم: إن لم يَقْصُد فيه بيان الحق وهدى / الخلق [ورحمتهم] والإحسان إليهم، لم يكن عمله صالحا. وإذا غلَّظ [فى] ذم [بدعة و] معصية[1] كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد، كما فى نصوص الوعيد وغيرها. وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيزا، والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله، للرحمه والإحسان، لا للتشفى والانتقام.

ص ٤٠٠

كما هجر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه الثلاثه الذى خُلّفوا لما جاء المتخلفون عن الغزاة يعتذرون ويحلفون وكانوا يكذبون. وهؤلاء الثلاثة صدقوا وعُوقبوا بالهجر، ثم تاب الله عليهم ببركة / الصدق[2].

٦٠/٣

وهذا مبنى على مسألتين: إحداهما: أن الذنب لا يوجب كفر صاحبه، كما تقوله الخوارج، بل ولا تخليده فى النار ومنع الشفاعة فيه، كما يقوله المعتزلة.

الثانى: أن المتأوِّل الذى قصده متابعة الرسول لا يكفر، [بل][3] ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ. وهذا مشهور عند الناس فى المسائل العملية. وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفَّر[4] المخطئين فيها.

وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن[5] أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو فى الأصل من أقوال أهل

---

(١) ن، م: وإذا غلّظ ذم معصية.

(٢) انظر ذلك فيما سبق ١/٦٥، ٤/٤٥٩.

(٣) ب: زيادة فى (ر)، (و).

(٤) ح، ب: كفروا.

(٥) ح، ب: ولا يعرف عذر..

البدع، الذين يبتدعون بدعة ويكفّرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع ذلك فى كثير من أتباع الأئمة، كبعض أصحاب مالك والشافعى وأحمد وغيرهم.

وقد يسلكون فى التكفير ذلك؛ فمنهم من يكفّر أهل البدع مطلقا، ثم يجعـل كل من خرج عمّا هو عليه من أهل البدع. وهذا بعينه قول الخـوارج والمعتزلة والجهمية. وهذا القول أيضا يوجد[1] فى طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة، "وليس هو قول الأئمة الأربعة" ولا غيرهم[3]، وليس فيهم من كفّر كل مبتدع، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلـك، ولكن قد يُنقـل عن أحـدهم[4] أنه كفّر من قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليُحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفرا أن يكفـر كل من قالـه مع الجهـل والتأويل؛ فإن ثبوت الكفر فى حق الشخص المعيّن، كثبوت الوعيد فى الآخرة فى حقه، وذلك له شروط وموانع، كما بسطناه فى موضعه.

وإذا لم يكونوا فى نفس الأمر كفارا لم يكونوا منافقين، فيكونون من المؤمنين، فيُستغفر لهم ويُترحم عليهم. وإذا قال المؤمن[5]: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَـا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة الحشر: ١٠] يقصد كل[6] من

(١) ب (فقط): لا يوجد، وهو خطأ.

(٢-٢): ساقط من (أ)، (ب).

(٣) و: وهذا القول يوجد فى طائفة من أصحاب الأئمة: مالك والشافعى والإمام أحمد، وليس هذا قول هؤلاء الأئمة ولا غيرهم..

(٤) ر: قد ينقل أحد عنهم..

(٥) ح، ب، ر، و: المسلم.

(٦) كل: ساقطة من (ر)، (ح).

سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ فى تأويل تأوَّله فخالف السنة، أو أذنب ذنبا، فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل فى العموم، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا، بل مؤمنين فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة المؤمنين.

والنبى صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يقل: إنهم يخلدون فى النار. فهذا أصل عظيم ينبغى مراعاته؛ فإن كثيرا من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة، من جنس بدع الرافضة والخوارج. وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ـ على بن أبى طالب وغيره ـ لم يكفِّروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه وتحيزوا بحروراء، وخرجوا عن الطاعة والجماعة، قال لهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا[1] ولا حقكم من الفىء. ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نحو نصفهم، ثم قاتل الباقى وغلبهم، ومع هذا لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالا، ولا سار فيهم سيرة الصحابة فى المرتدين، كمسيلمة الكذّاب وأمثاله، بل كانت سيرة علىّ والصحابة فى الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة فى أهل الردة، ولم ينكر أحد على علىّ ذلك، فعُلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن [دين] الإسلام[2].

قال الإمام محمد بن نصر المروزى[3]: «وقد وَلِىَ علىّ رضى الله عنه

(١) أ، ب: من مساجدنا. (٢) ن، م: عن الإسلام.

(٣) سبقت ترجمته فيما سبق ٢/١٠٦.

قتال أهل البغى، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيهم ما روى، وسمّاهم مؤمنين، وحكم فيهم بأحكام المؤمنين. وكذلك عمّار بن ياسر».

وقال محمد بن نصر أيضا: «حدثنا إسحاق بن راهويه، حدثنا يحيى بن آدم، عن مفضل[1] بن مهلهل، عن الشيبانى، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: «كنت عند علىّ حين فرغ من قتال أهل النهروان، فقيل له: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرّوا. فقيل: فمنافقون[2]؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم».

(*)وقال محمد بن نصر أيضا: «حدثنا إسحاق - حدثنا وكيع، عن مسعر، عن عامر بن سفيان[3]، عن أبى وائل، قال: قال رجل: من دُعِيَ[4] إلى البغلة الشهباء يوم قتل المشركون؟ فقال على: من الشرك فروا. قال: المنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قال: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم فنُصرنا عليهم.

قال: [حدثنا][5] إسحاق، حدثنا وكيع عن أبى / خالدة[6]، عن ٣/ ٦١

(١) ن، م، و، أ: حدثنا مفضل..

(٢) ح، ب: أفمنافقون.

(*-*): ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٣) أ، ب: عن عامر بن شفيق.

(٤) أ، ر، و: من دعا.

(٥) حدثنا: زيادة فى (و) فقط.

(٦) و: عن ابن أبى حلد.

حكيم بن جابر، قال: قالوا لعليّ حين قتل أهل النهروان: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرّوا. قيل: فمنافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟ قال قوم: حاربونا فحاربناهم، وقاتلونا فقاتلناهم»*.

قلت: الحديث[1] الأول وهذا الحديث صريحان فى أن عليًّا قال هذا القول فى الخوارج الحرورية أهل النهروان، الذين استفاضت الأحاديث الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذمّهم والأمر بقتالهم، وهم يكفّرون عثمان وعليًّا ومن تولاهما، فمن لم يكن معهم كان عندهم كافرا ودارهم دار كفر، فإنما دار الإسلام عندهم هى دارهم.

قال الأشعرى وغيره: «أجمعت الخوارج على تكفير علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه[2]»./ ومع هذا علىّ قاتلهم لما بدؤوه بالقتال فقتلوا عبدالله بن خبَّاب، وطلب علىّ منهم قاتله، فقالوا: كلنا قَتَلَه، وأغاروا على ماشية الناس[3]. ولهذا قال فيهم: «قوم قاتلونا فقاتلناهم، وحاربونا فحاربناهم» وقال: «قوم بَغَوْا علينا فقاتلناهم». ظ ٢٠٠

وقد اتفق الصحابة والعلماء بعدهم على قتال هؤلاء؛ فإنهم بغاة على جميع المسلمين، سوى من وافقهم على مذهبهم، وهم يبدؤون المسلمين بالقتال، ولا يندفع شرهم إلا بالقتال؛ فكانوا أضر على المسلمين من قطّاع الطريق. فإن أولئك إنما مقصودهم المال، *فلو

(١) ح. ر: وأما الحديث.

(٢) قال الأشعرى فى «مقالات الإسلاميين» ١/١٥٦: «أجمعت الخوارج على إكفار على بن أبى طالب رضوان الله عليه أن حكّم...».

(٣) ح، ب: على ماشية فقتلوا الناس. (*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (أ).

أعطوه لم يقاتِلوا، وإنما يتعرضون لبعض الناس*، وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة إلى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن. ومع هذا فقد صرّح عليّ رضى الله عنه بأنهم مؤمنون ليسوا كفّارا ولا منافقين.

وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس، كأبى إسحاق الاسفراييني ومن اتبعه، يقولون: «لا نكفّر إلا من يكفّر[1]» فإن الكفر ليس حقا لهم، بل هو حق لله[2]، وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب[3] عليه، ولا يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة بأهله، بل ولو استكرهه [رجل] على اللواطة[4]، لم يكن له أن يستكرهه على ذلك، ولو قتله بتجريع خمر أو تلوط به[5] لم يجز قتله بمثل ذلك[6]، لأن هذا حرام لحق الله تعالى. ولو سب النصارى نبينا، لم يكن لنا أن نسب المسيح.

والرافضة إذا كفّروا أبا بكر وعمر، فليس لنا أن نكفّر عليا. وحديث أبى وائل يوافق ذينك الحديثين. فالظاهر أنه كان يوم النهروان أيضا. وقد رُوى عنه فى أهل الجمل وصفّين قولٌ أحسن من هذا. قال إسحاق بن راهويه: حدّثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: سمع عليّ يوم الجمل أو يوم[7] صفّين رجلا يغلو فى القول، فقال:

---

(١) ح، ب، ر، و: إلا من يكفّرنا. (٢) ح: الله.

(٣) أ، و: كذب.

(٤) ن، م: ولو استكرهه على اللوطية؛ و، ر: ولو استكرهه رجل على اللوطية.

(٥) به: ساقطة من (أ)، (ب)، (ح)، (ر).

(٦) و: لم يكن له أن يقتله بمثل ذلك.. (٧) ح، ب: ويوم.

لا تقولوا إلا خيرا، إنما هم قوم زعموا إنا بغينا عليهم، وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم. فذكر لأبى جعفر أنه أخذ منهم السلاح. فقال: ما كان أغناه عن ذلك.

وقال محمد بن نصر: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا محمد بن راشد، عن مكحول: أن أصحاب علىّ سألوه عمَّن قُتل من أصحاب معاوية ما هم؟ قال: هم مؤمنون[1]. وبه قال أحمد بن خالد، حدثنا عبدالعزيز بن أبى سلمة، عن عبدالواحد بن أبى عَوْن، قال: مرّ علىٌّ - وهو متكىء[2] على الأشتر - على قتلى صفّين، فإذا حابس اليمانى مقتول، فقال الأشتر: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا حابس اليمانى معهم يا أمير المؤمنين، عليه علامة معاوية، أما والله لقد عهدته[3] مؤمنا. قال علىّ: والآن هو مؤمن.

قال: وكان حابس رجلا من أهل اليمن، من أهل العبادة والاجتهاد.

قال محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا مختار بن نافع، عن أبى مطر، قال: قال علىّ: متى ينبعث أشقاها؟ قيل: من أشقاها؟ قال: الذى يقتلنى. فضربه ابن مُلْجَم بالسيف فوقع برأس على رضى الله عنه، وهمّ المسلمون بقتله. فقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئتُ فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه. فقال: إنك ميت. قال: وما يدريك؟ قال: كان سيفى مسموما[4].

---

(١) مؤمنون: كذا فى (ن). وفى سائر النسخ: المؤمنون.

(٢) ن، ح: وهو يبكى. وهو تحريف. (٣) ن: علمته.

(٤) انظر خبر مقتل علىّ رضى الله عنه فى: تاريخ الطبرى ٥/١٤٣ - ١٤٧.

ويه قال محمد بن عبيد[1]، حدثنا الحسن ـ وهو ابن الحكم النخعى ـ عن رباح[2] بن الحارث[3]، قال: إنا لبوادٍ، وإن ركبتى لتكاد تمس[4] ركبة عمّار بن ياسر، إذ أقبل رجل فقال: كفر والله أهل الشام[5]. فقال عمّار: لا تقل / ذلك، فقبلتنا واحدة، ونبينا واحد، ولكنهم قوم مفتونون، فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق.

٣/ ٦٢

ويه قال ابن يحيى، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن الحسن بن الحكم، عن رباح[6] بن الحـٰرث، عن عمّار بن ياسر، قال: ديننا واحد، وقبلتنا واحدة، ودعوتنا واحدة، ولكنهم قوم بغوا علينا فقاتلناهم. قال ابن يحيى، حدثنا يعلى، حدثنا مسعر عن عبدالله بن رباح، عن رباح بن الحارث، قال: قال عمّار بن ياسر: لا تقولوا: كفر أهل الشام، قولوا: فسقوا، قولوا: ظلموا.

قال محمد بن نصر: «وهذا يدل على أن الخبر الذى رُوى عن عمّار ابن ياسر، أنه قال لعثمان بن عفّان: هو كافر، خبر باطل لا يصح، لأنه إذا أنكر كفر أصحاب معاوية، وهم إنما كانوا يظهرون أنهم يقاتلون فى دم عثمان، فهو لتكفير عثمان أشد إنكارا».

قلت: والمروى فى حديث عمّار أنه لما قال ذلك، أنكر عليه علىّ

(١) و: ويه قال حدثنا محمد بن عبيد. (٢) ح، ب: رياح.
(٣) و: بن الحرب.
(٤) ن، م، أ: لتمس.
(٥) ب (فقط): الشأم.
(٦) ب (فقط): رياح.

رضى الله عنه. وقال: أتكفر بربٍّ آمن به عثمان؟. وحدَّثه بما يبين بطلان ذلك القول. فيكون عمار: إن كان قال ذلك متأوّلا فقد رجع عنه حين بيّن له علىّ رضى الله عنه أنه[1] قول باطل.

ومما يدل على أن الصحابة لم يكفّروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنه - وغيره [من الصحابة][2] يصلون[3] خلف نجدة الحرورى، وكانوا أيضا يحدّثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم، كما يخاطب المسلم المسلم، كما كان عبدالله بن عباس يجيب نجدة الحرورى لما أرسل إليه يسأله عن مسائل، وحديثه فى البخارى[4]. وكما أجاب نافع بن الأزرق عن مسائل مشهورة[5]، وكان نافع يناظره فى أشياء بالقرآن، كما يتناظر المسلمان.

ومـازالت سيرة المسلمين على هذا، ما جعلوهم مرتدين كالذين

---

(١) ر، ح، ب، ن، م: حين تبين له أنه. (٢) من الصحابة: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

(٣) ح، ب: كانوا يصلون.

(٤) ذكر مسلم فى صحيحه ٣/١٤٤٤ - ١٤٤٥ (كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن...)... عن يزيد بن هرمز أن نجدة كتب الى ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس لولا أن أكتم علما ما كتبت إليه... الحديث. وذكره الإمام أحمد فى مسنده (ط. المعارف) الأرقام: ١٩٦٧، ٢٢٣٥، ٢٦٨٥، ٢٨١٢، ٢٩٤٣ وذكر أحمد شاكر رحمه الله أن الحديث فى سنن أبى داود والنسائى والبيهقى والترمذى والشوكانى، ولم أعرف مكان الحديث فى البخارى.

(٥) ذكر سزكين فى موضعين م١، حـ١، ص١٣٠، م١، حـ٣، ص٧: أن نجدة بن عامر الحرورى (المتوفى سنة ٦٩) كتب إلى عبدالله بن عباس وسأله عن مسائل فقهية متنوعة (أشار سزكين إلى أن هذه الواقعة ذكرت فى الأنساب للبلاذرى ١/٧١٥، ولسان الميزان لابن حجر ٦/١٤٨ وإنه قد وصل إلينا قسم من هذه المراسلات فى المدونة ٣/٦، كما كتب نافع بن الأزرق إليه يسأله عن أمور (انظر العلل لابن أبى حاتم الرازى ١/٣٠٧).

قاتلهم الصدّيق رضى الله عنه. هذا مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم[1] فى الأحاديث الصحيحة، وما روى من أنهم «شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل[2] من قتلوه» فى الحديث الذى رواه أبو أمامة، رواه الترمذى وغيره[3]؛ أى أنهم شر على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شرًّا على المسلمين منهم: لا اليهود ولا النصارى؛ فإنهم كانوا مجتهدين فى قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلّين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفّرين لهم، وكانوا متدينين / بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلّة.

ص ٢٠١

ومع هذا فالصحابة رضى الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم يكفّروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل، بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة. وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم؛ فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة

---

(١) مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: مع أمر الله ورسوله بقتالهم..

(٢) ن، م، و، أ: قتلى.

(٣) الحديث عن أبى أمامة رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ٤/٢٩٤ (كتاب التفسير، من سورة آل عمران) ونصه: عن أبى غالب، قال: رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على درج دمشق، فقال أبو أمامة: «كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية». قلت لأبى أمامة: أنت سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرّة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعاً حتى عدَّ سبعاً ما حدثتكموه». قال الترمذى: «هذا حديث حسن». وجاء الحديث مختصرا فى: سنن ابن ماجة ١/٦٢ (المقدمة، باب فى ذكر الخوارج)؛ المسند (ط. الحلبى) ٥/٢٥٣، ٢٥٦ (مطولا).

كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس فى الصحيحين، وقد ضعّفه ابن حزم وغيره ـ لكن حسَّنه غيره أو صححه، كما صححه الحاكم وغيره، وقد رواه أهل السنن، ورُوِى من طرق[1].

وليس قوله: «ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة» بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [سورة النساء: ١٠]، وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ [سورة النساء: ٣٠]، وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار.

---

(١) تكلمت على هذا الحديث فى مقدمة الجزء الأول، ص ٥٢ (م) من الطبعة الأولى. وجاء الحديث بلفظ: «افترقت اليهود على إحدى ـ أو اثنتين ـ وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى ـ أو اثنتين ـ وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة» عن أبى هريرة رضى الله عنه. وتكلم عليه الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» المجلد الأول (حديث رقم ٢٠٣) كلاما مفصلا. والحديث بهذا اللفظ فى: سنن أبى داود ٢٧٦/٤ (كتاب السنة، باب شرح السنة)؛ سنن الترمذى ١٣٤/٤ ـ ١٣٥ (كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة) وقال الترمذى: «حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح»؛ سنن ابن ماجة ١٣٢١/٢ (كتاب الفتن، باب افتراق الأمم)؛ المسند (ط. المعارف) ١٦٩/١٦ (وصححه أحمد شاكر وأشار إلى تصحيح السيوطى له)؛ المستدرك للحاكم ١٢٨/١. وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبى. وجاء الحديث بألفاظ أخرى عن معاوية بن سفيان وأنس بن مالك وعوف بن مالك وعبدالله بن عمرو رضى الله عنهم. وانظر ما ذكره الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» المجلد الأول الحديث رقم ٢٠٤. وانظر: سنن أبى داود ٢٧٦/٤ ـ ٢٧٧؛ سنن الترمذى ١٣٥/٤؛ سنن ابن ماجة ١٣٢٢/٢؛ سنن الدارمى ٢٤١/٢ (كتاب السير، باب فى افتراق هذه الأمة)؛ المستدرك للحاكم ١٢٨/١؛ المسند (ط. الحلبى) ١٤٥/٣. وانظر إلى ما ذكره ابن حزم عن الحديث فى الفصل ٢٩٢/٣.

ومع هذا فلا نشهد لمعيّن بالنار لإمكان أنه تاب، أو كانت له حسنات محت سيئاته، أو كفّر الله عنه بمصائب أو غير ذلك كما تقدم، بل المؤمن بالله ورسوله باطناً وظاهرا، الذى قصد اتّباع الحق وما جاء به الرسول، إذا أخطأ ولم يعرف الحق كان أولى أن يعذره الله فى الآخرة من المتعمد العالم بالذنب؛ فإن هذا عاصٍ مستحق للعذاب بلا ريب، وأما ذلك فليس متعمداً للذنب بل هو مخطىء، والله قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان.

والعقوبة فى الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين، وإن كان فى الآخرة خيراً ممن لم يُعاقب، كما يُعاقب المسلم المتعدى للحدود، ولا يُعاقب أهل الذمة من اليهود والنصارى. والمسلم فى الآخرة خير منهم.

وأيضا فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى يعمل لهواه لا ديانة، ويصدر عن الحق الذى يخالفه هواه، فهذا يعاقبه الله على هواه، ومثل هذا يستحق العقوبة / فى الدنيا والآخرة. ومن فسق من السلف الخوارج ونحوهم ـ كما رُوى عن سعد بن أبى وقاص أنه قال فيهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦، ٢٧] ـ فقد يكون هذا قصده، لا سيما إذا تفرق الناس، فكان ممن يطلب[1] الرياسة له ولأصحابه. ٣/ ٦٣

وإذا كان المسلم الذى يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء، وذلك ليس فى سبيل الله، فكيف بأهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون

---

(١) أ، ب: فكان منهم من يطلب..

عليها؟ فإنهم يفعلون ذلك شجاعة وحمية، وربما يُعاقَبون لما اتّبعوا أهواءهم بغير هدى من الله، لا لمجرد[1] الخطأ الذى اجتهدوا فيه.

ولهذا قال الشافعى: «لأن أتكلم فى علم يُقال لى فيه: أخطأت، أحب إلىّ من أن أتكلم فى علم يقال لى فيه: كفرت». فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطِّئون ولا يكفِّرون. وسبب ذلك أن أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفراً، [وقد يكون كفرا][2] لأنه تبين له أنه تكذيب للرسول وسب للخالق، والآخر لم يتبين له ذلك، فلا يلزم إذا كان هذا العالم بحاله يَكْفُر إذا قاله، أن يَكْفُر من لم يعلم بحاله.

والناس لهم فيما يجعلونه[3] كفراً طرق [متعددة][4]؛ فمنهم من يقول: الكفر تكذيب ما عُلم بالاضطرار من دين الرسول، ثم الناس متفاوتون فى العلم الضرورى بذلك.

ومنهم من يقول: الكفر هو الجهل بالله تعالى، ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالموصوف وقد لا يجعلها، وهم مختلفون فى الصفات نفيا وإثباتا.

ومنهم من لا يحدّه بحدّ، بل كل ما تبين أنه تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر جعله كفراً، إلى طرق أخر.

ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة، فتكذيب الرسول كفر، وبغضه

---

(١) لمجرد: كذا فى (أ)، (و)، (ب). وفى سائر النسخ: بمجرد.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٣) ح، ر: يجعلون.

(٤) متعددة: ساقطة من (ن)، (م).

وسبه وعداوته مع العلم بصدقه فى الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة العلم وسائر الطوائف، إلا الجهم ومن وافقه كالصالحى والأشعرى وغيرهم؛ فإنهم قالوا: هذا كفر فى الظاهر، وأما فى الباطن فلا يكون كفرا إلا إذا استلزم الجهل، بحيث[1] لا يبقى فى القلب شىء من التصديق بالرب، وهذا بناءً على أن الإيمان فى القلب لا يتفاضل، ولا يكون فى القلب بعض من الإيمان. وهو خلاف النصوص الصريحة، وخلاف الواقع، ولبسط هذا موضع آخر.

والمقصود هنا أن كل من تاب من أهل البدع تاب الله عليه، وإذا كان الذنب متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله، فيجب أن يكون الإنسان فى هذا الباب[2] قاصداً لوجه الله، متبعا لرسوله، ليكون عمله خالصا صوابا.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١١، ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [سورة النساء: ١٢٥]. قال المفسرون وأهل اللغة: معنى الآية: أخلص دينه [وعمله][3] لله وهو محسن فى عمله.

---

(١) ن: حتى. (٢) ح، ب: فيجب على الإنسان أن يكون فى هذا الباب..

(٣) وعمله: ساقطة من (ن) فقط.

/ وقال الفرَّاء فى قوله: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠]: أخلصت عملى. وقال الزجّاج: قصدت بعبادتى إلى الله. وهو كما قالوا، كما قد ذكر توجيهه فى موضع آخر. ظ ٢٠١

وهذا المعنى يدور عليه القرآن؛ فإن الله تعالى أمر أن لا يُعبد إلا إياه، وعبادته فعل ما أمر، وترك ما حظر. والأول هو إخلاص الدين والعمل لله. والثانى هو الإحسان، وهو العمل الصالح. ولهذا كان عمر يقول فى دعائه: «اللهم اجعل عملى كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً».

وهذا هو الخالص الصواب، كما قال الفضيل بن عياض فى قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: ٧]. قال: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علىّ ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل: حتى يكون خالصا صوابا. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

والأمر بالسنة والنهى عن البدعة هو[1] أمر بمعروف ونهى عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة، فيجب أن يبتغى به / وجه الله، وأن يكون مطابقا للأمر. ٣/ ٦٤

وفى الحديث: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغى أن يكون عليما[2] بما يأمر به؛ عليما[2] بما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، [رفيقا فيما

(١) ح، ب: هما.
(٢) ح، ب: عالما.

ينهى عنه][1]، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه»[2]. فالعلم قبل الأمر، والرفق مع الأمر، والحلم بعد[3] الأمر؛ فإن لم يكن عالما لم يكن له أن يقفو ما[4] ليس له به علم، وإن كان عالما ولم يكن رفيقا، كان كالطبيب الذى لا رفق فيه، فيُغْلِظ على المريض فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذى لا يقبل منه الولد.

وقد قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٤].

ثم إذا أمر ونهى[5] فلابد أن يؤذَى فى العادة، فعليه أن يصبر ويحلم. كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان: ١٧].

وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين فى غير موضع، وهو إمام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر. فإن الإنسان عليه أولا أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمره [به][6]. وهو يحب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره، كان ذلك حَمِيّة[7] لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطا. ثم إذا رُدَّ عليه ذلك وأوذِىَ[8] أو

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط. (٢) لم أجد هذا الحديث.

(٣) أ، ب: مع.

(٤) ح، ر: فيما.

(٥) ح، ر، ب: أو نهى.

(٦) به: ساقطة من (ن)، (م). وفى (ح)، (ب)، (ر): فيما أمر به.

(٧) ح، ب، ر: خطيئة. (٨) ح، ب: أو أوذى.

نسب إلى أنه مخطىء وغرضه فاسد، طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثم صار له هوىً يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذِى.

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه، وأنه على السنة؛ فإن أكثرهم قد صار لهم فى ذلك هوىً أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هى العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم[1]، وإن كان جاهلا سيىء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضى هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله. ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله.

وهذا حال الكفّار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم، ويقولون: هذا صديقنا وهذا عدونا، وبلغة المُغل: هذا بالٍ، هذا باغى، لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله، ومعاداة الله ورسوله.

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس. قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال: ٣٩]، فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة.

وأصل الدين أن يكون الحب لله، والبغض لله، والموالاة لله، والمعاداة لله، والعبادة لله، والاستعانة بالله، والخوف من الله، والرجاء

(١) ح، ب: عمن كان يوافقهم؛ و: عمن وافقهم.

لله، والإعطاء لله، والمنع لله. وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله، الذى أَمْرُه أمر الله، ونهيه نهى الله، ومعاداته معاداة الله، وطاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله.

وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله فى ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الذى يرضى له ويغضب له أنه[1] السنة، وهو الحق، وهو الدين، فإذا قدر أن الذى معه هو الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هى العليا، بل قصد الحَمِيَّة لنفسه وطائفته أو الرياء، ليعظَّم هو ويُثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعةً وطبعا، أو لغرض من الدنيا ـ لم يكن لله، ولم يكن مجاهدا فى سبيل الله. فكيف إذا كان الذى يدَّعى الحق والسنة هو كنظيره، معه حق وباطل، وسنة وبدعة، ومع خصمه حق وباطل، وسنة وبدعة؟!

وهذا حال المختلفين الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعا، وكفّر بعضهم بعضا، وفسَّق بعضهم بعضا. ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البيِّنة: ٤، ٥].

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة البقرة: ٢١٣]، يعنى:

(١) ح، ب، و، ر، أ: هو.

فاختلفوا، كما فى سورة يونس، وكذلك فى قراءة بعض الصحابة. وهذا على قراءة / الجمهور من الصحابة والتابعين: أنهم كانوا على دين / الإسلام. وفى تفسير ابن عطية عن ابن عباس: أنهم كانوا على الكفر[1]. وهذا ليس بشيء. وتفسير ابن عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس، بل قد ثبت عنه أنه قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.

٣/ ٦٥
ص ٢٠٢

وقد قال فى سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ﴾ [سورة يونس: ١٩] فذمّهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد، فعلم أنه كان حقًّا.

والاختلاف فى كتاب الله على وجهين: أحدهما: أن يكون كله مذموما، كقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِى الْكِتَابِ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة البقرة: ١٧٦].

والثانى: أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل، كقوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

(١) انظر تفسير ابن كثير (ط. الشعب) للآية ١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ وفيه: «.. عن قتادة فى قوله (كان الناس أمة واحدة) قال: كانوا على الهدى جميعا (فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) فكان أول نبى بعث نوحا. وهكذا قال مجاهد: كما قال ابن عباس أولا. وقال العوفى، عن ابن عباس (كان الناس أمة واحدة) يقول: كانوا كفّارا (فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين). والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى، لأن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض».

مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]. لكن إذا أُطلق الاختـلاف فالجميع مذموم، كقوله: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَ ٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٨، ١١٩]. وقول النبى صلى الله عليه وسلم: «إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»[١].

ولهذا فسروا الاختلاف فى هذا الموضع بأنه كله مذموم. قال الفراء: فى اختلافهم وجهان: أحدهما: كفر بعضهم بكتاب بعض، والثانى: تبديل ما بدّلوا. وهو كما قال؛ فإن المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل، فيكفر بالحق الذى مع الآخر، ويصدِّق بالباطل الذى معه، وهو تبديل ما بدّل.

فالاختـلاف لابـد أن يجمـع النـوعين. ولهذا ذكر كل من السلف أنـواعـا[٢] من هذا: أحـدهـا: الاختـلاف فى اليوم الـذى يكـون فيه الاجتماع، فاليوم الذى أُمروا به [يوم][٣] الجمعة، فعدلت عنه الطائفتان؛ فهذه أخذت السبت، وهذه أخذت الأحد.

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنــه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من

---

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٥٣٤.

(٢) أنواعا: كذا فى (ب) فقط. وفى سائر النسخ: نوعا.

(٣) يوم: زيادة فى (أ)، (ب).

بعدهم، فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له، الناس لنا فيه تبع، اليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى»[1].

وهذا الحديث يطابق قوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلّى يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السمٰوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»[2].

والحديث الأول يبيّن أن الله تعالى هدى المؤمني لغير ما كان فيه المختلفون؛ فلا كانوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، وهو مما يبين أن الاختلاف كله مذموم.

والنوع الثانى: القبلة. فمنهم من يصلِّى إلى المشرق، ومنهم من يصلى إلى المغرب. وكلاهما مذموم لم يشرعه الله.

والثالث: إبراهيم. قالت اليهود كان يهوديا، وقالت النصارى كان

---

(١) جاء هذا الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه، وفى بعض رواياته هذه الزيادة: «حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده» الحديث وهو فى: البخارى ٢/٢، ٦ (كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غُسل من النساء والصبيان وغيرهم)، ١٧٧/٤ (كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب..)؛ مسلم ٥٨٥/٢ ـ ٥٨٦ (كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة)؛ المسند (ط. المعارف) الأرقام ٧٢١٣، ٧٣٠٨، ٧٣٩٥، ٨٤٨٤، ١٠٥٣٧. وجاء الحديث فى سنن النسائى أيضا.

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٩/١

نصرانيا. وكلاهما كان من الاختلاف المذموم ﴿مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٧].

والرابع: عيسى. جعلته اليهود لغية[1]، وجعلته النصارى إلـٰها.

والخامس: الكتب المنزّلة. آمن هؤلاء ببعض، وهؤلاء ببعض.

والسادس: الدين. أخذ هؤلاء بدين، وهؤلاء بدين. ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُـودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [سورة البقرة: ١١٣]. وقد رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: اختصمت يهود المدينة ونصارى نجران عند النبى صلى الله عليه وسلم، فقالت اليهود: ليست النصارى على شىء، ولا يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وكفروا بالإنجيل وعيسى. وقالت النصارى: ليست اليهود على شىء، وكفروا بالتوراة وموسى، فأنزل الله هذه الآية والتى قبلها[2].

واختـلاف أهـل البدع هو من هذا النمط؛ فالخارجى يقول: ليس الـشيعى على شىء. والشيعى يقــول: ليس الخــارجى على شىء. والقدرى النافى يقول: ليس المثبت على شىء. والقدرى / الجبرى المثبت يقول: ليس النافى على شىء. والوعيدية تقول: ليست المرجئة على شىء. والمرجئة تقول: ليست الوعيدية على شىء.

٣/ ٦٦

بل ويوجـد شىء من هذا بين أهـل المـذاهب الأصـولية والفروعية

(١) ح: ابن بغيّة؛ ر: بغية.

(٢) انظر تفسير الآية فى تفسير ابن كثير ١/٢٢٣ ـ ٢٢٤؛ زاد المسير ١/١٣٣.

المنتسبين إلى السنة. فالكُلاَّبى يقول: ليس الكَرَّامى على شىء. والكرَّامى يقول: ليس الكُلاَّبى على شىء. والأشعرى يقول: ليس السالمى على شىء. والسالمى يقول: ليس الأشعرى على شىء.

ويصنِّف[1] السالمى كأبى على الأهوازى كتابا فى «مثالب الأشعرى»[2] ويصنف[3] الأشعرى كابن عساكر كتابا يناقض ذلك من كل وجه، وذكر فيه مثالب السالمية[4].

وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها، لا سيما وكثير منهم قد تلبّس ببعض المقالات الأصولية، وخلط هذا بهذا. فالحنبلى والشافعى والمالكى يخلط بمذهب مالك والشافعى وأحمد شيئا من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك. ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعى وأحمد. وكذلك الحنفى يخلط بمذهب أبى حنيفة شيئا من أصول / المعتزلة والكرّامية والكُلاَّبية، ويضيفه إلى مذهب أبى حنيفة. ظ ٢٠٢

وهذا من جنس الرفض والتشيع، لكنه تشيع فى تفضيل بعض الطوائف والعلماء، لا تشيع فى تفضيل بعض الصحابة.

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله

(١) ح، ب: وصنّف.

(٢) ذكر هذا الكتاب سزكين (م١ حـ٤، ص٣٦) ومؤلفه هو أبو على الحسن بن على بن إبراهيم الأهوازى المتوفى سنة ٤٤٦ وذكر سزكين أنه توجد نسخة خطيه منه فى الظاهرية بدمشق.

(٣) ب (فقط): وصنّف.

(٤) وهو كتاب «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى» لأبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى المتوفى سنة ٥٧١. وطبع الكتاب بدمشق عام ١٣٤٧.

أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقا عاما، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لطائفة انتصاراً مطلقا عاما، إلا للصحابة رضى الله عنهم أجمعين. فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا[1] على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يجمعون[2] على خطأ، بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة[3] لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين الذى بعث الله به رسوله[4] ليس مسلّما إلى عالِمٍ واحد وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو شبيه بقول الرافضة فى الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذى بعث [الله][5] به الرسول، قبل وجود المتبوعين الذين تُنسب إليهم المذاهب فى الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن

---

(١) ح، ب: اجتمعوا لم يجتمعوا؛ ر: أجمعوا لم يجتمعوا.

(٢) ح، ر، و، أ، ب: يجتمعون.

(٣) ب (فقط): من الأئمة.

(٤) ن، م: رسله.

(٥) الله: فى (ح)، (ب) فقط.

كان حقًا مأخوذاً عمَّا جاء به الرسول، موجودا فيمن قبله، وكل قول قيل فى دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل.

والمقصود هنا أن الله تعالى ذكر أن المختلفين جاءتهم البيّنة، وجاءهم العلم، وإنما اختلفوا بغيا. ولهذا ذمهم الله وعاقبهم؛ فإنهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين[1]، بل كانوا قاصدين البغى، عالمين بالحق، [معرضين عن القول وعن العمل به][2].

ونظير هذا قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٩] قال الزجاج: اختلفوا للبغى لا لقصد البرهان.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة يونس: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بينَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ

(١) ن: مخلصين.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (ر)، (أ).

الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ * هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة الجاثية: ١٦-٢٠].

فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبينات، فاختلفوا للبغى والظلم، لا لأجل / اشتباه الحق بالباطل عليهم. وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم؛ لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر [لهم][1] الحق؛ ويجيئهم [العلم][2]، فيبغى بعضهم على بعض. ثم المختلفون المذمومون كل منهم يبغى على الآخر، فيكذِّب بما معه من الحق، مع علمه أنه حق، ويصدِّق بما مع نفسه من الباطل، مع العلم[3] أنه باطل.

٣/ ٦٧

وهؤلاء كلهم مذمومون. ولهذا كان أهل الاختلاف [المطلق][4] كلهم مذمومين فى الكتاب والسنة؛ فإنه ما منهم إلا من خالف حقا واتبع باطلا. ولهذا أمر الله الرسل أن تدعوا إلى دين واحد، وهو دين الإسلام، ولا يتفرقوا فيه، وهو دين الأولين والآخرين من الرسل وأتباعهم.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

وقال فى الآية الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ

(١) لهم: زيادة فى (ح)، (ب).

(٢) العلم: زيادة فى (أ)، (ب).

(٣) أ، ب: مع علمه. (٤) المطلق: ساقطة من (ن).

فاتقون * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٥١-٥٣] أى كتبا، اتبع كل قوم كتابا مبتدعا غير كتاب الله فصاروا متفرقين مختلفين، لأن أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية المحضة، التى هى الإسلام المحض، الذى هو إخلاص الدين لله الذى ذكره الله فى قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البيّنة: ٥]. وقال فى الآية الأخرى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٠-٣٢]، فنهاه أن يكون من المشركين، الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وأعاد حرف «مِنْ» ليبيّن أن الثانى بدل من الأول. والبدل هو المقصود بالكلام، وما قبله توطئة له.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٠] إلى قوله / : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ جَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٨-١١٩] فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون. ص٢٠٣

وقد ذكر فى غير موضع أن دين الأنبياء كلهم الإسلام. كما قال تعالى عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل: ٩١]، وقال عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣١-١٣٢]. وقال يوسف: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠١]. ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٤] وقال عن السحرة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٦].

وقال عن بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل: ٤٤].

وقال: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [سورة المائدة: ٤٤]. وقال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة: ١١١].

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[1]. وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحداً وهو

---

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، ولكن روى البخارى فى صحيحه ٤/١٦٧ (كتاب الأنبياء باب واذكر فى الكتاب مريم) عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد». وروى حديثاً آخر يقاربه فى اللفظ فى نفس الصفحة. وروى مسلم الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه بألفاظ مقاربة من ثلاثة طرق فى صحيحه ٤/١٨٣٧ (كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام). وقال ابن حجر فى «فتح البارى» (ط. السلفية) ٦/٤٨٩: «والعَلَّات بفتح المهملة: الضرائر. وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها. والعلل: الشرب بعد الشرب. وأولاد العلات: الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى». والحديث بمعناه فى: سنن أبى داود ٤/٣٠٢ (كتاب السنة، باب فى التخيير بين الأنبياء)؛ المسند (ط. الحلبى) ٢/٣١٩، ٤٠٦، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٤١؛ ترتيب مسند الطيالسى ٢/٨٤.

الإسلام، كالدين الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم؛ فإنه هو دين الإسلام أولا وآخرا.

وكانت القبلة فى أول الأمر بيت المقدس، ثم صارت القبلة الكعبة، وفى كلا الحالين الدين واحد، وهو دين الإسلام.

فهكذا سائر ما شُرع للأنبياء قبلنا. ولهذا حيث ذكر الله الحق فى القرآن جعله واحداً، وجعل الباطل متعدداً.

كقوله: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

وقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٦ - ٧].

وقوله: ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة النحل: ١٢١].

وقوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ [سورة الفتح: ٢].

وقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

٣/ ٦٨ وهذا يطابق ما فى / كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم، بخلاف المقيد الذى قيل فيه: ﴿وَلَـٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ولو شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]. فهذا قد بيّن أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل، كما قال: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ [سورة الحج: ١٩].

وقد ثبت فى الصحيحين[1] أنها نزلت المقتتلين يوم بدر: فى حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلىّ ابن عمه، وعبيدة بن الحارث ابن عمه[2]، والمشركين الذين بارزهم: عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة[3].

وقد تدبرت كتب الاختلاف التى يذكر فيها مقالات الناس إما نقلا مجرداً، مثل كتاب «المقالات» لأبى الحسن الأشعرى، وكتاب «الملل والنحل» للشهرستانى، ولأبى عيسى الورّاق، أو مع انتصار لبعض الأقوال، كسائر ما صنّفه أهل الكلام على اختلاف طبقاتهم ـ فرأيت عامة الاختلاف الذى فيها من الاختلاف المذموم. وأما الحق الذى بعث الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وكان عليه سلف الأمة ـ فلا يوجد فيها فى جميع مسائل الاختلاف، بل يذكر أحدهم فى المسألة عدة أقوال، والقول الذى جاء به الكتاب والسنة لا يذكرونه، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا يذكرونه، بل لا يعرفونه.

ولهذا كان السلف والأئمة يذّمون هذا الكلام. ولهذا يوجد الحاذق

---

(١) فى الصحيحين: كذا فى (ح)، (ر)، (و). وفى سائر النسخ: فى الصحيح.

(٢) ح، ب: وعلى وعبيدة بن الحارث ابنى عميه.

(٣) الحديث عن أبى ذر رضى الله عنه وعن قيس بن عُبَاد عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بألفاظ مختلفة: البخارى ٩٨/٦ (كتاب التفسير، سورة الحج)؛ مسلم ٢٣٢٣/٤ (كتاب التفسير، باب فى قوله تعالى: هذان خصمان اختصموا فى ربهم) وحديث أبى ذر رضى الله عنه ـ وهذه رواية البخارى ـ أنه كان يقسم فيها إن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) نزلت فى حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا فى بدر. وأما حديث قيس بن عُباد عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال: أنا أول من يجثو بين يَدَىْ الرحمٰن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت: (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علىٌّ وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وانظر تفسير ابن كثير ٤٠١/٥.

منهم المنصف[1] الذى غرضه الحق فى آخر عمره يصرح بالحيرة والشك، إذ لم يجد فى الاختلافات التى نظر فيها وناظر ما هو حق محض. وكثير منهم يترك الجميع ويرجع إلى دين العامة الذى عليه العجائز والأعراب.

كما قال أبو المعالى وقت السياق: «لقد خضت البحر الخضم، وخلّيت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فى الذى نهونى عنه. والآن إن لم يتداركنى ربى برحمته فالويل لابن الجوينى، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمى».

وكذلك أبو حامد فى آخر عمره استقر أمره على الوقف والحَيْرة، بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظّار: أهل الكلام والفلسفة، وسلك ما تبين[2] له من طرق العبادة والرياضة والزهد، وفى آخر عمره اشتغل بالحديث: بالبخارى ومسلم.

وكذلك الشهرستانى، مع أنه [كان][3] من أخبر هؤلاء المتكلمين بالمقالات والاختلاف، وصنّف فيها كتابه المعروف «بنهاية الإقدام فى علم الكلام» وقال[4]: «قد[5] أشار علىّ[6] من إشارته غنم، وطاعته حتم، أن أذكر له من مشكلات[7] الأصول ما أشكل على ذوى العقول[8]، ولعله

(١) ن، م، ر، و: المصنّف؛ أ: المتصف. (٢) أ، ب: تيسر.

(٣) كان: زيادة فى (أ)، (ب).

(٤) ص٣ (تحقيق الفرد جيوم).

(٥) نهاية الإقدام: أما بعد فقد..

(٦) نهاية الإقدام: إلىّ..

(٧) نهاية..: أن أجمع له

(٨) نهاية.. الأصول، وأحل له ما [illegible] من غوامضها على أرباب العقول..

استسمن[1] ذا ورم، ونَفَخَ فى غير ضَرَم، لعمرى:

لقـد طفت[2] المعـاهـد كلهـا ... وسيرت طرفى بين تلك المعـالم

فلم أر إلا واضعـاً كـف حائـر ... على ذقـن أو قارعـاً سنّ نادم

فأخبر أنه لم يجد إلا حائراً شاكًّا مرتاباً، أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطؤه. فالأول فى الجهل البسيط: كظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكن يراها، وهذا دخل فى الجهل المركب، ثم تبين له أنه جهل فندم، ولهذا تجده فى المسائل يذكر أقوال الفرق وحججهم[3]، ولا يكاد يرجّح شيئا للحيرة.

وكذلك الآمدى الغالب عليه الوقف والحيرة.

ظ ٢٠٣ وأما الرازى فهو فى الكتاب الواحد، بل فى الموضع الواحد / منه، ينصر قولا، وفى موضع آخر منه - أو من كتاب آخر - ينصر نقيضه. ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك. ولهذا لما ذكر أن أكمل العلوم العلم بالله[4] وبصفـاتـه وأفعاله، ذكر أن على كلٍّ منها إشكال[5]. وقد ذكرت

(١) نهاية: . . . العقول لحسن ظنه بى أنى وقفت على نهايات النظر، وفزت بغايات مطارح الفكر، ولعله استسمن. . .

(٢) فى جميع النسخ: لعمرى لقد طفت. . . . والصواب ما أثبته، وهو الذى فى «نهاية الإقدام» وجاءت العبارات السابقة فى «درء تعارض العقل والنقل» ١ / ١٥٩. وذكرت فى تعليقى هناك: «فى هامش (ص ٢ ط). . . رد عليه الفقير محمد بن إسماعيل الأمير عفى الله عنهما فقال:

لعـلك أهـمـلت الـطواف بمـعـهـد ... الـرسـول ومـن لاقـاه من كل عالـم

فمـا حار من يهـدى بهـدى محـمـد ... ولـسـت تراه قارعـا سن نادم

(٣) ح، ر: أقوالها وحججهم؛ ب: أقوال الفرق وحججها.

(٤) و: فقال لما ذكر أن العلم بالله. . ؛ أ: ولهذا لما ذكر أن العلم بالله.

(٥) أ: ذكر على أن كل منها إشكال؛ ب، ح: ذكر على أن كلا منها إشكال.

كلامه، وبينت ما أشكل عليه وعلى هؤلاء فى مواضع.

فإن الله قد أرسل رسله بالحق، وخلق عباده على الفطرة، فمن كمل فطرته بما أرسل الله به رسله، وجد الهدى واليقين الذى لا ريب فيه، ولم يتناقض. لكن هؤلاء أفسدوا فطرتهم العقلية وشرعتهم السمعية، بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف، الذى لم يهتدوا معه إلى الحق، كما قد ذكر تفصيل ذلك فى موضع غير هذا.

والمقصود هنا أنه لما ذكر ذلك قال: ومن الذى وصل إلى هذا الباب، ومن الذى ذاق هذا[1] الشراب

٣/ ٦٩ / نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سَعْى العالمين ضلال
وأرواحُنا فى وحشةٍ من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

[وقال][2]: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفى عليلا، ولا تروى غليلا. ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ اقرأ فى الإثبات[3]: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

(١) أ، ب: من هذا.. وكذا جاء النص فى «درء..» ١/ ١٦٠. وذكرت هناك أننى لم أجد هذ الكلام والكلام التالى فيما بين يدى من كتب الرازى المطبوعة أو المخطوطة، وأن ابن تيمية يذكر أن الرازى كان يتمثل بهذا الكلام فى كتابه «أقسام اللذات». وهذا الكتاب مخطوط بالهند، ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازى. وذكرت فى تعليقى على «درء..» أن ابن تيمية يذكر هذا النص كثيرا فى كتبه، مثل مجموع فتاوى الرياض ٤/ ٧١؛ الفرقان بين الحق والباطل، ص ٩٧ من مجموعة الرسائل الكبرى، ط. صبيح؛ معارج الوصول، ص ١٨٥ من المجموعة السابقة.

(٢) وقال: فى (ح)، (ر)، (ب) فقط.

(٣) و، م: الآيات، وهو تحريف.

[سورة فاطر: ١٠]، ﴿الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [سورة طه: ٥][1] واقرأ فى النفى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١][2]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٠][3]ومن جرب مثل تجربتى، عرف مثل معرفتى».

وهو صادق فيما أخبر به أنه لم يستفد من بحوثه فى الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا، وأنه لم يجد فيها ما يشفى عليلا، ولا يروى غليلا، فإن من تدبر كتبه [كلها][4] لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق [الذى يدل عليه][5] المنقول والمعقول، بل يذكر فى المسألة عدة أقوال، والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره. وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة، ليس هذا من خصائصه، فإن الحق واحد، ولا يخرج عمَّا جاءت به الرسل، وهو الموافق لصريح العقل: فطرة الله التى فطر الناس عليها[6].

وهؤلاء لا يعرفون ذلك، بل هم من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعا، وهم مختلفون فى الكتاب ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة البقرة: ١٧٦].

---

(١) والعمل الصالح يرفعه: فى (و) فقط. وجاء آية سورة طه قبل آية سورة فاطر فى «درء..» ١/١٦٠.

(٢) وهو السميع البصير: فى (ح)، (ر)، (ب) فقط، وليست فى «درء...».

(٣) فى «درء..» جاءت بعد هاتين الآيتين آية سورة مريم: (هل تعلم له سَمِيًّا).

(٤) كلها: ساقطة من (ن)، (أ).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٦) ح، ب، ر: فطر عليها عباده. و: فطر الله عليها عباده.

وقال الإمام أحمد فى خطبة مصنَّفه الذى صنَّفه فى محبسه[1] فى «الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله» قال[2]: «الحمد لله الذى جعل فى كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى[3]، ويبصِّرون بنور الله أهل الضلالة والعمى[4]، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال[5] [قد][6] هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر[7] الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان[8] الفتنة، فهم مختلفون فى الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون[9] على مفارقة الكتاب، (*يقولون على الله، وفى الله، وفى كتاب الله بغير علم*)، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جُهَّال الناس بما يلبِّسون[10] عليهم».

---

(١) ن: حبسه.

(٢) ص٥٢، تحقيق النشار، مجموعة عقائد السلف، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧١، ص٨٥، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، دار اللواء: الرياض، ١٣٩٧/١٩٧٧.

(٣) نسخة النشار، و: يحيون بكتاب الله الموتى، ويصبرون منهم على الأذى.

(٤) ح: الضلال والعمى. وسقطت كلمة «الضلالة» من النسختين المطبوعتين.

(٥) نسختا النشار وعميرة: ضال تائه..

(٦) قد: ساقطة من (ن).

(٧) نسختا الرد: وأقبح أثر...

(٨) نسختا الرد: عقال.

(٩) نسختا الرد: مجمعون.

(*-*): ما بين النجمتين ساقط من (و).

(١٠) نسختا الرد: بما يشبِّهون.

وهو كما وصفهم رحمه الله؛ فإن المختلفين أهل المقالات المذكورة فى كتب الكلام: إما نقلا مجردا للأقوال، وإما نقلا وبحثا وذكرا للجدال[1] ـ مختلفون فى الكتاب، كل منهم يوافق بعضا ويرد بعضا، ويجعل ما يوافق رأيه هو المحكم الذى يجب اتباعه، وما يخالفه[2] هو المتشابه الذى يجب تأويله أو تفويضه.

وهذا موجود فى كل مَن صنَّف[3] فى الكلام وذكر[4] النصوص التى[5] يحتج[6] بها ويُحتج بها عليه؛ تجده يتأوّل النصوص التى تخالف قوله تأويلات لو فعلها غيره لأقام القيامة عليه، ويتأول الآيات بما يُعلم بالاضطرار أن الرسول لم يرده، وبما لا يدل عليه اللفظ أصلا[7]، وبما هو خلاف[8] التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين، وخلاف نصوص أخرى.

---

(1) ح: للجدل. (2) ن، م، و، أ: وما خالفه.

(3) فى مكان عبارة «من صنف» بياض فى (ح)، (ر). وفى (أ): فى كل مصنف؛ وفى (ن)، (م): فى كل صنف.

(4) وذكر: كذا فى (و). وفى سائر النسخ: ويذكر.

(5) و: الذى.

(6) عبارة «التى يحتج» مكانها بياض فى (ح)، (ر).

(7) ح: لم يرده (وبعدها بياض بمقدار كلمة) العلم، وبما لا يدل عليه اللفظ أصلا من الجهل. وشابهت (ر) نسخة (ح) إلا أنه لا يوجد فيها بياض بعد عبارة «لم يرده». وفى (أ): لم يرده ويدل عليه اللفظ أصلا. وفى (ن)، (م)، (و): لم يرده، وما لم يدل عليه اللفظ أصلا. ولعل الصواب ما أثبته. وبعد هذه العبارات يوجد كلام استغرق حوالى أربع صفحات جاء فى غير موضعه فى (ب)، (ح)، (ر)، (أ) وسأشير إلى مكانه فيما بعد إن شاء الله.

(8) ن، م: وهو خلاف؛ ر، ب: وإنما هو خلاف التفسير. وهذه العبارات موجودة فى (ب) فى منتصف الصفحة التالية ٣/٧٠.

ولو ذكرت ما أعرفه من ذلك لذكرت خلقا، ولا استثنى أحداً من أهل البدع[1]: لا من المشهورين بالبدع الكبار من معتزلى ورافضى ونحو ذلك، ولا من المنتسبين إلى السنة والجماعة من كَرَّامى وأشعرى وسالمى ونحو ذلك.

وكذلك من صنَّف على طريقهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرها. هذا كله رأيته فى كتبهم، وهذا موجود فى بحثهم فى مسائل الصفات، والقرآن، ومسائل القدر، ومسائل الأسماء والأحكام، والإيمان[2] والإسلام، ومسائل الوعد والوعيد، وغير ذلك.

وقد بسطنا الكلام على ذلك[3] فى مواضع من كتبنا غير هذا الكتاب[4]: «درء تعارض العقل والنقل» وغيره. ومن أجمع الكتب التى رأيتها فى مقالات الناس المختلفين[5] فى أصول الدين كتاب أبى الحسن الأشعرى، وقد ذكر فيه من المقالات وتفاصيلها[6] ما لم يذكره غيره، وذكر فيه مذهب أهل الحديث والسنة بحسب ما فهمه عنهم. وليس فى جنسه أقرب إليهم منه، ومع هذا نفس القول الذى جاء به الكتاب والسنة، وقال به الصحابة[7] والتابعون لهم بإحسان: فى القرآن، والرؤية[8]،

---

(١) و: من أهل الكلام.

(٢) أ، ب: الأسماء وأحكام الإيمان، وهو تحريف.

(٣) و: وقد بُسط الكلام فى ذلك.

(٤) ح، ب: فى غير موضع فى كتبنا غير هذا الكتاب؛ و: فى مواضع غير هذا. وسقط الكلام فى (و) بعد ذلك إلى قوله: ومن أجمع الكتب..

(٥) ن: فى المقالات للناس المختلفين.

(٦) ح، ب: وتفصيلها.

(٧) و: وقالت الصحابة..

(٨) ب (فقط): وفى الرؤية.

والصفات، والقدر، وغير ذلك من مسائل أصول الدين ليس فى كتابه، وقد استقصى ما عرفه من كلام المتكلمين.

وأما معرفة ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وآثار الصحابة، فعلم آخر لا يعرفه أحد من هؤلاء / المتكلمين، المختلفين فى أصول الدين. ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها متفقين على ذم أهل الكلام: فإن كلامهم لابد أن يشتمل على تصديق بباطل، وتكذيب بحق[1]، ومخالفة الكتاب[2] والسنة، فذموه لما فيه من الكذب والخطأ والضلال. ولم يذم السلف من كان كلامه حقًّا، [فإن ما كان حقا][3] فإنه هو الذى جاء به الرسول، [4]وهذا لا يذمه السلف العارفون بما جاء به الرسول[4]، ومع هذا فيستفاد من / كلامهم[5] نقض بعضهم على بعض وبيان فساد قوله، فإن المختلفين كل كلامهم فيه شىء من الباطل[6]، وكل طائفة تقصد بيان [بطلان][7] قول[8] الأخرى، فيبقى الإنسان عنده دلائل كثيرة تدل على فساد قول كل طائفة من الطوائف المختلفين فى الكتاب.

وهذا مما مُدح به الأشعرى؛ فإنه بيّن من فضائح المعتزلة وتناقض

ص ٢٠٤

٣/ ٧١

---

(١) ح: على تصديق باطل وتكذيب حق؛ ر: على تصديق باطل وتكذيب بحق.

(٢) و: للكتاب.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (أ).

(٤-٤) : ساقط من (ح)، (ر)، (أ)، (ب).

(٥) كلمة «كلامهم» فى أول ص ٧١. وهنا اضطراب فى ترتيب الصفحات فى (ب) أشرت إليه من قبل.

(٦) و: فيه باطل؛ أ: فيه قول من الباطل.

(٧) بطلان: ساقطة من (ن)، (ح)، (ر).

(٨) قول: ساقطة من (أ).

أقوالهم وفسادها ما لم يبينه غيره، لأنه كان منهم، وكان قد درس الكلام على أبى علىّ الجبائى أربعين سنة، وكان ذكيًّا، ثم إنه رجع عنهم، وصنَّف فى الرد عليهم، ونصر فى الصفات طريقة ابن كُلَّاب، لأنها أقرب إلى الحق والسنة من قولهم، ولم يعرف غيرها، فإنه لم يكن خبيرا بالسنة والحديث، وأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم، وتفسير السلف للقرآن. والعلم بالسنة المحضة إنما يستفاد من هذا[1].

ولهذا يذكر[2] فى «المقالات» مقالة المعتزلة مفصَّلة: يذكر[3] قول كل واحد منهم، وما بينهم من النزاع فى الدق والجل، كما يحكى ابن[4] أبي زيد[5] مقالات أصحاب مالك، وكما يحكى أبو الحسن القُدُورى[6] اختلاف أصحاب أبى حنيفة. ويذكر أيضا مقالات الخوارج والروافض[7]، لكن نقله لها[8] من كتب أرباب المقالات، لا عن مباشرة

(١) ن، م، و، أ: من هنا. (٢) ح، ر، ب: ذكر. (٣) يذكر: ساقطة من (و).

(٤) م، ر، ح: كما يُحكى عن..

(٥) أبو زيد عبدالله بن عبدالرحمن أبي زيد النفزاوى القيروانى، إمام المالكية فى عصره، يلقب بمالك الأصغر. قال الذهبى: كان على أصول السلف فى الأصول، لا يدرى الكلام ولا يتأوّل. أشهر كتبه «الرسالة» فى اعتقاد أهل السنة، طبعت وشرحها كثيرون. ولد سنة ٣١٠ وتوفى سنة ٣٨٦. انظر ترجمته فى: شذرات الذهب ٣/١٣١؛ الديباج المذهب لابن فرحون، ص١٣٦ - ١٣٨؛ الأعلام ٤/٢٣٠ - ٢٣١.

(٦) أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر القُدُورى، انتهت إليه رئاسة الحنفية فى العراق، وصنَّف المختصر المعروف باسمه «القدورى» فى فقه الحنفية، وقد طبع. ولد ببغداد سنة ٣٦٢ وتوفى بها سنة ٤٢٨. انظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ١/٦٠ - ٦١؛ الجواهر المضية ١/٩٣ - ٩٤؛ النجوم الزاهرة ٥/٢٤ - ٢٥؛ الأعلام ١/٢٠٦.

(٧) و: والرافضة.

(٨) أ: لكن نقلا لها؛ ب، و: لكن نقلها؛ ر: لكن يعلم؛ ح، لا لأن يعلم..

منه للقائلين، ولا عن خبرة بكتبهم، ولكن فيها تفصيل عظيم، ويذكر مقالة ابن كُلَّاب عن خبرة بها ونظر فى كتبه، ويذكر اختلاف الناس فى القرآن من عدة كتب[1].

فإذا جاء إلى [2] مقالة أهل السنة والحديث[3] ذكر أمراً مجملا، يلقى[3] أكثره عن زكريا بن يحيى الساجى[4]، وبعضه عمَّن أخذ عنه من حنبلية بغداد ونحوهم. وأين العلم المفصَّل من العلم المجمل؟!(*)[5] وهو يشبه[6] من بعض الوجوه علمنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تفصيلا[7]، وعلمنا بما فى التوراة والإنجيل مجملا، لما نقله الناس عن[8] التوراة والإنجيل، وبمنزلة علم الرجل الحنفى أو الشافعى أو المالكى أو الحنبلى بمذهبه الذى عرف أصوله وفروعه، واختلاف أهله وأدلته، بالنسبة إلى ما يذكرونه من خلاف المذهب الآخر[9]، فإنه إنما يعرفه معرفة مجملة.

(١) عبارة «من عدة كتب» ساقطة من (ح) ومكانها بياض فى (ر).

(٢) إلى: ساقطة من (ح)، (ب).

(٣ - ٣) : ساقطة من (ح)، (ر).

(٤) أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبدالرحمن بن محمد بن عدى الضَّبِّى البصرى الساجى، من فقهاء الشافعية ومن الحفاظ الثقات ولد سنة ٢٢٠ وتوفى سنة ٣٠٧، له كتاب «اختلاف الفقهاء». انظر ترجمته فى: طبقات الشافعية ٣/٢٩٩ - ٣٠١، الأعلام ٣/٨١.

(٥) عبارة «من العلم المجمل»: ساقطة من (ح)، (ر). وفى (أ)، (ب): من الأمر المجمل.

(٦) عند عبارة «وهو يشبه» نعود إلى صفحة ٣/٦٩ من نسخة (ب) حيث يوجد الخطأ فى ترتيب الكلام، ويوجد خطأ مماثل فى (ح)، (ر)، (أ).

(٧) أ، ب: مفصلا.

(٨) ح، ب: من.

(٩) ح، ب: المذاهب الأخر.

فهكـذا[1] معـرفته بمذهب أهل السنة والحديث، مع أنه من أعرف المتكلمين المصنِّفين فى الاختـلاف بذلك، وهو أعرف به من جميع أصحابه: من القاضى أبى بكر، وابن فورك، وأبى اسحاق. وهؤلاء أعلم به من أبى المعـالى وذويه، ومن الشهـرستـانى، [ولهذا كان ما يذكره الشهـرستـانى][2] من مذهب أهـل السنـة والحـديث ناقصا عما يذكره الأشعرى؛ فإن الأشعرى أعلم من هؤلاء كلهم بذلك نقلاً وتوجيها.

وهذا كالفقيه الذى يكون أعرف من غيره من الفقهاء بالحديث، وليس هو من علماء الحديث. أو المحدِّث / الذى يكون أفقه من غيره من المحدِّثين، وليس هو من أئمة الفقه. والمقرىء الذى يكون أخبر من غيره بالنحو والإعراب، وليس هو من أئمة النحاة. والنحوى الذى يكون أخبر من غيره بالقرآن، وليس هو من أئمة القرَّاء. ونظائر هذا متعددة.

٣/ ٧٠

والمقصود هنا بيان ما ذكره الله فى كتابه من ذم الاختلاف فى الكتاب. وهذا الاختلاف القولى، وأما الاختلاف العملى ـ وهو الاختلاف باليد والسيف والعصا والسوط ـ فهو داخل فى الاختلاف.

والخـوارج والـروافض والمعتـزلـة ونحوهم[3] يدخلون فى النوعين. والملوك الذين يتقاتلون[4] على محض الدنيا يدخلون فى الثانى. والذين يتكلمون فى العلم، ولا يدعون إلى قول ابتدعوه، ويحاربون عليه من خالفهم لا بيد، ولا بلسان، هؤلاء هم أهل العلم، وهؤلاء خطؤهم مغفور

(١) ح، ر، ب: وهكذا.
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.
(٣) ن، م: وغيرهم.
(٤) ن، م: يقاتلون.

لهم، وليسوا مذمومين، إلا أن يدخلهم هوى وعدوان أو تفريط فى بعض الأمور، فيكون ذلك من ذنوبهم؛ فإن العبد مأمور بالتزام الصراط المستقيم فى كل أموره، وقد شرع الله تعالى أن نسأله ذلك فى كل صلاة، وهو أفضل الدعاء وأفرضه وأجمعه لكل خير، وكل أحد محتاج إلى الدعاء به، فلهذا أوجبه الله تعالى على العبد فى كل صلاة.

فإنه وان كان قد هُدِى هدى مجملا، مثل إقراره بأن الإسلام حق والرسول حق، فهو محتاج إلى التفصيل فى كل ما يقوله ويفعله ويعتقده، فيثبته أو ينفيه، ويحبه أو يبغضه، ويأمر به أو ينهى عنه، ويحمده أو يذمه. وهو محتاج فى جميع ذلك إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. فإن كثيرا ممن سمع ذم الكلام مجملا، أو [سمع][1] ذم الطائفة الفلانية مجملا، وهو لا يعرف تفاصيل الأمور: من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية والعامة، ومن كان متوسطا فى الكلام، لم يصل إلى الغايات التى منها تفرقوا واختلفوا ـ تجده يذم القول وقائله بعبارة، ويقبله بعبارة[2]، ويقرأ كتب التفسير والفقه وشروح / الحديث، وفيها تلك المقالات التى كان يذمها، فيقبلها من أشخاص أخر يُحسن الظن بهم، وقد ذكروها[3] بعبارة أخرى، أو فى ضمن تفسير آية أو حديث أو غير ذلك.

ظ ٢٠٤

(١) سمع: زيادة فى (ح)، (ب).

(٢) عبارة «ويقبله بعبارة»: ساقطة من (ح)، (ب).

(٣) وقد ذكروها: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: وذكروها.

وهـذا ممـا يوجد كثيرا، والسالم من سلّمه الله، حتى أن كثيرا من هؤلاء[1] يعظّم أئمة، ويذم أقوالا، قد يلعن قائلها أو يكفِّره، وقد قالها أولئك الأئمة الذين يعظّمهم، ولو علم أنهم قالوها لما لعن القائل، وكثير منها يكون قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم، وهو لا يعرف ذلك.

فإن كان ممن قَبِلَها من المتكلمين[2] تقليداً، فإنه يتبع من يكون فى نفسه أعظم، فإن ظن أن المتكلمين حقّقوا ما لم يحققه أئمتهم قلّدهم، وإن ظن أن الأئمة أجلّ قدراً [وأعرف بالحق][3] وأتبع للرسول قلّدهم، وإن كان قد عرف الحجـة الكلاميـة علـى ذلك القول وبَلَغَه أن أئمة يعظمهم قالوا بخلافه أو جاء[4] الحديث بخلافه[5] بقى فى الحيرة، وإن رجّح أحد الجانبين رجّح على مضض، وليس عنده ما يبنى عليه، وإنما يستقر قلبه بما يعرف صحة أحد القولين جزما؛ فإن التقليد لا يورث الجزم، فإذا جزم بأن الرسول قاله، وهو عالم بانه لا يقول إلا الحق، جزم بذلك وإن خالفه بعض أهل الكلام.

وعلم الإنسان باختلاف هؤلاء ورد بعضهم على بعض، وإن لم يعرف بعضهم فساد مقالة بعض، هو من[6] أنفع الأمور؛ فإنه ما منهم إلا من [قـد][7] فصّل مقالته طوائف، فإذا عرف رد الطائفة الأخرى على هذه

(1) عند عبارة «حتى أن كثيرا من هؤلاء» تنتهى العبارات التى جاءت فى غير موضعها فى نسخ (ح)، (ر)، (أ)، (ب). ونعود هنا إلى صفحة ٧١/٣ (ب) فى ثلثها الأول تقريبا.

(2) ن، م، و: عن المتكلم؛ ر: عن المتكلمين.

(3) وأعرف بالحق: ساقطة من (ن).

(4) ح، و، ب: وجاء.

(5) أ: بخلافها.

(6) ر: ما قاله بعضهم وهذا من. .

(7) قد: زيادة فى (ح)، (ب).

المقالة عرف فسادها، فكان فى ذلك نهى عما فيها من المنكر والباطل.
وكذلك إذا عرف رد هؤلاء على أولئك[1]، فإنه أيضا يعرف ما عند أولئك من الباطل، فيتَّقى الباطل الذى معهم. ثم من بيَّن اللّه له الذى جاء به الرسول: إما بأن يكون قولا ثالثا خارجا عن القولين، وإما بأن يكون بعض قول هؤلاء وبعض قول هؤلاء، وعرف أن هذا هو الذى كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وعليه دلّ الكتاب والسنة ـ كان اللّه قد أتم عليه النعمة، إذ هداه الصراط المستقيم، وجنّبه صراط أهل البغى والضلال.

وإن لم يتبين له، كان امتناعه من موافقة هؤلاء على ضلالهم، وهؤلاء على ضلالهم، نعمة فى حقّه، واعتصم بما عرفه من الكتاب والسنة مجملا، وأمسك عن الكلام فى تلك المسألة، وكانت من جملة ما لم يعرفه؛ فإن الإنسان لا يعرف الحق فى كل ما تكلم الناس به، وأنت تجدهم يحكون أقوالا متعددة فى التفسير وشرح الحديث فى مسائل الأحكام، بل والعربية والطب وغير ذلك، ثُم كثير من الناس يحكى الخلاف ولا يعرف الحق.

وأما الخلاف الذى بين الفلاسفة فلا يحصيه أحد لكثرته ولتفرقهم[2]، فإن الفلسفة التى[3] عند المتأخرين ـ كالفارابى وابن سينا ومن نسج على منوالهما ـ هى فلسفة أرسطو وأتباعه، وهو صاحب التعاليم: المنطق، والطبيعى، وما بعد / الطبيعة[4]. والذى[5] يحكيه [الغزالى ٣/ ٧٢

(١) ح: على هؤلاء. (٢) ح، و، ب: وتفرقهم.
(٣) التى: ساقطة من (ب) فقط.
(٤) أ، ب: وما بعد الطبيعى؛ ح، و: وما بعد الطبيعية.
(٥) ن، م: هو الذى.

و] الشهرستانى[1] والرازى وغيرهم من مقالات الفلاسفة هو من كلام ابن سينا.

والفلاسفة أصناف مصنَّفة غير هؤلاء. ولهذا يذكر القاضى أبو بكر فى «دقائق الكلام»[2] وقبله أبو الحسن الأشعرى فى كتاب «مقالات غير الإسلاميين»[3]- وهو كتاب كبير أكبر من «مقالات الإسلاميين»- أقوالا كثيرة للفلاسفة لا يذكرها هؤلاء الذين يأخذون عن ابن سينا. وكذلك غير الأشعرى مثل أبى عيسى الورَّاق[4] والنوبختى[5] وأبى على[6] وأبى هاشم[7] وخلق كثير من أهل الكلام والفلسفة.

والمقصود أن كتب أهل الكلام يستفاد منها رد بعضهم على بعض. وهذا لا يحتاج إليه من لا يحتاج إلى رد المقالة الباطلة لكونها لم تخطر بقلبه، ولا هناك من يخاطبه بها، ولا يطالع كتابا هى فيه. ولا ينتفع به من لم يفهم الرد، بل قد يستضر به من عرف الشبهة ولم يعرف فسادها.

ولكن المقصود هنا أن هذا هو العلم الذى فى كتبهم؛ فإنهم يردون باطلا بباطل، وكلا القولين باطل، ولهذا كان مذموما ممنوعا منه عند السلف والأئمة، وكثير منهم - أو أكثرهم - لا يعرف أن الذى يقوله باطل.

---

(1) ن: يحكيه الشهرستانى..

(2) ن، م: دقيق الكلام. وذكرت من قبل فى ترجمة الباقلانى ٣٩٤/١ أن كتاب «الدقائق» مفقود وانظر سزكين م١ حـ٤ ص٤٧ - ٥١.

(3) وهو كتاب مفقود أيضا. وانظر سزكين م١، حـ٤، ص٣٥ - ٣٩.

(4) سبقت ترجمته ٥٠١/٢.

(5) سبقت ترجمته ٧٢/١.

(6) أبو على الجبّائى سبقت ترجمته ٣٩٥/١.

(7) أبو هاشم الجبائى سبقت ترجمته ٢٧٨/١.

وبكل حال فهم يذكرون من عيوب باطل غيرهم وذمه ما قد يُنتفع به.

مثال ذلك تنازعهم فى مسائل الأسماء والأحكام، والوعد والوعيد. فالخوارج والمعتزلة يقولون: صاحب الكبائر الذى لم يتب منها مخلّد فى النار، ليس معه شىء من الإيمان. ثم الخوارج تقول: هو كافر، والمعتزلة توافقهم على الحكم لا على الاسم. والمرجئة تقول: هو مؤمن تام[1] الإيمان، لا نقص فى إيمانه، بل إيمانه كإيمان الأنبياء والأولياء. وهذا نزاع فى الاسم. ثم تقول فقهاؤهم ما تقوله الجماعة فى أهل الكبائر: فيهم من يدخل النار، وفيهم من لا يدخل. كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، واتفق عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

فهؤلاء لا ينازعون أهل السنة والحديث فى حكمه فى الآخرة، وإنما ينازعونهم فى الاسم. وينازعون أيضا فيمن قال ولم يفعل. وكثير من متكلمة المرجئة تقول: لا نعلم [أن] أحدا[2] من أهل القبلة من أهل الكبائر يدخل النار، ولا أن أحدا منهم لا يدخلها، بل يجوز أن يدخلها جميع الفسّاق، ويجوز أن لا يدخلها أحد منهم، ويجوز دخول بعضهم. ويقولون: من أذنب وتاب لا يقطع بقبول توبته، بل يجوز أن يدخل النار أيضا، / فهم يقفون فى هذا كله، ولهذا سُمُّوا الواقفة. وهذا قول القاضى أبى بكر وغيره من الأشعرية وغيرهم. ص ٢٠٥

فيحتج أولئك بنصوص الوعيد وعمومها، ويعارضهم هؤلاء بنصوص الوعد وعمومها. فقال أولئك: الفسّاق لا يدخلون فى الوعد، لأنهم[3] لا

(١) ن، م: كامل. (٢) ن، م: لا نعلم أحدا.
(٣) م، و: لأنه.

حسنات لهم[1]، لأنهم لم يكونوا من المتقين. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤]. وقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٢]. وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٨].

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن الماضى من العمل قد يحبط بالسيئات، وأن العمل لا يقبل إلا مع التقوى. والوعد إنما هو للمؤمن. وهؤلاء ليسوا مؤمنين[2]؛ بدليل قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥]، وبقوله: [3] ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٨]. والفاسق ليس بمؤمن فلا يتناوله الوعد.

وبما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أنه قال: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[4] وقوله: «من غشَّنا فليس منا، ومن حمل علينا السلاح فليس منا»[5]، ونحو ذلك.

(١) ن: لا حساب لهم. (٢) ب، و: ليسوا بمؤمنين.

(٣) ح، ر، و: الصادقون. ونحو ذلك وبقوله؛ ب: الصادقون. وقوله..

(٤) مضى هذا الحديث من قبل فى هذا الجزء ص ٢٠٧.

(٥) جاء الحديث بلفظ: «من حَمَل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا» عن أبى =

وتقـول المرجئة: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧] المراد به: من اتّقى الشرك. ويقولون: الأعمال لا تحبط إلا بالكفـر، قال تعـالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥] وقال: / ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [سورة المائدة: ٥]. ‏٣/ ٧٣

ويقولون: قد قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [سورة فاطر: ٣٢ - ٣٣] فقد أخبر أن الثلاثة يدخلون الجنة. وقد حُكِى عن بعض غلاة المرجئة أن أحدا من أهل التوحيد لا يدخل النار. ولكن هذا لا أعرف به قائلا معيّنا فأحكيه عنه. ومن الناس من يحكيه[1] عن مقاتل بن سليمان، والظاهر أنه غلط عليه.

= هريرة رضى الله عنه فى: مسلم ١/ ٩٩ (كتاب الإيمان، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا)؛ المسند (ط. المعارف) ١٨/ ١٠٠. وجاء قسم من الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «من حمل علينا السلاح فليس منا» عن ابن عمر وأبى موسى الأشعرى وسلمة رضى الله عنهم فى: البخارى ٩/ ٤ (كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ومن أحياها)، ٩/ ٤٩ (كتاب الفتن، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: من حمل علينا السلاح فليس منا)؛ مسلم ١/ ٩٨ (كتاب الإيمان، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: من حمل علينا السلاح فليس منا). وجاء الحديث بلفظ «من غشنا فليس منا» أو «ليس منا من غش» فى مواضع كثيرة فى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجة والمسند، فهو عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٣/ ٣٧٠ (كتاب البيوع، باب فى النهى عن الغش)؛ سنن الترمذى ٢/ ٣٨٩ (كتاب البيوع، باب ما جاء فى كراهية الغش فى البيوع). وقال الترمذى «حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا الغش وقالوا: الغش حرام».

(١) ن، م، و، أ: من يذكره.

وهؤلاء قد يحتجون بهذه الآية، ويحتجون بقوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لاَ يَصْلاَهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [سورة الليل: ١٤ - ١٦] وقد يحتج بعض الجهال بقوله: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [سورة الزمر: ١٦] قال: فالوعيد شيء يخوفكم به.

ويقولون: أما قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٩]؛ فهذه في الكفار؛ فإنه قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٨، ٩]. وكذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٥ - ٢٨]، فقد أخبر سبحانه أن هؤلاء ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، وأن الشيطان سوّل لهم وأملىٰ لهم، أي: وسَّع لهم في العمر، وكان هذا بسبب وعدهم للكفار[1] بالموافقة، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾.

ولهذا فسّر السلف هؤلاء الذين كرهوا ما نزَّل الله الذين كانوا سبب نزول هذه الآية بالمنافقين واليهود. قالت الوعيدية: اللّه[2] تعالى إنما

(١) ح، ب: وعدهم الكفار.

(٢) و: فالله.

وصفهم بمجرد كراهة ما نزل اللّه، والكراهة[1] عمل القلب. وعند الجهمية الإيمان مجرد تصديق القلب[2] وعلمه[3]، هذا قول جهم والصالحيّ والأشعرى فى المشهور عنه وأكثر أصحابه.

وعند فقهاء المرجئة: هو قول اللسان مع تصديق القلب. وعلى القولين أعمال القلوب ليست من الإيمان عندهم كأعمال الجوارح، فيمكن أن يكون الرجل مصدِّقا بلسانه وقلبه[4] مع كراهة ما نزَّل[5] الله، وحينئذ فلا يكون هذا كافرا عندهم. والآية تتناوله، وإذا دلت على كفره دلت على فساد قولهم.

قالوا: وأما قولكم: المتقون الذين اتقوا الشرك. فهذا خلاف القرآن؛ فإن اللّه تعالى قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة المرسلات: ٤١، ٤٢]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [سورة القمر: ٥٤].

وقال: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١ - ٤].

وقالت مريم: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [سورة مريم:

---

(١) ب (فقط): والكراهية.

(٢) ح، ب: التصديق بالقلب.

(٣) ن، م، أ: وعمله، وهو تحريف.

(٤) ح، ب: مصدقا بقلبه ولسانه؛ أ: مصدقا وقلبه..

(٥) ن، م: أنزل.

١٨] ولم ترد به الشرك[١]، بل أرادت التقىّ الذى يتّقى فلا يقدم[٢] على الفجور.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢،١].

وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

وقال يوسف: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِى أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الجاثية: ١٨، ١٩].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١]، فهم قد آمنوا واتقوا الشرك، فلم يكن الذى أمرهم به بعد ذلك مجرد ترك الشرك.

وقال / تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [سورة آل ظ ٢٠٥

(١) عند عبارة «ولم ترد به الشرك» تعود نسخة (ى) بعد السقط الطويل الذى أشرت من قبل إلى أوله.

(٢) ح، ب، ى، ر: أرادت التقي الذى لا يقدم؛ أ، و: أرادت الذى يتقى فلا يتقدم..

عمران: ١٠٢]. أفيقول مسلم: إن قطاع الطريق الذين يسفكون دماء الناس ويأخـذون أمـوالهم اتقـوا اللّه حق تقاته لكونهم لم يشركوا، وإن أهل الفواحش وشرب الخمر وظلم الناس اتقوا اللّه حق تقاته؟!

وقد قال [السلف]: ابن مسعود[1] وغيره: كالحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل: «حق تقاته: أن يُطاع فلا يعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى»[2]. وبعضهم / يرويه عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم. وفى تفسير الوالبى عن ابن عباس قال: هو أن يجاهد العبد فى اللّه حق جهاده، وأن لا تأخذه فى الله لومة لائم، وأن يقوموا له بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم[3].

٣/ ٧٤

وفى الآية[4] أخرى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: ١٦] وهذه مفسرة لتلك. ومن قال من السلف هى ناسخة لها، فمعناه أنها رافعة لما يُظن من أن المراد من حق تقاته: ما يعجز البشر عنه؛ فإن الله لم يأمر بهذا قط. ومن قال: إن الله أمر به، فقد غلط. ولفظ النسخ فى عُرف السلف يدخل فيه كل ما فيه نوع رفع لحكم، أو ظاهر، أو ظن دلالة حتى يسموا تخصيص العام نسخا[5]، ومنهم من يسمِّى الاستثناء نسخا إذا تأخر نزوله.

---

(١) ن، م: وقال ابن مسعود؛ أ: وقال السلف ابن مسعود...

(٢) ن، م: وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

(٣) أورد هذه العبارات ابن كثير فى تفسيره ٢/٧٢.

(٤) ب (فقط): وفى آية..

(٥) عند عبارة تخصيص العام (وفى أسفل الصفحة كلمة: نسخاً) تنتهى نسخة (أ) كما أشرت إلى ذلك فى المقدمة.

وقد قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٥٢]، فهذا رفع لشىء ألقاه الشيطان ولم ينزله الله، لكن غايته أن يظن أن اللّه أنزله، وقد أخبر أنه نسخه.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢]، فمن كان الشيطان لا يزال يمده فى الغىّ، وهو لا يتذكر ولا يبصر، كيف يكون من المتقين؟

وقد قال تعالى فى آية الطلاق: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢، ٣]. وفى حديث أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا أبا ذر لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لكفتهم»[1] وكان ابن عباس وغيره من الصحابة إذا تعدَّى الرجل حد اللّه فى الطلاق يقولون له: لو اتقيت الله لجعل لك مخرجا وفرجا.

ومعلوم أنه ليس المراد بالتقوى هنا مجرد تقوى الشرك. ومن أواخر[2]

---

(١) الحديث عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه فى: سنن ابن ماجة ٢/١٤١١ (كتاب الزهد، باب الورع والتقوى) ونصه «حدثنا هشام بن عمّار وعثمان بن أبى شيبة... عن أبى ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنى لأعرف كلمة (وقال عثمان: آية) لو أخذ الناس كلهم بها لكفتهم». قالوا: يارسول الله، أية آية؟ قال: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا». قال المعلق: «فى الزوائد: هذا الحديث رجاله ثقات، غير أنه منقطع، وأبو السليل لم يدرك أبا ذر، قاله فى التهذيب». وذكر ابن كثير الحديث فى تفسير الآية وزاد: «قال: فجعل يتلوها ويرددها علىّ حتى نعست. ثم قال: «يا أبا ذر كيف تصنع إذا خرجت من المدينة؟... الحديث».

(٢) ن، م: ومن آخر.

ما نزل من القرآن-وقيل: إنهـا آخر آية نزلت-قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١]، فهل اتقّاء ذلك هو مجرد ترك الشرك، وإن فعل كل ما حرم الله عليه، وترك كل ما أمر الله به؟ وقد قال طلق بن حبيب - ومع هذا كان سعيد بن جبير ينسبه إلى الإرجاء - قال: التقوى أن تعمل بطاعة اللّه على نور من اللّه ترجو رحمة الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

وبالجملة فكون المتقين هم الأبرار الفاعلون[1] للفرائض، المجتنبون[2] للمحارم، هو من العلم العام الذى يعرفه المسلمون خلفا عن سلف، والقرآن والأحاديث [تقتضى ذلك][3].

قالت المرجئة: أما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٨] فلا يصح، لأن تمام الآية يدل على أن المراد بالفاسق المكذِّب؛ فإنه قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِين فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٠]، فقد وصفهم بالتكذيب بعذاب الآخرة، وهذا وصف المكذِّب لا العاصى.

وقالوا مع الجمهور للخوارج: لو كان صاحب الكبيرة كافراً لكان مرتدا ووجب قتله. والله تعالى قد أمر بجلد الزانى و[أمر بجلد] القاذف و[أمر]

(١) ب (فقط): الفاعلين.

(٢) ب (فقط): المجتنبين.

(٣) تقتضى ذلك: ساقطة من (ن).

بقطع السارق[1]، ومضت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلد الشارب. فهذه النصوص صريحة بأن الزانى والشارب والسارق والقاذف ليسوا كفّارا مرتدين يستحقون القتل، فمن جعلهم كفّارا فقد خالف نص القرآن والسنة المتواترة.

وقالوا لهم وللمعتزلة: [قد][2] قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٩، ١٠] قالوا: فقد سماهم مؤمنين مع الاقتتال والبغى، وقد أمر الله تعالى بالإصلاح بينهم، وجعلهم إخوة المصلح[3] بينهم الذى لم يقاتل. فعُلم أن البغى لا يخرج عن الإيمان ولا عن أُخوّة الإيمان.

قالت المرجئة وقوله[4]: «ليس منا» أى ليس مثلنا، أو ليس من خيارنا. فقيل لهم: فلو لم[5] يغش ولم يحمل السلاح، أكان يكون مثل النبى صلى الله عليه وسلم؟ أو كان يكون / من خيارهم بمجرد هذا الكلام؟. ٣/ ٧٥

وقالت المرجئة: نصوص الوعيد عامة، ومنا من ينكر صيّغ العموم.

(١) ن، م: أمر بجلد الزانى والقاذف وبقطع السارق.

(٢) قد: زيادة فى (و)، (ب).

(٣) ب (فقط): للمصلح.

(٤) أى الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٥) ح، ب: لولم.

ومن أثبتها قال: لا يُعلم[1] تناولها[2] لكل فرد من أفراد العام[3]، فمن لم يعذَّب[4] لم يكن اللفظ قد شمله.

فقيل للواقفة منهم: عندكم يجوز أن لا يحصل الوعيد بأحد من أهل القبلة، فيلزم تعطيل نصوص الوعيد، ولا تبقى لا خاصة ولا عامة.

وليس مقصودنا هنا استيفاء الكلام فى المسألة، وإنما الغرض التمثيل بالمناظرات من الطرفين. وأهل السنة والحديث، وأئمة الإسلام المتبعون للصحابة، متوسطون بين هؤلاء وهؤلاء. لا يقولون بتخليد أحد من أهل القبلة فى النار، كما تقوله الخوارج / والمعتزلة. لما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى[5] الأحاديث الصحيحة أنه «يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان»[6] وإخراجه من النار من يخرج بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن يشفع له من أهل الكبائر من أمته[7].

ص ٢٠٦

(١) ن، م: لا نعلم.

(٢) م: بتناولها؛ ن: بتأويلها، وهو تحريف.

(٣) ح، م: العالم، وهو تحريف.

(٤) ح، ر: فمن لم يكن يعذب.

(٥) ح، ر، ب، و: من.

(٦) مضى هذا الحديث من قبل فى هذا الجزء، ص ٢٠٥.

(٧) عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى». والحديث فى: سنن أبى داود ٤/٣٢٥ (كتاب السنة، باب فى الشفاعة)؛ سنن الترمذى ٤/٤٥ (كتاب صفة القيامة، باب رقم ١١) وقال الترمذى: «وفى الباب عن جابر، هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»؛ المسند (ط. الحلبى) ٣/٢١٣. والحديث بمعناه عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه فى: سنن الترمذى (فى الموضع السابق)؛ سنن ابن ماجة ٢/١٤٤١ (كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة). وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (تحقيق شعيب الأرنؤوط ١٤٠١/١٩٨١) ص ١٩٨ - ٢٠٠.

[وهذه أحاديث كثيرة مستفيضة متواترة عند أهل العلم بالحديث، ولا يقولون: إنّا نقف فى الأحكام المطلقة، بل نعلم أن اللّه يدخل النار من يدخله من أهل الكبائر][1]، وناس آخرون لا يدخلونها لأسباب. لكن تنازعوا: هل يكون الداخلون بسبب اقتضى ذلك، كعظم[2] الذنوب وكثرتها، والذين لم يدخلوها بسبب منع ذلك، كالحسنات المعارضة ونحوها؟ وأنه سبحانه وتعالى يفعل ما يفعله بحكمة وأسباب؟ أم قد يفرّق بين المتماثلين بمحض المشيئة، فيعذّب الشخص ويعفو عمّن هو مثله من كل وجه بمحض المشيئة؟ هذا لهم فيه قولان والنصوص وأقوال السلف توافق الأول.

وإنما قد نقف فى الشخص المعيّن؛ فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم، لأن حقيقة باطنه وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسىء.

ولهم فى الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال: منهم من لا يشهد بالجنة لأحد إلا للأنبياء. وهذا قول محمد بن الحنفية والأوزاعى.

والثانى: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص. وهذا قول كثير من أهل الحديث.

والثالث: يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون. كما قال النبى صلى الله عليه وسلم: «أنتم شهداء الله فى الأرض»[3]. وقال «يوشك أن

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٢) كعظم: كذا فى (ب) فقط، وهو صواب، وفى سائر النسخ: لعظم.

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٤٩٨/٣ وأوله: «وجبت».

تعلموا أهل الجنة من أهل النار» قالوا: بم يارسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيىء»[1] فأخبر أن ذلك مما يُعلم به أهل الجنة وأهل النار. وكان أبو ثور يقول: «أشهد أن أحمد بن حنبل فى الجنة» ويحتج بهذا. وبسط هذه المسألة له موضع آخر.

والإيمان عندهم يتفاضل، فيكون إيمانٌ أكمل من إيمان. كما قال النبى صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»[2].

فيقولون: قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧] أى ممن اتقاه فى ذلك العمل، ليس المراد به الخلو من الذنوب، ولا مجرد الخلو من الشرك، بل من اتقاه فى عمل قبله منه وإن كانت له ذنوب أخرى، بدليل قوله ﴿وَأَقِمْ الصَّلاَةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الْلَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤] فلو كانت الحسنة لا تقبل من صاحب السيئة لم تمحها.

وقد ثبت بالكتاب والسنة [المتواترة][3] الموازنة بين الحسنات والسيئات، فلو كانت الكبيرة تحبط الحسنات لم تبق حسنة توزن معها.

---

(١) سبق الحديث فيما مضى ٣/٤٩٨.

(٢) الحديث عن أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما فى: سنن أبى داود ٤/٣٠٤ (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)؛ سنن الترمذى ٢/٣١٥ (كتاب الرضاع، باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها)، ٤/١٢٢ (كتاب الإيمان، باب فى استكمال الإيمان والزيادة والنقصان) وقال الترمذى عن حديث أبى هريرة: «وفى الباب عن عائشة وابن عباس، حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح». والحديث أيضا فى: سنن الدارمى ٢/٣٢٣ (كتاب الرقاق، باب فى حسن الخلق)؛ المسند (ط. المعارف) ١٣/١٣٣، (ط. الحلبى) ٢/٤٧٢، ٥٢٧، ٦/٤٧، ٩٩.

(٣) المتواترة: زيادة فى (ب) فقط.

وقد ثبت فى الصحيحين أن بَغِيًّا سَقَتْ كلبا فغفر الله[1] لها بسقيه[2].

قالوا: وابنا آدم لم يكن أحدهما مشركا، ولكن لم يقصد التقرب إلى الله بالطيب من ماله، كما جاء فى الأثر. فلهذا لم يتقبل الله قربانه.

وقد قال تعالى فى حق المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٤] فجعل هذه موانع قبول النفقة دون مطلق الذنوب.

قال أهل الحديث والسنة[3]: ومن نفى عنه الإيمان فلأنه ترك بعض واجباته. والعبادة يُنفى اسمها بنفى بعض واجباتها، لأنها لم تبق كاملة، ولا يلزم من ذلك أن لا يبقى منه شىء، بل قد دلت النصوص على أنه يبقى بعضه، ويخرج من النار من بقى معه بعضه.

ومعلوم أن العبادات فيها واجب كالحج، فيه واجب إذا تركه كان حجة ناقصا، يأثم بما ترك، ولا إعادة عليه، بل يجبره بدم، كرمى الجمار، وإن لم يجبره بقى فى ذمته. فكذلك الإيمان ينقص بالذنوب، فإن تاب عاد، وإلا بقى ناقصا نقصا / يأثم به. وقد يحرم فى الحج أفعال إذا فعلها ٣/ ٧٦

(١) الله: فى (ن)، (م) فقط.

(٢) الحديث - مع اختلاف فى اللفظ - عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٤/ ١٧٣ (كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان...) ونصه فيه: «بينما كلب يطيف بِرَكِيَّة كاد يقتله العطش إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغُفر لها به» والموق: الخف. والحديث فى: مسلم ٤/ ١٧٦١ (كتاب السلام، باب فضل ساقى المحترمة وإطعامها) وأوله فيه: «إن امرأة بغيا... الخ»؛ المسند (ط. الحلبى) ٢/ ٥٠٧.

(٣) والسنة: ساقطة من (ح)، (ب).

نقص حجة ولم يبطل، كالتطيب ولبس الثياب، بل يجبر ذلك ولا يفسده من المحرّمات إلا الجماع.

فكذلك لا يزيل الإيمان كله إلا الكفر المحض، الذى لا يبقى مع صاحبه شىء من الإيمان. قالوا: وهذا هو الذى يُحبط جميع الأعمال. وأما ما دون ذلك فقد يحبط بعض العمل، كما فى آية المن والأذى؛ فإن ذلك يبطل تلك الصدقة، لا يبطل سائر أعماله[1].

والـذين كرهـوا ما أنـزل اللّه كفار، وأعمال القلوب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، ونحو ذلك، كلها من الإيمان. وكراهة ما أنزل اللّه كفر. وأوثق عُرى الإيمان الحب فى اللّه والبغض فى الله.

وقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢].

وقوله فى السابق والمقتصد والظالم لنفسه: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [سورة الرعد: ٢٣] لا يمنع أن يكون الظالم لنفسه قد عُذِّب قبل هذا ثم يدخلها.

وقوله ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [سورة الليل: ١٥] لا يخلو إما أن يكون المـراد بالصِّلِيِّ نوعاً من التعذيب؛ كما قيل: إن الذى تصليه النار هو الـذى تحيط به، وأهل القبلة لا تحرق النار منهم مواضع السجود، أو تكون نارا مخصوصة.

وقوله: ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [سورة الزمر: ١٦]، كقول النبى صلى الله

---

(١) الإشارة هنا إلى آية ٢٦٤ من سورة البقرة: (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى. . .) الآية.

عليه وسلم فى الشمس والقمر: «إنهما آيتان من آيات الله يخوّف الله بهما عباده»[1].

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾ [سورة الإسراء: ٥٩] والآيات التى خوّف الله بها [عباده][2] تكون سبباً فى شر ينزل بالناس، فمن اتّقى الله بفعل ما أُمر به وُقِىَ ذلك الشر. ولو كان مما لا حقيقة له أصلا لم يخف أحد إذا علم أنه لا شر فى الباطن، وإنما يبقى التخويف للجاهل / الفَدْم[3] كما يفزع الصبيان بالخيال.

وقد قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [سورة الزمر: ١٦] فخوّف العباد مطلقا، وأمرهم بتقواه، لئلا ينزل المخوف، وأرسل الرسل مبشّرين ومنذرين، والإنذار هو الإعلام بما يُخاف منه، وقد وجدت المخوفات فى الدنيا، وعاقب اللّه على الذنوب أمما كثيرة، كما قصّه فى كتابه، وكما شوهد من الآيات، وأخبر عن دخول أهل النار النار فى غير موضع من القرآن.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨] ولو كان الأمر كما يتوهمه الجاهل لكان إنما يخشاه من عباده الجهّال الذين

---

(١) الحديث بلفظ مقارب عن أبى بكرة وأبى مسعود الأنصارى رضى الله عنهما فى: البخارى ٣٦/٢ (كتاب الكسوف، باب يخوف الله عباده بالكسوف)؛ مسلم ٦٢٨/٢ (كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف..). وجاء الحديث بمعناه عن عدد من الصحابة وبألفاظ مختلفه فى كتاب «الكسوف» فى كل من البخارى ومسلم، وفى مواضع أخرى فى البخارى، وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجة والدارمى والمسند والموطأ.

(٢) عباده: زيادة فى (ح)، (ب).

(٣) فى «اللسان»: «الفدم من الناس: العَيِيُّ عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم».

يتخيلون ما لا حقيقة له. وهذا [كله][1] مبسوط فى موضعه، وإنما الغرض هنا التمثيل بأقوال المختلفين[2] التى كلها باطلة.

ومثال ذلك: إذا تنازع فى القدر القدرية من المعتزلة وغيرهم، والقدرية المجبرة[3] من الجهمية وغيرهم، فقالوا جميعاً: إرادة الله هى محبته وهى رضاه[4]. ثم قالت المعتزلة: وهو سبحانه يحب الإيمان والعمل الصالح، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، فلا يكون مريداً له.

قالوا: والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [سورة الزمر: ٧]، وقوله: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة النساء: ١٠]، وقوله ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥].

والفقهاء متفقون على أن أفعال البر تنقسم إلى واجب ومستحب، والمستحب هو ما أحبه الله ورسوله، وأن المنهى [عنه][5] كله مكروه، كرهه الله ورسوله. والكراهة نوعان: كراهة تحريم، وكراهة تنزيه.

وقد قال تعالى لما ذكر المحرمات: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ [سورة الإسراء: ٣٨]. وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة

(١) كله: ساقطة من (ن)، (م).
(٢) ن، م: التمثيل بين أقوال المختلفين؛ ى: التمثيل وأقوال المختلفين.
(٣) ن: والجهمية المجبرة...
(٤) ب: هى محبته ورضاه؛ و: هى تحبيه وهى رضاه.
(٥) عنه: زيادة فى (ب) فقط.

المال»[1]. وفى الصحيح أيضا عنه أنه قال: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب»[2].

قالوا: فهذا دليل على أنه يكون فى العالم ما هو مكروه لله، [فلا يكون مراداً للّه][3]، فيكون فى العالم ما لا يريده الله، وهو ما لم يأمر الله به أو ينه عنه[4].

قالوا: والأمر لا يعقل أمراً إلا بإرادة الآمر لما أمر به من المأمور، ومن قدّر أن الآمر يطلب المأمور به طلبا لا يكون إرادة ولا مستلزما للإرادة، فهذا قد ادّعى ما يُعلم فساده بالضرورة، وما يحتج به من التمثيل بأمر الممتحن، فذاك لم يكن طالباً[5] للمأمور به، ولا مريداً له فى الباطن، بل أظهر أنه مريد طالب.

[وقالوا][6]: قد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة ١٨٥].

---

(١) سبق الحديث فيما مضى ٣/١٥٩ ولفظه: «إن الله كره..».

(٢) هذا جزء من حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٨/٤٩ (كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب) ولفظه فيه: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله، فحق على كل مسلم سمعه أن يشمّته. وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فليردّه ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان». وجاء الحديث مرة أخرى فى البخارى ٨/٥٠ (كتاب الأدب، باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه). وهو فى: سنن الترمذى ٤/١٨٠ - ١٨١ (كتاب الأدب، باب ما جاء فى خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس)؛ المسند (ط. المعارف) ١٤/٣١ - ٣٣ (وانظر تعليق المحقق)، ١٨/١٥١، (ط. الحلبى) ٢/٥٧١.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٤) ن، م: أو نهى عنه.

(٥) م: طلبا. (٦) وقالوا: ساقطة من (ن)، (م).

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّن حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦].

٣/ ٧٧ وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ واللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ [سورة النساء: ٢٦ - ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

فهذه المرادات كلها قد أمر بها عباده؛ فمنهم من أطاع ومنهم من عصى. فعُلم أنه قد يريد من العباد ما لا يفعلونه، كما يأمرهم[1] بما لا يفعلونه.

قالت القدرية الجبرية من الجهمية، ومن اتبعهم: بل إرادته تعالى تتناول ما وجد دون ما لم يوجد، فإن المسلمين متفقون على قولهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولأن إرادة ما عُلم أنه لا يكون تمنٍّ. وقد قال سبحانه: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧]، فكل ما يشاؤه فقد فعله.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [سورة السجدة: ١٣] فعلم أنه لم يشأ ذلك، فلم يرد هدى كل أحد، وإن كان قد أمر به.

---

(١) ح، ر، ي: كما أمرهم.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥]، فعلم أنه يريد الإضلال، كما يريد شرح الصدر للإسلام.

وقال نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [سورة هود: ٣٤]، فدل على أنه يريد إغواء من غوى.

وقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الرعد: ١٦]، فكل ما وُجد من أفعال [العباد][1] وغيرها فإن الله خالقه.

[قالوا][2]: وما أراده فقد أحبه ورضيه، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥]: أي ممن لم يُفْسِد، أو لا يحبه ديناً[3].

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [سورة الزمر: ٧] أي ممن لم يكفر، أو لا يرضاه[4] دينا، كما أنه لا يحب الإيمان ممن لم يؤمن، أو لا يحبه غير دين.

قال المنازعون لهم من المعتزلة وغيرهم: فقد قال: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة النساء: ١٠٨]. وأولئك منافقون، وذاك القول محرَّم عليهم، وهو واقع منهم، وقد أخبر أنه لا يرضاه، فعُلم أنه[5] ما وقع من المعاصي لا يرضاه.

وكذلك قوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ

---

(١) العباد: ساقطة من (ن).

(٢) قالوا: ساقطة من (ن).

(٣) ن: ولا يحبه.

(٤) ن: ولا يرضاه.

(٥) ب (فقط): أن.

﴿الْكُفْرَ﴾ [سورة الزمر: ٧]: أخبر أنه لا يرضاه بتقدير وقوعه، ولا يقال: إنه يرضى كل موجود.

ص ٢٠٧ وقولكم: لا يرضاه دينا، فالرضا فى كتاب الله متعلق بنفس / الفعل، [لا بشىء][1] محذوف، وكونه لا يرضاه دينا عندكم، معناه: لا يريد أن يثيب صاحبه عليه. ومعلوم أن إبليس والشياطين لا يرضونه دينا بهذا الاعتبار؛ مع أن إبليس يرضى الكفر ويختاره؛ فإنه قد يحب ما يبغضه الله ويبغض ما يحبه [الله][2] ليغوى الناس بذلك.

قال الله تعالى عنه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [سورة الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [سورة يس: ٦٠، ٦١]. قالوا: والأمة متفقة على أن الله سبحانه يحب الإيمان والعمل الصالح، ويحب المتقين والمحسنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب المقسطين، ولا يحب المعاصى ولا يرضاها.

واحتجاجنا بهذا الإجماع أقوى من احتجاجكم بقولهم[3]: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» فإنهم كلهم يقولون: إن الصلاة والصدقة والأعمال الصالحة يرضاها الله ورسوله، ويحبها الله ورسوله، ويقولون عن الفواحش والظلم: هذا لا يرضاه الله ورسوله، ولا يحبه الله ورسوله.

(١) لا بشىء: ساقطة من (ن).

(٢) لفظ الجلالة ليس فى (ن).

(٣) ح، ب: بقول؛ و: بقوله.

فأنتم خالفتم الكتاب والسنة والإجماع فى قولكم: إن كل ما وقع من الكفر [والفسوق](1) والعصيان فإن الله يحبه ويرضاه.

قالت القدرية المجبرة من الجهمية وغيرهم: أنتم تقولون: إن الله لم يختص المؤمنين بنعمة اهتدوا بها، بل نعمته على الكفار والمؤمنين فى الإيمان سواء. وهذا خلاف الشرع [والعقل](2)؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الحجرات: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾[سورة الأنعام: ٥٣] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾ [سورة النور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٨].

٣/ ٧٨

وقال ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥، ٣٦]. وقال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة التكوير: ٢٨، ٢٩].

---

(١) والفسوق: ساقطة من (ن)، (م). وفى (و): الفسق. (٢) والعقل: ساقطة من (ن) فقط.

وقال: ﴿فَمَنْ شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [سورة المزمل: ١٩].

[وقال]:(١) ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [سورة الإنسان: ٣٠].

وقال: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ * وَمَايَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [سورة المدثر: ٥٥ - ٥٦].

وقد أمرنا أن نقول فى الصلاة: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٦، ٧].

والذين أنعم الله عليهم هم(٢) المذكورون فى قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾ [سورة النساء: ٦٩].

والإنعام المطلق إنما يدخل فيه المؤمنون؛ فدل ذلك على [أن] الطاعة(٣) الحاصلة من المؤمنين هو الذى أنعم بها، ولو كانت نعمته عليهم كنعمته على الكفار، لكان الجميع من المنعم عليهم، أهل الصراط المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفاتحة: ٧] صفة لا استثناء(٤)، لأنه خفض «غيرِ» كما تقول العرب: إنى لأمر بالصادق غيرِ

(١) وقال: فى (ح)، (ب) فقط.
(٢) هم: ساقطة من (ح)، (ب).
(٣) ن: فدل ذلك على الطاعة؛ م: فدل ذلك إنما الطاعة.
(٤) ن، م: صفة الاستثناء.

الكـاذب. فالمغضـوب عليهم والضالون لم يدخلوا فى المنعم عليهم حتى يخرجوا، بل بيّن أن هؤلاء مغايرون لأولئك، كمغايرة الصادق للكاذب.

وقد قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِـدًا﴾ [سورة الكهف: ١٧] فدلّ على أن كل من هداه الله اهتدى، ولو هدى الكافر كما هدى المؤمن لاهتدى.

وقال الخليل: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَيَّ﴾ [سورة ابراهيم: ٤٠، ٤١] فتبين أنه سبحانه هو الذى يجعله مقيم الصلاة.

[وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾][1] [سورة الأنبياء: ٧٣]. وقـال تعـالى: ﴿وَجَعَلْنَـاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [سورة القصص: ٤١] فهو الذى جعل هؤلاء أئمة هدى وهؤلاء أئمة ضلال.

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] فبيّن أن لينه برحمة من الله.

وقـال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣].

وقـال تعـالى لمـا ذكـر الأنبياء: ﴿وَمِنْ آبَـائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَـاءُ مِنْ عِبَـادِهِ وَلَـوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله:

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام: ٨٧ ـ ٩٠] فأخبر أنه يخص بهذا الهدى من يشاء من عباده، وأخبر أن هؤلاء هم الذين هداهم الله، فعُلم أنه خصّ بهذا الهدى من اهتدى به دون من لم يهتد به[١]، ودل على تخصيص المهتدين بأنه هداهم ولم يهد من لم يهتد.

والهدى يكون بمعنى البيان والدعوة، وهذا يشترك فيه المؤمن والكافر. كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [سورة فصلت: ١٧].

ويكون بمعنى جعله[٢] مهتديا، وهذا يختص بالمؤمنين، وهو المطلوب بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: ٧] وبقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة:٢]. وذلك أن هَدَى / بمعنى دَلَّ وأرشد قد يكون بالقوة، فهذا مشترك، وقد يكون بالفعل، فهذا مختص. كما تقول[٣]: علَّمتُهُ فتعلم، وعلمته فما تعلم. وكذلك: هديتهُ فاهتدى، وهديته فما اهتدى. فالأول مختص بالمؤمنين، والثانى مشترك.

ظ ٢٠٧

وليس تعليمه وهداه كتعليم البشر بعضهم بعضا؛ فإن المعلم يقول والمتعلم يتعلم بأسباب لا يقدر عليها المعلم. والله تعالى هو الذى يجعل العلم فى قلوب[٤] من علَّمه. ولهذا يُطلب منه ذلك فيُقال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ولا يقال ذلك للبشر[٥]؛ فإنهم لا يقدرون عليه.

---

(١) و: من هدى به دون من لم يهده.

(٢) ن، م: جعلته.

(٣) ن، م: وهذا مختص بقوله...

(٤) ح، ب، ى: فى قلب.

(٥) ن، م: لبشر.

ويطلب العبد من الله أن يفهّمه ويعلّمه[1] ويشرح صدره، وأن يحبب إليه الإيمان والعمل الصالح، ولا يطلب هذا من غير الله.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٢].

وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥].

وقال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩]، فخصّ سليمان بالتفهيم مع أنهما كانا حاكمَيْن، لم يخص أحدهما بعلم ظاهر. وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس: ٧، ٨].

وكانت أكثر يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ومقلب القلوب»[2].

وقال: «ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين إصبعين من أصابع

(١) ح، ب: أن يعلمه ويفهمه.

(٢) الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما فى: البخارى ١٢٨/٨ - ١٢٩ (كتاب الأيمان، باب كيف كانت يمين النبى صلى الله عليه وسلم) ١١٨/٩ (كتاب التوحيد، باب مقلب القلوب)؛ سنن الترمذى ٤٨/٣ (كتاب النذور، باب كيف كان يمين النبى صلى الله عليه وسلم)؛ سنن النسائى ٣/٧ (كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بمصرّف القلوب) فى موضعين؛ سنن ابن ماجة ٦٧٦/١ (كتاب الكفّارات، باب يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كان يحلف بها)؛ سنن الدرامى ١٨٧/٢ (كتاب النذور والأيمان، باب بأى أسماء الله حلفت لزمك)؛ الموطأ ٤٨٠/٢ (كتاب النذور والأيمان، باب جامع الأيمان)؛ المسند (ط. المعارف) ١٧/٧، ٢١٥.

الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه»[1].

٣/ ٧٩ و[قد] قال [تعالى] في دعاء[2] المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [سورة الكهف: ٣٩].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة يونس: ٩٩].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة هود: ١١٨].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣].

وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [سورة السجدة: ١٣].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [سورة الأنعام: ١٠٧].

وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۞ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا

---

(١) الحديث ـ مع اختلاف في اللفظ ـ عن النوّاس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه في: سنن ابن ماجة ١/ ٧٢ (المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية) وفي التعليق: «في الزوائد: إسناده صحيح» والحديث في: المسند (ط. الحلبي) ٤/ ١٨٢. وصححه الألباني في تخريج كتاب «السنة» لابن أبي عاصم ١/ ٩٨ ـ ٩٩، ط. المكتب الاسلامي، ١٤٠٠/ ١٩٨٠ وتكلم عليه.

(٢) ن: وقال في دعاء...

﴿يُبْصِرُونَ﴾ [سورة يس: ٨، ٩].

والآيات والنصوص المثبتة للقدر كثيرة جدا. وهذا كله حجة على بطلان قول المعتزلة، وغيرهم من القدرية النافية. فصار مع هؤلاء نصوص يقولون بها، ومع هؤلاء نصوص. وكل من الطائفتين يتأول نصوص الأخرى بتأويلات فاسدة، ويضم إلى النصوص التى يحتج[1] بها أمورا لا تدل عليها النصوص.

وأما أهل السنة والحديث، من الصحابة والتابعين [لهم بإحسان، وأئمة المسلمين] وعلماء أهل السنة والحديث رضى الله عنهم فآمنوا[2] بالكتاب كله، ولم يحرّفوا شيئا من النصوص، وقالوا: نحن نقول: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» ونقول: إن اللّه خالق كل شىء وربه ومليكه، فكل ما سوى الله مخلوق له[3]، حادث بمشيئته وقدرته، ولا يكون فى ملكه ما لا يشاؤه ويخلقه، فلا يقدر أحد أن يمنع الله عما أراد أن يخلقه ويكوّنه؛ فإن الواحد القهّار ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده،[﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾][4] [سورة فاطر: ٢].

وقالوا: إن اللّه يأمر بالإيمان والعمل الصالح، وينهى عن الكفر والفسوق والعصيان، ويحب كل ما أمر به ويرضاه، ويكره ما نهى عنه

(١) ن، م: التى احتج.

(٢) ن، م: والتابعين وعلماء المسلمين فآمنوا..

(٣) ن، م: فكل ما سواه مخلوق له.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة فى (ح)، (ب).

ويسخطه. وهو سبحانه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر.

قالوا: وليس كل ما أمر العباد به وأراد منهم أن يفعلوه، أراد هو أن يخلقه لهم ويعينهم عليه، بل إعانته على الطاعة لمن أمره بها فضل منه كسائر النعم، وهو يختص برحمته من يشاء.

والطائفتان غلطوا من حيث أنهم [لم][1] يميزّوا بين إرادته لما يخلقه فى عباده، وإرادته لما يأمر به عباده. وقد قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤]؛ فالرب خالق كل شىء، وكل ما خلقه فبإرادته خَلَقَه؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فما لم يكن لم يرد أن يخلقه، وما كان فقد أراد أن يخلقه. وهو لا يريد [أن يخلق][2] إلا ما سبق علمه بأنه سيخلقه، فإن العلم يطابق المعلوم.

وقد أمر العباد[3] بالحسنات التى تنفعهم، ونهاهم عن السيئات التى تضرهم. والحسنات محبوبة للّه مرضية[4]، والسيئات مكروهة له يسخطها ويسخط على أهلها، وان كان الجميع مخلوقاً له. فإنه خلق جبريل وإبليس، وهو يحب جبريل ويبغض إبليس. وخلق الجنة والنار، وجعل الظلمات والنور، وخلق الظل والحرور، وخلق الموت والحياة، و[خلق] الذكر والأنثى، و[خلق] الأعمى[5] والبصير.

---

(١) لم: ساقطة من (ن).

(٢) أن يخلق: ساقطة من (ن)، (م)، (ى).

(٣) ن، م: عباده.

(٤) ح، ب: محبوبة مرضية لله.

(٥) ن، م: والذكر والأنثى والأعمى..

وقد قال: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢٠].

وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [سورة فاطر: ١٩-٢٢].

وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [سورة القلم: ٣٥، ٣٦].

وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨].

وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢١].

ص٢٠٨ وقد خلق الطيبات والخبائث، وليس[1] / الطيبات كالخبائث، ولا الفواكه والحبوب كالبَوْل والعذرة. وهو سبحانه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وهو طيب لا يقبل إلا طيبا، وهو نظيف يحب النظافة، وجميل يحب الجمال، وليس كل ما خلقه يصعد إليه، ويكون [طيبا][2] محبوبا له مرضيا عنده، بل إنما يُسكن في جنته من يناسبها ويصلح لها، وكذلك النار. قال تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

---

(١) ب (فقط): وليست.

(٢) طيبا: ساقطة من (ن) فقط.

وفى الصحيح أنه إذا عبر أهل الجنة الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم[1] من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذِّبوا ونقّوا أُذِن لهم فى / دخول الجنة، فلا يدخلون الجنة إلا بعد التهذيب والتنقية[2]. كما قال تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

٣/ ٨٠

ولما قال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۞ قالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢، ١٣]؛ فبيّن سبحانه أنه ليس لمن فى الجنة أن يتكبر.

وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان»[3]. قال رجل: يارسول الله: الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا[4] أفمن الكبر ذاك؟ قال: «لا، إن اللّه جميل يحب

---

(١) ح، ب: لبعض؛ م: بعضهم.

(٢) الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى: البخارى ١٢٨/٣ (كتاب المظالم والغصب، باب قصاص المظالم) ونصه: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذى نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدلُّ بمنزلِهِ كان فى الدنيا». وجاء الحديث مرة أخرى فى: البخارى ١١١/٨ (كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة). وهو فى: المسند (ط. الحلبى) ١٣/٣، ٥٧، ٦٣، ٧٤.

(٣) مضى هذا الحديث من قبل فى هذا الجزء ص ٣٠٥.

(٤) ثوبه حسنا ونعله حسنا: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: نعله حسنا وثوبه حسنا.

الجمـال. الكبـر بطر الحق وغمط النـاس»[1]. وقـوله: «جميل يحب الجمال» أى يحب أن يتجمل العبد له ويتزين، كما قال تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

وهو يكره أن يصلّى العبد له عريانا، بل يكره سبحانه أن تصلّى المرأة له مكشوفة الرأس. وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا يقبل الله صلاة حائضٍ إلا بخِمار»[2].

ولهذا [لما][3] كان المشركون يطوفون بالبيت عُراة، ويقولون: إن الله أمرنا بهذا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة: الأعراف: ٢٨].

فتحسين النعل والثوب لعبادة اللّه هو من التجمل الذى يحبه الله، ولو تزيّن [بـه][4] لمعصيةٍ[5] لم يحب ذلـك. والمؤمن الـذى نوّر اللّه قلبـه بالإيمان يظهر نور الإيمان على وجهه، ويُكسى محبة ومهابة، والمنافق

---

(١) جمـع ابن تيمية بين الحديث السابق وهذا الحديث، والرواية الصحيحة فيها قطعة من الحديث السابق فقط هى: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر». وسبق الحديث فيما مضى ٣/ ١٦١.

(٢) الحديث بلفظ «لا تُقبل صلاة الحائض إلا بخمار» عن عائشة رضى الله عنها فى: سنن الترمذى ١/ ٢٣٤ (كتاب الصلاة، باب ما جاء لا تقبل صلاة الحائض إلا بخمار) وقال الترمذى: «وفى الباب عن عبدالله بن عمرو. حديث عائشة حديث حسن». وجاء الحديث بلفظ: «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» فى: سنن ابن ماجة ١/ ٢١٣ ـ ٢١٤ (كتاب الـطهـارة، باب إذا حاضت الجـارية لم تصل إلا بخمار). والحديث فى المسند (ط. الحلبى) ٦/ ٢١٨، ٢٥٩.

(٣) لما: ساقطة من (ن)، (م).

(٤) به: ساقطة من (ب) فقط. وفى (و): ولو تجمّل به.

(٥) ح، ر، ى: لمعصيته؛ ب: لمعصية له.

بالعكس.

وأما الصورة المجردة، سواء كانت حسنة مشتهاة، كشهوة الرجال للنساء، والنساء للرجال، أو لم تكن مشتهاة، فقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1] ويقال: ولا إلى لباسكم.

وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً﴾ [سورة مريم: ٧٣، ٧٤]. والأثاث: اللباس والمال. والرئى: المنظر والصورة.

وقال تعالى [عن المنافقين][2]: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٤]، فبين أن لهم أجساما ومناظر. قال ابن عباس: كان ابن أبىّ جسيما فصيحاً طلق[3] اللسان. قال المفسرون: وصفهم الله بحسن الصورة وإبانة المنطق، ثم أبان أنهم فى عدم الفهم والاستغفار بمنزلة الخشب المسندة الممالة إلى الجدار. والمراد أنها ليست بأشجار تثمر[4]، [بل هى خشب مسندة إلى

---

(١) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: مسلم ١٩٨٧/٤ (كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم)؛ سنن ابن ماجة ١٣٨٨/٢ (كتاب الزهد، باب القناعة)؛ المسند (ط. المعارف) ٢٧٧/١٤ (رقم ٧٨١٤)، (ط. الحلبى) ٥٣٩/٢.

(٢) عن المنافقين: ساقطة من (ن).

(٣) و: ذلق.

(٤) م: مثمرة؛ و: وثمر.

حائط][1]، ثم عابهم بالجبن فقال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أى: لا يسمعون صوتا إلا ظنّوا أنهم قد أُتوا، لما فى قلوبهم من الرعب أن يكشف الله أسرارهم .

فصاحب الصورة الجميلة إذا كان من أهل هذه الأعمال التى يبغضها الله، كان الله يبغضه ولا يحبه لجماله؛ فإن اللّه لا ينظر إلى صورته، وإنما ينظر إلى قلبه وعمله.

ويوسف الصدِّيق، وإن كان أجمل من غيره من الأنبياء، وفى الصحيح: «أنه أعطى شطر الحسن»[2]، فلم يكن بذلك أفضل من غيره، بل غيره أفضل منه، كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد، صلوات الله عليهم أجمعين. ويوسف، وإن كانت صورته أجمل، فإن إيمان هؤلاء وأعمالهم كانت أفضل من إيمانه وعمله، وهؤلاء أوذوا على نفس الإيمان والدعوة إلى الله، فكان الذين عادوهم معادين لله ورسوله، وكان صبرهم صبرا على توحيد الله وعبادته

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (ر).

(٢) فى حديث الإسراء الذى رواه مسلم: ١/١٤٥ـ١٤٧ (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم. .) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: . . . فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم إذا هو قد أُعطى شطر الحسن. . وجاء الحديث عن أنس رضى الله عنه بلفظ: «أعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطر الحسن» فى: المسند (ط. الحلبى) ٣/٢٨٦؛ المستدرك للحاكم ٢/٥٧٠ وقال: . . يوسف وأمه شطر الحسن. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وتكلم الألبانى على الحديث فى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٣/٤٧٠ وقال: «صحيح على شرط مسلم».

وطاعته، وهكذا سائر قصص الأنبياء التى فى القرآن.

ويوسف عليه السلام إنما آذاه إخوته لتقريب أبيه له، حسداً على حظ من حظوظ الأنفس، لا على دين. ولهذا كان صبره على التى راودته، وحبس الذين حبسوه على ذلك، أفضل له من صبره على أذى إخوته؛ فإن هذا صبر على تقوى الله باختياره حتى لا يفعل المحرَّم، وذلك صبر على أذى الغير الحاصل بغير اختياره. فهذا من جنس صبر المصاب على مصيبته، وذاك من جنس صبر المؤمن على الذين يأمرونه بالمعاصى ويدعونه إليها، فيصبر على طاعة الله وعن معصيته، ويغلب / هواه وشهوته، وهذا أفضل. ٣/ ٨١

فأما صبر إبراهيم وموسى وعيسى ونبينا، صلوات الله وسلامه عليهم، على أذى الكفار، وعداوتهم على الإيمان بالله ورسوله، فذاك أفضل من هذا[1] كله، كما أن التوحيد والإيمان أفضل من مجرد ترك الزنا، وكما أن [تلك][2] الطاعات / أعظم، فالصبر عليها وعلى معاداة أهلها أعظم. ظ ٢٠٨

وأيضا فهؤلاء كانوا يطلبون قتل من يؤمن وإهلاكه بكل طريق، لا يحبون المؤمنين أصلا، بخلاف يوسف فإنه إنما ابتُلى بالحبس[3]، وكانت المرأة تحبه فلم تعاقبه بأكثر من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [سورة يوسف: ٣]، سواء كان القصص مصدر قَصَّ يَقَصُّ قَصصاً، أو كان مفعولا: أى أحسن

---

(١) ن، م: ذلك.

(٢) تلك: ساقطة من (ن).

(٣) ن: بالحسن.

المقصوص، فذاك لا يختص بقصة يوسف، بل قصة موسى أعظم منها قدرا وأحسن، ولهذا [كرر][1] ذكرها فى القرآن وبسطها. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [سورة القصص: ٢٥] ولهذا قال: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [سورة يوسف: ٣] وقد قرىء: ﴿أحسن القِصص﴾ بالكسر، ولا تختص بقصة يوسف، بل كل ما قصه الله فهو أحسن القصص، فهو أحسن مقصوص، وقد قصه الله أحسن قصص.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال» قاله جوابا للسائل فى بيان ما يحبه الله من الأفعال وما يكرهه؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان»[2]. ومعلوم أن هذا الكبر من كسب العبد الداخل تحت قدرته ومشيئته، وهو منهى عنه ومأمور بضده. فخاف السائل أن يكون ما يتجمّل به[3] الإنسان، فيكون أجمل به ممن لم يعمل مثله من الكبر المذموم؛ فقال: إنى أحب أن يكون ثوبى حسنا [ونعلى حسنا][4]، أفمن الكبر ذاك؟

وحسن ثوبه ونعله هو مما حصل بفعله وقصده، ليس هو شيئا مخلوقا فيه بغير كسبه كصورته. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال» ففرق بين الكبر الذى يمقته الله، وبين الجمال

---

(١) كرر: ساقطة من (ن). وفى (م): أكثر.

(٢) سبق هذا الحديث قبل صفحات (ص ٣١٤).

(٣) ن: ما يتحلى به.

(٤) ونعلى حسنا: ساقطة من (ن)، (م).

الذى يحبه الله.

ومعلوم أن الله إذا خلق شخصا أعظم من شخص، وأكبر منه فى بعض الصفات: إما فى جسمه، وإما فى قوته، و[إما فى] عقله[1] وذكائه ونحو ذلك، لم يكن هذا مبغضا؛ فإن هذا ليس باختيار العبد، بل هذا خُلق فيه بغير اختياره. بخلاف ما إذا كان هو متكبرا على غيره، بذلك أو بغيره، فيكون هذا من عمله الذى يمقته الله عليه. كما قال لإبليس: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٣].

كذلك من خلقه الله حَسَنَ اللون معتدل القامة جميل الصورة، فهذا ليس من عمله الذى يُحمد عليه أو يذم، أو يُثاب[2] أو يعاقب[3]، ويحبه الله ورسوله عليه أو يبغضه [عليه، كما أنه اذا كان أسود أو قصيرا أو طويلا ونحو ذلك، لم يكن هذا من عمله الذى يُحمد عليه أو يذم، ويثاب أو يعاقب[4]، ويحبه الله ورسوله عليه أو يبغضه][5]. ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربىّ على عجمى، ولا لعجمى على عربىّ، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى»[6].

ولهذا [لما][7] كان المنافقون لهم جمال فى الصورة، وليس فى

---

(١) ن، م: قوته وعقله.

(٢) ب (فقط): ويثاب.

(٣) ن، م، ر، ى: ويعاقب.

(٤) ى، و، ر: ويذم ويثاب ويعاقب.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٦) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٦٠٦.

(٧) لما: ساقطة من (ن)، (م).

قلوبهم إيمـان، شبهّهم الله سبحانه بالخُشُب المسندة اليابسة التى لا تثمر، فالخشبة [اليابسة] إذا كانت [لا ثمر فيها] لا تُمدح[1] ولو كانت عظيمة، وهكذا الصورة مع القلب[2]. نعم قد تكون الصورة عونا على الإيمان والعمل الصالح، [كما تكون القوة] والمال[3] وغير ذلك، فيُحمد صاحبها إذا استعان بها[4] فى طاعة الله وعفَّ عن معاصيه، ويكون حينئذ فيه الجمال الذى يحبه الله ولو كان أسود. وفِعْلُ ما يحبه الله من الجمال كان أيضا فيه الجمال الذى يحبه الله.

والمقصود هنا ذكر ما يحبه الله ويرضاه، وهو الذى يثاب أصحابه عليه ويدخلون الجنة. ومن المعلوم أن الفرق بين مطلق الإدارة وبين المحبة موجود فى الناس وغيرهم؛ فالإنسان يريد كل ما يفعله باختياره، وإن كان فى ذلك ما هو بغيض إليه مكروه له، يريده لأنه وسيلة إلى ما هو محبوب له، كما يريد المريض تناول[5] الدواء الذى يكرهه ويتألم منه، لأنه وسيلة إلى ما يحبه من العافية، وإلى زوال ما هو أبغض إليه من الآلام[6].

والجهمية والقـدرية إنما لم تفرِّق بين ما يشاؤه وما يحبه؛ لأنهم لا يثبتـون لله محبـة لبعض الأمـور / المخلوقة دون بعض، وفرحا بتوبة التائب. وكان أول من أنكر هذا الجعد بن درهم، فضحَّى به خالد بن

٣/ ٨٢

(١) ن: فالخشبة إذا كانت لا تمدح..

(٢) و: الصور مع القلوب.

(٣) ن، م: والعمل الصالح والمال..

(٤) ن، م: إذا اشتغل بها..

(٥) و: بتناوله.

(٦) ح، ب: من الألم.

عبدالله [القسرى][1]، وقال: «ضحُّوا تقبل الله ضحاياكم فإنى[2] مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يكلّم موسى تكليما، ولا اتخذ إبراهيم خليلا[3]، تعالى الله عما يقول الجعد [بن درهم][4] علوا كبيرا» ثم نزل [عن المنبر][5] فذبحه[6]. فإنه الخلة من توابع المحبة، فمن كان من أصله أن الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، لم يكن للخلة عنـده معنى[7].

والرسل صلوات الله عليهم أجمعين إنما جاءوا بإثبات هذا الأصل، وهو أن الله يحب بعض الأمور المخلوقة[8] ويرضاها[9]، ويسخط بعض الأمور ويمقتها، وأن أعمال العباد ترضيه [تارة][10] وتسخطه أخرى.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٨].

وقال: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة الزخرف: ٥٥]. عن ابن عباس: أغضبونا، قال ابن قتيبة: الأسف الغضب، [يُقال: أسِفْتُ

---

(١) القسرى: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) ن: يقبل الله ضحاياكم فإنى؛ و: تقبل الله منكم فإنى..

(٣) ن، م، و: لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما.

(٤) بن درهم: ساقطة من (ن)، (و).

(٥) عن المنبر: فى (ح)، (ر)، (ب) فقط.

(٦) سبق الكلام على الجعد بن درهم وعلى هذه الواقعة فيما مضى ٣٠٩/١.

(٧) ن: للخلة له معنى.

(٨) و: ويرضى بها.

(٩) ن، م: المختلفة.

(١٠) تارة: ساقطة من (ن).

أَسَفاً، أى غضبت][1].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [سورة النساء: ٩٣].

و[قد ثبت] فى الصحيح[2] من غير وجه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضلَّ راحلته بأرض دُوِّيَّة[3] مُهلكة / عليها طعامه وشرابه، فطلبها فلم يجدها، فقال[4] تحت شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ فإذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه. فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته»[5].

ص ٢٠٩

والفرح إنما يكون بحصول المحبوب، والمذنب كالعبد الآبق من مولاه الفار منه، فإذا تاب فهو كالعائد إلى مولاه وإلى طاعته. وهذا المثل[6] الذى ضربه النبى صلى الله عليه وسلم يبيّن من محبة الله وفرحه بتوبة العبد، ومن كراهته لمعاصيه، ما يبين أن ذلك أعظم من التمثيل بالعبد الآبق؛ فإن الإنسان إذا فقد الدابة التى عليها طعامه وشرابه فى الأرض المهلكة[7]، فإنه يحصل عنده ما الله به عليم من التأذى، من جهة فقد الطعام والشراب والمركب، وكون الأرض مفازة لا يمكن الخلاص منها، وإذا طلبها فلم يجدها يئس واطمأن إلى الموت، وإذا استيقظ فوجدها كان عنده من الفرح ما لا يمكن التعبير عنه بوجود[8] ما يحبه

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٢) ن، م: وفى الصحيح.

(٣) ب (فقط): داوية.

(٤) ب: فنام؛ م: فمال.

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢ / ٤٣٠.

(٦) و: لكن هذا المثل.

(٧) و: . . وشرابه فى الهلكة . .

(٨) و: بوجوده.

ويرضاه، بعد الفقد المنافى لذلك.

وهذا يبيّن من محبة الله للتوبة، المتضمنة للإيمان والعمل الصالح، ومن كراهته لخلاف ذلك، ما يرد على منكرى الفرق من الجهمية والقدرية؛ فإن الطائفتين تجعل جميع الأشياء بالنسبة إليه سواء. [ثم][1] القدرية يقولون: هو يقصد نفع العبد لكون ذلك حسنا، ولا يقصد الظلم لكونه قبيحا. والجهمية يقولون: إذا كان لا فرق بالنسبة إليه بين هذا وهذا، امتنع أن يكون عنده شىء حسن وشىء قبيح، وإنما يرجع ذلك إلى أمور إضافية للعباد.

فالحَسَنُ بالنسبة إلى العبد ما يلائمه وما ترتب[2] عليه ثواب يلائمه، والقبيح[3] بالعكس. ومن هنا جعلوا المحبة والإرادة سواء. فلو أثبتوا أنه سبحانه يحب ويفرح بحصول محبوبه ـ كما أخبر به الرسول ـ تبين لهم حكمته، وتبين أيضا أنه يفعل الأفعال لحكمة. فإن الجهمية قالوا: إذا كانت الأشياء بالنسبة إليه سواء، امتنع أن يفعل لحكمة. [والمعتزلة قالوا: يفعل لحكمة][4] تعود إلى العباد. فقالت لهم الجهمية: [تلك الحكمة][5] يعود إليه منها حكم[6] أو لا يعود؟ فالأول[7] خلاف الأصل الذى أصّلتموه[8]. والثانى ممتنع؛ فيمتنع أن أحدا يختار الحَسَن على

---

(1) ثم: ساقطة من (ن)، (م).

(2) ب: وما يترتب.

(3) و: والقبح.

(4) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(5) تلك الحكمة: ساقطة من (ن)، (م).

(6) و: حكمة.

(7) فالأول: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: والأول.

(8) و: أصلوه.

القبيح[1]، إن لم يكن له من فعل الحسن معنى يعود إليه، فيكون فعل الحَسَن يناسبه، بخلاف القبيح. فإذا قُدِّر نفى ذلك امتنع أن يفعل لحكمة.

ثم إن هذه الصفة من أعظم صفات الكمال وكذلك كونه محبوبا لذاته هو[2] أصل دين الرسل؛ فإنهم كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده، وأن لا إله إلا هو. والإله هو المستحق أن يعبد، والعبادة لا تكون إلا بتعظيم ومحبة، وإلا فمن عمل لغيره لعوض[3] يعطيه إياه، ولم يكن يحبه، لم يكن عابدا [له][4].

وقد قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]. وهؤلاء الذين ينفون أن الله يُحِبُّ ويُحَب آخر أمرهم أنه[5] لا يبقى عندهم فرق / بالنسبة الى الله بين أوليائه وبين أعدائه، ولا بين الإيمان والكفر، ولا بين ما أمر به وما نهى عنه، ولا بين بيوته التى هى المساجد وبين الحانات ومواضع الشرك.

٣ / ٨٣

وغاية ما يثبتونه من الفرق أن هذا عَلَم على لذة تحصل للإنسان، وهذا عَلَم على ألم يحصل للإنسان[6]. فان كانوا[7] من الصوفية الذين

---

(١) و، م: القبح.
(٢) ح، ب: وهو.
(٣) ح: لعرض.
(٤) له: ساقطة من (ن).
(٥) عبارة «آخرهم أمرهم أنه»: ساقطة من (و).
(٦) ن، م، ر، ى: يحصل له. وسقطت «للإنسان» من (و).
(٧) ح، ر، ب: فإن كان.

يجعلون الكمال فى فناء العبد عن حظوظه، دخلوا فى مقام الفناء فى توحيد الربوبية، الذى يقولون فيه:[1] العارف لا يستحسن حَسَنة ولا يستقبح سيئة. ويجعلون[2] هذا غاية العرفان؛ فيبقى عندهم لا فرق بين أولياء الله وأعدائه، ولا بين الإيمان[3] والكفر به، ولا بين حمده والثناء عليه وعبادته، وبين سبه وشتمه، وجعله ثالث ثلاثة، ولا بين رسول الله وبين أبى جهل[4]، ولا بين موسى وفرعون.

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء[5] فى غير هذا الموضع، وإن كان من المتكلمين الذين يقولون: ما ثَمَّ إلا ما هو حظ للعبد من المخلوقات صاروا مسخَّرين فى العبادات مستثقلين لها[6] وفى قلوبهم مرتع للشيطان؛ فانه يقع لهم: لم لا ينعم بالثواب بدون هذا التكليف[7]؟ فإذا أجابوا أنفسهم بأن هذا ألذ[8] كان هذا[9] من أبرد الأجوبة وأسمجها[10].

---

(١) و: الذى فيه يقولون؛ ح، ب، م: الذين يقولون فيه.

(٢) ح، ر: ويجعل.

(٣) ن، و: وبين الإيمان به.

(٤) ن، م: ولا بين رسول الله وأبى جهل؛ و: ولا بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أبى جهل.

(٥) ن، م: على هذا.

(٦) ن، م: مستقلين لها.

(٧) ح، ر، ى: التكلف.

(٨) ح: بأن هذا الذى، وهو تحريف.

(٩) بعد عبارة «كان هذا» توجد ورقة ناقصة فى مصورة (م) وسأشير إلى بداية الكلام الموجود فيها عند موضعه إن شاء الله.

(١٠) وأسمجها: ساقطة من (و).

فإن هذا [إنما][1] يقال فى المناظِرَيْن[2]، وأما رب العالمين فلا أحد إلا [وهو][3] مقرٌّ بفضله وإحسانه. ثم يُقال: قد حصل بطلب الألذ من شقاوة الأكثرين، ما كان خلقهم فى الجنة ابتداءً بلا هذا الألذ أجود لهم، وهو قادر على خلق لذاتٍ عظيمة، إلى أمثال هذه الأجوبة.

وإن كان من المرجئة، الذين إيمانهم بالوعيد ضعيف، استرسلت نفسه فى المحرمات وترك الواجبات، حتى يكون من شر الخلق. بخلاف من وجد حلاوة الإيمان بمحبة الله وعلمه بأنه يحب العبادات، وأنه يحب أفعالا وأشخاصا، ويبغض أفعالا وأشخاصا، ويرضى عن هؤلاء، ويغضب على هؤلاء، ويفرح بتوبة التائبين، إلى غير ذلك مما أخبر به[4] الرسول؛ فإن هذا هو الإسلام الذى به يشهد العبد أن لا إلـه إلا الله.

ومن لم يقل بالفرق، فلم يجعل الله معبودا محبوبا؛ فإنما يشهد[5] أن لا رب إلا هو. والمشركون كانوا يقرُّون بهذه الشهادة، لم / يشهدوا أن لا إله إلا الله[6]، والرسل عليهم الصلاة والسلام بُعثوا بتوحيد الألوهية، المتضمن توحيد الربوبية. ظ ٢٠٩

[وأما توحيد الربوبية][7] مجردا، فقد كان المشركون يقرُّون[8] بأن الله[9] وحده[10] خالق السموٰات والأرض، كما أخبر الله بذلك عنهم [فى

---

(١) إنما: زيادة فى (ب) فقط.
(٢) ب (فقط): فى المتناظرين.
(٣) وهو: ساقطة من (ن).
(٤) ن: مما جاء به.
(٥) فإنما يشهد: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: فإنما شهد.
(٦) و: إلا هو.
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).
(٨) ح، ر: يؤمنون.
(٩) ن: بالله.
(١٠) وحده: ساقطة من (و).

غير موضع من القرآن][1].

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٦]. وهذا قد بسطناه فى موضع آخر.

وهؤلاء يدّعون محبة الله فى الابتداء، ويعظّمون أمر محبته، ويستحبون السماع بالغناء والدفوف والشبابات، ويرونه قربة؛ لأن ذلك بزعمهم يحرّك محبة الله فى قلوبهم، وإذا حُقق أمرهم وجدت محبتهم تشبه محبة المشركين لا محبة الموحدين؛ فإن محبة الموحدين بمتابعة الرسول والمجاهدة فى سبيل الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

وهؤلاء لا يحققون متابعة الرسول، ولا الجهاد فى سبيل الله، بل كثير

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

منهم ـ أو أكثرهم ـ يكرهون متابعة الرسول، وهم من أبعد الناس عن الجهاد فى سبيل الله، بل يعاونون[1] أعداءه، ويدَّعون محبته، لأن محبتهم من جنس محبة المشركين الذين[2] قال الله فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [سورة الأنفال: ٣٥].

ولهذا يحبون سماع القصائد أعظم مما يحبون سماع القرآن، ويجتهدون[3] فى دعاء مشايخهم، والاستغاثة بهم عند قبورهم، وفى حياتهم فى مغيبهم، أعظم مما يجتهدون فى دعاء الله والاستغاثة به فى المساجد [والبيوت][4].

٣/ ٨٤ وهذا كله من فعل أهل الشرك / ليس من فعل المخلصين لله دينهم، كالصحابة والتابعين [لهم بإحسان][5]، فأولئك أنكروا محبته، وهؤلاء دخلوا فى محبة المشركين. والطائفتان خارجتان عن الكتاب والسنة.

فنفس محبته أصل لعبادته، والشرك فى محبته أصل الإشراك فى عبادته. وأولئك فيهم شبه من اليهود[6]، وعندهم كبر من جنس كبر اليهود. وهؤلاء فيهم شبه من النصارى، وفيهم شرك من جنس شرك النصارى.

والنصارى ضالون لهم عبادة ورحمة ورهبانية لكن بلا علم، ولهذا يتّبعون أهواءهم بلا علم. قال تعالى[: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي

---

(١) ن: يعاقبون، وهو تحريف.
(٢) الذين: ساقطة من (ح)، (ب).
(٣) ن: ومجتهدين.
(٤) والبيوت: ساقطة من (ن).
(٥) لهم بإحسان: ساقطة من (ن).
(٦) ح، ب: شبه باليهود.

دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [سورة النساء: ١٧١]. وقال تعالى][1]: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ٧٧] أى وسط الطريق، وهى السبيل القصد التى قال الله فيها: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [سورة النحل: ٩]، وهى الصراط المستقيم؛ فأخبر بتقدم ضلالهم، ثم ذكر صفة ضلالهم.

والأهواء هى إرادات النفس[2] بغير علم، فكل من فعل ما تريده نفسه بغير علم يبيّن أنه مصلحة فهو متبع هواه، والعلم بالذى هو مصلحة العبد عند الله فى الآخرة هو [العلم][3] الذى [جاءت][4] به الرسل. قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِّنَ اللَّهِ﴾ [سورة القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٨].

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٢) ن: النفوس.

(٣) العلم: ساقطة من (ن)، (و).

(٤) جاءت: ساقطة من (ن).

التعليق على كلام بعض الصوفية الذى يتضمن الاتحاد والحلول ووحدة الوجود والقول باكتساب النبوات

ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون أهل الاستقامة يوصون كثيرا بمتابعة العلم ومتابعة الشرع ؛ لأن كثيرا منهم سلكوا فى العبادة لله مجرد[1] محبة النفس وإرادتها وهواها، من غير اعتصام بالعلم الذى جاء به الكتاب والسنة، فضلُّوا بسبب ذلك ضلالا يشبه ضلال النصارى.

ولهذا قال بعض الشيوخ ـ وهو أبو عمرو بن نُجيد[2] ـ «كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل» وقال سهل[3]: «كل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس، وكل عمل باقتداء فهو عذاب على النفس». وقال أبو عثمان النيسابورى[4]: «من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلا نطق

---

(١) ح، ر، ى، ب: بمجرد.

(٢) فى جميع النسخ: عمرو بن نجيد. وأشار محقق (ب) إلى وجود نسخة عنده فيها: أبو عمرو بن نجد. وهو أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمى. قال أبو عبدالرحمن السلمى فى طبقات الصوفية، ص٤٥٤: «جدى لأمى». لقى الجنيد وكان أكبر مشايخ وقته. توفى سنة ٣٦٦هـ. انظر ترجمته وأقواله فى: القشيرية ١/١٧١؛ طبقات الصوفية، ص ٤٥٤ ـ ٤٥٧؛ الطبقات الكبرى ١/١٠٣؛ طبقات الشافعية ٣/٢٢٢ ـ ٢٢٤؛ المنتظم ٧/٨٤ ـ ٨٥؛ شذرات الذهب ٣/٥٠.

(٣) أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس التسترى، من كبار الصوفية، ولد سنة ٢٠٠ وتوفى سنة ٢٨٣. انظر ترجمته وأقواله فى: طبقات الصوفية، ص٢٠٦ ـ ٢١١؛ الطبقات الكبرى ١/٦٦ ـ ٦٨؛ صفة الصفوة ٤/٤٦ ـ ٤٨؛ شذرات الذهب ٢/١٨٢ ـ ١٨٤؛ الأعلام ٣/٢١٠. والنص التالى فى «القشيرية» ١/٨٥ (وترجمة سهل التسترى فى «القشيرية» ١/٨٣ ـ ٨٥).

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيرى النيسابورى وأصله من الرى، شيخ الصوفية بنيسابور وبها توفى سنة ٢٩٨. انظر ترجمته وأقواله فى: طبقات الصوفية، ص ١٧٠ ـ ١٧٥؛ صفة الصفوة ٤/٨٥ ـ ٨٨؛ الطبقات الكبرى ١/٧٤ ـ ٧٥؛ وفيات الأعيان ٢/١١١ ـ ١١٢؛ تاريخ بغداد ٩/٩٩ ـ ١٠٢؛ المنتظم ٦/١٠٦ ـ ١٠٨؛ الرسالة القشيرية ١/١٠٩ ـ ١١١. وهذا النص فى «القشيرية» ١/١١١.

بالحكمة ، ومن أمّر الهوى على نفسه [قولا وفعلا][1] نطق بالبدعة ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [سورة النور : ٥٤] » . وقال بعضهم : « ما ترك أحد شيئا من السنة إلا لكِبْر فى نفسه » .

وهو كما قالوا ؛ فإنه إذا لم يكن متبعا للأمر الذى جاء به الرسول كان يعمل بإرادة نفسه ، فيكون متبعا لهواه بغير هدًى من الله ، وهذا غَيْش النفس ، وهو من الكِبْر ؛ فإنه شعبة[2] من قول الذين قالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٤] .

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياضته واجتهاده فى العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء ، من غير اتباع لطريقهم[3] . وفيهم طوائف يظنون أنهم صاروا أفضل من الأنبياء ، وأن الولى[4] الذى يظنون هم أنه الولى أفضل من الأنبياء ، وفيهم[5] من يقول : إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء ، ويدَّعى فى نفسه أنه خاتم الأولياء ، ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون : إن هذا

(١) قولا وفعلا : ساقطة من (ن) .

(٢) ن : شيعة .

(٣) ح ، ب ، ى ، ر : لطريقتهم .

(٤) ح : الأولياء .

(٥) ن ، و : ومنهم .

الوجود / المشهود واجب بنفسه ، ليس له صانع مباين له . ص ٢١٠
لكن هذا يقول : هو الله[1] ، وفرعون أظهر الإنكار بالكلية .
لكن كان فرعون فى الباطن أعرف منهم ؛ فإن كان مثبتا
للصانع . وهؤلاء ظنوا[2] أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق ،
كما يقول ذلك ابن عربى وأمثاله من الاتحادية[3].

والمقصود ذكر من عَدَل عن العبادات التى شرعها الرسول ، إلى
عبادات بإرادته وذوقه ووجده ومحبته وهواه ، وأنهم صاروا فى
أنواع من الضلال ، [من جنس ضلال][4] النصارى . ففيهم من
يدَّعى إسقاط وساطة الأنبياء ، والوصول إلى الله بغير طريقهم ،
ويدَّعى ما هو أفضل من النبوة . ومنهم من يدَّعى الاتحاد
والحلول الخاص : إما لنفسه ، وإما لشيخه ، وإما لطائفته
الواصلين[5] إلى حقيقة التوحيد بزعمه[6].

وهذا قول النصارى. / والنصارى موصوفون بالغلو وكذلك هؤلاء ٣/ ٨٥

(١) انظر ما ذكره ابن تيمية فى «رسالة فى الردّ على ابن عربى فى دعوى إيمان فرعون» فى «جامع الرسائل» ١/ ٢٠٣ ـ ٢١٠ وانظر تعليقاتى هناك.

(٢) و: يظنون.

(٣) انظر «جامع الرسائل» ١/ ١٦٤ ـ ١٦٧.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٥) ن: الواصلة.

(٦) بزعمه: ساقطة من (و).

مبتدعة العبّاد الغلو فيهم وفى الرافضة، ولهذا يوجد فى هذين الصنفين كثير ممن يدّعى إما لنفسه وإما لشيخه [الإلٰهية][(1)]، كما يدَّعيه كثير من الإسماعيلية[(2)] لائمتهم بنى عُبيد، وكما يدَّعيه كثير من الغالية: إما للاثنى عشر، وإما لغيرهم من أهل البيت ومن غير أهل البيت، كما تدَّعيه النُصَيْرية وغيرهم.

وكذلك فى جنس المبتدعة الخارجين عن الكتاب والسنة من أهل التعبد [والتألّه][(3)] والتصوف، منهم طوائف من الغلاة يدّعون الإلٰهية. ودعوى ما هو فوق النبوة، وإن كان متفلسفا يجوِّز وجود نبى بعد محمد، كالسهروردى المقتول فى الزندقة[(4)]، وابن سبعين[(5)] وغيرهما، صاروا

---

(١) الإلهية: ساقطة من (ن).

(٢) و: كما تدعيه الإسماعيلية. وسبق الكلام على الإسماعيلية فى الجزء الأول من هذا الكتاب، ص١٠.

(٣) : والتأله: زيادة فى (و) فقط.

(٤) شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن الحسن بن أميرك السهروردى، المولود بسهرورد سنة ٥٤٩، وقتل بحلب سنة ٥٨٧ هـ، وعرف بفلسفته الإشراقية. انظر عنه وعن آرائه: وفيات الأعيان ٥ / ٣١٢ - ٣١٨؛ لسان الميزان ٣/١٥٦ - ١٥٨؛ النجوم الزاهرة ٦ / ١١٤ - ١١٥؛ الأعلام ٩ / ١٦٩ - ١٧٠. وانظر: كتاب «أصول الفلسفة الإشراقية» تأليف الدكتور محمد على أبى ريان، ط. الأنجلو، القاهرة، ١٩٥٩؛ الكتاب التذكارى للسهروردى فى الذكرى المئوية الثامنة لوفاته، أشرف عليه الدكتور إبراهيم مدكور، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤/١٩٧٤.

(٥) سبقت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب ١/٣٦٦.

يطلبـون النبوة[1]، بخلاف من أقرَّ بما جاء به الشرع، ورأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره؛ فإنه يقول: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم. ويدَّعى من[2] الـولاية ما هو أعـظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء يستفيدون منها.

ومن هؤلاء من يقول بالحلول والاتحاد، وهم فى[3] الحلول والاتحاد نوعـان[4]: نوع يقـول بالحلول والاتحـاد العـام المطلق، كابن عربى وأمثاله. ويقولون فى النبوة: إن الولاية أعظم منها، كما قال ابن عربى:

---

(١) ذكر ابن تيمية فى كتابه «درء تعارض العقل والنقل» ٢٢/٥: «وصار كلٌّ من هؤلاء يدَّعي النبوة والرسالة، أو يريد أن يفصح بذلك لولا السيف، كما فعل السهروردى المقتول، فإنه كان يقول لا أموت حتى يُقال لى: قم فأنذر. وكان ابن سبعين يقول: لقد زرَّب ابن آمنة حيث قال: لا نبى بعدى، ويُقال إنه كان يتحرَّى غار حراء لينزل عليه فيه الوحى». وعلقت على هذا الكلام بقولى: «يقول الدكتور محمد على أبو ريان فى مقدمته لكتاب «هياكل النور» للسهروردى، ص١١ (ط. التجارية، القاهرة، ١٣٧٧/١٩٥٧) إن علماء حلب سألوا السهروردى أثناء مناقشته فى مسجد حلب: هل يقدر الله على أن يخلق نبيا آخر بعد محمـد ؟ فأجابهم الشيخ بأن: «لا حد لقدرته». ويقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى فى مقـالـة: ابن سبعين وحكيم الإشراق، ص٢٩٦ «الكتـاب التـذكـارى لشهـاب الدين السهروردى، ط. القاهرة، ١٣٩٤/١٩٧٤»: «وكذلك الأمر بالنسبة إلى ابن سبعين فإنه فى «بُدّ العارف» يصرِّح بأن النبوة رتبة ممنوعة ولا طمع فيها بوجه من الوجوه، وإن كان فى طبع الإنسان أو فى طبع جنسه أن توجد له النبوة، فالأنبياء بشر». انظر ما ذكره الأستاذان فى المـرجعين السـابقين ومـا ذكـره الـدكتور أبو ريان فى: أصول الفلسفة الإشراقية، ص٣٠٤ ـ ٣١٢؛ مقدمة كتاب حكمة الإشراق للسهروردى، ص ١١ ـ ١٢ ط. باريس، ١٩٥٢؛ مجموعة فى الحكمة الإلهية للسهروردى، كتاب التلويحات، ص ٩٥ ـ ١١٣، ط. استانبول، ١٩٤٥.

(٢) و: فى.

(٣) و: ومـا يكون للأنبياء، والمرسلون يستفيدون منها، يعنى القول بوحدة الوجود، وهم فى...

(٤) و: أنواع.

مقـام الـنـبـوة فى برزخ .. فُوَيْق الـرسـول ودون الـولى [1]

وقال ابن عربى فى «الفصوص»[2]: «وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأنبياء، وما يراه أحد من الأنبياء إلا من مشكاة خاتم الأنبياء[3]، وما يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة خاتم الأولياء[4]؛ [حتى أن الرسل إذا رأوه لا يرونه - [إذا رأوه][5]- إلا من مشكاة خاتم الأولياء][6]، فإن الرسالة والنبوة - أعنى رسالة التشريع ونبوته[7] - تنقطعان، وأما الولاية فلا تنقطع أبدا[8]. فالمرسلون، من كونهم أولياء، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء[9]، فكيف بمن[10] دونهم من الأولياء؟ وإن كان

---

(1) لم أعثر على هذا البيت، ولكن وجدت بيتا بمعناه فى كتاب «لطائف الأسرار» لابن عربى (تحقيق أحمد زكى عطية وطه عبدالباقى سرور، دار الفكر العربى، ١٣٨٠/١٩٦٠) ص ٤٩ ونصه:

سـمـاء النبوة فى بـرزخ ... دوين الـولى وفـوق الرسـول

وفى الفتوحات المكية ٢/٢٥٢ يقول:

بين الولايـة والرسـالة بـرزخ ... فيه النبـوة حكمها لا يجهـل

وانظر الفتوحات ٢/٥٢ - ٥٣.

(2) فى «فصوص الحكم» ١/٦٢.

(3) فصوص الحكم: من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم.

(4) فصوص الحكم: ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولى الخاتم.

(5) إذا رأوه: فى (و) فقط. وفى «فصوص الحكم»: متى رأوه.

(6) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(7) فصوص الحكم: أعنى نبوة التشريع ورسالته.

(8) الفصوص: والولاية لا تنقطع أبداً.

(9) ن: الأنبياء، وهو خطأ.

(10) الفصوص: من.

خاتم الأولياء تابعـا فى الحكم لمـا جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح فى مقامه، ولا يناقض ما ذهبنا إليه، فإنه من وجه يكون أنزل، ومن وجه[1] يكون أعلى».

قال[2]: «ولما مثَّل النبى صلى الله عليه وسلم [النبوة][3] بالحائط من اللَّبِن، فرآها قد كملت إلا موضع لبنة[4]، فكان هو صلى الله عليه وسلم موضع اللبنة. وأما خاتم[5] الأولياء فلابد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثَّله النبى صلى الله عليه وسلم[6]، ويرى نفسه فى الحائط موضع لبنتين، ويرى نفسـه[7] تنطبـع [فى][8] موضـع [تينـك][9] اللبنتين، فيكمـل الحائط[10]. والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أن الحائط لبنة من ذهب

---

(١) ن، و: كما أنه من وجه

(٢) بعد الكلام السابق بخمسة أسطر ٦٣/١.

(٣) النبوة: ساقطة من (ن).

(٤) الفصوص: من اللَّبِن وقد كَمُلَ سوى موضع لبنة.

(٥) الفصوص: فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها إلا كما قال لبِنَةً واحدة، وأما خاتم....

(٦) الفصوص: فيرى ما مثَّله به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٧) الفصـوص: ويرى فى الحـائط موضع لبنتين، واللَّبِن من ذهب وفضة، فيرى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما وتكمل بهما، لبنة ذهب ولبنة فضة، فلابد أن يرى نفسه....

(٨) فى: ساقطة من (ن).

(٩) تينك: فى (و) فقط. وهى فى «فصوص الحكم».

(١٠) الفصوص:.. اللبنتين، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين، فيكمل الحائط.

ولبنة من فضة، واللبنة الفضة هى ظاهره[1] وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله فى السر ما هو فى الصورة[2] الظاهرة متَّبِع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلابد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن؛ فإنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه المُلَك الذى يوحى [به][3] إلى الرسول».

قال[4]: «فإن فهمت ما أشرنا إليه[5] فقد حصل لك العلم النافع[6]».

قلت: وقد بسطنا الرد على هؤلاء فى مواضع، وبيّنا كشف ما هم عليه من الضلال والخيال، والنفاق والزندقة.

وأما الذين يقولون بالاتحاد الخاص؛ فهؤلاء منهم من يصرِّح بذلك. وأما من كان عنده علم بالنصوص [الظاهرة][7]، ورأى أن هذا يناقض ما عليه المسلمون فى الظاهر؛ فإنه يجعل هذا مما يُشار إليه ويرمز به ولا يباح به. ثم إن كان معظّما للرسول والقرآن [ظن أن الرسول][8] كان يقول بذلك، لكنه لم يبح به، لأنه مما لا يمكن البشر أن يبوحوا به. وإن كان

---

(١) الفصوص: . . . لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل فى الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره . .

(٢) الفصوص: بالصورة.

(٣) به: ساقطة من (ن).

(٤) فى «فصوص الحكم» ١/ ٦٣ بعد الكلام السابق مباشرة.

(٥) الفصوص: ما أشرت به.

(٦) الفصوص: النافع بكل شىء.

(٧) الظاهرة: زيادة فى (ب) فقط.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

غير معظّم للرسول، زعم أنه تعدّى حد الرسول. وهذا الضلال حدث قديما من جهّال العباد.

ولهـذا كان العارفون، كالجنيد بن محمد سيد الطائفة[1] قدَّس الله روحه[2] لما سُئل عن التوحيد قال: «التوحيد إفراد الحدوث عن القدم»[3] فإنه كان عارفاً، ورأى أقواما ينتهى بهم الأمر إلى الاتحاد، فلا يميزون بين القديم والمحدث وكان أيضا / [طائفة][4] من أصحابه وقعوا فى الفنـاء فى توحيد الـربـوبية الـذى لا يميز فيه بين المأمور والمحظور، فدعاهم الجنيد إلى الفرق الثانى، وهو توحيد الإلـهية، الذى يميز فيه بين المأمور والمحظور. فمنهم من وافقه، ومنهم من خالفه، ومنهم لم يفهم كلامه.

ظ ٢١٠

وقد ذكر بعض ما جرى من ذلك أبو سعيد بن / الأعرابى فى «طبقات

٣/ ٨٦

---

(١) سيد الطائفة: ساقطة من (و).

(٢) ح، ب: سره. وهو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز، أصل أبيه من نهاوند، وكان يبيع الزجاج، ولذلك يقال له القواريرى. والجنيد إمام الصوفية، وسمى بسيد الطائفة لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة. توفى ببغداد سنة ٢٧٩ وقيل ٢٩٨. انظر ترجمته وأقواله فى: طبقات الصوفية، ص ١٥٥ ـ ١٦٣؛ الطبقات الكبرى ١/ ٧٢ ـ ٧٤؛ صفـة الـصفـوة ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٤٠؛ وفيات الأعيان ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥؛ شذرات الـذهب ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠؛ طبقات الشافعية ٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦٥؛ الأعلام ٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٣) أورد هذه العبارة ونسبها إلى الجنيد القشيرى فى «الرسالة القشيرية» ١/ ٢٤ ـ ٢٥. وقال: «التوحيد إفراد القدم من الحَدَث».

(٤) طائفة: ساقطة من (ن).

النسَّاك»[1] وكان من أصحاب الجنيد، ومن شيوخ[2] أبى طالب المكّى، [كان][3] من أهل العلم بالحديث وغيره، ومن أهل المعرفة بأخبار الزهّاد وأهل الحقائق.

وهذا الذى ذكره الجنيد من الفرق بين القديم والمحْدَث، والفرق بين المـأمـور والمحظور، بهما يزول ما وقع فيه كثير من الصوفية من هذا الضلال. ولهذا كان الضُلاَّل منهم يذمُّون الجنيد على ذلك، كابن عربى وأمثاله؛ فإن له كتابا سماه «الإسرا إلى المقام الأسرى»[4] مضمونه حديث نفس ووساوس[5] شيطان حصلت فى نفسه، جعل ذلك معراجا كمعراج الأنبياء[6]، وأخذ يعيب على الجنيد وعلى غيره من الشيوخ ما ذكروه، وعـاب على الجنيد قولـه: «التوحيد إفراد الحدوث عن القدم» وقال: «قلت له ياجنيد ما يميِّز بين الشيئين إلا من كان خارجا عنهما، وأنت إما

---

(١) ن: أبـو سعد الأعرابى، وهو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابى، ولد سنة ٢٤٦، وكان من أصحاب الجنيد وأبى الحسين النورى، وتوفى سنة ٣٤١. وذكر سزكين كتابه «طبقات النساك» وقال: «أفاد منه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» والذهبى فى «تذكرة الحفـاظ». وانـظر ترجمتـه وأقـوالـه فى: القشيرية ١/١٦٥؛ طبقـات الصـوفية، ص٤٢٧ ـ ٤٣٠؛ شذرات الـذهب ٢/٣٥٤ـ ٣٥٥؛ حلية الأولياء ١٠/٣٧٥ـ ٣٧٦؛ لسان الميزان ١/٣٠٨ـ ٣٠٩؛ الأعلام ١/١٩٩؛ سزكين م ١ جـ ٤ ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) ن: ومن أصحاب.

(٣) كان: ساقطة من (ن).

(٤) هذا الكتاب لابن عربى ضمن مجموع رسائل ابن العربى، ط. حيدرآباد الدكن، ١٣٦٧/١٩٤٨.

(٥) و: ووسوسة.

(٦) انـظر كتاب «الإسراء إلى مقام الأسرى» وانظر قوله ص ٩ ـ ١٠: «فبينما أنا نائم، وسر =

قديم أو محدث، فكيف تميز؟»[1].

وهذا جهل منه؛ فإن المميِّز بين الشيئين هو الذى يعرف أن هذا غير هذا، ليس من شرطه أن يكون ثالثا، بل كل إنسان يميِّز بين نفسه وبين غيره وليس هو ثالثا. والرب سبحانه يميِّز بين نفسه وبين غيره وليس هناك ثالث.

وهذا الذى ذمَّه الجنيد رحمه الله، وأمثاله من الشيوخ العارفين، وقع فيه خلق كثير، حتى من أهل العلم بالقرآن وتفسيره والحديث والآثار، ومن المعظِّمين لله ورسوله باطنا وظاهرا، المحبِّين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذَّابين عنها ـ وقعوا فى هذا غلطاً لا تعمدا، وهم يحسبون أن هذا نهاية التوحيد. كما ذكر ذلك صاحب «منازل السائرين»

= وجودى متهجد قائم، جاءنى رسول التوفيق، ليهدينى سواء الطريق، ومعه براق الإخلاص، عليه لبد الفوز ولجام الإخلاص، فكشف عن سقف محلى، وأخذ فى نقضى وحلى، وشق صدرى بسكين السكينة. . . وأسرى بى من حرم الأكوان، إلى قدس الجنان، فربطت البراق بحلقة بابه. . . وأُتيت بالخمر واللبن، فشربت ميراث تمام اللبن، وتركت الخمر، حذراً أن أكشف السر بالسكر. . .».

(1) لم أجد هذا الكلام فى الكتاب السابق، ويبدو أنه فى كتاب آخر لابن عربى. ووجدت نصا من كتاب «التجليات الإلـهية» لابن عربى نشره الدكتور عثمان يحيى ضمن مقاله: «نصـوص تاريخية خاصـة بنظرية التوحيد فى التفكير الإسلامى» وهو مقال فى «الكتاب التذكارى: محيى الدين بن عربى فى الذكرى المئوية الثامنة لميلاده» نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٨٩/١٩٦٩. وهذا النص فى ص ٢٦٤ وهو: «رأيت الجنيد فى هذا التجلِّى فقلت له: يا أبا القاسم، كيف تقول فى التوحيد: يتميز العبد من الرب؟ وأين تكون أنت عند هذا التمييز؟ لا يصح أن تكون عبداً ولا ربًّا، فلابد أن تكون فى بينونة تقتضى الاستـواء والعلم بالمقـامين، مع تجردك عنهما حتى تراهما. فخجل وأطرق». وانظر ما بعد ذلك الى ص ٢٦٨.

مع علمه وسنته ومعرفته ودينه[1].

وقد ذكر فى كتابه «منازل السائرين» أشياء حسنة نافعة، وأشياء باطلة. ولكن هو فيه ينتهى إلى الفناء فى توحيد الربوبية، ثم إلى التوحيد الذى هو حقيقة الاتحاد. ولهذا قال[2]: «باب التوحيد. قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]. التوحيد: تنزيه الله عن الحدث[3].

قال[4]: «وإنما نطق العلماء بما نطقوا به، وأشار المحققون[5] إلى ما أشاروا إليه[6] فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد. وما سواه من حالٍ أو مقامٍ فكله مصحوب العلل».

---

(١) صاحب كتاب «منازل السائرين» هو أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن على الهروى الأنصارى، كان يدعى شيخ الإسلام، وكان إمام أهل السنة بهراة ويسمى خطيب العجم لتبحر علمه وفصاحته ونبله، توفى سنة ٤٨١. انظر ترجمته فى: طبقات الحنابلة ٢/٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ الذيل لابن رجب ١/٥٠ ـ ٦٨؛ الأعلام ٤/٢٦٧؛ تذكرة الحفاظ ٣/١١٨٣ـ١١٩٠؛ معجم المؤلفين ٦/١٣٣ ـ ١٣٤. وانظر كتاب «شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى الهروى» تأليف دكتور محمد سعيد عبدالمجيد سعيد الأفغانى، ط. دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٨/١٩٦٨

(٢) ص ١١٠ ـ١١٣، ط المعهد العلمى الفرنسى، تحقيق س دى لوجيه، القاهرة، ١٩٦٢

(٣) الحديث كذا فى (و)، منازل السائرين وفى سائر النسخ الحدوث

(٤) بعد الكلام السابق مباشرة

(٥) ن: وأشار العلماء المحققون

(٦) منازل السائرين: بما أشاروا إليه

قال[1]: «والتوحيد على ثلاثة أوجه[2]: الأول[3]: توحيد العامّة الذى يصح بالشواهد. والثانى[4]: توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق. والوجه الثالث: توحيد قائمٌ بالقِدَم، وهو توحيد خاصة الخاصة.

فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن لا إلٰه إلا الله [وحده لا شريك له][5] الأحد الصمد، الذى لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. هذا هو التوحيد الظاهر الجلىّ، الذى نفى الشرك الأعظم، وعليه نُصبت القبلة، وبه وجبت الذمة، وبه حُقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر، وصحت به الملة للعامّة، وإن لم يقوموا بحسن[6] الاستدلال، بعد أن سَلِموا[7] من الشبهة والحيرة والريبة، بصدق شهادة صحّحها قبول القلب.

هذا[8] توحيد العامة الذى يصحّ بالشواهد، والشواهد هى الرسالة، والصنائع تجب[9] بالسمع، وتوجد[10] بتبصير الحق، وتنمو[11] على مشاهدة[12] الشواهد».

---

(١) بعد الكلام السابق مباشرة.

(٢) منازل السائرين: وجوه.

(٣) منازل السائرين: الوجه الأول.

(٤) منازل السائرين: والوجه الثانى.

(٥) عبارة «وحده لا شريك له» فى (و)، «منازل السائرين» فقط.

(٦) منازل السائرين (ص ١١١): بحق.

(٧) سلموا: كذا فى (و)، «منازل السائرين». وفى سائر النسخ: يسلموا.

(٨) هذا: كذا فى (و)، «منازل السائرين». وفى سائر النسخ: وهذا.

(٩) منازل السائرين: يجب.

(١٠) ن: وتوحيد، وهو تحريف؛ ح، ى: وتؤخذ؛ منازل السائرين: ويوجد.

(١١) ن، و، منازل السائرين: وينمو.

(١٢) و: مشاهد.

قال[1]: «وأما التوحيد الثانى الذى يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصّة. وهو إسقاط الأسباب الظاهرة، والصعود عن[2] منازعات العقول[3]، وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا يشهد[4] فى التوحيد دليلا، ولا فى التوكّل سببا، ولا فى النجاة[5] وسيلة[6]، فيكون[7] مشاهدا سَبَق[8] الحق بحكمه وعلمه، ووضعه الأشياء مواضعها، وتعليقه[9] إياها بأحايينها، وإخفائه[10] إياها فى رسومها[11]، ويحقق[12] معرفة العلل، ويسلك[13] سبيل إسقاط الحَدَث[14]. هذا توحيد[15] الخاصة الذى يصحّ بعلم الفناء، ويصفو فى علم الجمع، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع».

قال[16]: «وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه،

---

(١) بعد الكلام السابق مباشرة، ص ١١١.

(٢) ح: من.

(٣) و: المعقول.

(٤) منازل السائرين: تشهد.

(٥) منازل السائرين: للنجاه.

(٦) عند كلمة «وسيلة» تعود نسخة (م) بعد الانقطاع.

(٧) منازل السائرين: فتكون.

(٨) ن: يسبق؛ م: لسبق.

(٩) ن، م: وتعليقها.

(١٠) ب (فقط): واخفاءه.

(١١) و: شئونها.

(١٢) منازل السائرين، ر، ح، ى: وتحقق.

(١٣) ن، منازل السائرين: وتسلك.

(١٤) م، ب: الحدوث.

(١٥) ح، ب: هذا هو توحيد..

(١٦) بعد الكلام السابق مباشرة، ص ١١٢.

واستحقّه بقدره، وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثّه. والذى يُشار [به][1] إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحَدَث[2]، وإثبات القِدم، على أن هذا الرمز فى ذلك التوحيد علّة، لا يصح [ذلك التوحيد][3] إلا بإسقاطها.

هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء أهل هذا الطريق[4]، وإن زخرفوا له نعوتا، وفصّلوه فصولا[5]، فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاءً[6]، والصفة نفورا، والبسط صعوبة. وإلى هذا / التوحيد[7] شخص أهل الرياضة وأرباب الأحوال، وإليه[8] قصد أهل التعظيم، وإيّاه[9] عَنَى المتكلمون فى عين الجمع، وعليه تصطلم الإشارات، ثم لم ينطق عنه[10] لسان، ولم تشر إليه عبارة؛ فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكوِّنٌ، أو يتعاطاه خبر[11]، أو يُقِلُّه سبب».

٣ / ٨٧

قال[12]: «وقد أجبت فى سالف الدهر[13] سائلا سألنى عن توحيد الصوفية

---

(١) به: ساقطة من جميع النسخ، وأثبتها من «منازل السائرين».

(٢) ب، م: الحدوث.

(٣) عبارة «ذلك التوحيد» ساقطة من (ن) فقط.

(٤) و، منازل السائرين: علماء هذا الطريق.

(٥) فصولا: كذا فى (ن)، (م)، منازل السائرين. وفى سائر النسخ: تفصيلا.

(٦) و: جفاء؛ ن: حقا.

(٧) ح، ب، ر، ى: وإلى أهل هذا التوحيد.

(٨) منازل السائرين: وله.

(٩) ى،ر: وإليه وإيّاه.

(١٠) ن، م: به.

(١١) منازل السائرين (ص ١١٣): حينٌ.

(١٢) بعد الكلام السابق مباشرة، ص ١١٣.

(١٣) منازل السائرين: الزمان.

بهذه القوافى الثلاث / :

ص ٢١١ ما وحَّدَ الواحِدَ من واحدٍ إذ كلُّ من وحدَّه جاحدُ
توحيدُ من ينطقُ عن نعتِه عاريةٌ أبطلها الواحدُ
توحيدُهُ إياهُ توحيدُهُ ونعتُ من ينعتُهُ لاحِدُ

قلت: وقد بسطت[1] الكلام على [هذا وأمثاله] فى غير[2] هذا الموضع، لكن ننبه هنا على ما يليق بهذا الموضع فنقول: أما التوحيد [الأول][3] الذى ذكره فهو التوحيد الذى جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل.

قال تعالى: ﴿واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل، مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم، أنهم قالوا لقومهم: اعبدوا الله ما لكم من إلهٰ غيره. وهذا أول دعوة الرسل وآخرها.

---

(١) و: بسطنا.

(٢) ن، م: عليه فى غير..

(٣) الأول: ساقطة من (ن).

قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحـديث الصحيح المشهـور: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلهٰ إلا الله وأنى رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[1]. وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أيضا «من مات وهو يعلم أن لا إلهٰ إلا الله دخل الجنة»[2]. وقال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[3].

والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة فى الآخرة به. ومعلوم أن الناس متفاضلون فى تحقيقـه. وحقيقته إخلاص الدين كله لله. والفناء فى هذ التوحيد مقرون بالبقاء[4]، وهو أن تُثبت إلاهية الحق فى قلبك، وتنفى إلاهية ما سواه، فتجمع بين النفى والإثبات، فتقول: لا إلـه إلا الله، فالنفى هو الفناء، والإثبات هو البقاء. وحقيقته أن تفنى بعبادته عمّا سواه، [ومحبته عن محبة ما سواه][5]، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبموالاتـه عن موالاة ما سواه، وبسؤاله عن سؤال ما سواه، وبالاستعاذة به عن الاستعاذة[6] بما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على

---

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢/١٢١.

(٢) الحـديث عن عثمـان بن عفان رضى الله عنه فى: مسلم ١/٥٥ (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات دخل الجنة قطعا)؛ المسند (ط. المعارف) ١/٣٧٦.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢/١٢٢

(٤) ن، م: بالفناء.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٦) ن: وبالاستغاثة به عن الاستغاثة..

ما سواه، وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه، وبالإنابة إليه عن الإنـابـة إلى ما سواه، وبـالتحـاكم إليه عن التحـاكم إلى ما سواه، وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه.

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول *إذا قام يصلّى من الليل، وقد رُوى أنه كان يقوله[1] بعد التكبير*: «اللهم لك الحمد، أنت قيِّم السمٰوات[2] والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السمٰوات والأرض ومن فيهن، ولـك الحمـد[3] أنت الحق، وقـولـك الحق، ووعدك الحق[4]، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[5].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [سورة الأنعام: ١٤].

(*ـ*) : ما بين النجمتين ساقط من (و).

(١) ح، ر، ى، ب، م: يقول.

(٢) و: رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السماوات..

(٣) عبارة «ولك الحمد» ليست فى (و).

(٤) ب: أنت الحق، وقولك حق، ووعدك حق؛ ح: أنت الحق، وقولك حق، ووعدك الحق.

(٥) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: البخارى ٢/٤٨ ـ ٤٩ (كتاب التهجد، باب التهجد من الليل) وجاء الحديث فى مواضع أخرى فى البخارى وهو فى: مسلم ١/٥٣٢ ـ ٥٣٤ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه). والحديث فى: سنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والدارمى والموطأ. وهو فى المسند (ط. المعارف) ٤/٢٤٩ ـ ٢٥٠، ٢٩١ ـ ٢٩٢، ٥/١٢٥.

وقـال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمـاً وَهُـوَ الَّـذِي أَنـزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾ [سورة الأنعام: ١١٤].

وقال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٤ - ٦٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٦١ - ١٦٤].

وهذا التوحيد كثير فى القرآن، وهو أول الدين وآخره، وباطن الدين وظاهره، وذروة سنام هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل، ثم للخليلين محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم تسليما. فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال: «إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا»[1].

---

(١) هذا جزء من حديث سبق فيما مضى ٤٧٥/١ عن جندب بن عبدالله رضى الله عنه، وذكرت هناك مكانه فى مسلم ونصه فيه: «إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إنى أنهاكم عن ذلك». وجاءت الألفاظ الواردة هنا فى حديث آخر عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما فى: سنن ابن ماجة ٥٠/١ =

وأفضل الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم إبراهيم؛ فإنه قد ثبت فى الصحيح عنه أنه قال عن خير البرية: «إنه إبراهيم»[1]. وهو الإمام الذى جعله الله إماما، وجعله أمة. والأمة القدوة الذى يُقتدى به؛ فإنه حقق هذا التوحيد، وهو الحنيفية ملته.

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [سورة الممتحنة: ٤ - ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا

(المقــدمــة، باب فى فضـــائــل أصحـاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم: فضـل العباس . . .) ونصه: «إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم، فمنزلى ومنزل إبراهيم فى الجنة يوم القيامة تجاهين، والعباس بيننا مؤمن بين خليلين» إلا أن فى التعليق على هذا الحديث فى الزوائد ما يبين أنه ضعيف بل موضوع، وكذا قال عنه الألبانى إنه موضوع فى «ضعيف الجامع الصغير» ٢/٦٦.

(١) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى: مسلم ٤/١٨٣٩ (كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم) ولفظه: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ياخير البرية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك إبراهيم عليه السلام». والحديث فى: سنن أبى داود ٤/٣٠٢ (كتاب السنة، باب التخيير بين الأنبياء)؛ المسند (ط. الحلبى) ٣/١٧٨، ١٨٤.

الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨].

وقـال عن إبراهيم أنه قال: ﴿يَاقَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَـوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّى فِى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّى شَيْئاً وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَـافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانـاً فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُـواْ إِيمَـانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: ٧٨ ـ ٨٣].

وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّى إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧].

والخليل هو الذى تخللت محبة خليله قلبه(١)، فلم يكن فيه مسلك لغيره. كما قيل:

قد تخللت مسلك الروحى منى   ويـذا ســمى الخليل خليلا

وقـد قيل: إنه [مـأخـوذ من الخليل، وهو الفقير، مشتق من الخَلَّة بالفتح. كما قيل:

(١) و، ى: محبة الخليل قلبه؛ ح: محبته قلب خليله.

وإنْ أتــاهُ خلــيلٌ يــومَ مَسْغَبةٍ   يقول لا غَائبٌ مَالى ولا حَــرِمُ[1]

والصواب أنه[2] من الأول، وهو مستلزم للثانى فإن كمال][3] حبه لله هو محبة عبودية وافتقار، ليست كمحبة الرب لعبده؛ فإنها محبة استغناء وإحسان.

ولهـذا قال تعالى : ﴿ وَقُـلِ الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّـذِى لَمْ يَتَّـخِذْ وَلَـداً وَلَمْ يَكُـن لَّـهُ شَـرِيكٌ فِى الْمُـلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّـهُ وَلِـىٌّ مِّنَ الـذُّلِّ وَكَبِّـرْهُ تَكْـبِيراً﴾ [سورة الاسراء: ١١١].

فالرب لا يوالى عبده من ذل[4]، كما يوالى المخلوق لغيره، بل يواليه إحسانا إليه. والولىّ من الولاية، والولاية ضد العداوة. وأصل الولاية الحب، وأصل العداوة البغض. وإذا قيل: هو مأخوذ من الوَلْىُ، وهو القرب. فهذا جزء معناه[5]، فإن الولىّ يقرب إلى[6] وليّه، والعدو يبعد عن عدوه. ولمـا كانت الخُلَّة تستلزم كمـال المحبة واستيعاب القلب، لم يصلح للنبى صلى الله عليه وسلم أن يخالل مخلوقا[7]. بل قال: «لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله»[8].

---

(١) البيت من شعر زهير بن أبى سلمى (ديوانه، ط. دار الكتب، ص ١٥٣).

(٢) و: أنها.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٤) ح، ب: من الذل.

(٥) و: معناها.

(٦) ح، ب: من.

(٧) ن، م. احدا.

(٨) سبق الحديث فيما مضى ٥١٢/١.

ولهذا امتحن الله إبراهيم بذبح ابنه . والذبيح على القول الصحيح ابنه الكبير إسماعيل، كما دلت على ذلك سورة «الصافات» وغير ذلك ؛ فإنه قد كان[1] سأل ربه أن يهب له من الصالحين، فبشّره بالغلام الحليم إسماعيل، فلما بلغ معه السعى أمره أن يذبحه، لئلا يبقى فى قلبه محبة مخلوق تزاحم محبة الخالق، إذ كان قد طلبه وهو بِكْرُهُ.

وكذلك فى التوراة يقول: «اذبح ابنك وحيدك» وفى ترجمة أخرى «بِكْرُك» ولكن ألحق المبدِّلون لفظ إسحاق، وهو باطل[2]. فإن إسحاق هو الثانى من أولاده[3] باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ؛ فليس هو وحيده ولا بِكْرُه، وإنما وحيده / وبكره إسماعيل. ٣/ ٨٩

ولهذا لما ذكر الله قصة الذبيح فى القرآن، قال بعد هذا: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات: ١١٢]. وقال فى الآية الأخرى ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [سورة هود: ٧١]. فكيف يبشره بولد ثم يأمره بذبحه؟

والبشارة بإسحاق وقعت لسارّة، وكانت قد غارت من هاجر لما ولدت إسماعيل، وأمر الله إبراهيم أن يذهب بإسماعيل وأمه إلى مكة. ثم لما جاء الضيف ـ وهم الملائكة ـ لإبراهيم، بشّروها[4] بإسحاق، فكيف يأمره بذبح إسحاق مع بقاء إسماعيل؟

وهى لم تصبر على وجود إسماعيل وحده، بل غارت أن يكون له ابن

---

(١) قد كان: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: كان قد.

(٢) ح، ى، ر، و: ممتنع.

(٣) و: من الأولاد.

(٤) ب (فقط): وبشّروها.

من غيرها، فكيف تصبر على ذبح ابنها وبقاء ابن ضرتها؟ وكيف يأمر الله إبراهيم بذبح ابنه[1] وأمه مبشَّرة به وبابن ابنه [يعقوب][2]؟ وأيضا[3] فالذبح إنما كان بمكة، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم قرنَىْ الكبش فى البيت فقال للحاجب: «إنى رأيت قرنَىْ الكبش فى الكعبة، فخمِّرهما[4]؛ فإنه لا ينبغى أن يكون فى الكعبة شىء يُلهى المصلِّى[5]».

وإبراهيم وإسماعيل هما اللذان بنَيَا الكعبة بنص القرآن، وإسحاق[6] كان فى الشام. والمقصود بالأمر بالذبح أن لا يبقى فى قلبه محبة لغير الله تعالى. وهذا إذا كان له ابن واحد، فإذا صار له ابنان، فالمقصود لا

---

(١) و: إبراهيم بذبحه.

(٢) وبابن ابنه يعقوب: كذا فى (م). وفى (ن)، (ر)، (ى): وبابن ابنه. وفى (ح)، (ب): وبابنه وسقطت عبارة «وبابن ابنه» من (و).

(٣) ح، ب: أيضا. وسقطت الكلمة من (و).

(٤) ح، ى، ب: فخمرها. وفى هامش (ر): «يعنى: فغطاهما».

(٥) الحديث فى: سنن أبى داود ٢/٢٨٩ - ٢٩٠ (كتاب المناسك، باب فى دخول الكعبة) ونصه: «حدثنا ابن السرح وسعيد بن منصور ومسدد، قالوا: ثنا سفيان، عن منصور الحجبىّ، حدثنى خالى، عن أمى [صفية بنت شيبة] قالت: سمعت الأسلمية تقول: قلت لعثمان: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاك؟ قال: قال: «إنى نسيت أن آمرك أن تُخَمِّرَ القَرْنَيْن فإنه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلّى» قال ابن السرح: خالى مسافع بن شيبة. وجاء فى التعليق على هذا الحديث رقم ٢٠٣٠: قد اختلف فى إسناد هذا الحديث، فروى كما قاله أبو داود، وروى عن منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة، عن امرأة من بنى سليم، وروى عنه عن خاله عن امرأة من بنى سليم، ولم يذكر أمه. وجاء الحديث - مع اختلاف فى اللفظ - فى المسند (ط. الحلبى) ٤/٦٨، ٥/٣٨٠. وذكر السيوطى الحديث فى «الجامع الكبير» ١/٣١٦. وقال السيوطى «حم (أحمد) ض (الضياء المقدسي فى الجنان) ق (البيهقى فى السنن) عن امرأة من بنى سليم عن عثمان بن طلحة»

(٦) ن، م: وإبراهيم، وهو خطأ.

يحصل إلا بذبحهما جميعا. وكل من قال: إنه إسحاق، فإنما أخذه عن اليهود، أهل التحريف والتبديل، كما أخبر الله تعالى عنهم.

[وقد بسطنا هذه المسألة فى مصنَّف مفرد][1].

والمقصود هنا أن الخليلين هما أكمل خاصة الخاصة توحيدا؛ فلا يجوز أن يكون فى أمة محمد صلّى الله عليه وسلم من هو أكمل توحيدا من نبى من الأنبياء، فضلا عن الرسل، فضلا عن أولى العزم، فضلا عن الخليلين.

وكمال توحيدهما بتحقيق إفراد الألوهية، وهو أن لا يبقى فى القلب شىء لغير الله أصلا، بل يبقى العبد[2] مواليا لربّه فى كل شىء؛ يحب ما أحب، ويبغض ما أبغض، ويرضى بما رضى[3]، ويسخط بما سخط[4]، ويأمر بما أمر، وينهى عما نهى.

وأما التوحيد الثانى الذى ذكره وسمَّاه توحيد الخاصة، فهو الفناء فى توحيد الربوبية؛ وهو أن يشهد ربوبيَّة[5] / الربّ لكل ما سواه، وأنه وحده ربُّ كل شىء ومليكه. والفناء إذا كان فى توحيد الألوهية: وهو[6] أن

ص ٢١٢

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م). وفى (و) بدلا منه: «وهذا مبسوط فى موضعه». وقال ابن عبدالهادى فى «العقود الدرية» ص٥٤: «وله جواب فى أن الذبيح من ولد إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل واحتج لذلك بأدلة كثيرة». وذكره ابن القيم فى «أسماء مؤلفات ابن تيمية» ص ٢٢.

(٢) ب (فقط): لغير الله أصلا، وكمال هذا التوحيد يوجب أن يبقى العبد...

(٣) رضى: كذا فى (و)، (ب). وفى سائر النسخ: يرضى.

(٤) ن، م، ى: يسخط.

(٥) ح، ب، و: بربوبية.

(٦) ب (فقط): هو.

يستولى على القلب شهود معبوده وذكره ومحبته، حتى لا يحس بشىء آخر، مع العلم بثبوت ما أثبته الحق من الأسباب والحكم، وعبادته وحده لا شريك له بالأمر والنهى، ولكن غلب على القلب شهود الواحد، كما يُقال: غاب بموجوده عن وجوده، وبمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته.

كما يُذكر أن رجلا كان يحب آخر، فوقع المحبوب فى اليمّ، فألقى المحبُّ نفسه خلفه، فقال له: أنا وقعت فلماذا وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عنى، فظننت أن أنىّ[1]. فصاحب هذا الفناء إذا غُلب[2] فى ذلك فهو معذور، لعجزه عند غلبة ذكر الرب على قلبه عن شعوره بشىء آخر، كما يُعذر من سمع الحق فمات أو غُشى عليه، وكما عُذر موسى صلى الله عليه وسلم لما صُعق حين تجلَّى ربُّه للجبل.

وليس هذا الحال غاية السالكين، ولا لازما لكل سالك.

ومن الناس من يظن أنه لابد لكل سالك][3] منه، وليس كذلك. فنبينا صلى الله عليه وسلم، والسابقون الأولون، هم أفضل. وما أصاب أحداً منهم هذا الفناء ولا صَعْق ولا موت[4] عند سماع القرآن. وإنما تجد[5] هذا الصعق فى التابعين، لا سيما فى عُبَّاد البصريين.

(١) ب: فظننت أنك أنا؛ ن، م: حتى ظننت أنك أنى.

(٢) ح، ر، ب: إذا غاب.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٤) ح، ب: ولا صُعق ولا مات.

(٥) تجد: كذا فى (ى). وفى (ن): نجد. وفى (م): يجد. وفى (ح)، (ر)، (و)، (ب): تجدد.

ومن الناس من يجعل هذا الفناء هو الغاية التى ينتهى إليها سير العارفين. وهذا أضعف [من الذى قبله][1]. وما يُذكر عن أبى يزيد البسطامى[2] من قوله: «ما فى الجبة إلا الله» وقوله: «أين أبو يزيد؟ أنا أطلب أبا يزيد منذ كذا وكذا سنة». ونحو ذلك[3]، فقد حملوه على أنه كان من هذا الباب. ولهذا يُقال عنه: إنه كان إذا أفاق أنكر هذا.

فهذا ونحوه كفر، لكن إذا زال العقل بسبب يُعذر فيه الإنسان، كالنوم

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٢) أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ويقال: بايزيد، صوفى شهير له شطحات كثيرة. يقول الزركلى: «وفى المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود وأنه كان أول قائل بمذهب الفناء Nirvana ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية» ولد سنة ١٨٨ وتوفى سنة ٢٦١. انظر ترجمته ومذهبه فى: طبقات الصوفية، ص٦٧ ـ ٧٤؛ الطبقات الكبرى ٦٥/١ ـ ٦٦؛ صفة الصفوة ٨٩/٤ ـ ٩٤؛ شذرات الذهب ١٤٣/٢ ـ ١٤٤؛ ميزان الاعتدال ٣٤٦/٢ ـ ٣٤٧؛ الرسالة القشيرية ١/ ٨٠ ـ ٨٢؛ الأعلام ٣٣٩/٣.

(٣) للدكتور عبدالرحمن بدوى كتاب «شطحات الصوفية» أورد فيه الكثير من شطحات أبى يزيد البسطامى ونشر فيه رسالة «النور من كلمات أبى طيفور» المنسوبة إلى السُّهْلَجى (ط. النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٩) ووجدت فى هذه الرسالة النص التالى (ص ٦٥) . .
قصد أبا يزيد رجلٌ من أصحاب ذى النون فقال له: من تطلب؟ قال: أبا يزيد. فقال: يا بنىّ، أبو يزيد يطلب أبا يزيد منذ أربعين سنة. فرجع إلى ذى النون وأخبره فغشى عليه. وهو نص مقارب للنص الثانى الذى أورده ابن تيمية (وانظر ص ١١٠). أما النص الأول فلم أجده، وهو ينسب فى الغالب إلى الحلاج (انظر كتاب مدخل إلى التصوف الإسلامى للدكتور أبى الوفا الغنيمى التفتازانى، ص ١٢٩، ط. دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩) على أن البسطامى له عبارات مشابهة بل أكثر شناعة مثل قوله: «سبحانى ما أعظم سلطانى» (شطحات ص ١١١) وقوله لما جاءه رجل فقراً عنده (إن بطش ربك لشديد) قال: وحياته إن بطشى أشد من بطشه» (شطحات، ص١١١) وقوله: «كنت أطوف حول بيت الله الحرام، فلما أن وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولى» (ص ١٠٨).

والإغماء، لم يكن مؤاخذا بما يَصْدر عنه فى حال عدم التكليف. ولا ريب أن هذا من ضعف العقل والتمييز.

وأما الفناء الذى يذكره صاحب «المنازل» فهو الفناء فى توحيد الربوبية، لا فى توحيد الإلهية[1]، وهو يثبت توحيد الربوبية مع نفى الأسباب والحكم، كما هو قول القدرية المجبرة[2]، كالجهم / بن صفوان ومن اتّبعه، والأشعرى وغيره.

٣/ ٩٠

وشيخ الإسلام[3]، وإن كان رحمه الله من أشد الناس مباينة للجهمية فى الصفات، وقد صنَّف كتابه «الفاروق فى الفرق بين المثبتة والمعطِّلة»[4] وصنّف كتاب «تكفير الجهمية»[5] وصنّف كتاب «ذم الكلام وأهله»[6]، وزاد فى هذا الباب، حتى صار يُوصف بالغلو فى الإثبات للصفات، لكنه فى القدر على رأى الجهمية، نُفاة الحِكم والأسباب.

---

(١) ن، م: الألوهية.

(٢) ح، ب: القدرية والمجبرة.

(٣) ويقصد به ابن تيمية أبا إسماعيل الهروى الأنصارى صاحب «منازل السائرين».

(٤) و: الفاروق بين المثبتة... وذكر محمد سعيد الأفغانى هذا الكتاب فى كتابه عن الهروى وقال (ص ١٠٢): «ذكره ابن رجب فى ص ٥١ من كتابه «الذيل على طبقات الحنابلة»، وأيضا أشار إليه إسماعيل باشا (المجلد الأول، ص ٤٥٢) والعلامة السبكى (طبقات الشافعية جـ١ ص ٢٤٠)..

(٥) ذكره الهروى الأنصارى فى كتابه «ذم الكلام وأهله» (انظر كتاب الأفغانى ص ١٠٥).

(٦) ذكره محمد سعيد الأفغانى فى كتابه (ص١٠٤ ـ ١٠٥) وأشار إلى وجود نسخ خطية منه فى المكتبة الظاهرية وفى مكتبة المتحف البريطانى بلندن وفى معهد الإلهيات بأنقرة كما أن منه نسخة مصورة فى معهد المخطوطات بالجامعة العربية. وقد لخصه السيوطى فى كتابه «صون المنطق والكلام». وقد نقل ابن تيمية نصوصا من هذا الكتاب فى «درء تعارض العقل والنقل» ٢/ ٨٢ ـ ٨٣، ٧/ ١٨٥.

والكلام فى الصفات نوع، والكلام فى القدر نوع. وهذا الفناء عنده لا يجامع البقاء؛ فإنه نَفْىٌ لكل ما سوى حُكْم الرب بإرادته الشاملة، التى تخصص أحد المتماثلَيْن بلا مخصص.

ولهذا قال فى «باب التوبة» فى لطائف أسرار التوبة[1]: «اللطيفة[2] الثالثة: أنّ[3] مشاهدة العبد الحُكم لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة، لصعوده من جميع المعانى إلى معنى الحُكم» أى الحكم القدرى، وهو خلقه لكل شىء بقدرته وإرادته؛ فإن من لم يثبت فى الوجود فرقا بالنسبة إلى الربّ، بل يقول: كل ما سواه محبوب له مرضىّ له مراد له، سواء بالنسبة إليه - ليس يحب شيئا ويبغض شيئا؛ فإن مشاهدة هذا لا يكون معها استحسان حسنة ولا استقباح سيئة بالنسبة إلى الرب؛ إذ الاستحسان والاستقباح على هذا المذهب لا يكون إلا بالنسبة إلى العبد: يستحسن ما يلائمه، ويستقبح ما ينافيه.

وفى عين الفناء لا يشهد نفسه ولا غيره، بل لا يشهد إلا فعل ربِّه. فعند هذه المشاهدة لا يستحسن شيئا ويستقبح آخر، على قول هؤلاء القدرية الجبرية، المتّبعين لجهم بن صفوان وأمثاله.

وهؤلاء وافقوا القدرية فى أن مشيئة الرب وإرادته ومحبته ورضاه سواء.

ثم قالت القدرية النفاة: وهو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان، فهو لا يريده ولا يشاؤه، فيكون فى ملكه ما لا يشاء.

---

(١) فى كتابه «منازل السائرين» ص ١١.

(٢) منازل السائرين: واللطيفة..

(٣) أن: ساقطة من (ح)، (ر)، (ى).

وقالت الجهمية المجبرة: بل هو يشاء كل شيء، فهو يريده ويحبه ويرضاه.

وأما السلف وأتباعهم: فيفرِّقون بين المشيئة والمحبة. وأما الإرادة فتكون تارة بمعنى المشيئة، وتارة بمعنى المحبة. وقد ذكر الأشعرى القولين عن أهل السنة المثبتين للقدر: قول من فرَّق بين المحبة والرضا. وقول من سوَّى بينهما، واختار هو التسوية. وأبو المعالى يقول: إن أبا الحسن أوّل من سوَّى بينهما، لكنى رأيته فى «الموجز» قد حكى قوله عن سليمان بن حرب وعن ابن كُلاَّب وعن الكرابيسى وعن داود بن على. وكذلك ابن عقيل يقول: «أجمع المسلمون على أن الله لا يحب الكفر والفسوق/ والعصيان، ولم يقل: إنه يحبه، غير الأشعرى». ظ ٢١٢

وأما القاضى أبو يعلى فهو فى «المعتمد» يوافق الأشعرى وفى «مختصره» ذكر القولين، وذكر فى «المعتمد» قول أبى بكر عبدالعزيز أنه يقول بالفرق، وتأوّل كلام أبى بكر بتأويل باطل[1]. لكن أهل الملل كلهم متفقون على أن الله يثيب على الطاعات ويعاقب على المعاصى، وإن كانت المشيئة شاملة للنوعين، فهم يسلّمون الفرق بالنسبة إلى العباد، والمدَّعون للمعرفة والحقيقة والفناء فيهما يطلبون أن لا يكون لهم مراد، بل يريدون ما يريد الحق تعالى، فيقولون: الكمال أن تفنى عن إرادتك وتبقى مع إرادة ربك. وعندهم أن جميع الكائنات بالنسبة إلى

(١) أمام هذا الموضع فى هامش نسختى (ر)، (ى) كتب مايلى: «وجد فى أصل الأصل مكتوب بخط مصنِّفه من عند الإشارة إلى قوله «ولكن المقصود هنا بيان قولهم». والإشارة فى النسختين عند العبارة التالية التى تبدأ هكذا: «ولكن أهل الملل...».

الرب سواء، فلا يستحسنون حسنة ولا يستقبحون سيئة.

وهذا الذى قالوه ممتنع عقلا محرّم شرعا، ولكن المقصود هنا بيان قولهم. ولهذا قال شيخ الإسلام فى توحيدهم، وهو التوحيد الثانى: «إنه إسقاط الأسباب الظاهرة» فإن عندهم لم يخلق الله شيئا بسبب، بل يفعل عنده لا به.

قال: «والصعود عن منازعات العقول، وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا يشهد فى التوحيد دليلا، ولا فى التوكل سبباً، [ولا فى ا لنجاة وسيلة» وذلك لأن عندهم ليس فى الوجود شىء يكون سبباً][1] لشىء أصلا، ولا شىء جعل لأجل شىء، ولا يكون شىء بشىء.

فالشبع عندهم لا يكون بالأكل، ولا العلم الحاصل فى القلب بالدليل، ولا ما يحصل للمتوكل من الرزق والنصر له سبب أصلا: لا فى نفسه، ولا فى نفس الأمر، ولا الطاعات عندهم سبب للثواب، ولا المعاصى سبب للعقاب، فليس للنجاة وسيلة، بل محض الإرادة الواحدة يصدر عنها كل حادث، ويصدر مع الآخر مقترنا به اقترانا عادياً، لا أن أحدهما / معلّق بالآخر أو سبب له أو حكمة له، ولكن لأجل ما جرت به العادة من اقتران أحدهما بالآخر يُجعل أحدهما أمارة وعلما ودليلا على الآخر، بمعنى أنه إذا وجد أحد المقترنَيْن عادة كان الآخر موجوداً معه، وليس العلم الحاصل فى القلب حاصلا بهذا الدليل، بل هذا أيضا من جملة الاقترانات العادية.

٣/ ٩١

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

ولهذا قال: «فيكون مشاهدا سبق الحق بحكمه وعلمه» أى يشهد أنه علم ما سيكون وحكم به، أى أراده وقضاه وكتبه، وليس عندهم شىء إلا هذا. وكثير من أهل هذا المذهب يتركون الأسباب الدنيوية، ويجعلون وجود السبب كعدمه.

ومنهم قوم يتركون الأسباب الأخروية، فيقولون: إن سبق العلم والحكم أنَّا سعداء فنحن سعداء، وإن سبق أنا أشقياء فنحن أشقياء، فلا فائدة فى العمل.

ومنهم من يترك الدعاء بناءً على هذا الأصل الفاسد.

ولا ريب أن هذا الأصل الفاسد[1] مخالف للكتاب والسنة، وإجماع السلف وأئمة الدين، ومخالف لصريح المعقول، ومخالف للحسّ والمشاهدة.

وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن إسقاط الأسباب نظراً إلى القدر[2]، فردّ ذلك. كما [ثبت][3] فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وقد عُلم مقعده من الجنة ومقعده من النار». قالوا: يارسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: «لا، اعملوا فكل مُيسَّر لما خُلق له»[4].

---

(١) الفاسد: ساقطة من (ح)، (ب).

(٢) ح، ب: للقدر.

(٣) ثبت: زيادة فى (ح)، (ب).

(٤) هذا جزء من حديث مروى ـ مع اختلاف فى الألفاظ ـ عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى أكثر كتب السنة وفى عدة مواضع. انظر مثلا فى: البخارى ٢/ ٩٦ (كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر)، ٦/ ١٧٠ ـ ١٧١ (كتاب التفسير، باب سورة والليل إذا =

وفى الصحيح أيضا أنه قيل له: يارسول الله أرأيت ما يكدح الناس فيه اليوم ويعملون: أشىء قُضى عليهم ومضى، أم فيما يستقبلون مما أتاهم فيه الحجة؟ فقال: «بل شىء قُضى عليهم ومضى فيهم» قالوا: يارسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا؟ فقال: «لا، اعملوا فكل مُيسَّرٌ لما خلق له»[1].

وفى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قيل له: «أرأيت أدوية نتداوى بها، ورُقىً نسترقى بها، وتُقاة نتقيها، هل تردّ من قدر الله شيئا؟ فقال: «هى من قدر الله»[2].

وقد قال الله تعالى فى كتابه: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [سورة الأعراف: ٥٧].

يغشى)، ٨/١٢٣ - ١٢٤ (كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدورا)؛ مسلم ٤/٢٠٣٩ - ٢٠٤٠ (كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه...)؛ سنن أبى داود ٤/٣٠٧ - ٣٠٨ (كتاب السنة، باب فى القدر). وجاء الحديث فى: سنن الترمذى ٣/٣٠١ - ٣٠٢ (كتاب القدر، باب ما جاء فى الشقاء والسعادة)؛ سنن ابن ماجة ١/٣٠ - ٣١ (المقدمة، باب فى القدر)؛ المسند (ط. المعارف) فى مواضع كثيرة. انظر الأرقام: ٦٢١، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١١١٠، ١١٨١، ١٣٤٨.

(١) جمع ابن تيمية هنا بين الحديث السابق عن علىّ رضى الله عنه وبين جزء من حديث عن عمران بن الحصين رضى الله عنه جاء فى: مسلم ٤/٢٠٤١ - ٢٠٤٢ (الموضع السابق فى التعليق السابق) وفيه: .. أو فيما يُستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «لا، بل شىء قُضى عليهم ومضى فيهم. وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل: (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها) [سورة الشمس: ٧، ٨]».

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٣/٢٣٢.

وقال: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الجاثية: ٥].

وقال: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [سورة التوبة: ١٤].

وقال: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [سورة التوبة: ٥٢].

وقال: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦].

وقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [سورة المائدة: ١٦].

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

وقال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد: ٧] فكيف لا يُشهد الدليل ؟!

وقال: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [سورة الزمر: ٦١].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ [سورة يونس: ٩].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [سورة الطور: ٢١].

وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة ابراهيم: ١].

ص ٢١٣ وقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ٢٤].

وقال: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٣٢].

وقال: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢ ـ ٣].

وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

وقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٠، ١٦١].

وقال: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦].

وقال: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة المائدة: ٨٥].

وقال: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ [سورة الإنسان: ١٢].

وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِى الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠].

وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤] وأمثال ذلك فى القرآن كثير.

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد: «عسى أن تُخَلَّفَ فينتفع بك أقوام ويضرَّ بك آخرون» فكيف يمكن أن يشهد أن الله لم ينصب على توحيده دليلا، ولا جعل / للنجاة من عذابه وسيلة، ولا جعل لما يفعله المتوكِّل من عباده سببا . ٣/ ٩٢

وهو مسبِّب الأسباب، وخالق كل شيء بسبب منه، لكن الأسباب كما قال فيها[١] أبو حامد وأبو الفرج [بن الجوزى][٢] وغيرهما: «الالتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا تغيير[٣] فى وجه العقل، والأعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع».

والتوكل معنى يلتئم[٤] من معنى التوحيد[٥] والعقل والشرع، فالموحِّد[٦] المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب، بمعنىً أنه لا يطمئن إليها،

(*ـ*) : ما بين النجمتين ساقط من (و). والحديث عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى: البخارى ٨١/٢ (كتاب الجنائز، باب رثاء النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة) ونصه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى.. الحديث وفيه: فقلت: يارسول الله أُخَلَّفُ بعد أصحابى. قال: «إنك لن تُخَلَّفَ فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به درجة ورفعة. ثم لعلك أن تُخلّف حتى ينتفع بك أقوام ويضرّ بك آخرون. اللهم أَمْضي لأصحابى هجرتهم ولا تردّهم على أعقابهم. لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة». وجاء الحديث فى البخارى مرة أخرى فى ٦٨/٥ ـ ٦٩ (كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: اللهم أمض لأصحابى هجرتهم..). وجاء مرة ثالثة فى كتاب الفرائض.

(١) لكن التوحيد كما قال فيه..

(٢) ابن الجوزى: ساقطة من (ح)، (ر)، (ى).

(٣) ب: تغيير؛ و: تغير؛ ن: تعتير.

(٤) ح، ر: ملتئم.

(٥) ن، م: والتوكل معنى يلتئم معنى التوحيد؛ وسقطت كلمة «معنى» الثانية من (ب).

(٦) ن، م: فالمؤمن.

ولا يثق بها، ولا يرجوها، ولا يخافها؛ فإنه ليس فى الوجود سبب يستقل بحكم، بل كل سبب فهو مفتقر إلى أمور أخرى تُضم إليه، وله موانع وعوائق تمنع موجبه، وما ثمَّ سبب مستقل بالإحداث إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وما شاء خلقه بالأسباب التى يحدثها ويصرف عنه الموانع، فلا يجوز التوكل إلا عليه.

كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٠].

وما سبق من علمه وحكمه فهو حق. وقد عَلِمَ وحَكَمَ بأن الشىء الفلانى يحدثه هو سبحانه بالسبب الفلانى. فمن نظر إلى علمه وحكمه فليشهد الحدوث بما أحدثه، وإذا نظر إلى الحدوث بلا سبب منه لم يكن شهوده مطابقا لعلمه وحكمه.

فمن شهد أن الله تعالى خلق الولد لا من أبوين لسبق علمه وحكمه؛ فهذا شهوده عمىً، بل يشهد أن الله تبارك وتعالى سبق علمه وحكمه بأن يخلق الولد من الأبوين، والأبوان سبب فى وجوده، فكيف يجوز أن يُقال: إنه سبق علمه وحكمه بحدوثه بلا سبب. وإذا كان علمه وحكمه قد أثبت السبب، فكيف أشهد الأمور بخلاف ما هى [عليه][1] فى علمه وحكمه؟

والعلل التى تُنفى نوعان: أحدهما: أن تعتمد على الأسباب وتتوكل عليها. وهذا شرك محرم[2]. والثانى: أن تترك ما أُمرت به من الأسباب،

---

(١) عليه: زيادة فى (ح)، (ب)، (ر).

(٢) ح: شرك ومحرم.

وهذا أيضا محرم.

بل عليك أن تعبده بفعل ما أَمَرك به من الأسباب، وعليك أن تتوكل عليه فى أن يعينك على ما أمرك به، وأن يفعل هو ما لا تقدر أنت عليه بدون سبب منك[1]، فليست العلة إلّا ترك ما أمرك به الرب أمر إيجاب أو استحباب[2]، ومن فعل ما أُمر به كما أمر به فليس عنده علة، ولكن قد يجهل حقيقة ما أُمر به [كما أُمر به][3] فيكون منه علة.

وقول القائل: «يسلك سبيل إسقاط الحَدَث» إن أراد أنى[4] أعتقد نفى حدوث شىء؛ فهذا مكابرة وتكذيب بخلق الرب وجحد للصانع. وإن أراد أنى أسقط الحَدَث من قلبى فلا أشهد محدِثا ـ وهو مرادهم ـ فهذا خلاف ما أُمرت به، وخلاف الحق.

بل قد أُمرت أن أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأشهد حدوث المحدَثات بمشيئته بما[5] خلقه من الأسباب، ولما خلقه من الحِكَم[6]، وما أُمرت أن لا أشهد بقلبى حدوث شىء قط.

وقول القائل «يفنى[7] من لم يكن، ويبقى[8] من لم يزل» إن أراد أنه

---

(١) ح، ر، و، ى: وأن يفعل هو ما يفعله بدون سبب منك.

(٢) و: به الرب واجبا أو مستحبا؛ ن: به الرب أمر إيجاب واستحباب؛ م: به الرب أمر إيجاب أو استحسان.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و)، (ب).

(٤) و: أن.

(٥) و: وبما.

(٦) من الحكم: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: من الحكمة.

(٧) و: فنى.

(٨) و: وبقى.

يبقى على الوجه المأمور [به][1] بحيث يشهد أن الحق هو المحدِث لكل ما سواه بما أحدثه من الأسباب، ولما أراده من الحكمة؛ فهذا حق. وإن أراد[2] أنى لا أشهد قط مخلوقا، بل لا أشهد إلا القديم فقط؛ فهذا نقص فى الإيمان والتوحيد والتحقيق، وهذا من باب الجهل والضلال، وهذا إذا غَلَب على قلب العبد كان معذوراً. أما أن يكون هذا مما[3] أمر الله به ورسوله؛ فهذا خلاف الكتاب والسنة والإجماع.

ولما كان هذا مرادهم قال[4]: «هذا توحيد الخاصة، الذى يصحّ بعلم الفناء / ، ويصفو فى علم الجمع، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع». ظ ٢١٣

فإن المراد بالجمع أن يشهد[5] الأشياء كلها مجتمعة فى خلق الرب ومشيئته، وأنها صادرة بإرادته، لا يرجح[6] مثلا عن مثل، فلا يفرّق بين مأمور ومحظور، وحسن وقبيح، وأولياء [الله] وأعدائه[7].

والوقوف عند هذا الجمع هو الذى أنكره الجنيد وغيره من أئمة طريق أهل الله أهل الحق[8]؛ فإنهم أمروا بالفرق الثانى، وهو أن يشهد[9] مع هذا الجمع أن الرب فرّق بين ما أَمَرَ به وبين ما نَهَى عنه، فأَحَبَّ هذا،

---

(١) به: زيادة فى (ح)، (ر)، (ب)، (ى).

(٢) و: وإن أريد.

(٣) ح: لما.

(٤) أى الأنصارى الهروى: وهو كلامه الذى سبق من قبل.

(٥) ح، ر، ى: أن تشهد.

(٦) ح، ر، ى: بإرادة ترجح . . .

(٧) ن، م، و: وأولياء وأعداء.

(٨) ب (فقط): أهل التحقيق. (٩) ح، ر، ى: أن تشهد.

وأَبْغَضَ هذا، وأثاب على هذا، وعاقب على هذا؛ فيحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويشهد الفرق[1] فى الجمع، والجمع فى / الفرق، لا[2] يشهد جمعاً محضا ولا فرقا محضا[3].

٣/ ٩٣

وأما قوله: «ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع» فسيأتى. وهؤلاء شربوا من العين التى شرب منها نفاة القدر؛ فإن أولئك الذين قالوا: الأمر أُنُف. قالوا: إذا سبق علمه وحكمه بشىء، امتنع أن يأمر بخلافه ووجب وجوده. وفى ذلك إبطال الأمر والنهى. لكن أولئك كانوا معظِّمين[4] للأمر والنهى؛ فظنوا أن إثبات ما سبق من العلم والحكم ينافيه، فأثبتوا الشرع ونفوا القدر.

وهؤلاء اعتقدوا ذلك أيضا، لكن أثبتوا القدر، ونفوا عمن شاهده أن يستحسن حسنة يأمر بها، أو يستقبح سيئة ينهى عنها؛ فأثبتوا القدر وأبطلوا الشرع عمَّن شاهد القدر. وهذا القول أشدّ منافاة لدين الإسلام من قول نفاة القدر.

الفرق بين التوحيد وبين الاتحاد والحلول

قال: «وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه بقدره.. إلى آخر كلامه» وقد تقدم حكايته. فهؤلاء هم الذين أنكر عليهم أئمة الطريق، كالجنيد وغيره، حيث لم يفرِّقوا بين القديم والمحدَث. وحقيقة قول هؤلاء الاتحاد والحلول الخاص، من جنس قول النصارى فى المسيح، وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد، ولا يوحِّد

---

(١) و: ويشهد بهذا الفرق.

(٢) ح، ر، ى: ولا..

(٣) عبارة «ولا فرقا محضا»: ساقطة من (و).

(٤) و: معطلين.

الله إلا الله، وكل من جعل غير الله يوحِّد الله فهو جاحد عندهم، كما قال:

ما وحَّد الواحد من واحد (أى من واحد غيره)*

إذ كـــل مـــن وحـــدّه جاحـــد

فإنه على قولهم: هو الموحِّد والموحَّد. ولهذا قال:

توحـيد من ينطق عن نعته ★ عاريـة أبطلها الواحـد

يعنى إذا تكلم العبد بالتوحيد، وهو يرى أنه المتكلِّم، فإنما ينطق عن نعت نفسه، فيستعير ما ليس له، فيتكلم به، وهذه عارية أبطلها الواحد، ولكن إذا فنى عن شهـود نفسه، وكان الحق هو المتكلم على لسانه، حيث فنى من لم يكن، وبقى من لم يزل، فيكون الحق هو الناطق بنعت نفسـه، لا بنعت العبد، ويكون هو الموحِّد وهو الموحَّد. ولهذا قال: توحيده إياه توحيده ـ (أى توحيد الحق إياه ـ أى نفسه ـ هو[1] توحيده هو، لا توحيد المخلوقين له) فإنه لا يوحِّده عندهم مخلوق، بمعنى أنه هو النـاطق بالتوحيد على لسان خاصته، ليس الناطق هو المخلوق، كما يقوله النصارى فى المسيح: إن اللاهوت تكلم بلسان الناسوت.

وحقيقة الأمر أن كل من تكلم بالتوحيد أو تصوّره، وهو يشهد غير الله، فليس بموحِّد[2] عندهم. وإذا غاب وفنى عن نفسه بالكلية، فتم له مقام توحيد الفناء[3]، الذى يجذبه[4] إلى توحيد أرباب الجمع، صار الحق هو

(١) ن، م، و: هى. (٢) ح، ر، ى: فليس يوحد..

(٣) و: تم له مقام الفناء؛ ر، ح، ى: فتم له توحيد الفناء.

(٤) ب (فقط): الذى يجذبه.

الناطق المتكلم بالتوحيد، وكان هو الموحِّد، وهو الموحَّد، لا موحِّد غيره.

وحقيقة هذا القول لا يكون إلا بأن يصير الربّ والعبد شيئاً واحدا، وهو الاتحاد، فيتحد اللاهوت والناسوت، كما يقول النصارى: إن المتكلم بما كان يسمع من المسيح هو الله. وعندهم أن الذين سمعوا منه هم رسل الله، وهم عندهم أفضل من إبراهيم وموسى[1].

ولهذا تكلم بلفظ اللاهوت والناسوت طائفة من الشيوخ الذين وقعوا فى الاتحاد والحلول مطلقا ومعيّنا، فكانوا ينشدون قصيدة ابن الفارض، ويتحلون بما فيها من تحقيق الاتحاد العام، ويرون كل ما فى الوجود هو مَجْلَى ومظهر، ظهر فيه عين الحق. وإذا رأى أحدهم منظراً حسنا[2] أنشد:

يتــجــلّى فى كل طرفــة عين　　بلبــاس[3] من الـجـمــال جديد

وينشد الآخر:

هيهات يشهد ناظرى معكم سوى　　إذا أنتم عين الجــوارح والقـوى

*وينشد الثالث:

أعـاين فى كل الـوجود جمالكم　　وأسمع من كل الجهات نداكم[4]*

---

(١) و: وموسى وعيسى.　　(٢) و: ما ألفوا به..

(٣) و: فى لباس.

(*ـ*) : ما بين النجمتين ساقط من (و).

(٤) بعد هذا البيت فى (ن)، (م)، (ى): «وارشف» وبعدها بياض فى (ن)، (م) وكتب فى (ى): ويتلوه بياض.

وتلتذ[1] إن مرّت على جسدى يدى لأنى فى التحقيق لست سواكم

ولما كان ظهور قول النصارى بين المسلمين مما يظهر أنه باطل، لم يمكن أصحاب هذا الاتحاد / أن / يتكلموا به كما تكلمت به النصارى، بل صار عندهم مما يُشهد ولا يُنطق به، وهو عندهم من الأسرار التى لا يُباح بها، ومن باح بالسرّ قُتِل.

٣/ ٩٤
ص ٢١٤

وقد يقول بعضهم: إن الحلاج لمّا باح[2] بهذا السرّ وجب قتله. ولهذا قال[3]: «هو توحيد اختصّه الحق لنفسه، واستحقه بقدره، وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثّه».

فيُقال: أما توحيد الحق نفسه[4] بنفسه، وهو علمه بنفسه وكلامه الذى يخبر به عن نفسه، كقوله: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [سورة طه: ١٤]؛ فذاك صفته القائمة به، كما تقوم به سائر صفاته من حياته وقدرته وغير ذلك.

وذلك لا يفارق ذات الربّ وينتقل إلى غيره أصلا، كسائر صفاته. بل صفات المخلوق لا تفارق ذاته وتنتقل إلى غيره، فكيف بصفات الخالق؟!

---

(١) م: وألتذ.

(٢) ن، م: أباح.

(٣) ن: ولهذا قتل قال..

(٤) ح، ب: لنفسه.

ولكن هو سبحانه ينزِّل[1] على أنبيائه من علمه وكلامه ما أنزله[2]، كما أنزل القرآن[3]، وهو كلامه، على خاتم الرسل.

وقد قال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أنه لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]؛ فهو سبحانه يشهد لنفسه بالوحدانية، والملائكة يشهدون، وأولو العلم من عباده يشهدون. والشهادات متطابقة متوافقة.

وقد يُقال: هذه الشهادة هى هذه، بمعنى أنها نوعها، وليس نفس صفة المخلوق هى نفس صفة الخالق. ولكن كلام الله الذى أنزله على رسوله هو القرآن الذى يقرؤه المسلمون، وهو كلامه سبحانه مسموعا من المبلِّغين له، ليس تلاوة العباد له وسماع بعضهم من بعض، بمنزلة سمع موسى له من الله بلا واسطة؛ فإن موسى سَمِع نفس كلام الرب، كما يُسمع كلام المتكلم منه، كما يَسْمَعُ الصحابة كلام الرسول منه. وأما سائر الناس فسمعوه مبلَّغا عن الله، كما يسمع[4] التابعون ومن بعدهم كلام النبى صلى الله عليه وسلم مبلَّغا عنه.

ولهذا قال لرسوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [سورة المائدة: ٦٧]، وقال: ﴿لِيَعْلَمَ أن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الجن: ٢٨].

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «بلِّغوا عنى [ولو آية]»[5]. وقال:

---

(١) و: نزّل.

(٢) و، م: ما أنزل؛ و: ما نزله.

(٣) م: الفرقان.

(٤) و: كما سمع.

(٥) ولو آية: زيادة فى (و) فقط. ونص الحديث: «بلغوا عنى ولو آية، وحدّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وهو عن عبدالله بن عمرو رضى =

«نضّر الله امرأً سمع منا[1] حديثا فبلَّغه إلى من لم يسمعه، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه[2]، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[3]. وقال: «ألا رجل يحملنى إلى قومه لأبلّغ كلام ربى؛ فإن قريشا قد منعونى أن أبلّغ كلام ربى»[4].

وقول القائل: «وألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثه».

فيقال: أفضل صفوته هم الأنبياء، وأفضلهم الرسل، وأفضل الرسل أولو العزم، وأفضل أولى العزم محمد صلى الله عليه وسلم. وما ألاحه الله على أسرار هؤلاء فهو أكمل توحيد عرفه العباد. وهم قد تكلموا بالتوحيد ونعتوه وبثوه، وما يقدر أحد قط أن ينقل عن نبى من الأنبياء، ولا

= الله عنهما فى: البخارى ٤/١٧٠ (كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل)؛ سنن الترمذى ٤/١٤٧ (كتاب العلم، باب ما جاء فى الحديث عن بنى إسرائيل)؛ المسند (ط. المعارف) ٩/٢٥٠ - ٢٥١، ١١/١٢٧، ٢٠٧.

(١) ح، ب: منى.

(٢) ح، ب: فقه إلى غير فقيه.

(٣) ورد هذا الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن زيد بن ثابت رضى الله عنه، كما جاء بألفاظ مقاربة عن أنس بن مالك وجبير بن مطعم وعبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى الدرداء رضى الله عنهم فى: سنن الترمذى ٤/١٤١ - ١٤٢ (كتاب العلم، باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع) وقال الترمذى: «حديث زيد بن ثابت حديث حسن». وهو فى: سنن أبى داود ٣/٤٣٨ (كتاب العلم، باب فضل نشر العلم)؛ سنن ابن ماجة ١/٨٤ - ٨٦ (المقدمة، باب من بلّغ علما)؛ المسند (ط. الحلبى) ٣/٢٢٥.

(٤) الحديث عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٤/٣٢٤ (كتاب السنة، باب فى القرآن)؛ سنن الترمذى ٤/٢٥٥ (كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

وارث نبى، أنه يدّعى أنه يعلم توحيداً لا يمكنه النطق به، بل كل ما علمه القلب أمكن التعبير عنه، لكن قد لا يفهمه إلا بعض الناس.

فأما أن يُقال: إن محمدا صلى الله عليه وسلم عاجز عن أن يبيّن ما عرّفه الله من توحيده. فهذا ليس كذلك.

ثم يُقال: إن أريد بهذا اللائح أن يكون الربّ نفسه هو الموحِّد لنفسه فى قلوب صفوته لاتحاده بهم أو حلوله فيهم. فهذا قول النصارى، وهو باطل شرعا وعقلا.

وإن أريد أنه يعرِّف صفوته من توحيده ومعرفته والإيمان به ما لا يعرّفه غيرهم. فهذا حق، لكن ما قام بقلوبهم ليس هو نفس الرب [الخالق] تعالى[1]، بل هو العلم به ومحبته ومعرفته وتوحيده.

وقد يُسمَّى المثل الأعلى، ويُفسّر به قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الروم: ٢٧] أى فى قلوب أهل السمـٰوات والأرض، ويُقال له: المثال الحبى والمثال العلمى[2]. وقد يخيل لناقص العقل إذا أحب شخصا محبة تامة، بحيث فَنِىَ فى حبه، حتى لا يشهد فى قلبه غيره، أن نفس المحبوب صار[3] فى قلبه، وهو غالط[4] فى ذلك، بل المحبوب فى موضع آخر: إما فى بيته، وإما فى المسجد[5]، وإما فى

(١) ن، م: ليس هو نفس الرب تعالى؛ ب: ليس هو نفس الخالق؛ ح، ر، و، ى: ليس هو نفس الرب الخالق.

(٢) و: المثال العلى والمثال الحسى.

(٣) ن: صارت.

(٤) ن، م: وهذا غلط.

(٥) ن، م: إما فى المسجد وإما فى بيته.

موضع آخر. ولكن الذى فى قلبه هو مثاله.

وكثيرا ما يقول القائل: أنت فى قلبى، وأنت فى فؤادى. والمراد هذا المثال؛ لأنه قد علم أنه لم يعن ذاته، فإن ذاته منفصلة عنه. كما يُقال: أنت بين عينى، وأنت دائما على لسانى[1]. كما قال الشاعر:

/ مثالك فى عينى وذكرك فى فمى ومثواك فى قلبى فكيف تغيب[2] ٣/ ٩٥

وقال آخر:

ساكن فى القلب يعمره لست أنساه فأذكره

فجعله ساكنا عامرا للقلب لا يُنسى، ولم يرد أن ذاته حصلت فى قلبه كما يحصل[3] الإنسان الساكن / فى بيته، بل هذا الحاصل هو المثال العلمى. (*وقال آخر: ظ ٢١٤

ومن عجب أنى أحنّ إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معى

وتطلبهم عينى وهم فى سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعى*)

ومن هذا الباب قول القائل: «القلب بيت الرب» وما يذكرونه فى الإسرائيليات من قوله: «ما وسعتنى أرضى ولا سمائى، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن التقى النقى الورع[4] اللين»[5]. فليس المراد أن الله

---

(١) ح، ر: دائما فى لسانى.

(٢) و: فأين تغيب.

(٣) و: جعلت فى قلبه كما يجعل...

(*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (و).

(٤) الورع: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: الوارع.

(٥) قال العجلونى فى «كشف الخفاء» ٢/ ١٩٥: «ذكره فى «الإحياء» (أى الغزالى) بلفظ: قال الله: لم يسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع - قال العراقى

نفسه يكون فى قلب كل عبد، بل فى القلب معرفته ومحبته وعبادته.

والنائم يرى فى المنام إنسانا يخاطبه ويشاهده، ويجرى معه فصولا[1]، وذلك المرئى قاعد فى بيته، أو ميِّت فى قبره، وإنما رأى مثاله. وكذلك يرى فى المرآة الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من المرئيات، ويراها تكْبُر بِكِبَر المرآة، وتصْغُر بصِغَرها، وتستدير باستدارتها، وتصفو بصفائها. وتلك مثال المرئيات القائمة بالمرآة، وأما نفس الشمس التى فى السماء، فلم تصر ذاتها فى المرآة.

وقد خاطبنى مرة شيخ من هؤلاء فى مثل هذا، وكان ممن يظن أن الحلاَّج قال: «أنا الحق» لكونه كان فى هذا التوحيد. فقال: الفرق بين فرعون والحلاَّج أن فرعون قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات: ٢٤] وهو يشير إلى نفسه. وأما الحلاَّج فكان فانيا[2] عن نفسه، والحق نطق على لسانه. فقلت له: أفصار الحق فى قلب الحلاج ينطق على لسانه، كما ينطق الجنىّ على لسان المصروع ؟!

= فى تخريجه: لم أر له أصلا، ووافقه فى «الدرر» تبعا للزركشى وذكر العجلونى كلام ابن تيمية فقال: «وقال ابن تيمية: هو مذكور فى الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبى صلى الله عليه وسلم» ثم قال: «وقال فى «المقاصد» تبعا لشيخه فى «اللآلىء»: ليس له إسناد معروف عن النبى صلى الله عليه وسلم. وذكر السيوطى الحديث فى «الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة» ص ١٧٥، تحقيق الدكتور محمد بن لطفى الصباغ، ط. الرياض، ١٤٠٣/١٩٨٣، وبيّن الدكتور الصباغ فى تعليقه مواضع الحديث فى كتب الأحاديث الموضوعة.

(١) و: فصول.

(٢) ب (فقط): غائبا.

(١)وهو سبحانه بائن عن قلب الحلاج وغيره من المخلوقات(١) ، فقلب(٢) الحلاج أو غيره كيف يسع ذات الحق ؟! ثم الجنىّ يدخل فى جسد الإنسان ويشغل(٣) جميع أعضائه ، (٤) والإنسان المصروع لا يحس بما يقوله الجنىّ ويفعله بأعضائه(٤) ، لا يكون الجنى فى قلبه فقط؛ فإن القلب كل ما قام به فإنما هو عرض من الأعراض، ليس شيئا موجوداً قائما بنفسه، ولهذا لا يكون الجنى بقلبه الذى هو روحه.

وهؤلاء قد يدَّعون(٥) أن ذات الحق قامت بقلبه فقط. فهذا يستحيل فى حق المخلوق(٦)، فكيف بالخالق جل جلاله ؟!.

وقد يحتج بعضهم بقول النبى صلى الله عليه وسلم: «فإذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد»(٧) فإن الله قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: «سمع الله لمن حمده»(٧).

فيقال لهم: النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد ما أردتم من الحلول

(١-١) : ساقط من (و).

(٢) ن، م: فقلت؛ و: وقلت.

(٣) و: ويستعمل.

(٤-٤) : ساقط من (و).

(٥) و: قد يزعمون.

(٦) و: المكلف.

(٧) هذا جزء من حديث طويل عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه. وأوله - وهذه رواية مسلم - «إذا صليتم فأقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أحدكم. . » الحديث. وهو فى: مسلم ٣٠٣/١ - ٣٠٥ (كتاب الصلاة، باب التشهد فى الصلاة)؛ سنن النسائى ٧٥/٢ - ٧٦ (كتاب الإمامة، باب مبادرة الإمام) ١٩٢/٢ - ١٩٣ (كتاب التطبيق، باب نوع آخر من التشهد).

والاتحـاد، ولكن أراد أن الله بلّغكم هذا الكـلام على لسـان رسـوله، وأخبركم أنه يسمع[1] دعاء من حمده فاحمدوه أنتم، وقولوا: ربنا ولك الحمـد، حتى يسمع الله لكم دعاءكم؛ فإن الحمد قبل الدعاء سبب لاستجابة الدعاء.

وهذا أمر معروف؛ يقول المرسل لرسوله: قل على لسانى كذا وكذا، ويقول الرسول لمرسله: قلت على لسانك كذا وكذا، ويقول المرسل أيضا: قلت لكم على لسان رسولى[2] كذا وكذا.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة الشورى: ٥١]؛ فالله تعـالى إذا أرسـل رسولا من الملائكة أو من البشر برسالة، كان مكلِّما لعباده بواسطة رسوله، بما أرسل به رسوله، وكان مبينا لهم بذلك.

كمـا قال تعـالى: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٩٤] أى بواسطة رسوله. وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٨]. وقال: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَـأِ مُوسَى وَفِـرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة القصص: ٣]. وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣].

فكانت تلك التلاوة والقراءة والقصص بواسطة جبريل؛ فإنه سبحانه يكلِّم عباده بواسطة رسول يرسله، فيوحى بإذنه ما يشاء. ولهذا جاء بلفظ

---

(١) ب (فقط): سمع.

(٢) ح: رسولكم.

الجمع ؛ فإن ما فعله المطاع بجنده يُقال فيه : نحن نفعل كذا . والملائكة رسل الله فيما يخلقه ويأمر به ، فما خلقه وأمر به بواسطة رسله من الملائكة ، قال فيه : نحن فعلنا ، كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة : ١٨].

وفى الصحيحين عن ابن عباس قال : إن علينا أن نجمعه فى قلبك ، ثم أن(١) تقرأه بلسانك ، فإذا قرأه جبريل فاستمع له حتى يفرغ(٢) .

كما قال(٣) فى الآية الأخرى : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [سورة طه : ١١٤]، أى لا تعجل بتلاوة ما يقرؤه جبريل عليك ، من قبل أن يقضى جبريل تلاوته ، بل استمع له حتى يقضى(٤) تلاوته ، ثم

---

(١) أن : ساقطة من (ح) ، (ر) ، (ب) .

(٢) الحديث ـ مع اختلاف فى الألفاظ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ثلاثة مواضع فى البخارى ١/ ٤ (كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى . . . .) ، ٦/ ١٦٣ (كتاب التفسير ، سورة القيامة) ، ٩/ ١٥٢ ـ ١٥٣ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : لا تحرك به لسانك . . .) . والحديث أيضا فى : مسلم ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ (كتاب الصلاة ، باب الاستماع للقراءة) ؛ المسند (ط . المعارف) ٣/ ٢٧٨ (مختصرا) ، ٥/ ٦٩ . وأورد ابن كثير الحديث فى تفسيره (ط . الشعب) ٥/ ٣١٢ ، ٨/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤ . ولفظ الحديث فى إحدى رواياته (البخارى ٦/ ١٦٣) : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحى ، وكان مما يحرّك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ، وكان يُعرف منه ، فأنزل الله الآية التى فى (لا أقسم بيوم القيامة) : (لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه) [سورة القيامة : ١٦ ، ١٧] قال : علينا أن نجمعه فى صدرك (وقرآنه * فإذا قرآناه فاتبع قرآنه) فإذا أنزلناه فاستمع (ثم إن علينا بيانه) علينا أن نبينه بلسانك . قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله» .

(٣) ح ، ب : كما قيل .

(٤) ح ، ب : تقضى .

بعد هذا اقرأ ما أنزله[1] إليك، وعلينا أن نجمع ذلك فى قلبك، وأن تقرأه بلسانك، ثم أن تبيّنه[2] للناس بعد ذهاب جبريل عنك.

وقوله: «والذى يُشار إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدَث[3] وإثبات القدم».

فيقال: مرادهم بهذا نفى المحدَث[4]، أى ليس هنا إلا القديم. وهذا على وجهين. فإن أُريد به نفى المحدَث[5] بالكلية، وأن العبد هو القديم؛ فهذا شر من قول النصارى، إلا أنه قريب إلى / قول اليعقوبية من النصارى؛ فإن اليعقوبية يقولون: إن اللاهوت والناسوت امتزجا واختلطا فصارا جوهرا واحدا، وأقنوما واحدا، وطبيعة واحدة. ويقول بعضهم: إن اليدين اللتين سمرتا[6] هما اليدان اللتان خُلق بهما آدم.

ص ٢١٥

وأما النسطورية فيقولون بحلول اللاهوت فى الناسوت. والملكانية[7] يقولون: شخص واحد له أقنوم واحد، بطبيعتين ومشيئتين[8]. ويشبِّهونه بالحديدة والنار، والنسطورية يشبهونه بالماء فى الظرف، واليعقوبية يشبهونه باختلاط الماء واللبن، والماء والخمر[9].

---

(١) ب (فقط): ما أنزل.

(٢) و: ثم إن علينا أن نبينه.

(٣) ب، م: الحدوث.

(٤) و: الحدث.

(٥) ح: فإن أريد نفى للحدث..

(٦) ن: شمرنا.

(٧) ح: والملكية.

(٨) و: ونسبتين.

(٩) ب (فقط): والحمر. وانظر أقوال اليعقوبية والنسطورية والملكانية من النصارى فى: الملل والنحل للشهرستانى ١/٢٠٣ - ٢٠٨؛ الفصل فى الملل والنحل ١/١١٠ - ١٣٢. وانظر كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (ط. المدنى، القاهرة، ١٣٧٩/١٩٥٩).

فقول القائل: «إسقاط الحدوث»[1] إن أراد به أن المحدَث عدم؛ فهذا مكابرة. وإن أراد به إسقاط المحدَث من قلب العبد، وأنه لم يبق فى قلبه إلا القديم. فهذا إن أُريد به ذات القديم، فهو قول النسطورية من النصارى. وإن أُريد به معرفته والإيمان به وتوحيده، أو قيل: مثله، أو المثل[2] العلمى، أو نوره، أو نحو ذلك؛ فهذا المعنى صحيح، فإن قلوب أهل التوحيد مملوءة بهذا، لكن ليس فى قلوبهم ذات الرب القديم وصفاته القائمة به.

وأما أهل الاتحاد العام فيقولون: ما فى الوجود إلا الوجود القديم. وهذا قول الجهمية.

وأبو اسماعيل لم يُرد هذا؛ فإنه قد صرّح فى غير موضع من كتبه بتكفير هؤلاء الجهمية الحلولية، الذين يقولون: إن الله بذاته فى كل مكان. وإنما يشير إلى ما يختص به بعض الناس.

الكلام على رؤية الله تعالى

ولهذا قال: «ألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته».

والاتحاد والحلول الخاص وقع فيه كثير من العبّاد والصوفية وأهل الأحوال؛ فإنه[3] يفجؤهم ما يعجزون عن معرفته، وتضعف عقولهم عن تمييزه، فيظنونه ذات الحق. وكثير منهم يظن أنه رأى الله بعينه. وفيهم من يحكى مخاطباته[4] له ومعاتباته[5]. وذاك كله إنما هو فى قلوبهم من

(١) و: المحدث.

(٢) ح: أو مثل؛ ب: أو المثال.

(٣) ح، ب: فإنهم.

(٤) ح، ب: مخاطبته.

(٥) ح، ب: ومعاتبته؛ ن، م: ومعايناته.

المثال العلمى الذى فى قلوبهم بحسب إيمانهم به.

ومما يشبه المثال العلمى رؤية الرب تعالى[1] فى المنام؛ فإنه يُرى فى صور[2] مختلفة، يراه كل عبد[3] على حسب إيمانه. ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم أعظم إيمانا من غيره رآه فى أحسن صورة، وهى رؤية منام بالمدينة؛ كما نطقت بذلك الأحاديث المأثورة عنه[4]. وأما ليلة المعراج فليس فى شىء من الأحاديث المعروفة أنه رآه ليلة المعراج، لكن رُوى فى ذلك حديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، رواه الخلّال من طريق أبى عبيد، وذكره القاضى أبو يعلى فى «إبطال التأويل»[5]. والذى نصَّ عليه الإمام أحمد فى الرؤية هو ما جاء عن النبى صلى الله عليه

(١) و: رؤية الحق. (٢) ن، م، ر: صورة.

(٣) كل عبد: كذا فى (و). وفى سائر النسخ: يراه العبد.

(٤) روى الإمام أحمد فى مسنده (ط. المعارف) ٤/٢٠١ (رقم ٢٥٨٠)، ٢٢١ (رقم ٢٦٣٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ربّى تبارك وتعالى» وصحح أحمد شاكر الحديثين وقال: «وهو فى مجمع الزوائد ١/٧٨ وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» وعقد أبو بكر عمرو بن أبى عاصم فى «كتاب السنة» فصلا بعنوان «باب ما ذكر من رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ربه تعالى» (ص ١٨٨ - ١٩٣) اورد فيه عدة أحاديث منها حديث ابن عباس (رقم ٤٣٣) وقد صححه الألبانى وقال: اخرجه أحمد والآجرى (ص ٤٩٤) والبيهقى فى «الأسماء والصفات» (ص ٤٤٤) والضياء فى «المختارة». وانظر كلام الألبانى على باقى الأحاديث. وقد علق فى «صحيح الجامع الصغير» ٣/١٦٨ على حديث ابن عباس بقوله: «يعنى فى المنام كما تدل عليه الروايات الأخرى»

(٥) سبقت ترجمة أبى يعلى ١/١٤٢. وكتابه «إبطال التأويل» ذكره بروكلمان GAL الملحق ٣/٥٠٣ ولم يذكر أنه موجود. على أنه ظهر مخطوطا مؤخرا، وهو موضوع رسالة للدكتوراه (دراسة وتحقيق) مقدمة إلى قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وسلم وما قاله أصحابه، فتارة يقول: رآه بفؤاده، متَّبِعاً لأبى ذر؛ فإنه روى بإسناده عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده[1].

وقد ثبت فى صحيح مسلم أن أبا ذر سأل النبى صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنّى أراه»[2]. ولم ينقل هذا السؤال عن غير أبى ذر. وأما ما يذكره بعض العامة من أن أبا بكر رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال[3]: «نعم رأيته» وأن عائشة سألته، فقال: «لم أره» فهو كذب، لم يروه أحد من أهل العلم، ولا يجيب النبى صلى الله عليه وسلم عن مسألة واحدة بالنفى والإثبات مطلقا، فهو منزَّه عن ذلك[4].

---

(١) ذكرت فى تعليقى على كلام مماثل لابن تيمية فى «درء تعارض العقل والنقل» ٨/٤٢ أننى بحثت عن حديث أبى ذر رضى الله عنه فى مسند الإمام أحمد (مسند أبى ذر فى الجزء الخامس من طبعة الحلبى) فلم أجده. وقلت: «ولعل الإمام أحمد رواه فى غير المسند». والحديث رواه ابن خزيمة فى كتاب «التوحيد» (تحقيق الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله، ط. القاهرة، ١٣٨٧/١٩٦٨) ص ٢٠٨ ونصه: «حدثنا أحمد بن منيع غير مره، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا منصور ـ وهو ابن زاذان ـ عن الحكم، عن يزيد بن شريك الرشك، عن أبى ذر فى قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) قال: ثنا هشيم، قال أنبأ منصور، عن الحكم، عن يزيد بن الرشك عن أبى ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه».

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢/٦٣٦ ـ ٦٣٧.

(٣) و: سأله فقال.

(٤) انظر كتاب «الشريعة» للآجرى (بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله، ط. السنة المحمدية، ١٣٦٩/١٩٥٠ ص٤٩١ ـ ٤٩٧ (وانظر تعليقات الشيخ محمد حامد). وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة، ص ١٩٧ ـ ٢٣٠، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقى، ص٤٣٣ ـ ٤٤٧، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى، ط. السعادة، ١٣٥٨.

فلما كان أبو ذر أعلم من غيره اتّبعه أحمد، مع ما ثبت فى الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رآه بفؤاده مرتين[1]. وتارة يقول أحمد: رآه، فيطلق[2] اللفظ ولا يقيده بعين ولا قلب *اتّباعا للحديث، وتارة يستحسن قول من يقول / : رآه، ولا يقول بعين ولا قلب*. ولم ينقل أحد من أصحاب أحمد الذين باشروه عنه أنه قال رآه بعينه، وقد ذَكَر ما نقلوه عن أحمد الخلاّل فى كتاب «السنة» وغيره[3].

٣/ ٩٧

وكذلك لم ينقل أحد بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: «رآه بعينه» بل الثابت عنه إما الأطلاق وإما التقييد بالفؤاد.

وقد ذكر طائفة من أصحاب أحمد، كالقاضى أبى يعلى[4] ومن اتّبعه عن أحمد ثلاث روايات فى رؤيته تعالى: إحداها: أنه رآه بعينه، واختاروا ذلك. وكذلك اختاره الأشعرى وطائفة. ولم ينقل هؤلاء عن

---

(١) روى مسلم فى صحيحه ١/١٥٨ ـ ١٥٩ (كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ولقد رآه نزله أخرى. . . .) أثرين عن ابن عباس: الأول. . عن ابن عباس: رآه بقلبه. والثانى. . . عن أبى العالية عن ابن عباس قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى) [سورة النجم: ١١]، (ولقد رآه نزلة أخرى) [سورة النجم: ١٣] قال: رآه بفؤاده مرتين. وذكر الترمذى فى سننه ٥/ ٧٠ (كتاب التفسير، سورة النجم) أثراً عن عكرمة عن ابن عباس قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال: رآه بقلبه. قال الترمذى: «هذا حديث حسن». وجاء الأثر بنفس المعنى فى المسند (ط. المعارف) ٣/٢٩٤ عن ابن عباس. وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فى تعليقه: «ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ٦/١٢٤ أيضا للطبرانى وابن مردوية والبيهقى فى «الأسماء والصفات».

(٢) ح، ب: ويطلق.

(*ـ*) : ما بين النجمتين ساقط من (ح).

(٣) لعل كلام أحمد وروايته لحديث أبى ذر بالإسناد رواه عنه الخلال فى كتاب «السنة».

(٤) ن: كالقاضى أبى بكر، وهو تحريف.

أحمد لفظا صريحا بذلك، ولا عن ابن عباس. ولكن المنقول الثابت عن أحمد من جنس النقول الثابتة عن ابن عباس: إما تقييد الرؤية بالقلب، وإما إطلاقها. وأما تقييدها بالعين فلم يثبت لا عن أحمد ولا عن ابن عباس.

ظ ٢١٥ / وأما من سوى النبى صلى الله عليه وسلم فقد ذكر الإمام أحمد اتفاق السلف على أنه لم يره أحد بعينه. وقد ثبت فى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»[(١)] وهذا لبسطه موضع آخر.

وإنما المقصود هنا أن كثيرا من السالكين يَرِد عليه من الأحوال ما يصطلمه[(٢)]، حتى يظن أنه هو الحق، وأن الحق فيه، أو أن الحق يتكلم على لسانه، أو أنه يرى الحق، أو نحو ذلك. وإنما يكون الذى يشاهدونه ويخاطبونه هو الشيطان. وفيهم من يرى عرشاً عليه نور، ويرى الملائكة

---

(١) فى صحيح مسلم ٢٢٤٥/٤ (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صيّاد) قال ابن شهاب: وأخبرنى عمر بن ثابت الأنصارى أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حذَّر الناس الدجال: «إنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن». وقال: «تعلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت». وجاء الحديث فى: سنن الترمذى ٣٤٥/٣ (كتاب الفتن، باب ما جاء فى الدجال) وفيه: «تعلمون أنه لن يرى. . الحديث. وقال الترمذى: «هذا الحديث حسن صحيح».

(٢) قال القاشانى فى كتاب «اصطلاحات الصوفية» (تحقيق د. محمد كمال جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١) ص ٣٠: «الاصطلام: هو الوَلَهُ الغالب على القلب، وهو قريب من الهيمان». وقال ابن عربى فى رسالة «اصطلاحات الصوفية» ص ٢٤٠: «الاصطلام: نوع وَلَهٍ يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه».

حول العرش، ويكون ذلك الشيطان، وتلك الشياطين حوله. وقد جرى هذا لغير واحد.

فصــــل

الكلام على محبة الله تعالى

وقد اعترف طوائف بأنه يستحق أن يُحَبَّ، وأنكروا أنه يُحِبُّ غيرَه إلا بمعنى الإرادة العامة؛ فإن محبة المؤمنين لربهم أمر موجود في القلوب[1] والفطر، شهد به الكتاب والسنة، واستفاض عن سلف الأمة وأهل الصفوة، واتفق عليه أهل المعرفة بالله.

وقد ثبت أن التذاذ المؤمنين يوم القيامة بالنظر إلى الله أعظم لذة في الجنة. ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه. وهو الزيادة»[2].

وفي حديث آخر رواه النسائي وغيره: «أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضرّاء مضرة، ولا فتنة مضلّة»[3].

(١) ن: القلب.

(٢) سبق الحديث فيما مضى ٣/١٦٦.

(٣) سبق الحديث والتعليق عليه فيما مضى ٢/١١٤ - ١١٥، ٣/١٦٦ - ١٦٧.

فقوله فى الحديث الصحيح: «فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر إليه» يبيّن أن اللذة الحاصلة بالنظر إليه أعظم من كل لذة فى الجنة. والإنسان فى الدنيا يجد فى قلبه بذكر الله وذكر محامده وآلائه وعبادته من اللذة ما لا يجده بشىء آخر.

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «جُعلت قرة عينى فى الصلاة»[1]. وكان يقول: «أرحنا بالصلاة يابلال»[2]. وفى الحديث: «إذا مررتم

---

(١) هذا جزء من حديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه، ونصه: «حُبِّب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قُرَّة عينى فى الصلاة». وهو فى: سنن النسائى ٧/٥٨، ٦٠ (كتاب عشرة النساء، باب حب النساء) وأوله: «حُبّب إلى من الدنيا... الحديث. وهو فى: المسند (ط. الحلبى) ٣/١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥. وأضاف السيوطى فى «الجامع الصغير» أن الحديث فى المستدرك للحاكم وفى السنن للبيهقى. وصحح الألبانى الحديث فى «صحيح الجامع» ٣/٨٧ وقال فى تعليقه على «مشكاة المصابيح» للتبريزى ٢/٦٦٩ (ط. المكتب الإسلامى، دمشق، ١٣٨١/١٩٦١): «وقد اشتهرت على الألسنة زيادة أخرى وهى «ثلاث» ولا أصل لها فى شىء من طرق الحديث، بل هى مفسدة للمعنى كما لا يخفى». وانظر ما ذكرته عن الحديث وعن الزيادة فى «جامع الرسائل» ٢/١١٨ - ١١٩.

(٢) ح، ر، و: أرحنا بها يابلال. والحديث عن رجل من الصحابة فى سنن داود ٤/٤٠٦ (كتاب الأدب، باب فى صلاة العتمة) ونصه... عن سالم بن أبى الجعد، قال: قال رجل - قال مسعر: أراه من خزاعة -: ليتنى صليت فاسترحت، فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يابلال أقم الصلاة أرحنا بها». والحديث بهذه الألفاظ فى: المسند (ط. الحلبى) ٥/٣٦٤. ثم جاء الحديث فى سنن أبى داود بعد الحديث السابق ونصه: عن سالم بن أبى الجعد، عن عبدالله بن محمد بن الحنفية، قال: انطلقت أنا وأبى إلى صهر لنا مِنْ الأنصار نعوده، فحضرت الصلاة، فقال لبعض أهله: ياجارية ائتونى بوضوء لعلّي أصلى فأستريح. قال: فأنكرنا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قم يابلال فأرحنا بالصلاة». والحديث بهذه الألفاظ فى المسند (ط. الحلبى) ٥/٣٧١. وصحح الألبانى الحديث فى =

برياض الجنة فارتعوا». قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذكر»[1]. ومن هذا الباب قوله: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة»[2] فإن هذا كان أعظم مجالس الذكر.

والمنكرون لرؤيته من الجهمية والمعتزلة تنكر هذه اللذة. وقد يفسّرها من يتأول[3] الرؤية بمزيد العلم على لذة العلم به، كاللذة التى فى الدنيا بذكره، لكن تلك أكمل.

وهذا قول متصوفة الفلاسفة والنفاة، كالفارابى وكأبى حامد وأمثاله. فإن ما فى كتبه من «الإحياء» وغيره من لذة النظر إلى وجهه هو بهذا المعنى[4]. [والفلاسفة تثبت اللذة العقلية. وأبو نصر الفارابى

= «مشكاة المصابيح» ٣٩٣/١ وفى «صحيح الجامع الصغير» ٢٨٤/٦.

(١) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ١٩٤/٥ (كتاب الدعوات، باب منه) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس). والحديث فى المسند (ط. الحلبى) ١٥٠/٣.

(٢) الحديث عن عبدالله بن زيد المازنى رضى الله عنه فى: البخارى ٦١/٢ (كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة، باب فضل ما بين القبر والمنبر). وهو عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٢٣/٣ (كتاب فضائل المدينة، باب حدثنا مسدد عن يحيى...) وزاد.. ومنبرى على حوضي، ١٢١/٨ (كتاب الرقاق، باب فى الحوض..)، ١٠٥/٩ (كتاب الاعتصام، باب ما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم...)؛ سنن الترمذى ٣٧٦/٥ ـ ٣٧٧ (كتاب المناقب، باب ما جاء فى فضل المدينة). والحديث فى سنن النسائى والموطأ والمسند.

(٣) ن: من ينكر.

(٤) يتكلم الغزالى على لذة النظر إلى الله تعالى فى «الإحياء» ٦٢/١٤ ـ ٧٦ فيقول ١٤ / ٦٢ «اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات» ويفصل القول فى هذه النقطة، ثم يقول ٦٤/١٤ «وبهذا يتبين أن العلم لذيذ، وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله، وتدبيره فى =

وأمثاله[1] من المتفلسفة يثبت الرؤية لله ويفسّرها بهذا المعنى][2].

وهـذه اللذة أيضـا ثابتة بعد الموت، لكنهم مقصّرون فى تحقيقها وإثبات غيرها من لذات الآخرة، كما هو مبسوط فى موضعه.

وأمـا أبو المعالى وابن عقيل ونحوهما فينكرون أن يلتذّ أحد بالنظر إليه. وقال أبو المعالى: يمكن أن يحصل[3] مع النظر إليه لذة ببعض

= مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين. فينبغى أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات، أعنى لذة الشهوة والغضب... الخ ثم يقول ١٤/٧٠: «اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل فى الخيال.... وإلى ما لا يدخل فى الخيال، كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم، كالعلم والقـدرة والإرادة وغيرهـا.. إلى أن يقـول ١٤/٧١: «ووافى استحقاق الجنة، وذلك وقت مبهم... لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى، فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلى المرآة بالإضافة إلى ما تخيله، وهذه المشاهدة والتجلّى هى التى تسمى رؤية....».

(1) م: الفـارابى وأبى حامد وأمثاله. ويقول الدكتور إبراهيم مدكور فى كتابه «فى الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيق، ص٣٥-٣٦، ط. عيسى الحلبى، ١٣٦٧/١٩٤٧: «لعل أخص خصـائص النظرية الصوفية التى قال بها الفارابى إنها قائمة على أساس عقلى. فليس تصوفه بالتصوف الروحى البحت الذى يقوم على محاربة الجسم والبعد عن اللذائذ لتطهـر النفس وتـرقى فى مدارج الكمـال، بل هو تصـوف نظرى يعتمد على الدراسة والتأمل... الخ» ويقول الفارابى فى «كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة» ص١٦-١٧، ط. مكتبـة الحسين التجارية، الطبعة الثانية، ١٣٦٨/١٩٤٨: «وإذا كان الأول وجوده أفضل الوجود، فجماله فائت لجمال كل ذى الجمال، وكذلك زينته وبهاؤه... واللذة والسرور والغبطة إنما ينتج ويحصل أكثر بأن يُدرك الأجمل والأبهى والأزين بالإدراك الأتقن والأتم، فإذا كان هو الأجمل فى النهاية والأبهى والأزين فإدراكه لذاته الإدراك الأتقن فى الغاية وعلمه بجوهره العلم الأفضل... لذة لا نفهم نحن كنهها ولا ندرى مقدار عظمها إلا بالقياس والإضافة إلى ما نجده من اللذة عندما نكون قد أدركنا ما هو عندنا أكمل وأبهى إدراكا وأتقن وأتم... الخ».

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(3) و: أن نجعل.

المخلوقات من الجَنّة، فتكون اللذة مع النظر بذلك المخلوق[1].

وسمع ابن عقيل رجلا يقول: أسألك لذة النظر إلى وجهك. فقال: هب أن له وجها أفتلتذ بالنظر إليه؟

٣/ ٩٨ وهذا / ونحوه مما أُنكر على ابن عقيل؛ فإنه كان فاضلا ذكيا، وكان تتلون آراؤه فى هذه المواضع. ولهذا يوجد فى كلامه كثيرٌ مما يوافق فيه قول المعتزلة والجهمية، وهذا من ذاك.

وكذلك أبو المعالى بنى هذا على أصل الجهمية الذى وافقهم فيه الأشعرى ومن وافقه، كالقاضى أبى بكر والقاضى أبى يعلى وغيرهما: أن الله لا يحب ذاته، ويزعمون أن الخلاف فى ذلك مع الصوفية.

وهذا القول من بقايا أقوال جهم بن صفوان. وأول من عُرف فى الإسلام أنه أنكر أن الله يُحِبُّ أو يُحَبُّ الجهم بن صفوان وشيخه الجعد ابن درهم. وكذلك هو أول من عُرف أنه أنكر حقيقة تكليم الله لموسى وغيره. وكان جهم ينفى الصفات والأسماء، ثم انتقل بعض[2] ذلك إلى المعتزلة وغيرهم، فنفوا الصفات دون الأسماء.

وليس هذا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها[3]، بل كلهم متفقون على أن الله يستحق أن يُحَبَّ، وليس شىء أحق بأن يحب من الله سبحانه، بل لا يصلح أن يُحَبَّ غيره إلا لأجله، وكل ما يحبه المؤمن، من طعام وشراب ولباس وغير ذلك، لا ينبغى أن يفعله إلا ليستعين به على عبادته

---

(١) لم أجد هذا الكلام فيما بين يدى من مؤلفات الجوينى، ولعله فى كتاب من كتبه المفقودة.

(٢) ر، ب، ح، ى: بعد.

(٣) ح، ب: وأئمتهم.

سبحانه المتضمنة لمحبته؛ فإن الله إنما خلق الخلق لعبادته، وخلق فيهم الشهوات ليتناولوا بها ما يستعينون به[1] على عبادته، ومن لم يعبد الله فإنه فاسد هالك، والله لا يغفر أن يُشرك به فيُعبد معه غيره، فكيف بمن عطَّل عبادته فلم يعبده ألبتة / كفرعون وأمثاله ؟!

ص ٢١٦

وقد قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨]. [والتعطيل ليس دون الشرك بل أعظم منه. فالمستكبرون عن عبادته أعظم جرما من الذين يعبدونه ويعبدون معه غيره، وهو لا يغفر لهم، فأولئك أَوْلى[2]. وما من مؤمن إلا وفى قلبه حب الله][3]، ولو أنكر ذلك بلسانه.

وهؤلاء الذين أنكروا محبته من أهل الكلام ـ وهم مؤمنون ـ لو رجعوا إلى فطرتهم التى فُطروا عليها، واعتبروا أحوال قلوبهم عند عبادته، لوجدوا فى قلوبهم من محبته مالا يُعبَّر عن قدره. وهم من أكثر الناس نظراً فى العلم به وبصفاته وذكره، وذلك كله من محبته[4]، وإلا فما لا يُحَب لا تحرص النفوس على ذكره إلا لتعلق حاجتها به. ولهذا يقال: من أحب شيئا أكثر من ذكره.

والمؤمن يجد نفسه محتاجة إلى الله فى تحصيل مطالبه، ويجد فى قلبه محبة لله غير هذا. فهو محتاج إلى الله من جهة أنه ربّه، ومن جهة

---

(١) ح: بها.

(٢) و: أعظم.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٤) و: وذلك طريق محبته.

أنه إلـهه . قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، فلابد أن يكون العبد عابداً لله ، ولابد أن يكون مستعينا به . ولهذا كان هذا فرضـا على كل مسلم أن يقوله فى صلاته .

وهذه الكلمة بين العبد وبين الرب . وقد رُوى عن[1] الحسن البصرى رحمه الله أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع سرها فى الأربعة ، وجمع سر الأربعة فى القرآن ، وجمع سر[2] القرآن فى الفاتحة ، وجمع[3] سر الفاتحة فى هاتين الكلمتين : [﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾][4] ، ولهذا ثنَّاها الله [فى كتابه][5] فى غير موضع من القرآن ، كقوله : ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود: ١٢٣] وقوله : ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: ٨٨] ، وقوله : ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [سورة الرعد: ٣٠] ، وقوله : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٢، ٣] وأمثال ذلك .

وهم يتأوّلون محبته على محبة عبادته وطاعته .

فيقال لهم : فيمتنع فى الفطرة أن يحب الإنسان طاعة مطاع وعبادته ، إلا أن يكون محبًا لله ، وإلا فمالا يُحَبُّ فى نفسه[6] لا يُحِبُّ الإنسان لا

---

(١) عن : ساقطة من (ح)، (ب).

(٢) سر: ساقطة من (و)، (ر).

(٣) و، ح، ر، ى: وجعل.

(٤) ما بين المعقوفتين فى (ح)، (ر)، (ب) فقط.

(٥) فى كتابه : ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٦) ح، ب : فما لا يحب لنفسه.

طاعتَه ولا عبادتَه. ومن كان إنما يحب الطاعةَ والعبادةَ للعوض المخلوق، فهو لا يحب إلا ذلك العوض، ولا يُقال: إن هذا يحب الله.

ألا ترى أن الكافر والظالم ومن يبغضه المؤمن قد يستأجر المؤمن على عملٍ يعمله، فيعمل المؤمن لأجل ذلك العوض، ولا يكون المؤمن محبًّا للكافر ولا للظالم إذا عمل له بعوض، لأنه ليس مقصوده إلا العوض. فمن كان لا يريد من الله إلا العوض على عمله، فإنه لا يحبه [قط][1] إلا كما يحب الفاعل لمن يستأجره[2] ويعطيه العوض [على عمله][3]؛ فإن كل محبوب إما أن يُحَبَّ لنفسه وإما أن يُحَبَّ لغيره، فما أُحِب لغيره فالمحبوب فى نفس الأمر هو ذلك الغير، وأما هذا فإنما أُحِب لكونه وسيلة إلى المحبوب، والوسيلة قد / تكون مكروهة غاية الكراهة، لكن يتحملها[4] الإنسان لأجل المقصود، كما يتجرع المريض الدواء الكريه لأجل محبته للعافية، ولا يُقال: إنه يحب ذلك الدواء الكريه.

٣/ ٩٩

فإن كان الرب سبحانه لا يُحَبُّ إلا لما يخلقه من النعم، فإنه لا يحب. وقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]، فأخبر أن المؤمنين أشد حبا لله من المشركين، وأن المشركين يحبون الأنداد كحب الله.

---

(١) قط: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) و: استأجره.

(٣) على عمله: زيادة فى (ح)، (ب).

(٤) ن، م، و، ى: يحتملها.

ومن المعلوم أن المشركين يحبون آلهتهم محبة قوية، كما قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٩٣]. وهذا وإن كان يُقال: [إنه][(١)] لما يظنونه فيهم من أنها تنفعهم؛ فلا ريب أن الشىء يُحَبُّ لهذا ولهذا، ولكن إذا ظُنَّ فيه أنه متصف بصفات الكمال كانت محبته[(٢)] أشد، مع قطع النظر عن نفعه.

والحديث الذى يُروى: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نِعَمِه، وأحبونى بحب الله، وأحب أهل بيتى بحبى» إسناده ضعيف[(٣)]؛ فإن الله يُحِبُّ أن يُحَبَّ لذاته، وإن كانت محبته واجبة لإحسانه.

وقول القائل: المحبة للإحسان محبة العامة، وتلك محبة الخاصة - ليس بشىء. بل كل مؤمن فإنه يحب الله لذاته، ولو أنكر ذلك بلسانه. ومن لم يكن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما لم يكن مؤمنا. ومن قال: إنى لا أجد[(٤)] هذه المحبة فى قلبى لله ورسوله، فأحد الأمرين لازم: إما أن يكون صادقاً فى هذا الخبر، فلا يكون مؤمنا؛ فإن أبا جهل وأبا لهب

---

(١) إنه: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) ن، م: المحبة.

(٣) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: سنن الترمذى ٣/٣٢٩ (كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه». والحديث فى: المستدرك ٣/١٤٩ - ١٥٠ (كتاب معرفة الصحابة، باب ومن مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وقال الذهبى: «صحيح» وضعف الألبانى الحديث فى «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» ١/٩٨.

(٤) ن: لأجد، وهو خطأ؛ ر: لا ثم أجد.

وأمثالهما إذا قالوا ذلك كانوا صادقين فى هذا الخبر، وهم كفّار أخبروا عمّا فى نفوسهم من الكفر، مع أن هؤلاء فى قلوبهم محبة الله[1] لكن مع الشرك به، فإنهم اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، ولهذا أبغضوا الرسول وعادوه، لأنه دعاهم إلى عبادة الله وحده ورَفْض ما يحبونه معه، فنهاهم أن يحبوا / شيئا كحبه[2]، فأبغضوه على هذا. فقد يكون بعض هؤلاء المشركين الذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، يفضّل ذلك الند على الله فى أشياء. وهؤلاء قد يعلمون أن الله أجل وأعظم، لكن تهوى نفوسهم ذلك الند أكثر. ظ ٢١٦

والرب تعالى إذا جعل من يحبُّ الأنداد كحبه مشركين؛ فمن أحب الند أكثر كان أعظم شركا وكفرا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨] فلولا تعظيمهم لآلهتهم على الله لما سبُّوا الله إذا سُبّت آلهتهم.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦]. وقال أبو سفيان يوم أُحد: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبوه؟ فقالوا: وما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل. وقال أبو سفيان: إن لنا العُزّى ولا عُزّى لكم. قال: ألا تجيبوه؟ قالوا:

---

(١) و، ر، ى: محبة لله.

(٢) ح، ب: كحب الله.

وما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم[1].

ويوجد كثير من الناس يحلف بندٍّ جعله لله، وينذر له، ويوالى فى محبته، ويعادى من يبغضه، ويحلف به فلا يكذب، ويوفى بما نذره له[2]، وهو يكذب إذا حلف بالله، ولا يوفى بما نذره لله، ولا يوالى فى محبة الله، ولا يعادى فى الله، كما يوالى ويعادى لذلك الند.

فمن قال: إنى لا أجد فى قلبى أن الله أحب الىّ مما سواه. فأحد الأمرين لازم: إما أن يكون صادقا فيكون كافرا مخلّدا فى النار، من الذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله. وإما أن يكون غالطا فى قوله: لا أجد فى قلبى هذا.

والإنسان قد يكون فى قلبه معارف وإرادات، ولا يدرى أنها فى قلبه. فوجود الشىء فى القلب شىء، والدراية به شىء آخر. ولهذا يوجد الواحد من هؤلاء يطلب تحصيل ذلك فى قلبه، وهو حاصل فى قلبه، فتراه يتعب تعباً كثيراً لجهله. وهذا كالموسوس[3] فى الصلاة؛ فإن كل من فعل فعلا باختياره، وهو يعلم ما يفعله[4]، فلابد أن ينويه، ووجود ذلك بدون النية ـ التى هى الإرادة ـ ممتنع، فمن كان يعلم أنه يقوم إلى الصلاة فهو يريد الصلاة، ولا يُتصور أن يصلى إلا وهو يريد الصلاة[5]،

---

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٢٣/١، وانظر هذا الجزء، ص ٢١.

(٢) ن، م: بما نذر له.

(٣) ن، م: ما فعله.

(٤) و: كالوسوسة.

(٥) و: مريد للصلاة.

فطلب مثل هذا لتحصيل النية من جهله بحقيقة النية ووجودها فى نفسه.

وكذلك / من كان يعلم أن غداً من رمضان، وهو مسلم يعتقد وجوب الصوم، وهو مريد للصوم[1]، فهذا نيّة الصوم. وهو حين يتعشّى يتعشّى عشاءَ من يريد الصوم. ولهذا يُفرِّق بين عشاء ليلة العيد وعشاء ليالى شهر رمضان. فليلة العيد يعلم أنه لا يصوم، فلا يريد الصوم ولا ينويه، ولا يتعشى عشاء من يريد الصوم.

٣/ ١٠٠

وهذا مثل الذى يأكل ويشرب ويمشى ويركب ويلبس، إذا كان يعلم أنه يفعل هذه الأفعال، فلابد أن يريدها، وهذه نيتها. فلو قال بلسانه: أريد أن أضع يدى فى هذا الإناء لآخذ لقمة آكلها، كان أحمق عند الناس. فهكذا من يتكلم بمثل هذه الألفاظ فى نيّة الصلاة والطهارة والصيام[2]. ومع هذا فتجد خلقا كثيرا من الموسوسين بعلم وعبادة، يجتهد فى تحصيل هذه النية، أعظم مما يجتهد من يستخرج ما فى قعر معدته من القىء، أو من يبتلع الأدوية الكريهة.

وكذلك كثير من المعارف، قد يكون فى نفس الإنسان ضروريا وفطريا، وهو يطلب الدليل عليه، لإعراضه عمّا فى نفسه، وعدم شعوره بشعوره.

فهكذا كثير من المؤمنين يكون فى قلبه محبة لله ورسوله، وقد نظر فى كلام الجهمية والمعتزلة نفاة المحبة، واعتقد ذلك قولا صحيحا، لما ظنه من صحة شبهاتهم، أو تقليداً لهم ـ فصار يقول بموجب ذلك الاعتقاد،

---

(١) ن، م، و: يريد الصوم.

(٢) ن: والصوم.

وينكر ما فى نفسه.

فإن نافى محبة الله يقول: المحبة لا تكون إلا لما يناسب المحبوب، ولا مناسبة بين القديم والمحدَث، وبين الواجب والممكن، وبين الخالق والمخلوق.

فيقال: لفظ المناسبة لفظ مجمل؛ فإنه يُقال: لا مناسبة بين كذا وكذا، أى أحدهما أعظم من الآخر، فلا يُنسب هذا إلى هذا. كما يُقال: لا نسبة لمال فلان إلى مال فلان، ولا نسبة لعلمه أو جوده أو ملكه [إلى علم فلان وجود فلان وملك فلان،][1] يُراد به أن هذه النسبة حقيرة صغيرة كَلَا نسبة. كما يُقال: لا نسبة للخردلة إلى الجبل، ولا نسبة للتراب إلى رب الأرباب.

فإذا أُريد بأنه لا نسبة للمحدَث إلى القديم هذا المعنى ونحوه، فهو صحيح. وليست المحبة مستلزمة لهذه / النسبة. وإن أُريد أنه ليس فى القديم معنى يحبه لأجله المحدَث، فهذا رأس المسألة. فلم قلت: إنه ليس بين المحدَث والقديم ما يحب المحدثُ القديمَ لأجله؟ ولم قلت: إن القديم ليس متصفا بمحبة ما يحبه من مخلوقاته؟

ص ٢١٧

والمحبة لا تستلزم نقصاً، بل هى صفة كمال، بل هى أصل الإرادة. فكل إرادة فلابد أن تستلزم محبة؛ فإن الشىء إنما يُراد لأنه محبوب، أو لأنه وسيلة إلى المحبوب. ولو قُدِّر عدم المحبة لامتنعت الإرادة؛ فإن المحبة لازمة للإرادة، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم. وكذلك المحبة

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

مستلزمة للإرادة؛ فمن أحب شيئاً فلابد أن يتضمن حبه إياه إرادة لبعض متعلقاته.

ولهذا كان خلقه تعالى لمخلوقاته لحكمة[1]، والحكمة مرادة محبوبة. فهو خَلَقَ ما خَلَقَ لمراد محبوب كما تقدم. وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين، فيريد الإحسان إليهم. وهم يحبونه فيريدون عبادته[2] [وطاعته].

و[قد ثبت] فى الصحيحين[3] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[4]. وما من مؤمن إلا وهو يجد فى قلبه للرسول من المحبة مالا يجد[5] لغيره، حتى أنه إذا سمع محبوباً له - من أقاربه وأصدقائه[6] - يسب الرسول، هان عليه عداوته ومهاجرته، بل وقتله، لحب الرسول. وإن لم يفعل ذلك لم يكن مؤمنا.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِم الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] [بل قد]

---

(١) ح، ر، ى، ب: بحكمة؛ و: بحكمته.

(٢) ن، م: ويريدون عبادته (وسقطت: وطاعته).

(٣) ن، م: وفى الصحيحين.

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢/٤٤٧.

(٥) ما لا يجد: كذا فى (ر)، (ب). وفى سائر النسخ: ما لا يوجد.

(٦) ب (فقط): أو أصدقائه.

قال تعالى[1]: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة التوبة: ٢٤] فتوعد من كان الأهل والمال أحب إليه من الله ورسوله والجهاد فى سبيله.

وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن[2] حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء / لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى فى النار»[3].

٣/ ١٠١

فوجود حلاوة الإيمان فى القلب لا تكون من محبة العوض الذى لم يحصل بعد، بل الفاعل الذى لا يعمل إلا للكراء لا يجد حال العمل إلا التعب والمشقة وما يؤلمه، فلو كان لا معنى لمحبة الله ورسوله إلا محبة

---

(١) ن، م: وقال تعالى.

(٢) بهن: ساقطة من (و)، (ب).

(٣) جاء الحديث بلفظ مقارب عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى: البخارى ١/ ٨ (كتاب الإيمـان، باب حلاوة الإيمـان)، ١/ ٩ (كتاب الإيمـان، باب من كره أن يعـود فى الكفر. . . .)، ٩/ ٢٠ (كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب. . .)؛ مسلم ١/ ٦٦ (كتاب الإيمان، باب بيان خصال. . .)؛ سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٣٨ - ١٣٣٩ (كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء). وجاء الحديث عن أنس أيضا ولكن بلفظ: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف فى النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما» وذلك فى: البخارى ٨/ ١٤ (كتاب الأدب، باب الحب فى الله).

ما سيصير إليه العبد من الأجر، لم يكن هنا حلاوة إيمان يجدها العبد فى قلبه وهو فى دار التكليف والامتحان. وهذا خلاف الشرع وخلاف الفطرة التى فطر الله عليها قلوب عباده.

فقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة»[1]. وفى صحيح مسلم عنه أنه قال: «يقول الله تعالى: خلقت عبادى حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً»[2].

فالله فطر عباده على الحنيفية ملة ابراهيم، وأصلها محبة الله وحده؛ فما من فطرة لم تفسد إلا وهى تجد فيها محبة الله تعالى. لكن قد تفسد الفطرة إما لِكبْرٍ وغرض فاسد[3]، كما فى فرعون. وإما بأن يُشركَ معه غيره فى المحبة.

كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

وأما أهل التوحيد الذين يعبدون الله مخلصين له الدين، فإن فى

---

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢/٣٠٧-٣٠٨.

(٢) الحديث عن عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه فى: مسلم ٤/٢١٩٧-٢١٩٨ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التى يُعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار) وأوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته: «ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم... وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم... الحديث. وهو - مع اختلاف فى اللفظ - فى: المسند (ط. الحلبى) ٤/١٦٢.

(٣) و: وعرض آخر.

قلوبهم محبة الله، لا يماثله فيها غيره. ولهذا كان الرب محمودا حمدا مطلقا على كل ما فعله، وحمدا خاصا على إحسانه إلى الحامد. فهذا حمد الشكر، والأول حمده[1] على كل ما فعله.

كما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [سورة الأنعام: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [سورة فاطر: ١].

والحمد ضد الذم. والحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته، والذم خبر بمساوىء المذموم مقرون ببغضه، فلا يكون حمدٌ لمحمود إلا مع محبته، ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بغضه، وهو سبحانه له الحمد فى الأولى والآخرة.

وأول ما نطق به آدم: [الحمد لله رب العالمين][2]، وأول ما سمع من ربه: يرحمك ربك، وآخر دعوى أهل الجنة: أن الحمد لله رب العالمين. وأول من يُدعى إلى الجنة الحمَّادون. ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد، آدم فمن دونه تحت لوائه، وهو صاحب المقام المحمود، الذى يغبطه به الأولون والآخرون.

فلا تكون عبادة إلا بحب المعبود[3]، [ولا يكون حمد إلا بحب المحمود][4]. وهو سبحانه المعبود المحمود.

---

(١) ح: حمد.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٣) ن، م، ر، ح: يحب للمعبود.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن). وفى (م)، (ى): إلا بحب للمحمود.

وأول نصف الفاتحة الذى للرب حمده، وآخره عبادته. أوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وآخره: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. كما ثبت فى حديث / القسمة: «يقول الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين؛ فنصفها لى، ونصفها لعبدى، ولعبدى ما سأل. يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيقول الله: حمدنى عبدى. يقول العبد: ﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فيقول الله تعالى: أثنى علىّ عبدى. يقول العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فيقول الله تبارك وتعالى: مجّدنى عبدى. يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيقول الله تعالى: هذه الآية بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل. يقول العبد: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة. يقول الله تعالى: هؤلاء[1] لعبدى ولعبدى ما سأل» رواه مسلم [فى صحيحه][2]. وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير»[3] فجمع بين التوحيد

ظ ٢١٧

---

(١) ب (فقط): هذا.

(٢) فى صحيحه: ساقطة من (ن)، (م)، والحديث ـ مع اختلاف فى اللفظ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: مسلم ١/٢٩٦ ـ ٢٩٧ (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة)؛ سنن الترمذى ٤/٢٦٩ ـ ٢٧٠ (كتاب التفسير، سورة الفاتحة).

(٣) ذكر السيوطى الحديث فى «الجامع الكبير» ١/١٢٨ فقال: «أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلى عشية عرفة: لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير. إسماعيل بن عبدالغافر الفارسى فى الأربعين عن علىّ». وذكر العجلونى الحديث فى «كشف الخفاء» ١/١٥٣ فقال. «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له. رواه مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا، وأخرجه الترمذى وحسنه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ: خير

والتحميد. كما قال تعالى: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة غافر: ٦٥].

وكان ابن عباس يقول: إذا قلتَ: لا إله إلا الله، فقل: الحمد لله رب العالمين؛ يتأول هذه الآية[١].

وفي سنن ابن ماجه وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أفضل الذكر لا إلٰه إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[٢].

= الدعاء دعاء يوم عرفة، وزاد: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. ورواه البيهقى عن أبى هريرة بلفظ: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قولى وقول الأنبياء قبلى لا إلٰه إلا الله ـ الحديث، وزاد بعد: وله الحمد يحيى ويميت وبيده الخير». ووجدت أن مالكا قد أورد الحديث مرسلا باللفظ الذى ذكره العجلونى فى موضعين: ١/٢١٤ ـ ٢١٥ (كتاب القرآن، باب ما جاء فى الدعاء)، ٢/٤٢٢ ـ ٤٢٣ (كتاب الحج، باب جامع الحج). وفى التعليق: «قال ابن عبدالبر: لا خلاف عن مالك فى إرساله. ولا أحفظ بهذا الإسناد مسندا من وجه يحتج به، وأحاديث الفضائل لا تحتاج إلى محتج به، وقد جاء مسندا من حديث علىّ وابن عمرو». أما الترمذى فقد أورده باللفظ الذى ذكره العجلونى فى سننه ٥/٢٣١ (كتاب الدعوات، باب فى فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله) وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وحمّاد بن أبى حُميد هو محمد بن أبى حميد، وهو إبراهيم الأنصارى المدينى، وليس هو بالقوى عند أهل الحديث». وأشار الشيخ أحمد شاكر فى تعليقاته فى المسند (ط. المعارف) ١١/١٨٠ إلى الحديث وقال إن الحديث ذكره المنذرى فى «الترغيب» من رواية الترمذى ونقل عنه تحسينه. وأما رواية البيهقى للحديث عن أبى هريرة فقد ذكرها السيوطى، وضعفها الألبانى فى «ضعيف الجامع الصغير» ١/٣١٥.

(١) ذكر هذا الأثر مسندا الطبرى فى تفسيره (ط. بولاق) ٢٤/٥٣ ونص كلامه فيه. . عن ابن عباس قال: من قال: لا إلٰه إلا الله، فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله: (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين). ونقل ابن كثير كلامه فى تفسيره (ط. الشعب) ٧/١٤٥.

(٢) الحديث عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ٥/١٣٠ (كتاب الدعوات،

وفى السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم»[1].

وقال أيضا: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء»[2].

= باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم. وقد روى علىّ بن المدينى وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث». والحديث فى: سنن ابن ماجة ٢/١٢٤٩ (كتاب الأدب، باب فضل الحامدين). وذكر السيوطى الحديث فى «صحيح الجامع الصغير» ١/٣٦٢ وحسّنه الألبانى.

(١) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٤/٣٦٠ (كتاب الأدب، باب الهدى فى الكلام) بلفظ: «كل كلام لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» وقال أبو داود: «رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبدالعزيز عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا». وروى ابن ماجة الحديث عن أبى هريرة مرفوعا فى سننه ١/٦١٠ (كتاب النكاح، باب خطبة النكاح) ولفظه: «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع» وجاء فى التعليق: «قال السندى: الحديث قد حسّنه ابن الصلاح والنووى، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك». وضعف الألبانى هاتين الروايتين ورواية ثالثة بألفاظ مقاربة فى «ضعيف الجامع الصغير» ٤/١٤٧ ـ ١٤٨، وتكلم على الحديث كلاما مفصلا فى «الإرواء» = إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل ١/٢٩ ـ ٣٢، ط. المكتب الإسلامى، بيروت، ١٣٩٩/١٩٧٩. والحديث صحح السيوطى بعض رواياته وحسن النووى بعضها، وانظر ما ذكرته عن الحديث فى «جامع الرسائل» ١/١٠٨، ٢/٦٧ وانظر «كشف الخفاء» لابن العجلونى ٢/١١٩؛ المقاصد الحسنة للسخاوى، ص ٣٢٢.

(٢) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٤/٣٦١ (كتاب الأدب، باب فى الخطبة)؛ سنن الترمذى ٢/٣٨٦ (كتاب النكاح، باب ما جاء فى خطبة النكاح) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب»؛ المسند (ط. المعارف) ١٥/١٧٠، ١٦/٢١٦ (وصحح الشيخ أحمد شاكر الحديثين وأشار إلى تصحيح السيوطى له). وصحح الألبانى الحديث فى «صحيح الجامع الصغير» ٤/١٧٢، ورسالة «الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة» ص ٥٦، ط. المكتب الإسلامى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٠.

فلابد فى الخطب[1] من الحمد لله ومن توحيده. ولهذا كانت الخطب فى الجمع والأعياد وغير ذلك مشتملة على هذين الأصلين. وكذلك التشهد فى آخر الصلاة أوله ثناء على الله وآخره الشهادتان، ولا يكون الثناء إلا على محبوب، ولا التألُّه إلا / لمحبوب. وقد بسطنا[2] الكلام فى حقائق هذه الكلمات فى مواضع متعددة.

٣/ ١٠٢

وإذا كان العباد يحمدونه ويثنون عليه ويحبونه، فهو[3] سبحانه أحق بحمد نفسه والثناء على نفسه والمحبة لنفسه، كما قال أفضل الخلق: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[4]. فلا ثناء من مثنٍ أعظم من ثناء الرب على نفسه. ولا ثناء إلا بحبٍ، ولا حب من محبوب لمحبوب أعظم من محبة الرب لنفسه. وكل ما يحبه من عباده فهو تابع لحبه لنفسه، فهو يحب المقسطين والمحسنين والصابرين والمؤمنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة التائبين: كل ذلك تبعا لمحبته لنفسه[5]؛ فإن المؤمن إذا كان يحب ما يحبه من المخلوقات لله، فيكون حبه للرسول والصالحين تبعا لحبه لله، فكيف الرب تعالى فيما يحبه من مخلوقاته ؟!

إنما يحبه تبعا لحبه لنفسه[6]. وخَلَق المخلوقات لحكمته التى يحبها،

---

(١) ح، ب: الخطبة.

(٢) ن، م: وقد بُسط.

(٣) ح، ب: وهو.

(٤) سبق هذا الحديث والتعليق عليه فيما مضى ٢/ ١٥٩.

(٥) ح، ب: تابع لمحبة نفسه.

(٦) م: لمحبة نفسه.

فما خلق شيئا إلا لحكمة. وهو سبحانه قد قال: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [سورة السجدة: ٧]، وقال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل: ٨٨].

وليس فى أسمائه الحسنى إلا اسم يُمدح به، ولهذا كانت كلها حسنى. والحسنى خلاف السوأى، فكلها حسنة، والحسن محبوب ممدوح.

فالمقصود بالخلق ما يحبه ويرضاه، وذلك أمر ممدوح، ولكن قد يكون من لوازم ذلك ما يريده، لأنه من لوازم ما يحبه ووسائله؛ فإن وجود الملزوم بدون اللازم ممتنع، كما يمتنع وجود العلم والإرادة بلا حياة، ويمتنع وجود المولود ـ [مع كونه مولوداً][1] ـ بلا ولادة.

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح، حديث الاستفتاح: «والخير كله[2] بيديك، والشر ليس إليك»[3]. وقد قيل فى تفسيره: لا يتقرب به إليك بناء على أنه الأعمال المنهى عنها. وقد قيل:

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٢) كله: فى (ن)، (م) فقط.

(٣) الحديث عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى: مسلم ١/٥٣٤ ـ ٥٣٦ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه) ونصه.. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض.. الحديث وفيه: «لبيك وسعديك، والخير كله فى يديك، والشر ليس إليك». وروى أحمد الحديث فى مسنده (ط. المعارف) ٢/١٣٤ ـ ١٣٥ (الأرقام ٨٠٣ ـ ٨٠٥). وانظر: مشكاة المصابيح للتبريزى (ط. دمشق) ١/٢٥٥ ـ ٢٥٧؛ الأذكار للنووى، ص ٤٣.

لا يُضاف إليك بناء على أنه المخلوق.

والشر المخلوق لا يُضاف إلى الله مجرداً عن الخير [قط][1]، وإنما يُذكر على أحد وجوه ثلاثة: إما مع إضافته إلى المخلوق، كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [سورة الفلق: ٢]. وإما مع حذف الفاعل، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾ [سورة الجن: ١٠].

ومنه في الفاتحة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٧]، فذكر الإنعام مضافا إليه، وذكر الغضب محذوفا فاعله، وذكر الضلال مضافا إلى العبد.

وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء: ٨٠].

وإما أن يدخل في العموم كقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢]. ولهذا إذا ذُكر باسمه الخاص قُرن بالخير، كقوله في أسمائه الحسنى: الضار، النافع، المعطى، المانع، [الخافض، الرافع، المعز، المذل. فجمع[2] بين الاسمين لما فيه من العموم[3] والشمول الدال على وحدانيته، وأنه وحده يفعل جميع هذه الأشياء. ولهذا لا يُدعى بأحد الاسمين: كالضار والنافع، والخافض والرافع، بل يذكران جميعا][4]. ولهذا كان كل نعمة منه فضلا، وكل نقمة منه عدلا.

---

(١) قط: زيادة في (ن).

(٢) و، م: فيجمع.

(٣) لما فيه من العموم: كذا في (ب) فقط. وفي سائر النسخ: لما في العموم.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما فى يمينه؟ والقسط بيده الأخرى يخفض ويرفع»[1] فالإحسان بيده اليمنى، والعدل بيده الأخرى. وكلتا يديه يمين مباركة.

كما [ثبت] فى الصحيح[2] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى أهليهم وماولوا»[3] ولبسط هذا موضع / آخر. ص ٢١٨

والمقصود هنا أنه سبحانه إذا خلق ما يبغضه ويكرهه، لحكمة يحبها ويرضاها، فهو مريد لكل ما خلقه، وإن كان بعض مخلوقاته إنما خلقه لغيره، وهو يبغضه ولا يحبه.

وهذا الفرق بين المحبة والمشيئة هو مذهب السلف وأهل الحديث والفقهاء، وأكثر متكلمى أهل السنة، كالحنفية، والكرَّامية[4]،

---

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ١/١٣٩.

(٢) ن، م: كما فى الصحيح.

(٣) الحديث - مع اختلاف فى اللفظ - عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه فى: مسلم ٣/١٤٥٨ (كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل...)؛ سنن النسائى ٨/١٩٥ - ١٩٦ (كتاب آداب القضاة، باب فضل الحاكم العادل فى حكمه). وأول الحديث فيهما: «إن المقسطين عند الله على منابر... الخ. والحديث أيضا فى: المسند (ط. المعارف) ٩/٢٤٩ - ٢٥٠، ٢٥٤.

(٤) م: والمالكية.

والمتقدمين من الحنبلية والمالكية والشافعية، كما ذكر ذلك [أبو بكر][(1)] عبدالعزيز فى كتاب «المقنع»، وهو أحد قولَىْ الأشعرى، وعليه اعتمد أبـو الفـرج بن الجوزى، ورجّحه على قول من قال: لا يحب الفساد للمؤمن، أو لا يحبه ديناً.

وذكر أبو المعالى أن هذا قول السلف، وأن أول من جعلهما[(2)] سواء من أهل الإثبات هو أبو الحسن.

والـذين قالـوا هذا من متأخرى المالكية والشافعية والحنبلية، كأبى المعالى / والقاضى أبى يعلى وغيرهما، هم فى ذلك تبع للأشعرى. ٣/ ١٠٣

وبهذا الفرق يظهر أن الإرادة نوعان: إرادة أن يخلق، وإرادة لما أَمر به. [فأما المأمور به][(3)] فهو مراد إرادة شرعية دينية، [متضمنة][(4)] أنه يحب ما أمر به ويرضاه.

وهـذا معنى قولنـا: يريد[(5)] من عبده، فهو يريده له كما يريد الأمر الناصح للمأمور المنصوح. يقول: هذا خير لك وأنفع [لك][(6)]، وهو إذا فعله أحبه الله ورضيه، والمخلوقات مرادة إرادة خلقية كونية. وهذه الإرادة متضمنة لما وقع دون ما لم يقع، وقد يكون الشىء مراداً له غير محبوب، بل أراده لإفضائه إلى وجود ما هو محبوب له، أو لكونه شرطا فى وجود ما هو محبوب له.

---

(1) أبو بكر: ساقطة من (ن).

(2) ن، م: وأول من جعل.

(3) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(4) متضمنة: ساقطة من (ن).

(5) ن، ر، و، ى: يريده.

(6) لك: ساقطة من (ن)، (م).

فهذه الإرادة الخلقية هى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥].

وفى قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [سورة هود: ٣٤].

وفى قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وفى قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [سورة السجدة: ١٣]، وأمثال ذلك.

والإرادة الأمرية هى المذكورة فى قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

وفى قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ [سورة النساء: ٢٧، ٢٨]. وفى قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٦]، وأمثال ذلك.

وإذا قيل: الأمر هل يستلزم الإرادة، أم يأمر بما لا يريد؟

قيل: هو لا يستلزم الإرادة الأولى، وهى[1] إرادة الخلق. فليس كل ما أمر الله به أراد أن يخلقه، وأن يجعل العبد المأمور فاعلا له.

والقدرية تنفى أن يريد ذلك، لأنه عندهم لا يجعل أحداً فاعلا، ولا

---

(١) وهى: كذا فى (م)، (ب). وفى سائر النسخ: وهو.

يخلق فعل أحد.

وأما أهل السنة فعندهم هو الذى جعل الأبرار أبراراً، والمسلمين مسلمين. وعندهم من أَمَرَه وجَعَلَه فاعلا للمأمور صار فاعلا له، وإن لم يجعله فاعلا [له][1] لم يصر فاعلا له[2]. فأهل الإيمان والطاعة أراد منهم إيمانهم وطاعتهم أمراً وخلقا، فأمرهم بذلك وأعانهم عليه، وجعلهم فاعلين لذلك[3]، ولولا إعانته لهم على طاعته لما أطاعوه. وأهل الكفر والمعصية أمرهم ولم يجعلهم مطيعين، فلم يرد أن يخلق طاعتهم، لكنه أمرهم بها، وأرادها منهم: إرادة شرعية دينية، لكونها منفعة لهم ومصلحة إذا فعلوها، ولم يرد هو أن يخلقها لما فى ذلك من الحكمة. وإذا كان يحبها بتقدير وجودها، فقد يكون ذلك مستلزما لأمر يكرهه، أو لفوات ما هو أحب إليه منه، ودفعه أحب إليه من حصول ذلك المحبوب، فيكون ترك هذا المحبوب لدفع المكروه، أحب إليه من وجوده. كما أن وجود المكروه المستلزم لوجود المحبوب، يجعله مرادا لأجله، إذا كان محبته له أعظم من محبته لعدم المكروه الذى هو الوسيلة[4].

وليس كل من نصحتَه بقولك عليك أن تعينه على الفعل الذى أمرته به. فالأنبياء والصالحون دائما ينصحون الناس ويأمرونهم، ويدلونهم على ما إذا فعلوه كان صلاحا لهم، ولا يعاونونهم على أفعالهم. وقد يكونون قادرين، لكن مقتضى حكمتهم أن لا يفعلوا ذلك لأسباب متعددة.

---

(١) له: ساقطة من (ن)، (م).
(٢) له: ساقطة من (ب).
(٣) ن، م: له.
(٤) و: وسيلة.

والـرب تعـالى على كل شىء قدير، لكن ما من شىء إلا وله ضد ينافيه، وله لازم لابد منه، فيمتنع وجود الضدين معا، أو وجود الملزوم بدون اللازم. كل من الضدين مقدور لله، والله قادر على أن يخلقه، لكن بشرط عدم الآخر. فأما وجود الضدين معا فممتنع[1] لذاته، فلا يلزم من كونه قادرا على كل منهما وجود أحدهما مع الآخر.

والعبـاد قد لا يعلمـون التنـافى أو التـلازم؛ فلا يكـونـون عالمين بالامتنـاع، فيظنـونه ممكن الوجود، مع حصول المحبوب المطلوب[2] للرب. وفرق بين العلم بالإمكان [وعدم العلم بالامتناع، وإنما عندهم عدم العلم بالامتناع، لا العلم بالإمكان][3]. والعدم لا فاعل له، فأتوا من عدم / علمهم، وهو الجهل الذى هو أصل الكفر[4]. ظ ٢١٨

وهو سبحانه إذا اقتضت حكمته خلق شىء، فلابد من خلق لوازمه ونفى أضداده. فإذا قال القائل: لِم لَمْ يجعل[5] معه الضد المنافى؟ أو لم وُجد اللازم؟ كان لعدم علمه بالحقائق.

وهذا مثل أن يقول القائل: هلاَّ / خلق زيدا قبل أبيه؟. ٣/ ١٠٤

فيقال له: يمتنع أن يكون ابنه ويُخلق قبله، أو يُخلق حتى يخلق أبوه.

والناس تظهر لهم الحكمة فى كثير من تفاصيل الأمور التى يتدبرونها، كما تظهر لهم الحكمة فى ملوحة ماء العين، وعذوبة ماء الفم، ومرارة

---

(١) م، ب: فيمتنع. (٢) ن، م: المطلق.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن). وفى (ب)، (ح): وإنما عندهم عدم العلم بامتناع العلم بالإمكان، وهو تحريف.

(٤) ر: أصل للكفر. (٥) ح، ر، ى: تجعل.

ماء الأذن، وملوحة ماء البحر. وذلك يدلهم على الحكمة فيما لم يعلمـوا حكمته؛ فإن من رأى إنسانا بارعاً فى النحو أو الطب أو الحساب أو الفقه، وعلم أنه أعلم منه بذلك، إذا أُشكل عليه بعض كلامه فلم يفهمه، سلَّم ذلك إليه.

فرب العالمين الذى بهرت العقول حكمته ورحمته، الذى أحاط بكل شىء علما، وأحصى كل شىء عددا، وهو أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، كيف لا يجب على العبد أن يسلِّم ما جهله[1] من حكمته إلى ما علمه منها ؟!

وهذه الأمور مبسوطة فى غير هذا الموضع. والمقصود هنا التنبيه على المختلفين فى الكتاب، الذين يُردّ كل منهم قول الآخر، وفى كلام كل منهم حق وباطل. وقد ذكرنا مثالين: مثالا فى الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، ومثالا فى الشرع والقدر.

الكلام على أن القرآن كلام الله غير مخلوق

ونذكر مثالا ثالثا فى القرآن؛ فإن الأئمة والسلف اتفقوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، بل هو الذى تكلم به بقدرته ومشيئته، لم يقل أحد منهم: إنه مخلوق، ولا إنه قديم.

وصار المختلفون بعدهم على قولين: قوم[2] يقولون: هو مخلوق خلقه [الله] فى غيره[3]، والله لا يقوم به كلام. ويقولون: الكلام صفة فعل لا صفة ذات. ومرادهم بالفعل ما كان منفصلا عن الفاعل غير قائم به، وهذا لا يعقل أصلا، ولا يُعرف متكلم لا يقوم به كلامه.

---

(١) ن، م: ما جهل.

(٢) ب: فقوم.

(٣) ن، م، و: خلقه فى غيره.

وقوم يقولون بل هو قديم لم يزل قائما بالذات أزلا وأبدا، لا يتكلم لا بقدرته ولا مشيئته. ولم يزل نداؤه لموسى أزليا وكذلك قوله: يا إبراهيم، ياموسى، ياعيسى

ثم صار هؤلاء حزبين. حزبا عرفوا أن ما كان قديما لم يزل يمتنع أن يكون حروفا، أو حروفا وأصواتا فإن الحروف متعاقبة: الباء قبل السين، والصوت لا يبقى، بل يكون شيئا بعد شيء، كالحركة. فيمتنع أن يكون الصوت الذى سمعه موسى قديما لم يزل ولا يزال. فقالوا: كلامه معنًى واحد قائم بذاته هو الأمر بكل مأمور، والنهى عن كل منهى عنه، والخبر بكل ما أخبر به. إن عُبِّر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية[1] كان توراة، وإن عُبِّر عنه بالسريانية[2] كان إنجيلا، وأن ذلك المعنى هو أمر بكل ما أَمَر به، وهو نهى عن كل ما نهى عنه، وهو خبر بكل ما أخبر به. وكونه أمرا ونهيا وخبرا صفات له إضافية، مثل قولنا: زيد أب وعم وخال، ليست أنواعا له. ولا ينقسم الكلام إلى هذا وهذا.

قالوا: والله لم يتكلم بالقرآن العربىّ، ولا بالتوراة العبرانية[3]، ولا بالإنجيل السريانية، ولا سمع موسى ولا غيره منه بأذنه صوتا. ولكن القرآن العربىّ خلقه الله فى غيره، أو أحدثه جبريل أو محمد، ليعبِّر به عما يراد إفهامه من ذلك المعنى[4] الواحد.

---

(١) ن، و، ى. بالعبرية.

(٢) م بالإسرائيلية؛ و. بالعربية. وكلاهما تحريف

(٣) ن، و، ى. بالعبرية

(٤) المعنى ساقطة من (ح)، (ن)، (ى)

فقال لهم جمهور الناس: هذا القول مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول؛ فإنّا نعلم بالاضطرار أن معنى آية الكرسى ليس هو معنى آية الدين، ولا معنى: قل هو الله أحد هو معنى: تبت يدا أبى لهب. وقد عرَّب الناس التوراة فوجدوا فيها معانى ليست هى المعانى التى فى القرآن. ونحن نعلم قطعا أن المعانى التى أخبر الله بها فى القرآن فى قصة بدر وأُحد والخندق ونحو ذلك، لم ينزّلها الله على موسى ابن عمران، كما لم ينزل على محمد تحريم السبت، ولا الأمر بقتال عبّاد العجل، فكيف يكون كل كلام الله معنى واحدا[1]؟!

ونحن نعلم بالاضطرار أن الكلام معانيه وحروفه تنقسم إلى خبر وإنشاء. والإنشاء منه الطلب، والطلب ينقسم إلى أمر ونهى. وحقيقة الطلب غير حقيقة الخبر. فكيف لا تكون هذه أقسام الكلام وأنواعه، بل هو موصوف بها كلها؟!

(*وأيضا فالله تعالى يخبر أنه [لما][2] أتى موسى الشجرة ناداه، فناداه فى ذلك الوقت، لم يناده فى الأزل. وكذلك قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ*) اسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [سورة الأعراف: ١١].

وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩].

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [سورة البقرة: ٣٠] إلى مواضع كثيرة من

---

(١) ن: بمعنى واحد.

(*-*): ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) لما: ساقطة من (ن).

٣/ ١٠٥ القـرآن تبين أنه / تكلم بالكلام المذكور فى ذلك الوقت، فكيف يكون أزليا أبديا، مازال ولا يزال؟ وكيف يكون لم يزل ولا يزال قائلا: ﴿يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ [سورة هود: ٤٨]، ﴿يَاعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [سورة آل عمران: ٥٥]، ياموسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾[سورة طه: ١٤]، ﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة المزمل، آية ١، ٢]. ص ٢١٩

وقال هؤلاء: هذا القرآن العربى ليس هو كلام الله. وقال هؤلاء: كلام الله لا يتعدد ولا يتبعض.

فقال لهم الناس: موسى لما كلَّمه الله أفهمه كلامه كله أو بعضه؟ إن قلتم: كله؛ فقد صار موسى يعلم علم الله. وإن قلتم: بعضه؛ فقد تبعَّض، وهو عندكم واحد لا يتبعض.

وكـذلك هذا القرآن العربى هو عندكم ليس كلام الله، ولكنه عبارة عنه. أفهو عبارة عن كله؟ فهذا ممتنع. أم عن بعضه؟ فهذا ممتنع أيضا، إلى كلام آخر يطول ذكره هنا.

وقال الحزب الثانى لما رأوا فساد هذا القول: بل نقول: إن القرآن قديم، وإنه حروف، أو حروف وأصوات، وإن هذا القرآن العربى كلام الله، كما دل على ذلك القرآن والسنة وإجماع المسلمين.

وفى القرآن مواضع كثيرة تبين أن هذا المنزَّل هو القرآن، وهو كلام الله، وأنه عربى.

وأخذوا يشنِّعون على أولئك إنكارهم[١] أن يكون هذا كلام الله؛ فإن

---

(١) ن، م، ب: بإنكارهم.

أولئـك أثبتوا قرآنين: قرآنا قديما، وقرآنا مخلوقا. فأخذ هؤلاء يشنّعون على أولئك بإثبات قرآنين.

فقال لهم أولئك: فأنتم إذا جعلتم القرآن العربى ـ وهو قديم ـ كلام الله، لزم أن يكـون مخلوقا، وكنتم موافقين للمعتزلة؛ فإن قولكم: إن القرآن العربى قديم، ممتنع فى صرائح العقول. ولم يقل ذلك أحد من السلف. ونحن وجميع الطوائف ننكر عليكم هذا القول، ونقول: إنكم ابتـدعتمـوه وخـالفتم به المعقـول والمنقول. وإلا فكيف تكون السين المعيَّنة المسبوقة بالباء المعيّنة قديمة أزلية[1]، وتكون الحروف المتعاقبة قديمة، والصوت[2] الذى كان فى هذا الوقت قديما ؟

ولم يقـل هذا أحـد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وإن كان بعض المتـأخـرين من أصحاب مالك والشافعى وأحمد يقولونه، ويقوله ابن سالم وأصحابه[3]، وطائفة من أهل الكلام والحديث؛ فليس فى هؤلاء أحد من السلف. وإن كان الشهرستانى ذكر فى «نهاية الإقدام» أن هذا قول السلف والحنـابلة، فليس هو قول السلف، ولا قول أحمـد بن حنبل، ولا أصحابه القدماء، ولا جمهورهم.

فصار كثير من هؤلاء الموافقين للسالمية، وأولئك الموافقين للكُلَّابية، بينهم منازعات ومخاصمات، بل وفتن. وأصل ذلك قولهم جميعا: إن

---

(١) ن: قديمة وأزلية.

(٢) و، ر، ى: أو الصوت.

(٣) سبق الكلام عن السالمية ١٥٦/١.

القرآن قديم. وهى أيضا بدعة لم يقلها أحد من السلف. وإنما السلف كانوا يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود[1]. وكان قولهم أولا: إنه كلام الله، كافيا[2] عندهم. فإن ما كان كلاماً لمتكلم لا يجوز أن يكون منفصلا عنه؛ فإن هذا مخالف للمعقول والمنقول فى الكلام. وفى جميع الصفات يمتنع أن يوصف الموصوف بصفة لا تكون قط قائمة به، بل لا تكون إلا بائنه عنه.

وما يزعمه الجهمية والمعتزلة من أن كلامه وإرادته، ومحبته وكراهته، ورضاه وغضبه، وغير ذلك ـ كل ذلك مخلوقات له منفصلة عنه؛ هو مما أنكره السلف عليهم وجمهور الخلف. بل قالوا: إن هذا من الكفر الذى يتضمن تكذيب الرسول[3]، وجحود ما يستحقه الله من صفاته.

وكلام السلف فى رد هذا القول، بل[4] وإطلاق الكفر عليه، كثير منتشر. وكذلك لم يقل السلف: [إن][5] غضبه على فرعون وقومه قديم، ولا أن فرحه بتوبة التائب قديم.

وكذلك سائر ما وصف به نفسه من الجزاء لعباده على الطاعة والمعصية، من رضاه وغضبه، لم يقل أحد منهم: إنه قديم؛ فإن الجزاء لا يكون قبل العمل.

---

(١) فى هامش (ر)، (ى) كتب ما يلى: «قال الإمام أحمد: بدأ منه تنزيلا، ويعود إليه حكماً».

(٢) كافيا: كذا فى (ب) فقط، وهو الصواب. وفى سائر النسخ: كاف.

(٣) و: الرسل.

(٤) بل: ساقطة من (ح)، (ر)، (ب).

(٥) إن: زيادة فى (ب) فقط.

والقرآن صريح بأن أعمالهم كانت سببا لذلك كقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة الزخرف: ٥٥] وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٨]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]، وأمثال ذلك.

بل قد ثبت فى الصحيحين[١] من حديث الشفاعة أن كلًّا من الرسل يقول: «إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»[٢].

وفى الصحيحين عن زيد بن خالد قال صلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فى إثر سماء كانت من / الليل، فلما انفتل من صلاته قال[٣]: «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه قال: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى. فمن قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته، فهو مؤمن بى كافر بالكوكب. ومن قال: مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا، فهو كافر بى مؤمن بالكوكب»[٤].

٣/ ١٠٦

---

(١) ن، م: بل وفى الصحيحين.

(٢) سبق الكلام على حديث الشفاعة فيما مضى ٢/ ٤٠١ - ٤٠٢.

(٣) و: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثر سماء كانت من الليل فقال..

(٤) الحديث - مع اختلاف يسير فى الألفاظ - عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه فى: البخارى ١/ ١٦٥ (كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلّم)؛ مسلم ١/ ٨٣ - ٨٤ (كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء)؛ سنن أبى داود ٤/ ٢١ (كتاب الطب، باب فى النجوم)؛ الموطأ ١/ ١٩٢ (كتاب الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم).

وفى الصحيح[1] عنه صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: «ولا يزال عبدى يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى أحبه»[2].

وفى القرآن والحديث من هذا ما يطول ذكره. وقد بسطنا هذا فى كتاب «درء[3] تعارض العقل والنقل» وغيره.

ظ ٢١٩ وقد أخبر الله تعالى فى القرآن بندائه لعباده فى أكثر من / عشرة مواضع. والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة وسائر الناس. والله أخبر أنه نادى موسى حين جاء الشجرة، فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل: ٨]، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [سورة طه: ١١، ١٢] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [سورة القصص: ٣٠]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٠]، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [سورة مريم: ٥٢]، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [سورة النازعات: ١٥، ١٦]، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [سورة القصص: ٤٦]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة القصص: ٦٢، ٧٤]،

---

(١) ب (فقط): وفى الصحيحين.

(٢) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٨/١٠٥ (كتاب الرقاق، باب التواضع) وأوله فيه: «إن الله قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل... الحديث. وهو عن عائشة رضى الله عنها فى: المسند (ط. الحلبى) ٦/٢٥٦.

(٣) ن، م: وقد بسطناه فى درء...؛ و: وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع.

[فى موضعين][1] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: ٦٥]، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [سورة الأعراف: ٢٢].

فمن قال: إنه لم يزل مناديا من الأزل إلى الأبد؛ فقد خالف القرآن والعقل. ومن قال: إنه بنفسه[2] لم يناد، ولكن خلق نداء فى شجرة أو غيرها؛ لزم أن تكون الشجرة هى القائلة: إنى أنا الله. وليس هذا كقول الناس: نادى الأمير، إذ أمر مناديا. فإن المنادى عن الأمير يقول: أمر الأمير بكذا، ورسم السلطان بكذا. لا يقول: أنا أمرتكم. ولو قال ذلك لأهانه الناس.

والمنادى قال لموسى: ﴿إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى﴾ [سورة طه: ١٤] ﴿إِنِّى أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة القصص: ٣٠]. وهذا لا يجوز أن يقوله مَلَكٌ إلا إذا بلَّغه عن الله، كما نقرأ نحن القرآن. والملك إذا أمره الله بالنداء قال. كما [ثبت] فى الصحيح[3] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إنى أحب فلانا فأحبه، ثم ينادى جبريل فى السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه»[4]. فجبريل إذا

---

(١) فى موضعين: ساقطة من (ن)، (م).   (٢) ر، ح، ى، و: نفسه.

(٣) ن، م: كما فى الصحيح.

(٤) الحديث ـ مع اختلاف فى اللفظ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ١١١/٤ (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة) وبقية الحديث: «.. فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض». والحديث أيضا فى: البخارى ١٤/٨ (كتاب الأدب، باب المِقَةُ من الله تعالى)، ١٤٢/٩ (كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة)؛ مسلم ٢٠٣٠/٤ (كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده)؛ سنن الترمذى ٣٧٨/٤ (كتاب تفسير القرآن، سورة مريم)؛ المسند (ط. المعارف) ٤٨/١٤، ٢٠٩/١٦، ٨١/١٨ـ٨٢، (ط. الحلبى) ٥١٤/٢.

نادى فى السماء قال: إن الله يحب فلانا فأحبوه، والله إذا نادى جبريل يقول: ياجبريل إنى أحب فلانا.

ولهذا لما نادت الملائكة زكريا قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [سورة آل عمران: ٣٩]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٤٢].

ولا يجوز قط لمخلوق أن يقول: إنى أنا الله رب العالمين، ولا يقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟

والله تعالى إذا خلق صفة فى محل، كان المحل متصفا بها. فإذا خلق فى محل علما أو قدرة أو حياة أو حركة أو لونا أو سمعا أو بصرا ـ كان ذلك المحل هو العالم به، القادر، المتحرك، الحى، المتلون، السميع، البصير؛ فإن الرب لا يتصف بما يخلقه فى مخلوقاته، وإنما يتصف بصفاته القائمة به، بل كل موصوف لا يوصف إلا بما يقوم به، لا بما يقوم بغيره ولم يقم به.

فلو كان النداء مخلوقاً فى الشجرة، لكانت هى القائلة: إنى أنا الله. وإذا كان ما خلقه الرب[1] فى غيره كلاماً له، وليس له كلام إلا ما خلقه، لزم أن يكون إنطاقه لأعضاء الإنسان يوم القيامة كلاماً له، وتسبيح الحصى كلاماً له، وتسليم الحجر على الرسول كلاما له. بل يلزم أن يكون كل كلام فى الوجود كلامه، لأنه قد ثبت أنه خالق كل شىء.

---

(١) ن: الله.

وهكذا طرد قول الحلولية الاتحادية، كابن عربى؛ فإنه قال:

وكل كـلام فى الوجـود كلامـه ســواء علينا نثره ونظامه[1]

ولهذا قال سليمان بن داود الهاشمى[2]: من قال إن قوله: ﴿إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى﴾ [سورة طه: ١٤] مخلوق، فقوله من جنس قول فرعـون الـذى قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات: ٤٢]؛ فإن هذا مخلوق وهذا مخلوق. يقول: إن هذا يوجب أن يكون ما خُلق فيه هذا القول هو القائل له، كما كان فرعون هو القائل لما قام به.

٣/ ١٠٧ قالوا: / وقولهم: إن الكلام صفة فعل، فيه تلبيس.

فيقال لهم: أتريدون به أنه مفعول منفصل عن المتكلم؟ أم تريدون به أنه قائم به؟[3]

فإن قلتم بالأول فهـو باطـل؛ فلا يعرف قط متكلم بكلام، وكلامه مستلزم كونه منفصلا عنه. والفعل أيضا لابد أن يكون قائما بالفاعل، كما قال السلف والأكثرون، وإنما المفعول هو الذى يكون بائنا عنه.

---

(١) البيت لابن عربى، وقد ذكره فى «الفتوحات المكية» (ط. دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٣٢٩) ٤/ ١٤١ ونصه هناك:

ألا كل قـول فى الوجـود كـلامه .. سـواء علينا نثره ونظامـه

والبيت الذى يتلوه:

يعم به أسـماع كل مكـون .. فمنه إليه بـدؤه وختامـه

(٢) سليمان بن داود بن داود بن على الهاشمى، أبو أيوب. روى عن الشافعى وابن عيينة وروى عنه البخارى فى كتاب «خلق الأفعال» وأبو حاتم وأحمد بن حنبل وغيرهم، ثقة صدوق، توفى ببغـداد سنـة ٢١٩ (وقيل ٢٢٠). انـظر ترجمتـه فى: تهـذيب التهـذيب ٤/ ١٨٧ ـ ١٨٨؛ شذرات الذهب ٢/ ٤٥؛ العبر ١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

(٣) ن: إنه متكلم قائم به؛ م، ر: إنه قائم.

والمخلوق المنفصل عن الرب ليس هو خلقه إياه، بل خلقه للسموات[1] والأرض ليس هو نفس السموات والأرض. والذين قالوا: الخلق هو المخلوق، فرّوا من أمور ظنّوها محذورة، وكان ما فروا إليه شراً مما فرّوا منه؛ فإنهم قالوا: لو كان الخلق غير المخلوق لكان إما قديما وإما حادثا، فإن كان قديما لزم قدم المخلوق، وإن كان حادثا فلابد له من خلق آخر، فيلزم التسلسل.

فقال لهم الناس: بل هذا منقوض على أصلكم[2]؛ فإنكم تقولون: إنه يريد بإرادة قديمة، والمرادات كلها حادثة. فإن كان هذا جائزاً فلماذا لا يجوز أن يكون الخلق قديما والمخلوق حادثا؟ وإن كان هذا / غير جائز، بل الإرادة تقارن المراد، لزم جواز قيام الحوادث به. وحينئذ فيجوز أن يقوم به خلق مقارن للمخلوق. فلزم فساد قولكم على التقديرين.

ص ٢٢٠

وكذلك إذا قيل: إن الخلق حادث. فلم قلتم: إنه محتاج إلى خلق آخر. فإنكم تقولون: المخلوقات كلها حادثة، ولا تحتاج إلى خلق حادث. فلم لا يجوز أن تكون مخلوقة بخلق حادث؟ وهو لا يحتاج إلى خلق آخر.

ومعلوم أن حدوثها بخلق حادث أقرب إلى العقول من حدوثها كلها بلا خلق أصلا. فإن كان كل حادث يفتقر إلى خلق بطل قولكم، وإن

---

(١) ح، ب: السموات.

(٢) ن: فيقال لهم: بل هذا منصوص على أصلكم؛ م: فيقال لهم: خالفهم الناس: بل..

كان فيها ما لا يفتقر إلى خلق، جاز أن يكون الخلق نفسه لا يفتقر إلى خلق آخر.

وهذه المواضع مبسوطة فى غير هذا الموضع. والمقصود التمثيل بكلام المختلفين فى الكتاب، الذين فى قول كل واحد منهم حق وباطل، وأن الصواب ما دلّ عليه الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

والناس لهم فى طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق شرعى.

فالطريق الشرعى هو النظر فيما جاء به الرسول، والاستدلال بأدلته، والعمل بموجبها. فلابد من علم بما جاء به[1] وعمل به، لا يكفى أحدهما.

وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية والبراهين اليقينية؛ فإن الرسول بيّن بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه. والرسل بيّنوا للناس العقليات التى يحتاجون إليها، كما ضرب الله فى القرآن من كل مثل. وهذا هو الصراط المستقيم، الذى أمر الله عباده أن يسألوه هدايته.

وأما الطريقان المبتدعان: فأحدهما: طريق أهل الكلام البِدعى والرأى البِدعى؛ فإن هذا فيه باطل كثير، وكثير من أهله يفرّطون فيما أمر الله به ورسوله من الأعمال، فيبقى هؤلاء فى فساد علم وفساد عمل. وهؤلاء منحرفون إلى اليهودية الباطلة.

والثانى: طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البِدعية. وهؤلاء

(١) ح: من علم ما جاء به.

منحرفون إلى النصرانية الباطلة. فإن هؤلاء يقولون: إذا صفَّى الإنسان نفسه على الوجه الذى يذكرونه، فاضت عليه العلوم بلا تعلم. وكثير من هؤلاء تكون عبادته[1] مبتدعة، بل مخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فيبقون[2] فى فساد من جهة العمل، وفساد من نقص العلم، حيث لم يعرفوا ما جاء به الرسول، وكثيرا ما يقع من[3] هؤلاء وهؤلاء، وتقدح كل طائفة فى الأخرى، وينتحل كل منهم اتّباع الرسول.

والرسول ليس ما جاء به موافقا لما قال هؤلاء ولا هؤلاء: ﴿مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٧] وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل الكلام والرأى، ولا على طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتصوف، بل كان على ما بعثه الله من الكتاب والحكمة.

الرد على أهل النظر وأهل الرياضة

وكثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم، بلا عبادة ولا دين ولا تزكية للنفس. وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريق الرياضة بمجرده تَحْصُل المعارف[4]، بلا تعلم ولا نظر ولا تدبر للقرآن والحديث.

---

(١) ح، ب، ر: عباداته.

(٢) ح، ب: فيقعون.

(٣) من: كذا فى (و) فقط. وفى سائر النسخ: بين.

(٤) ن، م: طريق الرياضة المجردة تحصل المعارف، و: طريق الرياضة بمجرد تحصيل المعارف؛ ح، ب: طريق الرياضة بمجردها تحصل المعارف..

وكلا الفريقين غالط. بل لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم. لكن مجرد العمل / لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر ٣/ ١٠٨ وفهم لما بَعَثَ الله به الرسول. ولو تعبّد الإنسان ما عسى أن يتعبّد، لم يعرف ما خصّ الله به محمداً صلى الله عليه وسلم، إن لم يعرف ذلك من جهته.

وكذلك لو نظر واستدل ماذا عسى أن ينظر لم يحصل له المطلوب إلا بالتعلم من جهته. ولا يحصل التعلم المطابق[1] النافع إلا مع العمل به. وإلا فقد قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [سورة الصف: ٥].

وقال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٩، ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة النساء: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٤].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٠].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَايُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ [سورة النساء: ٦٦ - ٦٨].

---

(١) ح، ب: اللائق.

وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ من اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المائدة: ١٥، ١٦].

وقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٨].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢].

وكذلك لو جاع وسهر وخلا وصمت وفعل ماذا عسى أن يفعل لا يكون مهتديا إن لم يتعبد بالعبادات الشرعية، وإن لم يتلق علم الغيب من جهة الرسول.

قال تعالى لأفضل الخلق / ، الذى كان أزكى الناس نفساً وأكملهم عقلا قبل الوحى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [سورة الشورى: ٥٢]. ظ ٢٢٠

وقال: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة سبأ: ٥٠].

وقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٣ - ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ

قَرِينٌ﴾ [سورة الزخرف: ٣٦]. أى عن الذكر الذى أنزلته. قال المفسرون: يعش عنه فلا يلتفت إلى كلامه ولا يخاف عقابه.

ومنه قوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٠]، وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [سورة الأنبياء: ٢] وشاهده فى الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [سورة طه: ١٢٤] ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٦] فكل من عشا عن القرآن فإنه يُقَيَّض له شيطان يضله، ولو تعبد بما تعبد.

«ويعش» رُوِى عن ابن عباس: «يعمى». وكذلك قال عطاء وابن زيد ابن أسلم، وكذلك أبو عبيدة قال: «تُظْلِم عينه»[1]. واختاره ابن قتيبة ورجّحه على قول من قال: «يعرض». والعشا ضعف فى البصر. ولهذا قيل فيه يَعْشُ. وقالت طائفة: يعرض، وهو رواية الضحّاك عن ابن عباس، وقاله قتادة، واختاره الفرّاء والزجّاج[2]. وهذا صحيح من جهة المعنى؛ فإن قوله: «يعش» ضُمّن معنى «يعرض» ولهذا عُدِّى بحرف الجار[3] «عن» كما يُقال: أنت أعمى عن محاسن فلان، إذا أعرضت فلم تنظر إليها. فقوله «يعش» أى يكن[4] أعشى عنها[5]، وهو دون العمى[6]، فلم ينظر إليها إلا نظراً ضعيفا.

---

(١) ن، ر: عينيه.

(٢) انظر «زاد المسير» لابن الجوزى ٧/٣١٤ - ٣١٥.

(٣) ب (فقط): الجر.

(٤) يكن: كذا فى (ب) فقط. وفى سائر النسخ: يكون.

(٥) ح: منها. (٦) العمى: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: الأعمى.

وهذا حال أهل الضلال الذين لم ينتفعوا بالقرآن؛ فإنهم لا ينظرون فيه كما ينظرون فى كلام سلفهم، لأنهم يحسبون أنه لا يحصِّل المقصود، وهم الذين عشوا عنه فقيّضت لهم الشياطين، تقترن بهم وتصدهم عن السبيل، وهم يحسبون أنهم مهتدون.

ولهذا لا تجد فى كلام من لم يتبع الكتاب والسنة بيان الحق علما وعملا أبداً، لكثرة ما فى كلامه من وساوس الشياطين[1].

وحدثنى غير مرة رجل، وكان من أهل الفضل والذكاء والمعرفة والدين، أنه كان قد قرأ على شخص سمّاه لى، وهو من أكابر أهل الكلام والنظر، دروسا من «المحصَّل» لابن الخطيب، وأشياء من «إشارات» ابن سينا. قال: فرأيت حالى قد تغيرّ. وكان له نور وهدىً، ورؤيت له منامات سيئة، فرآه صاحب النسخة بحال سيِّئة، فقصّ عليه الرؤيا، فقال: هى من كتابك.

وإشارات ابن سينا يعرف جمهور / المسلمين الذين يعرفون دين الإسلام أن فيها إلحاداً كثيراً، بخلاف «المحصَّل» يظن كثير من الناس أن فيه بحوثا تحصِّل المقصود. ٣/ ١٠٩

قال فكتبت عليه:

محصَّل فى أصول الدين حاصله ∴ من بعد تحصيله أصل بلا دين
أصل الضلالات والشك المبين فما ∴ فيه فأكثره وحى الشياطين

قلت: وقد سئلت أن أكتب على «المحصَّل» ما يعرف به الحق فيما

---
(١) ح، ب: الشيطان.

ذكره، فكتبت من ذلك ما ليس هذا موضعه[1]. وكذلك تكلمت على ما فى «الإشارات» فى مواضع أُخَر[2].

والمقصود هنا التنبيه على الجمل، فما[3] فى «المحصَّل» وسائر كتب الكلام المختلف أهله: كتب[4] الرازى وأمثاله من الكُلَّابية ومن حذا حذوهم، وكتب المعتزلة والشيعة والفلاسفة ونحو هؤلاء، لا يوجد فيها ما بعث الله به رسله فى أصول الدين، بل يوجد فيها حق ملبوس بباطل.

ويكفيك نفس مسألة خلق الرب مخلوقاته لا تجد فيها إلا قول القدرية والجهمية والدهرية: إما العلة التى تثبتها الفلاسفة الدهرية، أو القادر الذى تثبته المعتزلة والجهمية. ثم إن كان من الْكُلَّابية أثبت تلك الإرادة الكُلَّابية[5]. ومن عرف حقائق هذه الأقوال تبين له أنها مع مخالفتها للكتاب والسنة وإجماع السلف مخالفة لصرائح العقول[6].

وكذلك قولهم فى النبوات. فالمتفلسفة تثبت النبوة على أصلهم

---

(١) ذكر ابن عبد الهادى فى «العقود الدرية» ص ٣٧: «وله كتاب شرح أول المحصل، مجلد». وذكره ابن القيم فى «أسماء مؤلفات ابن تيمية» ص ١٩. والمقصود كتاب «محصَّل أفكار المتقدمين والمتأخرين» للرازى.

(٢) قال ابن تيمية فى كتاب «الصفدية» ٢/٢٨١: «كما قد كتبنا بعض كلام النظَّار فى ذلك فى غير هذا الموضع، فى الكلام «المحصَّل» وعلى «منطق الإشارات» وعلى «المنطق اليونانى»: مصنف كبير ومصنف مختصر، وغير ذلك».

(٣) ن، م: كما.

(٤) ح، ب: وكتب؛ ر: ككتب.

(٥) ح، ب: ثم إن كان من الكلابية من أثبت تلك الإرادات الكلية؛ ى، ر: ثم إن كان من الكلابية من أثبت تلك الإرادة الكلية.

(٦) ح، ب: لصريح المعقول.

الفاسد: أنها قوة قدسية تختص بها بعض النفوس[1]، لكونها أقوى نيلا للعلم، وأقوى تأثيرا فى العالم، وأقوى تخيلا لما تعقله[2] فى صور متخيلة وأصوات متخيلة. وهذه الثلاثة هى عندهم خاصة النبى، ومن اتصف بها فهو نبى: القوة القدسية العلمية، والتأثير فى الهيولى، وما يتخيله فى نفسه من أصوات هى كلام الله، ومن صور هى عندهم ملائكة [الله][3].

ومعلوم عند من اعتبر العالم أن هذا القدر يوجد لكثير من آحاد الناس، / وأكثر الناس لهم نصيب من هذه الثلاثة. ولهذا طمع كثير من هؤلاء فى أن يصير نبيًا. ولهذا قال هؤلاء: إن النبوة مكتسبة. وإنما قالوا هذا لأنهم لم يثبتوا لله علماً بالجزئيات، ولا قدرة ولا كلاما يتكلم به تنزل به ملائكته[4]. ص ٢٢١

ثم إن الجهمية والمعتزلة يردون عليهم تارة رداً مقارباً، وتارة رداً ضعيفا، لكونهم جعلوا صانع العالم يرجِّح أحد المتماثلين بلا مرجّح، وجعلوا القادر المختار يرجّح بلا مرجّح. وزعم أكثرهم[5] أنه مع وجود القدرة والداعى التام لا يجب وجود الفعل، ففزعوا [6] من الموجب بالذات. ولفظ الموجب بالذات مجمل، فالذى ادّعته المتفلسفة باطل؛

(١) ح، ب: يختص بها بعض الناس.

(٢) ب (فقط): يعقله.

(٣) ن، ب: هى عندهم ملائكة؛ ح، ى: عندهم هى ملائكة الله؛ ر: هى عندهم هى ملائكة الله؛ و: هى ملائكة الله.

(٤) ب: ينزل به ملائكته؛ و: ينزل ملائكة.

(٥) ن: بعضهم.

(٦) ن، م، ب: ففرعوا.

فإنهم أثبتوا موجبا بذات مجرّدة عن الصفات يستلزم مفعولاته، حتى لا يتـأخر عنه شىء. وأثبتوا له من الوحدة ما يضمّنونه نفى صفاته وأفعاله القائمة به. وقالوا: الواحد لا يصدر عنه إلا واحد. والواحد الذى ادعوه لا حقيقة له إلا فى الأذهان لا فى الأعيان.

والكلام على مذاهبهم وإبطالها مبسوط فى موضع آخر. وقد بيّنا أنهم أكثر الناس تناقضا واضطرابا، وأن دعواهم أنه علة موجبة للمعلول[1] أزلاً وأبدا فاسدة من وجوه كثيرة.

وأما إذا قيل: هو موجب بالذات بمعنى أنه يوجب بمشيئته وقدرته ما يريد أن يفعله؛ فهـذا هو الفاعل بقدرته ومشيئته، فتسمية المسمٍّى له موجبا بذاته نزاع لفظى.

وأكثـر الجهمية والقـدرية لا يقولون: إنه بقدرته ومشيئته يلزم وجود مقدوره، بل قد يحصل وقد لا يحصل، فيرجِّح[2] إن حصل بلا مرجِّح.

وهذه الأمور مبسوطة فى موضع آخر. والمقصود هنا أن الجهمية تثبت نبـوة لا تستلزم فضل صاحبها ولا كماله، ولا اختصاصه قط بشىء من صفات الكمال، بل يجوز أن يُجعل من هو من أجهل[3] الناس نبيا.

ثم الجهمية المحضـة عنـدهم يخلق الله كلامـا فى غيره فينزل به المَلَك. وأما الكُلاَّبية فعندهم النبوة تعلّق المعنى القائم بالذات بالنبى، بمعنى: أنت عبدى ورسولى. فيقولون فى النبوة من جنس ما قالوه فى

---

(١) ن، م: للمفعول. (٢) و: فرجح.

(٣) خ، م، ب: من هو أجهل..

أحكـام أفعـال العباد: إنه ليس للحكم معنى إلا تعلق المعنى القائم بالذات به. والمعنى القائم بالذات المتعلق به لا يثبتون[1] فى الإيمان والتقوى والأعمال الصالحة خاصة تميزت به[2] عن السيئات، حتى أمر / بها لأجلها. وكذلك فى النبوة. ٣/ ١١٠

والمعتزلة ومن وافقهم يثبتون لله شريعة بالقياس على عباده؛ فيوجبون عليه من جنس ما يجب عليهم، ويحـرِّمون عليه من جنس ما يحرِّم[3] عليهم، ولا يجعلون أمره ونهيه، وحبه وبغضه، ورضاه وسخطه ـ له تأثير فى الأعمال، بل صفاتها ثابتة بدون الخطاب، والخطاب مجرد كاشف، بمنزلة الذى يخبر عن الشمس والقمر والكواكب بما هى متصفة به.

والله سبحـانه قد أخبر أنه يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس. والاصـطفـاء افتعال من التصفية، كما أن الاختيار افتعال من الخِيرَة، فيختار من يكون مصطفى. وقد قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤][4] فهو أعلم بمن يجعله رسولا ممن لم يجعله رسولا، ولو كان كل الناس يصلح للرسالة[5] لامتنع هذا.

وهو عالم بتعيين الرسول، وأنه أحق من غيره بالرسالة، كما دل القرآن على ذلك. وقد قالت خديجة رضى الله عنها لما فجأ الوحى النبى[6]

(١) ح: لا يثبتونه.

(٢) ب: بها.

(٣) ح: ما يحرمون.

(٤) ن، م، و: حيث يجعل رسالاته.

(٥) ح، ر: يصل إلى الرسالة؛ ى: يصل للرسالة.

(٦) فجأ الوحى النبى: كذا فى (ب). وفى سائر النسخ: بالنبى.

صلى الله عليه وسلم وخاف من ذلك فقالت له: «كلا والله لا يخزيك الله أبـدا، إنك لتصل الرحم، وتَصْدُق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتُكسب المعـدوم، وتُقـرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1]. وكـانت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها أعقل وأعلم من الجهمية، حيث رأت أن من جعله الله على هذه الأخلاق الشريفة، المتضمنة لعدله وإحسانه، لا يخزيه الله، فإن حكمة الرب تأبى ذلك.

وهؤلاء عندهم هذا لا يُعلم، بل قد يُخزى من يكون كذلك، وقد يُنبَّأ شر النـاس، كأبى جهـل وغيره. ولهـذا أنكـر المـازرى[2] وغيره على خديجة، كما أنكروا على هرقل استدلاله بما استدل به فى حديث أبى سفيان المشهور لما سأل عن صفات النبى صلى الله عليه وسلم[3].

---

(١) سبق الحديث فيما مضى ٢/٤١٩ - ٤٢٠.

(٢) ح، ر،ى: المازنى. وهو أبو عبدالله محمد بن على بن عمر التميمى المازرى، محدث ومن فقهـاء المـالكية، ينسب إلى مازر بجـزيرة صقلية، ولـد سنـة ٤٥٣ هـ وتوفى سنة ٥٣٦ هـ، وله كتاب «الكشف والإنباء فى الرد على الإحياء للغزالى» انظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ٣/٤١٣؛ الـديبـاج المذهب لابن فرحون، ص ٢٧٩ - ٢٨١؛ شـذرات الـذهب ٤/١١٤؛ العبـر ٤/١٠٠ - ١٠١؛ الأعـلام ٧/١٦٤؛ وانـظر: سيرة الغـزالى ص ٧٢ - ٧٣، ٧٩ - ٨١، ١٠٩ - ١١٠، ١١٢ - ١٢١.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٤٣٤. وقد جاء حديث هرقل مع أبى سفيان رضى الله عنه عن ابن عباس عن أبى سفيان رضى الله عنهم فى عدة مواضع فى البخارى منها: ١/٤ - ٦ (كتاب بدء الوحى، باب حدثنا أبو اليمان..) - انظر المواضع الأخرى فى طبعة د. البغا فى الأرقام ٥١، ٢٥٣٥، ٢٦٥٠، ٢٧٣٨، ٢٧٧٨.. الخ. والحديث فى: مسلم ٣/١٣٩٣ - ١٣٩٧ (كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل...)؛ المسند (ط. المعارف) ٤/١١٠ - ١١٤. وقال أحمد شاكر رحمه الله (ص ١١٠): «ورواه مسلم فى المغـازى وأبـو داود فى الأدب والترمذى فى الاستئذان

والله سبحانه إذا اتخذ رسولا فضَّله بصفات أخرى لم تكون موجودة فيه قبل إرساله، كما كان يظهر لكل من رأى موسى وعيسى ومحمداً من أحـوالهم وصفـاتهم بعد النبوة. وتلك الصفات غير الوحى الذى ينزل عليهم، فلا يُقال: إن النبوة مجرد صفة إضافية كأحكام الأفعال، كما تقوله الجهمية.

ولهذا [لما][1] صار كثير من أهل النظر ـ كالرازى وأمثاله ـ ليس عندهم إلا قول الجهمية والقدرية والفلاسفة، تجدهم فى تفسير القرآن، وفى سائر كتبهم، يذكرون أقوالا كثيرة متعددة كلها باطلة، لا يذكرون الحق، مثل تفسيره للهلال[2]، وقد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩] فذكر قول أهل الحساب فيه، وجعله من أقوال الفلاسفة، وذكر قول الجهمية الذين يقولون: إن القادر المختار يحدث فيه الضوء بلا سبب أصلا ولا لحكمة[3].

ظ ٢٢١ / وكذلك إذا تكلم فى المطر يذكر قول أولئك الذين يجعلونه حاصلاً عن مجـرد البخـار المتصاعد والمنعقد فى الجو، وقول من يقول: إنه أحـدثه الفاعل المختار بلا سبب، ويذكر قول من يقول: إنه نزل من

والنسائى فى التفسير، ولم يخرجه ابن ماجة، كما قال القسطلانى فى شرح البخارى ١/ ٧٠».

(١) لما: ساقطة من (ن)، (م)، (ح)، (ر)، (ى).

(٢) أى الرازى.

(٣) انظر ما ذكره الرازى فى تفسيره «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب». (ط. عبدالرحمن محمد، القاهرة ١٣٥٧/ ١٩٣٨) ٥/ ١٣٢ ـ ١٣٦ وانظر قوله (ص ١٣٢): «وأما السنة فهى عبارة عن الزمان الحاصل من حركة الشمس من نقطة معينة من الفلك بحركتها الحاصلة

الأفلاك. وقد يرجِّح[1] هذا القول فى تفسيره[2]، ويجزم بفساده فى موضع آخر.

وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أئمـة المسلمين، [بـل سائر أهل العلم من المسلمين][3] من السلف والخلف يقولون: إن المطر نزل من السحاب.

ولفظ «السماء» فى اللغة والقرآن اسم لكل ما علا، فهو اسم جنس للعالى، لا يتعين فى شىء إلا بما يضاف إلى ذلك.

وقـد قال: ﴿فَلْيَمْـدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَـاءِ﴾ [سورة الحج: ١٥]، وقال: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [سورة الأنعام: ٩٩]، وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة تبارك: ١٦] والمراد بالجميع العلو، ثم يتعين هنا بالسقف ونحوه، وهنا[4] بالسحاب، وهناك بما فوق العالم كله.

فقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [سورة الأنعام: ٩٩]؛ أى من العلو، مع قطع النـظر عن جسم معين. لكن قد صرّح فى موضع آخر بنزوله من السحاب، كما فى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْـنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٦٨، ٦٩] والمزن: السحاب.

= عن خلاف حركة الفلك، إلى أن تعود إلى تلك النقطة بعينها، إلا أن (القوم) اصطلحوا على أن تلك النقطة... الخ.

(١) ن، م: رجّح.

(٢) انظر مثلا تفسير الرازى ٤/٢٢٣.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٤) ب: وهناك.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [سورة النور: ٤٣] والودق: المطر. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [سورة الروم: ٤٨] فأخبر سبحانه أنه يبسط السحاب فى السماء.

وهذا مما يبين أنه لم يرد بالسماء هنا الأفلاك؛ فإن السحاب / لا يُبسط فى الأفلاك، بل الناس يشاهدون السحاب يُبسط فى الجو. وقد يكون الرجل فى موضع عالٍ: إما على جبل أو على غيره، والسحاب يُبسط أسفل منه، وينزل منه المطر، والشمس فوقه. ٣/ ١١١

والرازى[1] لا يثبت على قول [واحد][2]، بل هو دائما ينصر هنا قولا وهناك ما يناقضه لأسباب تقتضى ذلك.

وكثير من الناس يفهمون من القرآن ما لا يدل عليه. وهو معنى فاسد، ويجعلون ذلك يعارض العقل. وقد بيَّنا فى مصنَّف مفرد «درء تعارض[3] العقل والنقل» وذكرنا فيه عامة ما يذكرون من العقليات فى معارضة الكتاب والسنة، وبيَّنا أن التعارض لا يقع إلا إذا كان ما سمى معقولا فاسدا، وهذا هو الغالب على كلام أهل البدع، أو أن يكون[4] ما أضيف

(١) ر، و، ى: والرازى رحمه الله.

(٢) واحد: ساقطة من (ن)، (ب).

(٣) و: فى مصنف كثير (لعل الصواب: كبير) مفرد منع تعارض...

(٤) ح، ر، ب، ى: أو يكون.

إلى الشرع ليس منه: إما حديث موضوع، وإما فهم فاسد من نصٍّ لا يدل عليه، وإما نقل إجماع باطل.

ومن هذا كثير من الناس ذمَّ الأحكام النجومية، ولا ريب أنها مذمومة بالشرع مع العقل، وأن الخطأ فيها أضعاف الصواب، وأن من اعتمد عليها فى تصرفاته، وأعرض عمَّا أمر الله به ورسوله، خسر الدنيا والآخرة.

لكن قد[1] يردُّونها على طريقة الجهمية ونحوهم بأن يدَّعوا أنه لا أثر لشىء من العلويات فى السفليات أصلا: إما على طريقة[2] الجهمية، لكن تلك لا تنفى العادات الاقترانية، وإن لم تثبت سبباً ومسببا وحكمة، وإما بناءً على نفى العادة[3] فى ذلك.

ثم قد ينازعون[4] فى استدارة الأفلاك، ويدَّعون شكلا آخر. وقد بينا فى جواب المسائل التى سئلت عنها فى ذلك أن الأفلاك مستديرة عند علماء المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، كما ثبت ذلك عنهم بالأسانيد المذكورة فى موضعها، بل قد نَقَل إجماع المسلمين على ذلك غيرُ واحدٍ من علماء المسلمين[5]، الذين هم من أخبر الناس بالمنقولات، كأبى الحسين بن المنادى، أحد أكابر الطبقة الثانية من

---

(١) قد: ساقطة من (ن).

(٢) ن، م، و: الطريقة.

(٣) و: العبادة؛ ب: العادات.

(٤) ن، و: تنازعوا.

(٥) انظر ما ذكره ابن تيمية فى «المسألة العرشية» فى فتاوى الرياض ٦/٥٤٥ ـ ٥٨٣ وخاصة ٥٥٧ وانظر إجابته لمسئلة سئل عنها ٦/٥٨٦ ـ ٥٩١.

أصحاب الإمام أحمد، وله نحو أربعمائة مصنف[1]. وأبى محمد بن حزم الأندلسى، وأبى الفرج بن الجوزى.

وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة، كما قد بسط فى «الإحاطة»[2] وغيرها.

وكذلك المطر معروف عند السلف والخلف بأن الله تعالى يخلقه من الهواء ومن البخار المتصاعد، لكن خلقه للمطر من هذا، كخلق الإنسان من نطفة، وخلقه للشجر والزرع من الحب والنوى. فهذا معرفة[3] بالمادة التى خَلَق منها، ونفس المادة لا توجب ما خُلق منها باتفاق العقلاء، بل لابد مما به يَخْلُق تلك الصورة[4] على ذلك الوجه، وهذا هو الدليل على القادر المختار الحكيم، الذى يخلق المطر على قدر معلوم وقت الحاجة إليه. والبلد الجُرْز[5] يسوق إليه[6] الماء من حيث أمطر. كما قال: ﴿أَوَ

(١) أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن المنادى، ولد سنة ٢٥٦ وتوفى سنة ٣٣٦ عالم بالتفسير والحديث ومن كبار فقهاء الحنابلة، من أهل بغداد. انظر ترجمته فى: طبقات الحنابلة ٢/٣ ـ ٦؛ البداية والنهاية ١١/٢١٩؛ المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد لعبدالرحمن بن محمد العليمى ٢/٣٧ ـ ٣٩ (ط. المدنى، بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد، ١٣٨٣/١٩٦٣)؛ مناقب الإمام أحمد (تحقيق الدكتور عبدالله التركى)، ص ٦١٧؛ تاريخ بغداد ٤/٦٩ ـ ٧٠؛ الأعلام ١/١٠٣.

(٢) ذكر ابن عبدالهادى فى كتابه «العقود الدرية» ص ٥١ من مؤلفات ابن تيمية «الإحاطة الكبرى». وفى ص ٥٢ «والإحاطة الصغرى».

(٣) ح، ر، ب، ى: معرفته.

(٤) ح: بل لابد من مادة يخلق تلك الصور؛ ر: بل لابد من مادة تخلق تلك الصورة؛ : بل لابد من ماءٍ به تخلق تلك الصورة؛ م: بل لابد من مائه يخلق تلك الصورة.

(٥) فى «اللسان»: «وأرضٌ مجروزةٌ وجُرُزٌ وجُرْزٌ وجَرْزٌ: لا تنبت، كأنها تأكل النبت أكلا. وقيل: هى التى قد أكل نباتها. وقيل: هى الأرض التى لم يصبها مطر».

(٦) ح، ب: إليها.

لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٧]، فالأرض الجُرُز لا[1] تمطر ما يكفيها، كأرض مصر: لو أمطرت المطر المعتاد لم يكفها؛ فإنها أرض إبْلِيز[2]. وإن أمطرت مطراً كثيرا مثل مطر شهر خَرُبَت[3] المساكن، فكان من حكمة البارى ورحمته أن أمطر أرضا بعيدة، ثم ساق ذلك الماء إلى أرض مصر.

فهذه الآيات[4] يُستدل بها على علم الخالق وقدرته ومشيئته وحكمته. وإثبات المادة التى خَلَق منها المطر والشجر والإنسان والحيوان مما يدل على حكمته[5].

ص ٢٢٢ ونحن لا نعرف شيئاً قط خُلق إلا / من مادة، ولا أخبر الله فى كتابه بمخلوق إلا من مادة.

وكذلك كون كسوف الشمس وغيره سبباً لبعض الحوداث هو مما دلت عليه النصوص الصحيحة. ففى الصحاح من غير وجه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا

---

(١) ح، ر: ما.

(٢) ح، ر: تلين؛ ى: ابلين. وفى «المعجم الوسيط»: «الإبْلِيز: الطين الذى يُخلِّفه نهر النيل على وجه الأرض بعد ذهابه».

(٣) ح: أخربت.

(٤) ح، ب: الآية.

(٥) ح، ر، و، ى: الحكمة.

لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل يخوّف [الله] بهما[1] عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة»[2].

وقد ثبت عنه فى الصحاح أنه صلّى صلاة الكسوف بركوع زائد فى كل ركعة، وأنه طوّلها تطويلا لم يطوّله فى شىء من صلوات الجماعات، وأمر عند الكسوف بالصلاة والذكر والدعاء والعتاقة والصدقة والاستغفار[3].

وقوله: «يخوّف الله بهما عباده» كقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾ [سورة الإسراء: ٥٩]. ولهذا كانت الصلوات مشروعة عند الآيات عموما، / مثل تناثر الكواكب والزلزلة وغير ذلك. والتخويف إنما يكون بما هو سبب للشر المخوف، كالزلزلة والريح العاصف. وإلا فما وجوده كعدمه لا يحصل به تخويف. ٣/ ١١٢

فعُلم أن الكسوف سبب للشر. ثم قد يكون[4] عنه شر، ثم القول فيه كالقول فى سائر الأسباب: هل هو سبب؟ كما عليه جمهور الأمة. أو هو مجرد اقتران عادة؟ كما يقوله الجهمية.

وهو صلى الله عليه وسلم أخبر عند[5] أسباب الشر بما يدفعها من

(١) ن، ح، ر: يخوف بهما..

(٢) سبق هذا الحديث فى هذا الجزء، ص٢٩٩.

(٣) انظر «إرواء الغليل» ٣/١٢٦ ـ ١٣٢ وانظر الأحاديث الواردة فى ذلك وتعليق الألبانى عليها.

(٤) ب: ثم قد لا يكون؛ و: ثم هل هو قد يكون...

(٥) ب (فقط): عن.

العبـادات، التى تقوِّى ما انعقد[1] سببه من الخير، وتدفع أوتضعف ما انعقد سببه من الشر. كما قال: «إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض»[2].

والفلاسفة تعترف[3] بهذا، لكن هل ذلك بناءً[4] على أن الله يدفع ذلك بقدرته وحكمته، أو بناء على أن القوى النفسانية تؤثِّر؟ هذا مبنى على أصولهم فى هذا الباب.

ويُحكى عن بطليمـوس[5] أنـه قال: «ضجيج الأصوات، فى هياكل العبادات، بفنون اللغات، تحلل[6] ما عقَّدته الأفلاك الدائرات». وعن

---

(١) ن: ما اعتقد.

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى المنذرى فى «الترغيب والترهيب» ١٤٢/٣ (ط. مصطفى محمد عمارة، ١٩٣٣/١٣٥٢) عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يغنى حذر عن قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة». قال المنذرى: «رواه البزار والطبرانى والحاكم وقال: صحيح الإسناد. يعتلجان: أى يتصارعان ويتدافعان».

(٣) و: تعرف.

(٤) ن، م: لكن هو بناء..

(٥) بطليموس القلوذى العالم المشهور صاحب كتاب المجسطى فى الفلك إمام فى الرياضة. كان فى أيام اندرياسيوس وفى أيام أنطميوس من ملوك الروم وبعد أيرقس بمائتين وثمانين سنة، فأما كتاب المجسطى فهو ثلاث عشرة مقالة. وأول من عنى بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك.
انظر عنه: تاريخ الحكماء ص ٩٥ ـ ٩٨؛ طبقات الأطباء ص ٣٥ ـ ٣٨؛ الفهرست لابن النديم ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨؛ خطط المقريزى ١٥٤/١.

(٦) ح، ر: تحل.

أبقـراط[1] أنـه قال: «واعلم أن طبنا بالنسبة إلى طب أرباب الهياكل، كطب العجائز بالنسبة إلى طبنا».

فالقوم كانوا معترفين بما وراء القوى الطبيعيه والفلكية. وليس ذلك مجرد القوى النفسانية، كما يقوله ابن سينا وطائفة[2]. بل ملائكة ملء[3] العالم العلوى والسفلى، والجن أيضا لا يحصى عددهم إلا الله. والله قد وكّل الملائكة بتدبير هذا العالم بمشيئته وقدرته، كما دلت على ذلك الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة، وكما يُستدل على ذلك أيضا بأدلة عقلية.

والملائكة أحياء ناطقون، ليسوا أعراضا قائمة بغيرها، كما يزعمه كثير من المتفلسفة. ولا هى مجرد العقول العشرة والنفوس التسعة، بل هذه[4] باطلة بأدلة كثيرة[5].

(١) أبقـراط Hippocrates طبيب ماهـر عاش خمسـا وتسعين سنـة، تتلمـذ فى الـطب على اسقليبيوس، تكلم عنه مبشر بن فاتك فى كتابه: (مختار الحكم) وحنين بن إسحاق فى كتابه: (نوادر الفلاسفة) توفى سنة ٣٥٧ ق. م.
انـظر: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٢٤؛ طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ١٦ ـ ١٩؛ تاريخ الحكماء للقفطى ص٩٠؛ الفهرست لابن النديم ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) ح، ب: وطائفته.

(٣) بل ملائكة ملء: كذا فى (و) وهو الصواب. وفى سائر النسخ: بل بمليكه بل.

(٤) ن، م: هى.

(٥) انـظر ما ذكرتـه فى كتابى «مقارنة بين الغزالى وابن تيمية» (ط. دار القلم، الكويت، ١٣٩٥/١٩٧٥) ص ٨٩ ـ ٩٢ من رد ابن تيمية على الفلاسفة فى قولهم إن الملائكة هى العقـول والنفـوس ومـواضـع كلام ابن تيمية فى ذلـك. وانـظر: الرد على المنطقيين، ص ٤٩٣ ـ ٤٩٩؛ الصفدية ١/١٩٣ ـ ٢٠٢.

وما يثبتونه من المجردات المفارقات لا تحصل معهم منه غير نفس الناطقة ؛ فإنها تفارق بدنها. وما سوى ذلك فلا تثبت معهم على طريقهم إلا المجردات المعقولة في الأذهان. وهي الكليات المعقولة ولكنهم يظنون ثبوت ذلك في الخارج، كما يظن شيعة أفلاطون[1] ثبوت المثل الأفلاطونية في الخارج، فتثبت[2] كليات قديمة أزلية أبدية مفارقة[3] كإنسان كلي.

وهذا هو غلطهم[4] ؛ حيث ظنوا ما هو في الأذهان موجودا في الأعيان وكذلك ما يثبتونه من الجواهر العقلية. وهي أربعة العقل، والنفس، والمادة ، والصورة وطائفة منهم كشيعة أفلاطون[5] تثبت جوهرا عقليا هو الدهر، وجوهرا عقليا هو الحيز، وتثبت جوهرا عقليا هو المادة الأولى المعارضة للصورة.

وكل هذه العقليات التي يثبتونها إذا حُققت غاية التحقيق تبين أنها أمور معقولة في النفس، فيتصورها في نفسه، فهي معقولات في قلبه، وهي مجردة عن جزئياتها الموجودة في الخارج ؛ فإن العقل دائما ينتزع من الأعيان المعيّنة المشهودة كليات مشتركة عقلية، كما يتصور زيداً وعمراً وبكراً، ثم يتصور إنسانا مشتركا كليا ينطبق على زيد وعمْرو وبكر،

(١) م، ر، و: أفلاطن

(٢) ن، و فيثبت

(٣) ن، م مقارنة، وهو خطأ

(٤) ح، ر وعلى هذا من غلطهم

(٥) ن، م، و، ر أفلاطن

ولكن هذا المشترك إنما هو فى قلبه وذهنه، يعقله بقلبه، ليس فى الخارج إنسان مشترك كلىّ يشترك[1] فيه هذا وهذا، بل كل إنسان يختص بذاته وصفاته، لا يشاركه غيره فى شىء مما قام به قط.

وإذا قيل: الإنسانية مشتركة أو الحيوانية. فالمراد أن فى هذا حيوانية وإنسانية تشابه ما فى هذا من الحيوانية والإنسانية، ويشتركان فى مسمَّى الإنسانية والحيوانية. وذلك المسمَّى إذا أُخذ مشتركا كليا لم يكن إلا فى الذهن. وهو تارة يُوجد[2] مطلقا بشرط الإطلاق، فلا يكون إلا فى الذهن عند عامة العقلاء، إلا من أثبت المثل الأفلاطونية فى الخارج. وتارة يوجد[2] مطلقا لا بشرط الإطلاق بحيث يتناول المعيّنات. وهذا قد يُقال: إنه موجود فى الخارج. وهو موجود فى الخارج معيّنا مقيّدا مخصوصا. فيقال: هذا الإنسان، وهذا الحيوان، وهذا الفرس. وأما وجوده فى الخارج [مع][3] كونه مشتركا فى الخارج فهذا باطل.

ولهذا كان من المعروف عندهم أن الكليات / ثابتة فى الأذهان لا فى الأعيان. ومن قال: إن الكلىّ الطبيعى موجود فى الخارج، فمعناه الصحيح أن ما هو كلىّ إذا كان فى الذهن يوجد / فى الخارج، لكن لا يوجد فى الخارج كليًّا. وهذا كما يُقال[4]: ما يتصوره الذهن قد يوجد فى

ظ ٢٢٢

٣/ ١١٣

(١) ن، م: مشترك.

(٢) ح، ر: يؤخذ.

(٣) مع: ساقطة من (ن).

(٤) ح: كما يقول.

الخارج وقد لا يوجد. ولا يُراد بذلك أن[1] نفس الصورة الذهنية تكون بعينها فى الخارج، ولكن يراد به أن ما يُتصور فى الذهن قد يوجد فى الخارج، كما يوجد أمثاله فى الخارج.

كما يتصور الإنسان[2] داراً يبنيها وعملا يعمله، ويقول الرجل لغيره: جئتَ بما كان فى نفسى، وفعلتَ هذا كما كان فى نفسى. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «زوّرتُ فى نفسى مقالة، فجاء أبو بكر فى بديهته بأحسن منها». وهذا كله معروف عند الناس؛ فإن الشىء له وجود فى نفسه، وله مثال مطابق [له][3] فى العلم، ولفظ يدل على ذلك المثال العلمى، وخط يطابق ذلك اللفظ. ويقال: له وجود فى الأعيان، ووجود فى الأذهان، ووجود فى اللسان، ووجود فى البنان[4]. ووجود عينى، وعلمى، ولفظى، ورسمى. كالشمس الموجودة، والكعبة الموجودة. ثم إذا رأى الإنسان الشمس يمثّلها فى نفسه، ثم يقول بلسانه: شمس، وكعبة. ثم يكتب بخطه: شمس، وكعبة. فإذا كَتَبَ وقيل: هذه الشمس التى فى السماء، وهذه الكعبة التى يصلّى إليها المسلمون، لم يرد بذلك أن الخط هو الشمس والكعبة، ولكن المعنى معروف.

كما إذا قال[5]: يازيد؛ فالمنادى لا ينادى الصوت.وإذا قال: ضربتُ

---

(١) أن: كذا فى (م)، (ب). وفى سائر النسخ: أنه.

(٢) و: الرجل.

(٣) له: ساقطة من (ن).

(٤) ح، م: البيان.

(٥) ب: قيل.

زيدا، لم يرد أنه ضرب الحروف. لكن قد عُرف أنه إذا أطلق الأسماء فالمراد مسمياتها التى جعلت الأسماء دالةً عليها، وإذا كُتبت الأسماء فالمراد بالخط ما يراد باللفظ. فإذا قيل لما فى الورقة هذه الكعبة من الحجاز، فالمراد المسمَّى[1] بالاسم اللفظى الذى طابقه الخط.

ومثل هذا كثير يعرفه كل أحد. فإذا قيل لما فى النفس: ليس بعينه هو الموجود فى الخارج؛ فهو بهذا الاعتبار، أى ما تصوّرته [فى][2] النفس موجود فى الخارج، لكن يطابقه مطابقة المعلوم للعلم.

فإذا قيل: الكلى الطبيعى فى الخارج؛ فهو بهذا الاعتبار. أى يوجد فى الخارج ما يطابقه الكلىّ[3] الطبيعى؛ فإنه المطلق لا بشرط، فيطابق المعيَّنات بخلاف المطلق بشرط الإطلاق؛ فإن هذا لا يطابق المعيَّنات.

وأما أن يقال: [إن][4] فى الخارج أمرا كليا مشتركا فيه بعينه، هو فى هذا المعيَّن وهذا المعين، فهذا[5] باطل قطعا. وإن كان قد قاله طائفة، وأثبتوا ماهيات مجردة فى الخارج عن المعيّنات، وقالوا: إن تلك الماهية غشيتها غواش غريبة، وإن أسباب الماهية غير أسباب الوجود. وهذا قد بُسط الكلام عليه فى الكلام على المنطق وعلى «الإشارات» وغير ذلك، وبُيِّن أن الذى لا ريب فيه أن ما يُتصور فى الأذهان ليس هو الموجود فى

---

(١) ح: بالمسمى.

(٢) فى: ساقطة من (ن).

(٣) ح: بالكلى.

(٤) إن: ساقطة من (ن)، (ح)، (ب)، (ر).

(٥) ن: وهذا، وهو تحريف.

الأعيان، فمن عنى بالماهية ما فى الذهن، وبالوجود ما فى الخارج، فهو مصيب فى قولـه: الوجود مغاير للماهية. وأما إذا عنى بالماهية ما فى الخارج، وبالوجود ما فى الخارج، وبالماهية ما فى الذهن، وبالوجود ما فى الذهن، وادّعى أن فى الذهن شيئين، وأن فى الخارج شيئين: وجود وماهية؛ فهذا يتخيّل[1] خيالا لا حقيقة له. وبهذا التفصيل يزول الاشتباه الحاصل فى هذا الموضع.

ولفظ «الماهية» مأخوذ من قول السائل: ما هو؟ وما هو سؤال عمّا يتصوره المسئول ليجيب عنه، وتلك هى الماهية للشىء فى نفسه. والمعنى المدلول عليه باللفظ لابد أن يكون مطابقاً للفظ، فتكون دلاله اللفظ عليه بالمطابقة، ودلاله اللفظ على بعض ذلك المعنى بالتضمن، ودلالته على لازم ذلك المعنى بالالتزام[2].

وليست دلالة المطابقة دلالة اللفظ. على ما وُضع له، كما يظنه بعض الناس، ولا دلالة[3] التضمن استعمال اللفظ فى جزء معناه، ولا دلالة[4] الالتزام استعمال اللفظ فى لازم معناه.

بل يجب الفرق بين ما وُضع له اللفظ وبين ماعناه المتكلم باللفظ، وبين ما يحمل المستمع عليه اللفظ. فالمتكلم إذا استعمل اللفظ فى

---

(١) و: متخيل.

(٢) فى هامش (ر) كتب ما يلى: «كلام فى أقسام الدلالات الثلاث: المطابقة والتضمن والالتزام».

(٣) ح، ب، و: ودلالة.

(٤) ح، ب، و: ودلالة

معنى فذلك المعنى هو الذى عناه باللفظ، وسُمِّى «معنى»[1] لأنه عنى به[2] أى قُصد وأُريد بذلك، فهو مراد المتكلم ومقصوده بلفظه.

ثم قد يكون اللفظ مستعملا [فيما وضع له، وهو الحقيقة. وقد يكون مستعملا][3] فى غير ما وضع له، وهو المجاز. وقد يكون المجاز من باب استعمال لفظ الجميع فى البعض، ومن باب استعمال الملزوم فى اللازم. وقد / يكون فى غير ذلك. ٣/ ١١٤

وذلك كله دلالة اللفظ على مجموع المعنى، وهى دلالة المطابقة، سواء كانت الدلالة حقيقية أو مجازية[4] أو غير ذلك. ثم ذلك المعنى المدلول عليه اللفظ: إذا كان له جزء فدلالة اللفظ عليه تضمن؛ لأن اللفظ تضمّن[5] ذلك الجزء. ودلالته على لازم ذلك المعنى هى دلالة الملزوم، وكل لفظ استعمل فى معنى فدلالته / عليه مطابقة؛ لأن اللفظ طابق المعنى بأى لغة كان، سواء سُمِّى ذلك حقيقة أو مجازا. ص٢٢٣

فالماهية التى يعنيها المتكلم بلفظه دلالة لفظه عليها [دلالة][6] مطابقة، ودلالته على ما دخل فيها دلالة تضمن، ودلالته على ما يلزمها وهو خارج عنها دلالة الالتزام.

---

(١) و: معناه.
(٢) به: زيادة فى (ن).
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).
(٤) ح، ر: حقيقة أو مجازية؛ و: حقيقته أو مجازته.
(٥) ح، ر: يضمن.
(٦) دلالة: زيادة فى (ب) فقط.

فإذا قيل: الصفات الذاتية الداخلة فى الماهية والخارجة عن الماهية، وعُنى بالداخل ما دلّ عليه اللفظ بالتضمن، وبالخارج مادلّ عليه بالالتزام[1]؛ فهذا صحيح.

وهذا الدخول والخروج هو بحسب ما تصوّره المتكلم؛ فمن تصوّر حيوانا ناطقا فقال: إنسان؛ كانت دلالته على المجموع مطابقة، وعلى أحدهما تضمن، وعلى اللازم - مثل كونه ضاحكا - التزام[2]. وإذا تصوّر إنسانا ضاحكا كانت دلالة إنسان على المجموع مطابقة، وعلى أحدهما تضمن، وعلى اللازم مثل كونه[3] ناطقا التزام.

وأما أن تكون الصفات اللازمة للموصوف فى الخارج: بعضها داخل فى حقيقته وماهيته، [وبعضها خارج عن حقيقته وماهيته][3]، والداخل هو الذاتى، والخارج ينقسم إلى لازم للماهية[4] والوجود، وإلى لازم للوجود دون الماهية؛ فهذا كله مما قد بُسط الكلام عليه [فى مواضع][5]، وبيّنا ما فى المنطق اليونانى من الأغاليط، التى بعضها من معلّمهم الأول، وبعضها من تغيير المتأخرين.

وتكلمنا على ما ذكره أئمتهم فى ذلك [واحداً واحدا][6]، كابن سينا

---

(١) و: بالإلزام.

(٢) ح، ى، ر: وعلى كونه ضاحكا التزام؛ و: وعلى كونه ضاحكا إلزام؛ ن، م: مثل كونه ناطقا التزام.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٤) ن: إلى اللازم للماهية؛ ح، و: إلى لازم الماهية.

(٥) فى مواضع: ساقطة من (ن)، (م).

(٦) واحدا واحدا: ساقطة من (ن)، (م).

وأبى البركات وغيرهما، وأنه[1] يوجد من كلامهم أنفسهم[2]، ومن رد بعضهم على بعض، ما يبيّن أن ما ذكروه من تقسيم الصفات اللازمة للموصوف إلى هذه الأقسام الثلاثة تقسيم باطل. إلا إذا جُعل ذلك باعتبار ما فى الذهن من الماهية، لا باعتبار ماهية موجودة فى الخارج.

وكذلك ما فرّعوه على هذا من أن الإنسان مركّب من الجنس والفصل؛ فإن هذا التركيب[3] ذهنى لا حقيقة له فى الخارج. وتركّبه من الحيوان والناطق من جنس تركّبه من الحيوان والضاحك، إذا جُعل كلٌّ من الصفتين[4] لازما ملزوما، وأُريد الضاحك بالقوة والناطق بالقوة[5].

وأما إذا قيل: [فى الخارج][6] الإنسان مركّب من هذا وهذا. فإن أُريد به أن الإنسان موصوف بهذا وهذا؛ فهذا[7] صحيح. وكذلك[8] إذا فُرِّق بين الصفات اللازمه للإنسان، التى لا يكون إنسانا إلا بها، كالحيوانية والناطقية والضاحكية، وبين ما يعرض لبعض الناس، كالسواد والبياض والعربية والعجمية؛ فهذا صحيح.

أما إذا قيل: هو مركّب من صفاته اللازمة له، وهى أجزاء له، وهى

---

(١) ن: فإنه.

(٢) ح، ب: بأنفسهم.

(٣) و: المركب.

(٤) ح، ر، و: الصنفين.

(٥) ن: وبالناطق بالقوة، وهو تحريف. وسقطت العبارة من (م).

(٦) فى الخارج: ساقطة من (ن).

(٧) ن: فهو.

(٨) ح، ر، ب، ى: وهكذا.

متقدمة عليه تقدماً ذاتيا ـ فإن الجزء قبل الكل، والمفرد قبل المركّب ـ وأُريد بذلك التركيب فى الخارج؛ فهذا كله تخليط. فإن الصفة تابعة للموصوف، فكيف تكون متقدمة عليه بوجه من الوجوه ؟

وإذا قيل: هو مركّب من الحيوانية والناطقية، أو من الحيوان والناطق؛ فإن أُريد أنه مركّب من جوهرين قائمين بأنفسهما، لزم أن يكون فى كل موصوف جواهر كثيرة بعدد صفاته؛ فيكون فى الإنسان جوهر هو جسم، وجوهر هو حسّاس، وجوهر هو نام، وجوهر هو متحرك بالإرادة، وجوهر هو ناطق.

ومعلوم أن هذا خطأ؛ بل الإنسان جوهر قائم بنفسه موصوف بهذه الصفات. فيُقال: جسّم حساس[1] نام متحرك بالإرادة ناطق.

وإن أريد [به][2] أنه مركّب من عرضين؛ فالإنسان جوهر، والجوهر لا يتركّب من أعراض لاحقة له، فضلا عن أن تكون سابقة له متقدمة عليه.

وهذا كله قد بسطناه فى مواضع. وإنما كان المقصود هنا أن هؤلاء الفلاسفة كثيرا ما يغلطون فى جعل الأمور الذهنية المعقولة فى النفس، فيجعلون ذلك بعينه أمورا موجودة فى الخارج. فأصحاب فيثاغورس القائلون بالأعداد المجرّدة فى الخارج من هنا كان غلطهم[3]، وأصحاب

---

(١) ن: جسم جوهر حساس، وهو خطأ.

(٢) به: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٣) فيثاغورس Pythagoras ـ فيلسوف ورياضى شهير. عرف حوالى منتصف القرن السادس قبل الميلاد. قال: إن العالم أشبه بعالم الأعداد منه بعالم الماء أو النار أو التراب، وقال: إن الموجودات أعداد وأن العالم عدد ونغم، وقال بالتناسخ. انظر عنه: الملل والنحل

أفلاطون الذين أثبتوا المثل الأفلاطونية من / هنا كان غلطهم[1]، ٣/ ١١٥
وأصحاب صاحبه أرسطو الذين أثبتوا جواهر معقولة مجرّدة فى الخارج مقارنة للجواهر الموجودة المحسوسة، كالمادة والصورة والماهية الزائدة على الوجود فى الخارج، من هنا كان غلطهم[2].

وهم إذا أثبتوا هذه الماهية، قيل لهم: أهى فى الذهن أم فى الخارج؟ ففى أيهما أثبتوها ظهر غلطهم. وإذا قالوا: نثبتها مطلقة، مع قطع النظر

= ٧٨/٢ - ٧٩؛ تاريخ الحكماء للقفطى، ص ٢٥٨ - ٢٥٩؛ طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ١/ ٦٠ - ٦٨؛ تاريخ ابن العبرى ص ٥٠؛ تاريخ الفلسفة اليونانيه لكرم، ص ٢٠ - ٢٦؛ فجر الفلسفة اليونانية، ص ٧٠ - ٩٢؛ نشأة الفكر الفلسفى، ٣٨ - ٦٠؛ ربيع الفكر اليونانى، ص ١٠٦ - ١١٦؛ الفلسفة عند اليونان، ص ٦٩ - ٨٢؛
Greek Philosophy, PP. 36 - 40.

(١) أفلاطون (وجاء فى (ن)، (و)، (ر): أفلاطن) Plato: هو الفيلسوف اليونانى الشهير. ولد ٤٢٨ ق. م، وتوفى سنة ٣٤٨ ق. م. انظر عنه وعن آرائه: الملل والنحل ٩٤/٢ - ١٠١؛ تاريخ الحكماء للقفطى، ص١٧ - ٢٧؛ طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ٧٨ - ٨٤؛ أفلاطون للدكتور عبدالرحمن بدوى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤؛ الفلسفة عند اليونان، ص ١٦٥ - ٢٤٣؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، ص٦٢ - ١١١؛ تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراندرسل ترجمة د. زكى نجيب محمود، ص١٧٦ - ٢٥٧
Greek Philosophy, PP. 58-255; A.E. Taylor: Plato, London, 1963

(٢) أرسطو الذى عرف بالمعلم الأول وهو أشهر فلاسفة اليونان على الإطلاق، ولد سنة ٣٨٤ق. م. وتوفى سنة ٣٢٢ق. م. انظر عنه وعن آرائه: الملل والنحل ١٢٨/٢ - ١٤٥؛ تاريخ الحكماء، ص ٢٧ - ٥٣؛ طبقات الأطباء، ص ٨٤ - ١٠٥؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١١٢ - ٢٠٩؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص٢٥٨ - ٣٣١؛ الفلسفة عند اليونان، ص٢٤٥ - ٣٦٤؛ أرسطو للدكتور عبدالرحمن بدوى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٤؛
Greek Philosophy. pp. 257-380; D. Ross, Aristotle, London, 1974

عن هذا وهـذا أو أعم[1] من هذا وهذا. قيل: عدم نظر الناظر لا يغير الحقائق عمّا هى عليه فى نفس الأمر: إما فى الذهن وإما فى الخارج.

وما كان أعم منها فهو أيضا فى الذهن؛ فإنك إذا قدَّرت ماهية لا فى الذهن ولا فى الخارج لم تكن مقدِّرا[2] إلا فى الذهن. ومعنى ذلك أن هذا التقدير فى الذهن، لا أن الماهية التى قيل عنها: ليست فى الذهن - هى فى الذهن / ، بل الماهية التى تصورها الإنسان فى ذهنه يمكنه تقديرها ليست فى ذهنه، مع أن تقديرها ليست فى ذهنه هو فى ذهنه، وإن كان تقديرا ممتنعا.

ظ ٢٢٣

بل يجب الفرق بين الماهية المقيّدة بكونها فى الذهن، وبين الماهية المطلقة التى لا تتقدر بذهن ولا خارج، مع العلم بأن هذه الماهية المطلقة لا تكون أيضا إلا فى الذهن، وإن أعرض الذهن عن كونها فى الذهن. فكونها فى الذهن شىء، والعلم بكونها فى الذهن شىء آخر.

وهؤلاء يتصورون[3] أشياء ويقدِّرونها، وذلك لا يكون إلا فى الذهن. لكن حال ما يتصور الإنسان [شيئاً][4] فى ذهنه ويقدِّره، قد لا يشعر بكونه فى الذهن، كمن رأى الشىء فى الخارج، فاشتغل بالمرئى عن كونه رائيا له. وهذا يشبه ما يسمّيه بعضهم الفناء، الذى يفنى بمذكوره عن ذكره،

---

(١) م، ب: وأعم.

(٢) ن، م: لم تكن مقدرة.

(٣) ن، م: وهؤلاء يصورون؛ ح، ر: وهم لا يتصورون.

(٤) شيئا: فى (ب) وسقطت من سائر النسخ.

وبمحبـوبـه عن محبتـه، وبمعبوده عن عبادته، ونحو ذلك. كما يقدر الشيء بخلاف ما هو عليه، كما إذا قَدَّر أن الجبل من ياقوت، والبحر من زئبق. فتقدير الأمور على خلاف ما هى عليه هو تقدير اعتقادات باطلة.

والاعتقادات الباطلة لا[1] تكون إلا فى الأذهان. فمن قدَّر ماهية لا فى الذهن ولا فى الخارج، فهو مثل من قدَّر موجوداً لا واجبا ولا ممكنا، ولا قديما ولا محدَثا، ولا قائما بنفسه ولا قائما بغيره. وهذا التقدير فى الذهن.

وقد بسطنا الكلام على ذلك لما بيَّنا فساد احتجاج كثير من أهل النظر بالتقديرات الذهنية على الإمكانات الخارجية، كما يقوله الرازى وغيره: إنا يمكننا أن نقول: الموجود إما داخل العالم وإما خارج العالم، وإما لا داخل العالم ولا خارجه. وكل[2] موجود إما مباين لغيره وإما محايث له، وإما لا مباين ولا محايث. فهذا يدل على إمكان القسم الثالث.

وكذلك إذا قلنا: الموجود إما متحيز وإما قائم بالمتحيز، وإما لا متحيز ولا قائم بالمتحيز. وهـذا يدل على إمكـان القسم [الثـالث][3]. وهذا غلط؛ فإن هذا كقول القائل: الموجود إما قائم بنفسه وإما قائم بغيره، وإما لا قائم بنفسه ولا بغيره، فدل على إمكان القسم الثالث؛ فإن هذا غلط.

---

(١) والاعتقادات الباطلة لا: عند هذا الموضع تنتهى نسخة (و)= الولايات المتحدة الأمريكية فى ص٢٨٢ منها، كما بينت ذلك فى المقدمة.

(٢) ر، ى: أو كل.

(٣) الثالث: ساقطة من (ن).

وكذلك إذا قيل: إما قديم وإما محدَث، وإما لا قديم ولا محدَث، وإما واجب وإما ممكن، وإما لا واجب ولا ممكن. وكذلك ما أشبه هذا.

ودخل الغلط على هؤلاء حيث ظنوا أن مجرد تقدير الذهن وفرضه يقتضى إمكان ذلك فى الخارج. وليس كذلك، بل الذهن يفرض أموراً ممتنعة لا يجوز وجودها فى الخارج، ولا تكون تلك التقديرات إلا فى الذهن لا فى الخارج.

وهـذه الأمـور مبسـوطة فى موضع آخر، ولكن المقصود هنا ذكر ما اختلف فيه النـاس من جهة الذم والعقاب، وبيَّنا أن الحال يرجع إلى أصلين: أحدهما: أن كل ما تنازع فيه الناس: هل يمكن [كل][1] أحد اجتهاد يَعْرِفُ به الحق؟ أم[2] الناس ينقسمون إلى قادر على ذلك وغير قادر؟

والأصل الثانى: المجتهد العاجز عن معرفة الصواب: هل يعاقبه الله أم لا يعاقب من اتقى الله ما استطاع وعجز عن معرفة بعض الصواب؟

وإذا عُرف هذان الأصلان؛ فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [جميع][3] ما يُطعن به فيهم أكثره كذب. والصدق منه غايته أن يكون ذنباً أو خطأ، والخطأ مغفور، والذنب له أسباب متعددة توجب المغفرة، ولا يمكن أحد[4] أن يقطع بأن واحدا منهم فعل من الذنوب ما يوجب النار

(١) كل: ساقطة من (ن).

(٢) ن: بل.

(٣) جميع: ساقطة من (ن)، (م).

(٤) ر، ب، ى: أحدا.

٣ / ١١٦

لا محالة. وكثير مما يطعن به على أحدهم / يكون من محاسنه وفضائله. فهذا[١] جواب مجمل[٢].

ثم نحن نتكلم على ما ذكرته الرافضة من المطاعن على وجه التفصيل، كما ذكره أفضل الرافضه فى زمنه[٣] صاحب هذا لكتاب، لما ذكر أن الكلبىّ صنف كتابا فى «المثالب»[٤].

عود إلى مناقشة ابن المطهر بعد الاستطراد الطويل: كلام ابن المطهر عن بعض مثالب أبى بكر رضى الله عنه - فى زعمه

قال الرافضى[٥] «وقد ذكر غيره منها[٦] أشياء كثيرة، ونحن[٧] نذكر منها شيئا يسيرا. منها مارووه[٨] عن أبى بكر أنه قال على المنبر: إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتصم[٩] بالوحى، وإن لى شيطانا يعترينى، فإن استقمت فأعينونى، وإن زغت فقومونى، وكيف يجوز[١٠] إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه، مع أن الرعية تحتاج إليه ؟».

---

(١) ر، ح، ى: وهذا.

(٢) هنا ينتهى الاستطراد الطويل الذى بدأه ابن تيمية ٣/ ٢٩ (ب) ويعود فيما يلى إلى مناقشة كلام ابن المطهر. (٣) ح، ب: فى زمانه.

(٤) بعد كلمة «المثالب» فى (ى): الفصل الرابع عشر. وفى (ن)، (م): ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم. زادت (م): فصل.

(٥) عبارة «قال الرافضى»: ساقطة من (م). والكلام التالى فى (ك) ص١٣٢ (م).

(٦) ك: منهم.

(٧) ونحن: كذا فى (م)، (ك). وفى سائر النسخ: نحن.

(٨) ح، ب: رواه.

(٩) ن، م: كان يعصم.

(١٠) يجوز: كذا فى (ى)، (ك)؛ . وفى (ح)، (ر)، (ب): تجوز.

الرد عليه

والجواب أن يقال: هذا الحديث من أكبر فضائل الصديق رضى الله عنه وأدلها على أنه لم يكن [يريد علواً فى الأرض ولا فسادا ، فلم يكن][1] طالب رياسة، ولا كان ظالما، وإنه إنما كان يأمر الناس بطاعة الله ورسوله فقال لهم: إن استقمت على طاعة الله فأعينونى عليها، وإن زغت عنها فقوّمونى. كما قال أيضا: [أيها الناس][2] أطيعونى ما أطعت الله، فإذا اعصيت الله فلا طاعة لى عليكم.

والشيطان الذى يعتريه يعترى جميع بنى آدم[3]؛ فإنه ما من أحد إلا [وقد][4] وكَّل الله به قرينه من الملائكه وقرينه من الجن.

والشيطان يجرى من ابن آدم[5] مجرى الدم، كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من أحد إلا وقد وكَّل اللّه به قرينه من الملائكة وقرينه / من الجن». قيل: وأنت يارسول الله ؟ قال: «وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم، فلا يأمرنى إلا بخير» [6].

ص ٢٢٤

وفى الصحيح عنه قال: لما مرّ به بعض الأنصار وهو يتحدث مع

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)

(٢) أيها الناس: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) ن: جميع الناس.

(٤) وقد ساقطة من (ن)، (م).

(٥) ر: من بنى آدم.

(٦) الحديث عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه بلفظ: ما منكم من أحد.. الخ فى: مسلم ٢١٦٧/٤ ـ ٢١٦٨ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعث سراياه..)؛ سنن الدارمى ٣٠٦/٢ (كتاب الرقاق، باب ما من أحد إلا ومعه قرينه من الجن)؛ المسند (ط. المعارف) ٢٣٥/٥ ـ ٢٣٦، ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ٣٠٦، ١٨٢/٦ (بلفظ: ما من أحد...).

صفية ليلا، قال: «على رسلكما، إنها صفية[1] [بنت حيي][2]». ثم قال: «إني خشيت أن يقذف الشيطان فى قلوبكما شيئا؛ إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»[3].

ومقصود الصديق بذلك: إنى لست معصوما كالرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا حق.

وقول القائل: كيف تجوز إمامة من يستعين على تقويمه بالرعية؟ كلام جاهل بحقيقة الإمامة. فإن الإمام ليس هو ربًّا لرعيته[4] حتى يستغنى عنهم، ولا هو رسول الله إليهم حتى يكون هو الواسطة بينهم وبين الله. وإنما هو والرعية شركاء يتعاونون هم وهو على مصلحة الدين والدنيا؛ فلابد له من إعانتهم، ولابد لهم من إعانته، كأمير القافله الذى يسير بهم فى الطريق: إن سلك بهم الطريق اتّبعوه، وإن أخطأ عن الطريق[5] نبّهوه وأرشدوه، وإن خرج عليهم صائل يصول عليهم تعاون هو وهم على دفعه. لكن إذا كان أكملهم علما وقدرة ورحمة كان ذلك أصلح لأحوالهم.

---

(١) ح، ب: لصفية.

(٢) بنت حيي: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) الحديث عن صفية بنت حُيَى أم المؤمنين رضى الله عنها فى: البخارى ١٢٤/٤ (كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده). وجاء الحديث أيضا فى: البخارى ٥٠/٣ (كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها فى اعتكافه، باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه)، ٧٠/٩ (كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم...). والحديث فى سنن أبى داود وسنن ابن ماجة والدارمى ومسند أحمد.

(٤) ح، ب: رب الرعية.

(٥) ح، ر: فى الطريق.

وكـذلك إمام الصلاة إن استقام صلُّوا بصلاته، وإن سها سبَّحوا به فقوَّموه إذا زاغ.

وكذلك دليل الحاج إن مشى بهم فى الطريق مشوا خلفه، وإن غلط قوَّموه.

والناس بعد الرسول لا يتعلمون الدين من الإمام(١)، بل الأئمة والأمة كلهم يتعلمون الدين من الكتاب والسنة.

ولهذا لم يأمر الله عند التنازع برد الأمر إلى الأئمة، بل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية [سورة النساء: ٥٩]؛ (٢فأمر بالرد عند التنازع إلى الله والرسول٢) لا إلى الأئمة وولاة الأمور، وإنما أمر بطاعة ولاة الأمور تبعا لطاعة الرسول.

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: «إنما الطاعة فى المعروف»(٣). وقـال: «لا طاعـة لمخلوق فى معصية الخالق»(٤). وقال: «من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه»(٥).

---

(١) ن: لا يتعلمون الدين إلا من الإمام..

(٢ - ٢): ساقطة من (ح)، (ر).

(٣) سبق الحديث فيما مضى ١/٥٦٢، ٣/٣٨٨ (ت ١)..

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٣/٣٨٨ (ت ٣).

(٥) سبق الحديث فيما مضى ٣/٣٨٨ (ت ٤).

وقول القائل: كيف تجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه، مع أن الرعية تحتاج إليه ؟

وارد فى كل متعاونَيْن ومتشاركَيْن يحتاج كل منهما إلى الآخر، حتى الشركاء فى التجارات والصناعات. وإمام الصلاة هو بهذه المنزلة؛ فإن المأمومين يحتاجون إليه، وهو يحمل عنهم السهو وكذلك القراءة عند الجمهور، وهو يستعين بهم إذا سها فينبهونه على سهوه ويقوّمونه، ولو زاغ فى الصلاة[1] فخرج عن الصلاة الشرعية لم يتَّبعوه فيها. ونظائره متعددة.

ثم يُقال: استعانة عليٍّ برعيته وحاجته إليهم كانت أكثر من استعانة أبى بكر، وكان تقويم أبى بكر لرعيته وطاعتهم له أعظم من تقويم عليّ لرعيته وطاعتهم له. / فإن أبابكر كانوا إذا نازعوه أقام عليهم الحجة حتى يرجعوا إليه، كما أقام الحجة على عمر فى قتال ما نعى الزكاة وغير ذلك. وكانوا إذا أمرهم أطاعوه. وعليّ رضى الله عنه لما ذكر قوله فى أمهات الأولاد وأنه[2] اتفق رأيه ورأى عمر على أن لا يُبعن، ثم رأى أن يُبعن، فقال له قاضيه عبيدة السلمانى: رأيك مع عمر فى الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك فى الفرقة.

٣/ ١١٧

وكان يقول: اقضوا كما كنتم تقضون؛ فإنى أكره الخلاف، حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابى.

وكانت رعيته كثيرة المعصية له، وكانوا يشيرون عليه بالرأى الذى

(١) ح، ب: عن الصلاة.

(٢) ح، ر، ب: الأولاد أنه.

يخالفهم فيه، ثم يتبين له أن الصواب كان معهم. كما أشار عليه الحسن بأمور، مثل أن لا يخرج من المدينة دون المبايعة، وأن لا يخرج إلى الكوفة، وأن لا يقاتل بصفِّين، وأشار عليه أن لا يعزل معاوية، وغير ذلك من الأمور.

وفى الجملة فلا يشك عاقل أن السياسة انتظمت لأبى بكر وعمر وعثمان ما لم تنتظم لعلىّ رضى الله عنهم. فإن كان هذا لكمال المتولِّى وكمال الرعية، كانوا هم ورعيتهم أفضل. وإن كان لكمال المتولّى وحده، فهو أبلغ فى فضلهم. وإن كان ذلك لفرط نقص رعية علىٍّ، كان رعية علىّ أنقص من رعية أبى بكر رضى الله عنه وعمر وعثمان.

ورعيته هم الذين قاتلوا معه، وأقرُّوا بإمامته. ورعية الثلاثة كانوا مقرِّين بإمامتهم. فإذا كان المقرّون بإمامة الثلاثة أفضل من المقرّين بإمامة علىّ، لزم أن يكون كل واحد من الثلاثة أفضل منه.

وأيضا فقد انتظمت السياسة لمعاوية[1] ما لم تنتظم لعلىّ، فيلزم أن تكون رعية معاوية خيراً من رعية علىّ، ورعية معاوية شيعة عثمان، وفيهم النواصب المبغضون لعلىّ، فتكون شيعة عثمان والنواصب أفضل من شيعة علىّ، فيلزم على كل تقدير: **إما أن يكون الثلاثة أفضل من علىّ، وإما أن تكون شيعة عثمان والنواصب أفضل من شيعة علىّ والروافض.**

ظ ٢٢٤ وأيهما كان لزم فساد مذهب الرافضة؛ فإنهم / يدَّعون أن عليًّا أكمل

(١) ن، م: انتظمت الأمور لمعاوية.

من الثلاثة، وأن شيعته الذين قاتلوا معه أفضل من الذين بايعوا الثلاثة، فضلا عن أصحاب معاوية.

والمعلوم باتفاق الناس أن الأمر انتظم للثلاثة ولمعاوية ما لم ينتظم لعليّ. فكيف يكون الإمام الكامل والرعية الكاملة - على رأيهم - أعظم اضطرابا وأقل انتظاما من الإمام الناقص والرعية الناقصة ؟ بل من الكافرة والفاسقة على رأيهم ؟

ولم يكن فى أصحاب عليّ من العلم والدين والشجاعة والكرم، إلا ما هو دون ما فى رعية الثلاثة. فلم يكونوا أصلح فى الدنيا ولا فى الدين. ومع هذا فلم يكن للشيعة إمام ذو سلطان معصوم بزعمهم أعظم من عليّ، فإذا لم يستقيموا معه كانوا أن لا يستقيموا مع من هو دونه أَوْلى وأحرى. فعُلم أنهم شر وأنقص[1] من غيرهم.

وهم يقولون: المعصوم إنما وجبت عصمته لما فى ذلك من اللطف بالمكلَّفين والمصلحة لهم. فإذا عُلم أن مصلحة غير الشيعة فى كل زمان خير من مصلحة الشيعة، واللطف لهم أعظم من اللطف للشيعة، عُلم أن ما ذكروه[2] من إثبات العصمة باطل.

وتبيَّن حينئذ حاجة الأئمة إلى الأمة، وأن الصدِّيق هو الذى قال الحق وأقام العدل أكثر[3] من غيره.

---

(١) ح، ر، ب، ى: أنهم أنقص..

(٢) ح: أن ما ذكره.

(٣) ح، ر، ى: أعظم.

فصل[1]

تابع كلام الرافضى على أبى بكر رضى الله عنه

قال الرافضى:[2] «وقال: أقيلونى فلست[3] بخيركم، وعلىٌّ فيكم[4]. فإن كانت إمامته حقًّا كانت استقالته منها معصية، وإن كانت باطلة لزم الطعن».

الرد عليه

والجواب: أن هذا كذب، ليس فى شىء من كتب الحديث، ولا له إسناد معلوم. فإنه لم يقل: «وعلىٌّ فيكم» بل الذى ثبت[5] عنه فى الصحيح أنه قال يوم السقيفة: بايعوا أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح. فقال له عمر: بل أنت سيدنا وخيرنا[6] وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: كنت[7] والله لأن أُقدَّم فتُضرب عنقى، لا يقرّبنى ذلك إلى إثم، أحب إلىّ من تأمُّرى[8] على قوم فيهم أبو بكر[9].

ثم لو قال: «وعلىٌّ فيكم» لاستخلفه مكان عمر؛ فإن أمره كان مطاعا.

---

(١) ى: الفصل الخامس عشر: وسقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر).

(٢) فى (ك) ١٣٢ (م) - ١٣٣ (م).

(٣) ن: ليس؛ ك: لست.

(٤) كتبت عبارة «وعلىّ فيكم» فى (ك) بين السطرين.

(٥) ب (فقط): بل الحديث الذى ثبت...

(٦) ن، م: خيرنا وسيدنا.

(٧) ب (فقط): كان..

(٨) ن، م: من أن أتأمّر.

(٩) سبق حديث السقيفة فيما مضى ١/٥١٨، ٢/٥٠، ٥١.

وأما قوله: «إن كانت إمامته حقًّا كانت استقالته منها معصية».

فيقال: إن ثبت أنه قال ذلك، فإن كونها حقا إما بمعنى كونها جائزة، والجائز يجوز تركه. / وإما بمعنى كونها واجبة إذا لم يولّوا غيره ولم يقيلوه. وأما إذا أقالوه وولُّوا غيره لم تكن واجبة عليه.

٣/ ١١٨

والإنسان قد يعقد بيعا أو إجارة، ويكون العقد حقا، ثم يطلب الإقالة، وهو لتواضعه وثقل الحمل عليه قد يطلب الإقالة، وإن لم يكن هناك من هو أحق بها منه. وتواضع الإنسان لا يسقط حقه.

﴿فصل﴾[1]

تابع كلام الرافضي

قال الرافضي[2]: «وقال عمر: كانت بيعة أبى بكر فَلْتة وقى اللّه المسلمين[3] شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. ولو كانت إمامته صحيحة لم يستحق فاعلها القتل، فيلزم تطرق الطعن إلى عمر. وإن كانت باطلة، لزم الطعن عليهما معا»[4].

الرد عليه

والجواب: أن لفظ الحديث سيأتى. قال فيه: «فلا يغترن امرؤ أن يقول: «إنما كانت بيعة أبى بكر فلتة فتمت. ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكن وقى اللّهُ شرَّها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر»[5]. ومعناه أن بيعة أبى بكر بودر إليها من غير تريث ولا انتظار، لكونه

---

(١) سقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل السادس عشر.

(٢) فى (ك) ص١٣٣ (م).

(٣) المسلمين: ساقطة من (ح)، (ر)، (ى)، (ب).

(٤) ح، ر، ى، ب: جميعا.

(٥) سيرد هذا الحديث كاملا بعد قليل إن شاء الله.

كان متعيّنا لهذا الأمر. كما قال عمر: «ليس فيكم من تُقطع إليه الاعناق مثل أبى بكر».

وكان ظهور فضيلة أبى بكر على من سواه، وتقديم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم له على سائر الصحابة أمراً ظاهرا معلوما. فكانت دلالة النصوص على تعيينه تُغنى عن مشاورة وانتظار وتريث، بخلاف غيره؛ فإنه لا تجوز مبايعته إلا بعد المشاورة والانتظار والتريث. فمن بايع غير أبى بكر عن غير انتظار وتشاور لم يكن له ذلك.

وهذا قد جاء مفسًّرا فى حديث عمر هذا فى خطبته المشهورة الثابتة فى الصحيح، التى خطب بها مرجعه من الحج فى آخر عمره. وهذه الخطبة معروفة عند أهل العلم، وقد رواها البخارى فى صحيحه[1] عن ابن عباس، قال[2]: «كنت أقرىء رجالا من المهاجرين: منهم عبدالرحمن بن عوف، فبينما[3] أنا فى منزله[4] بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب فى آخر حجة حجّها، إذ رجع إلىَّ عبدالرحمن بن عوف[5]،

---

(١) ن، م: فى الصحيح.

(٢) سبق الإشارة إلى هذا الحديث ٣٨٦/٣ (ت ٦). والحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: البخارى ١٦٨/٨ ـ ١٧٠ (كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا زنت) وسأقابل النص التالى عليه إن شاء الله. وجاءت قطع من هذا الحديث فى مواضع مختلفة فى البخارى (انظر ط. دار القلم، تحقيق د. مصطفى البغا، دمشق وبيروت، ١٤٠١/١٩٨١ الأرقام ٢٣٣٠، ٣٢٦١، ٣٧١٣، ٣٧٩٦، ٦٤٤١، ٦٨٩٢.

(٣) ن، م، ر، ى: فبينا؛ ح: فيتنا، وهو تحريف.

(٤) ح: فى منزلى، وهو خطأ.

(٥) بن عوف: ليست فى «البخارى».

فقال: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك فى فلان يقول: لو قد مات عمر لقد[1] بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة فتمت؟ فغضب عمر ثم قال[2]: إنى إن شاء الله لقائمٌ العشية فى الناس فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. فقال[3] عبدالرحمن: فقلت: ياأمير المؤمنين لا تفعل؛ فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإنهم[4] هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم فى الناس، وأنا[5] أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيّرها عنك كل مطيرٍ، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول مقالتك[6] متمكنا[7]، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها[8] على مواضعها. فقال[9] عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: / فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجّلت بالرواح[10] حين زاغت

ص ٢٢٥

(١) لقد: ساقطة من (ح)، (ر)، (ى).

(٢) ح: فقال.

(٣) البخارى: قال.

(٤) البخارى: فإنهم.

(٥) وأنا: كذا فى (ب) والبخارى. وفى سائر النسخ: فأنا.

(٦) البخارى: ما قلت.

(٧) ح: مستمكنا.

(٨) ح: ويضعوها.

(٩) ن، م، ر، ى: قال.

(١٠) البخارى: عجلنا الرواح (وفى نسخة منه: عجلت بالرواح).

الشمس، حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتى ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب[1]، فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد [بن عمرو بن نفيل][2]:

ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف. فأنكر عليَّ، وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون[3] قام فأثنى على اللّه بما هو أهله، ثم قال: أمّا بعد فإنى قائل لكم مقالة قد قُدِّر لى أن أقولها، لا أدرى لعلها بين يَدَىْ أجلى، فمن عقلها ووعاها فليحدِّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشى أن لا يعقلها فلا أحلّ لأحد أن يكذب علىّ. إن الله بعث محمّداً صلّى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما[4] أنزل عليه آية[5] الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: [والله][6] ما نجد آية الرجم فى كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله. والرجم فى كتاب الله حق على من زنى [إذا أُحصن][7] من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحَبَل أو الاعتراف. ثم إنّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب

---

(١) ح، ب: عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٢) بن عمرو بن نفيل: فى (ر)، (ى)، البخارى فقط.

(٣) ح، م، ب: المؤذن.

(٤) البخارى: مما (وفى قراءة فيه: فيما).

(٥) البخارى: أنزل الله آية..

(٦) والله: فى البخارى، (ب) فقط.

(٧) إذا أحصن: فى (ب) والبخارى فقط.

اللّه: [أن][1] لا ترغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم[2].

ألا / إن[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى[4] بن مريم، وقولوا: عبدالله ورسوله». ثم إنه بلغنى أن قائلا منكم[5] يقول: والله لو مات عمر لبايعت[6] فلانا، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبى بكر فلتة[7] فتمت[8]، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن اللّه وَقَى شرَّها، وليس فيكم[9] من تُقطع الأعناق إليه مثل

٣/ ١١٩

(١) أن: فى (ب) والبخارى فقط.

(٢) البخارى: عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

(٣) ب: ألا وإن؛ البخارى: ألا ثُمَّ إن..

(٤) البخارى: كما أُطرى عيسى؛ م: لا تطرونى إطراء النصارى عيسى.

(٥) أن قائلا منك: كذا فى (ب) والبخارى. وفى (ح)، (ر)، (ى): أن قائلا فيكم. وفى (ن)، (م): أن فلانا فيكم.وفى هامش (ى) كتب ما يلى: «وقال بعض العلماء: إن آية الرجم التى نسخت: قوله تعالى: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهم ألبتة. وقد أبقى الله فى كتابه نظيرها وهو قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ [سورة النور: ٨]».

(٦) البخارى: بايعت.

(٧) قال ابن حجر فى شرحه للحديث (فتح البارى ١٤٧/١٢: «أى فجأة: وزنه ومعناه» ثم قال (فتح البارى ١٤٩/١٢): «الفلتة الليلة التى يشك فيها: هل هى من رجب أو شعبان، وهل من المحرم أو صفر؟ كان العرب لا يشهرون السلاح فى الأشهر الحرم، فكان من له ثأر تربّص، فإذا جاءت تلك الليلة انتهز الفرصة من قبل أن يتحقق انسلاخ الشهر فيتمكن ممن يريد إيقاع الشربه وهو آمن فيترتب على ذلك الشر الكثير، فشبه عمر الحياة النبوية بالشهر الحرام، والفلته بما وقع من أهل الردة، ووقى الله شر ذلك ببيعة أبى بكر لما وقع منه من النهوض فى قتالهم وإخماد شوكتهم. كذا قال (ابن الأعرابى) والأولى أن يقال: الجامع بينهما انتهاز الفرصة، لكن كان ينشأ عن أخذ الثأر الشر الكثير فوقى الله المسلمين شر ذلك».

(٨) البخارى: وتمت.

(٩) البخارى: منكم (وفى قراءة فيه: فيكم).

أبى بكر[1]. من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرَّةَ أن يقتلا[2]، وإنه قد كان من خبرنا[3] حين توفّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن[4] الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم فى سقيفة بنى ساعدة، وخالف عنا علىٌّ والزبير ومن معهما[5]، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر. فقلت لأبى بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء[6] من الأنصار. فقالا: لا عليكم أن [لا][7] تقربوهم. اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينّهم. فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة. فإذا رجل مزَمَّل[8] بين ظهرانيهم. فقلت: من هذا ؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة. فقلت: ما له ؟ قالوا: يوعك[9].

---

(١) قال ابن حجر: «قال الخطابى: يريد أن السابق منكم الذى لا يُلحق فى الفضل لا يصل إلى منزلة أبى بكر، فلا يطمع أحد أن يقع له مثلما وقع لأبى بكر من المبايعة له أولا فى الملأ اليسير، ثم اجتماع الناس عليه وعدم اختلافهم عليه».

(٢) انظر ما سبق أن ذكرته فى معنى هذه العبارة ٣/٣٨٦.

(٣) فى نسخة من البخارى: من خيرنا. (والمعنى أن أبا بكر كان من خير المسلمين حين وفاة النبى صلى الله عليه وسلم).

(٤) البخارى: إلا أن..

(٥) ن، م: ومن تبعهما.

(٦) ح، ر، ى: نريد هؤلاء إخواننا.

(٧) لا: ساقطة من (ن).

(٨) قال ابن حجر: «مزَمَّل بتشديد الميم المفتوحة ـ أى: مغلف».

(٩) قال ابن حجر: «يُوعك بضم أوله وفتح المهملة، أى يحصل له الوعك ـ وهو الحمى بنافض ـ ولذلك زمّل».

فلما جلسنا قليلا تشهّد خطيبهم، فأثنى على اللّه بما هو أهله، ثم قال: أمّا بعد فنحن أنصار اللّه وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر[1] المهاجرين رهط. وقد دفّت دافّة[2] من قومكم، [فإذا هم][3] يريدون أن يختزلونا[4] من أصلنا وأن يحضنونا[5] من الأمر، فلما سكت أردت[6] أن أتكلم، وكنت زوّرت[7] مقالة أعجبتنى أريد أن أقدّمها بين يَدَىْ أبى بكر، وكنت أدارى منه بعض الحدّ، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رِسْلِك[8]، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبوبكر، فكان هو أحلم منى وأوقر. والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بديهته مثلها أو أفضل منها، حتى سَكَت. فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف[9] هذا الأمر إلا لهذا الحىّ من قريش، هم أوسط العرب

---

(١) ح، ر، ى، ب: معاشر.

(٢) قال ابن حجر: «وقد دفت دافة من قومكم: بالدال المهملة والفاء: أى عدد قليل، وأصله من الدف، وهو السير البطىء فى جماعة».

(٣) فإذا هم: فى (ب) والبخارى فقط.

(٤) قال ابن حجر: «يختزلونا: بخاء معجمة وزاى: أى يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا. وقال أبو زيد: خزلته عن حاجته: عوّقته عنها، والمراد هنا بالأصل: ما يستحقونه من الأمر».

(٥) ح، ر، ى: أن يجتثونا. والكلمة غير منقوطة فى (ن)، (م). قال ابن حجر: «وأن يحضنونا: بحاء مهملة وضاء معجمة ـ ووقع فى رواية المستملى: أى يخرجونا، قاله أبو عبيد ـ وهو كما يقال: حضنه واحتضنه عن الأمر: أخرجه فى ناحية عنه واستبد به أو حبسه عنه».

(٦) ح، ر، ى، ن، م: وأردت.

(٧) قال ابن حجر: «قد زورت: بزاى ثم راء: أى هيأت وحسّنت، وفى رواية مالك: روّيت؛ . . . : من الروية ضد البديهة».

(٨) قال ابن حجر: على رسلك: بكسر الراء وسكون المهملة ويجوز الفتح ـ أى على مَهَلك: بفتحتين».

(٩) ن، ح، ر، ى: ولن نعرف.

نسبا وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا. فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقَدَّم فتُضرب عنقى لا يقرِّبنى ذلك من إثم أحب إلىَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلاّ أن تسوِّل لى[1] نفسى عند الموت شيئاً لا أجده[2] الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلها المُحَكَّك وعُذَيْقها المرجَّب[3]. منّا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش. فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى فَرِقْتُ من الاختلاف. فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده، فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته[4] الأنصار، ونزونا[5] على سعد بن عبادة، فقال قائل [منهم][6]: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر: وإنّا والله

---

(١) البخارى: إلىّ (وفى قراءة: لى).

(٢) ر: إلا أجده..

(٣) فى هامش (ر)، (ح) كتب ما يلى: «قاله (ح: القائل هو) الحباب بن منذر، ذكره أحمد (ر: الإمام أحمد) فى المسند. وفى هامش (ى): «وذكر الإمام أحمد فى مسنده أنه الحباب بن المنذر» وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فى شرح الحديث: «الجُذَيل: تصغير جذل، بكسر الجيم وسكون الذال، وهو العود الذى ينصب للإبل الجربى لتحتك به، وهو تصغير تعظيم، أى أنا ممن يستشفى برأيه، كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود. وقيل: أراد أنه شديد البأس صلب المكسر. العُذيق: تصغير العذق، بفتح العين وسكون الذال، وهو النخلة، وهو تصغير تعظيم أيضا. المرجّب: من الترجيب، وهو أن تعمد النخلة الكريمة ببناء من حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع».

(٤) ح، ر، ى، ن: ثم بايعه.

(٥) قال ابن حجر: «ونزونا: بنون وزاى مفتوحة: أى وثبنا».

(٦) منهم: فى (ب) والبخارى فقط.

ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبى بكر؛ خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةً، أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا، فإما بايعناهم[1] على ما لا نرضى[2]، وإما أن نخالفهم[3] فيكون فساد، فمن بايع رجلا على غير[4] مشورة من المسلمين فلا يتابع[5] هو ولا الذى[6] بايعه تغرّة أن يقتلا »[7]. قال مالك[8]: وأخبرنى ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن الرجلين اللذين لقياهما[9]: عويمر[10] بن ساعدة ومعن بن عدىّ - وهما ممن شهد بدرا[11] - قال ابن شهاب: وأخبرنى سعيد بن المسيب: أن

---

(١) ح، ر: فإما أن نبايعهم؛ ى: فإما أن نبايعهم بايعناهم. (٢) ت: على ما لا يرضى الله.

(٣) البخارى: وإما نخالفهم.

(٤) ح، ب: رجلا من غير؛ ر: رجلا غير.

(٥) ح، ى، ن: فلا يبايع.

(٦) ح، ب: هو والذى.

(٧) جاء هذا الحديث فى البخارى فى المواضع التى أشرت إليها. وجاءت قطعة من هذا الحديث الطويل عن عبدالله بن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فى: مسلم ١٣١٧/٣ (كتاب الحدود، باب رجم الثيب فى الزنى)؛ سنن أبى داود ٢٠٣/٤ - ٢٠٤ (كتاب الحدود، باب فى الرجم)؛ سنن الترمذى ٤٤٢/٢ - ٤٤٣ (كتاب الحدود، باب ما جاء فى تحقيق الرجم)؛ سنن ابن ماجة ٨٥٣/٢ (كتاب الحدود، باب الرجم)؛ الموطأ ٨٢٣/٢ (كتاب الحدود، باب ما جاء فى الرجم)؛ المسند (ط. المعارف) ٣٢٣/١ - ٣٢٧ (وجاء الحديث فى المسند مطولا). وقال الشيخ أحمد شاكر فى شرحه للحديث: «وكان هذا الحديث فى سنة ٢٣ قبيل مقتل عمر».

(٨) وهو مالك بن أنس راوى الحديث وإن لم يورده فى الموطأ كاملا بل أورد قطعة مختصرة منه، والزيادة التالية فى المسند (ط. المعارف) ٣٢٧/١.

(٩) ى: اللذين لقيا هما. .

(١٠) عويمر: كذا فى «المسند». وفى جميع النسخ: عويم.

(١١) عبارة «وهما ممن شهد بدرا» إيضاح من ابن تيمية. وليست فى «المسند» ولا فى (م).

الذى قال: أنا جذيلها المحكك وعُذيقها المرجَّب: الحُبَابُ بن المنذر.

وفى صحيح البخارى[1] عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسُّنْحِ [2]، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال[3]: وقال عمر: والله ما كان يقع فى قلبى[4] إلا ذاك - وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر [رضى الله عنه][5] فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقبّله][6]، فقال[7] / : بأبى وأمى[8]، طبتَ حيًّا وميتا، والذى نفسى بيده: لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رِسْلِك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال[9]: ألا من كان يعبد محمَّداً[10] فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حىّ لا يموت. وقال الله تعالى[11]: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾

ظ ٢٢٥

---

(١) ن، م: مسلم. والحديث فى: البخارى ٥/٦ - ٧ (كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب لو كنت متخذا خليلا).

(٢) فى البخارى بعد ذلك: قال إسماعيل: بالعالية. وقال ابن حجر (فتح البارى) ٧/٢٩: «تقدم ضبطة فى أول الجنائز وأنه بسكون النون، وضبطه أبو عبيد البكرى بضمها وقال: إنه منازل بنى الحارث من الخزرج بالعوالى، وبينه وبين المسجد النبوى ميل».

(٣) فى البخارى: قالت.

(٤) البخارى: فى نفسى.

(٥) رضى الله عنه: زيادة فى (ن)، (م)، (ح)، (ب)، (ى).

(٦) فقبله: ساقطة من (ن)، (م).

(٧) البخارى: قال.

(٨) البخارى: بأبى أنت وأمى.

(٩) ح، ب: فقال.

(١٠) البخارى: محمدا صلى الله عليه وسلم. (١١) ن: وقال الله؛ البخارى: وقال.

٣/ ١٢٠ [سورة الزمر: ٣٠]، وقال: / ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤] قال: فنشج الناس يبكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة. فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجرّاح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أنى هيّأت كلاما قد أعجبنى، خشيت أن لا يَبْلُغُه أبوبكر، ثم تكلم أبوبكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال فى كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حُباب ابن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبوبكر: لا، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب داراً، وأعربهم[١] أحساباً، فبايِعُوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة[٢]. فقال عمر: قتله الله[٣]».

وفى صحيح البخارى عن عائشة فى هذه القصة قالت[٤]: «ما كان[٥] من خطبتهما من خطبة إلاّ نفع اللّه بها، لقد خوَّف عمر الناس وإن فيهم

(١) ن، م، ب: وأرفعهم.

(٢) ر، ح، ى: قتلتم سعدا؛ ب: قتلتم والله سعداً.

(٣) جاء خبر وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى البخارى فى عدة أحاديث فى: ٢/ ٧١ - ٧٢ (كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت. . . .).

(٤) البخارى ٥/ ٧ (بعد الحديث السابق مباشرة). (٥) البخارى: فما كانت.

لنفاقا، فردّهم الله بذلك، ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهُدَى، وعرَّفهم الحق الذى عليهم».

وفى صحيح البخـارى عن أنس بن مالك[1]: أنه سمع خطبة عمر الآخـرة[2] حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتشهَّد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يَدْبُرَنَا، يريد بذلك أن يكـون آخـرهم؛ فإن يكن[3] محمد[4] قد مات فإن الله[5] قد جعل بين أظهركم[6] نورا تهتدون به، به هدى الله محمداً[7]، وإن أبا بكر صاحب رســول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين، وإنـه[8] أَوْلى المسلمين بأمـوركم، فقـوموا فبايِعُوه. وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، وكانت بيعة[9] العامة على المنبر».

وعنه[10]: «قال سمعت[11] عمر يقول لأبى بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد [المنبر][12]، فبايعه الناس عامة».

---

(1) البخارى ٩/٨١ (كتاب الأحكام، باب الاستخلاف).

(2) ح، ر، ب، ى: الأخيرة.

(3) البخارى: فإن يك.

(4) م، ح، ر: محمداً.

(5) البخارى: فإن الله تعالى.

(6) ر، ى: قد جعل لكم بين أظهركم.

(7) البخارى: محمدا صلى الله عليه وسلم.

(8) البخارى: فإنه (وفى قراءة: وإنه).

(9) ب (فقط): بيعته.

(10) فى: البخارى ٩/٨١ (الحديث التالى مباشرة).

(11) البخارى: قال الزهرى عن أنس بن مالك: سمعت.

(12) المنبر: ساقطة من (ن)، (م).

وفى طريق[1] أخرى لهذه الخطبة[2] : «أما بعد فاختار الله لرسوله الذى عنده على الذى عندكم، وهذا الكتاب الذى[3] هدى الله به رسوله[4]، فخذوا به تهتدوا، لما هدى الله[5] به رسوله صلى الله عليه وسلم[6] ».

﴿فصــــل﴾[7]

تابع كلام الرافضى على أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال الرافضى[8]: «وقال أبو بكر عند موته: ليتنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل للأنصار فى هذا الأمر حق؛ وهذا يدل على أنه فى شكٍ من إمامته ولم تقع صوابا».

الرد عليه

والجواب: أن هذا كذب[9] على أبى بكر رضى الله عنه، وهو لم يذكر له إسنادا. ومعلوم أن من احتج فى أى مسألة كانت بشىء من النقل، فلابد أن يذكر إسنادا تقوم به الحجة. فكيف بمن يطعن فى السابقين الأوَّلين بمجرد حكاية لا إسناد لها؟

ثم يقال: هذا يقدح فيما تدّعونه[10] من النص على علىٍّ؛ فإنه لو كان قد

(1) ن: طريقة.

(2) فى: البخارى ٩١/٩ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، أول الكتاب) والحديث عن أنس رضى الله عنه أنه سمع عمر...

(3) ح، ب: وهذا كتاب الله الذى..

(4) البخارى: رسولكم.

(5) البخارى: وإنما هدى الله (وفى قراءة أخرى: لما هدى الله..).

(6) صلى الله عليه وسلم: ليست فى البخارى.

(7) ى: الفصل السابع عشر. وسقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر).

(8) فى (ك) ص ١٣٣ (م).

(9) ح: كذاب.

(10) ن، م: يدعوه.

نصّ على عليّ لم يكن للأنصار فيه حق، ولم يكن فى ذلك شك.

﴿فصـــل﴾[1]

تابع كلام الرافضى

قال الرافضى[2]: «وقال عند احتضاره: ليت أمى لم تلدنى! ياليتنى[3] كنت تبنة فى لبنة. مع أنهم [قد][4] نقلوا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من محتضر يحتضر إلا ويرى مقعده من الجنة والنار[5]».

الرد عليه

والجواب: أن تكلّمه بهذا عند الموت غير معروف، بل هو باطل بلا ريب. بل الثابت عنه أنه لما احتُضر، وتمثلت عنده عائشة بقول الشاعر:-

لعُمرك ما يغنى الثراءُ عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدرُ

فكشف عن وجهه، وقال: ليس كذلك، ولكن قولى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَاكُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق: ١٩].

---

(١) ى: الفصل الثامن عشر. وسقطت كلمة «فصل» من (ن)، (م)، (ر)، (ح).

(٢) فى (ك) ص ١٣٣ (م). (٣) ح، ب: ليتنى. (٤) قد: ليست فى (ك).

(٥) ك: أو النار. ولم أجد حديثا بهذا اللفظ، ولكنى وجدت حديثا بمعناه ونصه فى: البخارى ٢/٩٩ - ١٠٠ (كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى) عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل الناس فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». وتكرر الحديث فى: البخارى ٤/١١٧ (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة)، ٨/١٠٧ (كتاب الرقاق، باب سكرات الموت). والحديث أيضا فى: مسلم ٤/٢١٩٩ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه...).

ولكن نقل عنه أنه قال فى صحته: ليت أمى لم تلدنى ! ونحو هذا قاله خوفاً ـ إن صح النقل عنه. ومثل هذا الكلام منقول عن جماعة أنهم قالوه خوفاً وهيبة من أهوال يوم القيامة، حتى قال بعضهم: لو خُيِّرت بين أن أحاسب وأدخل الجنة، وبين أن أصير ترابا، لاخترت أن أصير ترابا.

٣/ ١٢١ وروى / الإمام أحمد عن أبى ذر أنه قال: والله لوددت أنى شجرة تعضد. وقد روى أبو نُعيم فى «حلية الأولياء»[١] قال: حدثنا سليمان بن أحمد[٢]، حدثنا محمد بن على الصائغ، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا أبو معاوية، حدثنا السرى بن يحيى. قال[٣]: قال عبدالله بن مسعود: «لو وقفت بين الجنة والنار، فقيل لى: اختر فى أيهما تكون، أو تكون رمادا؛ لأخترت أن أكون رمادا»[٤].

وروى الإمام أحمد بن حنبل[٥]: حدثنا يحيى بن سعيد، عن مجالد، عن الشعبى، عن / مسروق. قال: قال رجل عند عبدالله بن مسعود: ما ص ٢٢٦ أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقرَّبين أحبُّ إلىّ. فقال عبدالله بن مسعود: لكن ها هنا رجل ودَّ أنه إذا مات لم يُبعث، يعنى نفسه.

والكلام فى مثل هذا[٦]: هل هو مشروع أم لا ؟ له موضع آخر. لكن

---

(١) ح، ر، ب، ى: فى الحلية. وهذا الأثر فى «حلية الأولياء» ١/ ١٣٣.

(٢) ح، ر، ى: حدثنا سلمان بن أحمد. والمثبت هو ما فى «الحلية».

(٣) فى «الحلية»: . . بن يحيى عن الحسن قال. . .

(٤) الحلية: . . اختر نخيرك من أيهما تكون أحب إليك أو تكون رمادا لأحببت أن أكون رمادا.

(٥) بن حنبل: ساقطة من (ح).

(٦) ح، ر، ى: فى مثل هذا الكلام.

الكلام الصادر عن خوف العبد من الله يدل على إيمانه بالله، وقد غفر الله لمن خافه حين أمر أهله بتحريقه وتذرية نصفه فى البر ونصفه فى البحر، مع أنه لم يعمل خيرا قط. وقال: والله لئن قدر الله عليَّ ليعذبنى عذابا لا يعذّبه أحدا من العالمين. فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه. وقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: من خشيتك يارب، فغفر له. أخرجاه فى الصحيحين[1].

فإذا كان مع شكه فى القدرة والمعاد، إذا فعل ذلك غُفر له بخوفه من الله، عُلم أن الخوف من الله من أعظم أسباب المغفرة للأمور الحقيقية، إذا قُدِّر أنها ذنوب.

﴿فصـــل﴾[2]

تابع كلام الرافضى

قال الرافضى[3]: «وقال أبو بكر: ليتنى فى ظلة بنى ساعدة ضربت بيدى على يد[4] أحد الرجلين، فكان[5] هو الأمير وكنت

(1) الحديث بألفاظ مقاربة عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ١٤٥/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله)؛ مسلم ٢١٠٩/٤ - ٢١١٠ (كتاب التوبة، باب فى سعة رحمة الله تعالى). وجاءت أحاديث فيها نفس الخبر مع اختلاف فى الألفاظ عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم فى: البخارى ١٧٦/٤ (كتاب الأنبياء، الباب الأخير: حدثنا أبو اليمان) عن أبى هريرة وأبى سعيد، ١٠١/٨ (كتاب الرقاق، باب الخوف من الله) عن حذيفة وأبى سعيد؛ مسلم ٢١١٠/٤، ٢١١١ (كتاب التوبة، باب فى سعة رحمة الله) حديث ٢٥، ٢٧. والحديث أيضا فى: سنن ابن ماجة ١٤٢١/٢ (كتاب الزهد، باب ذكر التوبة)؛ المسند (ط. الحلبى) ٧٧/٣ - ٧٨، ٥/٤، ٣٨٣، ٤٠٧ - ٤٠٨.

(2) سقطت كلمة فصل من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل التاسع عشر.

(3) فى (ك) ص ١٣٣ (م). (4) يد: ساقطة من (ح). (5) ك: وكان.

الـوزير». قال[1]: «وهـو يدل على أنه لم يكن صالحاً يرتضى لنفسه الإمامة»[2].

الرد عليه

والجواب: أن هذا إن كان قاله[3] فهو أدلّ دليل[4] على أن عليًّا لم يكن هو الإمـام؛ وذلـك أن قائل هذا إنما يقوله خوفاً من الله أن يضيع حق الولاية، وأنه إذا وَلَّى غيرَه، وكان وزيرا له، كان أبرأ لذمته. فلو كان عليّ هو الإمام، لكانت توليته لأحد الرجلين إضاعة للإمامة أيضا، وكان يكون وزيرا لظالم غيره، وكان قد باع آخرته بدنيا غيره. وهذا لا يفعله من يخاف الله، ويطلب براءة ذمته.

وهذا كما لو كان الميت قد وصَّى بديون، فاعتقد الوارث أن المستحقّ لها شخص، فأرسلها إليه مع رسوله، ثم قال: ياليتنى[5] أرسلتها مع من هو أَدْيَنُ منه؛ خوفا أن يكون الرسول الأول مقصِّرا فى الوفاء، تفريطا أو خيانـة. وهنـاك شخص حاضـر يدَّعى أنه المستحق للدَّيْن دون ذلك الغـائب، فلو علم الـوارث أنه المستحق، لكان يعطيه ولا يحتاج إلى الإرسال به إلى ذلك الغائب.

﴿فصـــــل﴾[6]

تابـع كـلام الرافضى

قال الرافضى[7]: «وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

---

(١) بعد الكلام السابق مباشرة. (٢) ك: يرتضى نفسه للإمامة. (٣) ح: أنه إن كان هذا قاله.

(٤) ح، ر، ى: فهو من أدل دليل. (٥) ح، ب: قال ليتنى.

(٦) سقطت كلمة فصل من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل العشرون.

(٧) فى (ك) ص ١٣٣ (م).

مرض موته، مرة بعد أخرى، مكرراً لذلك: انفذوا[1] جيش أسامة، لعن الله المتخلف عن جيش أسامة. وكان الثلاثة معه، ومنع أبو بكر عمر من ذلك».

الرد عليه

والجواب: أن هذا من الكذب المتفق على أنه كذب عند كل من يعرف السيرة[2]، ولم ينقل أحد من أهل العلم أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر أو عثمان فى جيش أسامة. وإنما رُوى ذلك فى عمر. وكيف يرسل أبا بكر فى جيش أسامة، وقد استخلفه يصلّى بالمسلمين مدة مرضه. وكان ابتداء مرضه من يوم الخميس إلى الخميس إلى يوم الإثنين، اثنى عشر يوما، ولم يقدِّم فى الصلاة بالمسلمين الا أبا بكر بالنقل المتواتر، ولم تكن الصلاة التى صلاَّها أبو بكر بالمسلمين فى مرض النبى صلى الله عليه وسلم صلاةً ولا صلاتين، ولا صلاة يوم ولا يومين، حتى يُظَنّ ما تدعيه الرافضة من التلبيس، وأن عائشة قدّمته بغير أمره، بل كان يصلّى بهم مدة مرضه؛ فإن الناس متفقون[3] على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل بهم فى مرض موته إلا أبو بكر، وعلى أنه صلّى بهم عدة[4] أيام. وأقل ما قيل: إنه صلّى بهم سبع عشرة صلاة؛ صلّى بهم صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة، وخطب بهم يوم الجمعة.

---

(١) انفذوا: كذا فى (ب)، (ك). وفى سائر النسخ: نفّذوا.

(٢) ح، ب: السير.

(٣) فى هامش (ر)، (ى) كتب ما يلى: «وجد فى أصل الأصل مكتوب بخط مصنفه من هنا إلى عند قوله: لكن خرج النبى».

(٤) ح، ب: مدة.

هذا مما تواترت به الأحاديث الصحيحة، ولم يزل يصلّى بهم إلى فجر يوم الاثنين: صلَّى بهم صلاة الفجر، وكشف النبى صلّى الله عليه وسلم الستارة، فرآهم يصلّون خلف أبى بكر، فلما رأوه كادوا / يفتتنون فى صلاتهم، ثُم أرخى الستارة. وكان ذلك آخر عهدهم به، وتوفى يوم الاثنين حين اشتد الضحى قريبا من الزوال.

٣/ ١٢٢

وقد قيل: إنه صلّى بهم أكثر من ذلك من[١] الجمعة التى قبل[٢]؛ فيكون قد صلّى بهم مدة مرضه كلها، لكن[٣] خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة واحدة لما وجد خفةً فى نفسه، فتقدَّم وجعل أبا بكر عن يمينه، فكان أبو بكر يأتمُّ بالنبى صلى الله عليه وسلم[٤]، والناس يأتمُّون بأبى بكر، وقد كَشَف الستارة يوم الاثنين، صلاة الفجر، وهم يصلّون خلف أبى بكر، ووجهه صلى الله عليه وسلم كأنه ورقة مصحف، فَسُرَّ بذلك لّما رأى اجتماع الناس فى الصلاة خلف أبى بكر، ولم يَرَوْه بعدها.

وقد قيل: إن آخر صلاة صلاَّها كانت خلف أبى بكر. وقيل: صلَّى خلفه غيرها.

فكيف يُتصور أن يأمره بالخروج فى الغزاة وهو يأمره بالصلاة بالناس ؟!

(١) من: ساقطة من (ح)، (ب).
(٢) ح، ب: التى قيل. وبعد «قبل» يوجد بياض بمقدار كلمة فى (ى).
(٣) فى هامش (ر) أمام هذا الموضع كتب: «كتب إلى هنا دوّن بخط المصنف فى أصل الأصل».
(٤) عند عبارة «صلى الله عليه وسلم» تنتهى ص ٢٤١ فى نسخة (ى) وكتب فى أسفل الصفحة ما يلى: «اعلم أن الذى يلى ربط آخر هذه الورقة، وهو قوله: «والناس» أول الورقة السادسة بعده فتنبّه». ووجدت هذه الصفحة فى غير مكانها فى نسخة (ى) إذا جاءت فى ص ٢٥٢.

وأيضـا فإنه جهَّز جيش أسامة قبل أن يمرض؛ فإنه أمَّره على جيش عامتهم المهاجرون؛ منهم عمر بن الخطاب فى آخر عهده صلّى الله عليه وسلم، وكانوا[1] ثلاثة آلاف، وأَمَرَه أن يغير على أهل مُؤتة، وعلى جانب فلسطين، حيث أصيب أبوه، وجعفر، وابن رواحة. فتجهّز أسامة ابن زيد للغزو، وخرج فى ثقله إلى الجرف، وأقام بها أياما لشكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقـال: «اغد على بركة الله والنصر والعافية / ثم أغِر[2] حيث أمرتك أن تغير». قال أسامة: يارسول الله قد أصبحتَ ضعيفاً، وأرجو أن يكون الله قد عافاك، فَأْذَنْ لى فَأَمْكُث حتى يشفِيَك الله، فإنى إن خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفى نفسى منك قرحة، وأكره أن أسأل عنك الناس» فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بأيام، فلما جلس أبو بكر للخلافة أنفذه مع ذلك الجـيش، غير أنه اسـتأذنه فى[3] أن يأذن لعمـــر بن الخطاب فى الإقامة؛ لأنه ذو رأى ناصح للإسلام، فأَذِن له، وسار أسامة لوجهه الـذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصاب فى ذلك[4] العدو مصيبة عظيمة، وغَنِم هو وأصحابه، وقتل قاتل أبيه، وردّهم الله سالمين إلى المدينة.

ظ ٢٢٦

---

(١) ح، ب: وكان.

(٢) ن، م: ثم أغر.

(٣) فى: ساقطة من (ح)، (ر).

(٤) ذلك: ساقطة من (ح)، (ر)، (ى).

وإنما أنفذ جيش أسامة أبو بكر الصدّيق بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم، وقال: لا أحِلُّ رايةً عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأشار عليه غير واحد أن يردَّ الجيش خوفاً عليهم؛ فإنهم خافوا أن يطمع الناس فى الجيش بموت النبى صلى الله عليه وسلم، فامتنع أبو بكر من ردّ الجيش وأمر بإنفاذه. فلما رآهم الناس يغزون عقب موت النبى صلى الله عليه وسلم، كان ذلك مما أيَّد اللّه به الدين، وشدَّ به قلوب المؤمنين، وأذلَّ به الكفّار والمنافقين، وكان ذلك من كمال معرفة أبى بكر الصدِّيق وإيمانه ويقينه وتدبيره [ورأيه][1].

﴿فصـــــل﴾[2]

تـابـع كـلام الـرافـضى على أبى بكر رضى الله عنه

قال الرافضى[3]: «وأيضا لم يُوَلِّ النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر ألبتة عملا فى وقته، بل ولَّى عليه عمرو بن العاص تارة وأسامة أخرى. ولما أنفذه[4] بسورة «براءة» ردّه بعد ثلاثة أيام بوحى من الله، وكيف يرتضى[5] العاقل إمامة من لا يرتضيه النبى[6] صلى الله عليه وسلم بوحى من الله لأداء عشر آيات من «براءة» ؟!».

---

(١) ورأيه: ساقطة من (ن).

(٢) سقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل الحادى والعشرون.

(٣) فى (ك) ص ١٣٤ (م).

(٤) أنفذه: كذا فى (ب)، (ك). وفى سائر النسخ: نفّذه.

(٥) ح، م، ر، ى، ب: يرضى.

(٦) ح، ب، ى، ر: رسول الله.

الرد عليه

والجواب : أن هذا من أَبْيَن الكذب ؛ فإنه من المعلوم المتواتر عند أهل التفسير والمغازى والسير والحديث والفقه وغيرهم : أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج عام تسع ، وهو أول حج كان فى الإسلام من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن قبله حج فى الإسلام ، إلا الحجة التى أقامها عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية من مكة ؛ فإن مكة فتحت سنة ثمان ، وأقام الحج ذلك العام عتاب بن أسيد ، الذى استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على أهل مكة ، ثم أمّر أبا بكر سنة تسع للحج ، بعد رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، وفيها أَمَر أبا بكر بالمناداة فى الموسم : أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان . ولم يؤمِّر النبى صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر على مثل هذه الولاية ؛ فولاية أبى بكر كانت من خصائصه ، فإن النبى صلى الله عليه / وسلم لم يؤمِّر على الحج أحدا كتأمير أبى بكر ، ولم يستخلف على الصلاة أحدا كاستخلاف أبى بكر ، وكان علىٌّ من رعيته فى هذه الحجة ؛ فإنه لحقه فقال : أمير أو[1] مأمور ؟ فقال علىّ : بل مأمور . وكان علىّ يصلى خلف أبى بكر مع سائر المسلمين فى هذه الولاية ، ويأتمر لأمره كما يأتمر له سائر من معه ، ونادى علىٌّ مع الناس[2] فى هذه الحجة بأمر أبى بكر .

٣/ ١٢٣

وأما ولاية غير أبى بكر فكانت مما يشاركه فيها غيره ، كولاية علىّ

(١) ب (فقط) : أم .

(٢) بعد كلمة «الناس» فى أسفل نسخة (ى) كتب ما يلى : «اعلم أن ربط هذه الورقة وهو قوله : فى هذه الحجة ، فى الورقة الخامسة قبل هذه الورقة» . ووجدت الكلام التالى فى ص٢٤٤ .

وغيره؛ فلم يكن لعليّ ولاية إلا ولغيره مثلها، بخلاف ولاية أبى بكر، فإنها من خصائصه، ولم يولِّ النبى صلى الله عليه وسلم على أبى بكر لا أسامة بن زيد ولا عمرو بن العاص.

فأما تأمير أسامة عليه فمن[1] الكذب المتفق على كذبه.

وأما قصة عمرو بن العاص، فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان أرسل عَمْراً فى سرية، وهى غزوة ذات السلاسل[2]، وكانت إلى بنى عذرة، وهم أخوال عمرو، فأمَّر عمراً ليكون ذلك سببا لإسلامهم، للقرابة التى له منهم. ثم أردفه بأبى عبيدة، ومعه أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين. وقال: «تطاوعا ولا تختلفا» فلما لحق عَمْراً قال: أصلّى بأصحابى وتصلّى بأصحابك. قال: بل أنا أصلّى بكم؛ فإنما أنت مدد لى. فقال له أبو عبيدة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أطاوعك، فإن عصيتنى أطعتك. قال: فإنى أعصيك. فأراد عمرو أن ينازعه فى ذلك، فأشار عليه أبو بكر أن لا يفعل[3]. ورأى أبو بكر أن ذلك أصلح للأمر، فكانوا يصلّون خلف عمرو، مع علم كل أحدٍ[4] أن أبا بكر وعَمُر وأبا عبيدة أفضل من عمرو[5].

---

(١) ح، ب: فهو من..

(٢) قال ابن القيم فى «زاد المعاد» ٣٨٦/٣: «وهى وراء وادى القُرى بضم السين الأولى وفتحها لغتان، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت فى جُمادى الآخرة سنة ثمان» ثم قال ٣٨٧/٣: «وذكر ابن إسحاق نزولهم على ماء لجُذام يقال له: السلسل. وقال: وبذلك سميت ذات السلاسل».

(٣) ح، ب: أبو بكر لا تفعل؛ ر، ى: أبو بكر أن لا تفعل. (٤) ح، ب: كل واحد.

(٥) عبارة «تطاوعا ولا تختلفا» من كلام النبى صلى الله عليه وسلم لم ترد فى هذا الحديث وإنما جاءت فى حديث آخر عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه

وكان ذلك لفضلهم[1] وصلاحهم؛ لأن عمراً كانت إمارته قد تقدّمت لأجل ما فى ذلك من تألّف[2] قومه الذين أُرسل إليهم لكونهم أقاربه. ويجوز تولية المفضول لمصلحة راجحة، كما أُمِّر أسامة بن زيد، ليأخذ بثأر أبيه زيد بن حارثة، لما قُتل فى غزوة مؤته. فكيف والنبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمِّر على أبى بكر أحداً فى شيء من الأمور؟!

بل قد علم بالنقل العام المتواتر أنه لم يكن أحد عنده أقرب إليه[3] ولا أخص به، ولا أكثر أجتماعا به ليلاً ونهارا، سرا وعلانية، من أبى بكر،

وسلم بعث معاذا وأبا موسى الأشعرى إلى اليمن وقال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشّرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا». وهذا الحديث فى البخارى فى كتاب الأحكام والجهاد والأدب والمغازى (فى طبعة د. البغا فى الأرقام: ٢٨٧٣، ٤٠٨٦ ـ ٤٠٨٨، ٥٧٧٣، ٦٧٥١) وهو فى مسلم ٣/١٣٥٨ ـ ١٣٥٩ (كتاب الجهاد والسير، باب فى الأمر بالتيسير وترك التنفير) وهو فى: المسند (ط. الحلبى) ٤/٤١٢، ٤١٧. وأما حديث غزوة السلاسل فهو عن عامر (الشعبى) فى: المسند (ط. المعارف) ٣/١٥١ ونصه: قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش ذات السلاسل، فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين، واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب، فقال لهما: تطاوعا. قال: وكانوا يُؤمرون أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو فأغار على قضاعة، لأن بكراً أخواله، فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبى عبيدة، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك علينا، وإن ابن فلان قد ارْتَبَع أمر القوم، وليس لك معه أمر. فقال أبو عبيدة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن عصاه عمرو». قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «إسناده ضعيف لإرساله. عامر: هو ابن شراحيل الشعبى، وهو إمام كبير تابعى ثقة حجة: ولكنه لم يدرك عمراً... فأَوْلى أن لم يدرك أبا عبيدة... ارتبع أمر القوم: أي انتظر أن يؤمّر عليهم». وانظر خبر الغزوة فى «زاد المعاد» ٣/٣٨٦ ـ ٣٨٧؛ سيرة ابن هشام ٤/٢٧٢ ـ ٢٧٤؛ إمتاع الأسماع، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٤.

(١) ح، ب، ى: من فضلهم. (٢) ح، ب: من تأليف.

(٣) إليه: ساقطة من (ح)، (ر)، (ى).

ولا كان أحد من الصحابة يتكلم بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم قبله، فيأمر وينهى، ويخطب ويفتى، ويقرُّه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك راضياً بما يفعل.

ولم يكن ذلك تقدماً بين يديه، بل بإذن منه قد عَلِمَه، وكان ذلك معونة للنبى صلى الله عليه وسلم، وتبليغا عنه، وتنفيذا لأمره؛ لأنه كان أعلمهم / بالرسول وأحبهم[1] إلى الرسول واتبعهم له. ص ٢٢٧

وأما قول الرافضى: إنه لما أنفذه ببراءة ردّه بعد ثلاثة أيام؛ فهذا من الكذب المعلوم أنه كذب. فإن النبى صلى الله عليه وسلم لما أمَّر أبا بكر على الحج، ذهب كما أمره، وأقام الحج فى ذلك العام، عام تسع، للناس، ولم يرجع إلى المدينة حتى قضى الحج، وأنفذ فيه ما أمره به النبى صلى الله عليه وسلم؛ فإن المشركين كانوا يحجون البيت، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، وكان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهود مطلقة، فبعث أبا بكر وأمره أن ينادى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان. فنادى بذلك من أمره أبو بكر بالنداء ذلك العام، وكان علىّ بن أبى طالب من جملة من نادى بذلك فى الموسم بأمر أبى بكر، ولكن لما خرج أبو بكر أردفه النبى صلى الله عليه وسلم بعلىّ بن أبى طالب لينبذ إلى المشركين العهود.

قالوا: وكان من عادة العرب أن لا يعقد العهود ولا يفسخها إلا المطاع، أو رجل من أهل بيته. فبَعَث عليًا لأجل فسخ العهود التى كانت مع المشركين خاصة، لم يبعثه لشىء آخر. ولهذا كان علىّ يصلّى خلف

(١) ح، ر، ى: وأخصهم.

أبى بكر، ويدفع بدفعه فى الحج، كسائر رعية أبى بكر الذين كانوا معه فى الموسم.

وكان هذا بعد غزوة تبوك، واستخلافه له فيها على من تركه بالمدينة، وقوله له: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟

ثم بعد هذا أمّر أبا بكر على الموسم، وأردفه بعلىّ مأموراً عليه لأبى بكـر الصديق رضى الله عنه. وكان هذا مما دل على أن عليًّا لم يكن خليفة له، إلا مدة مغيبه عن المدينة فقط. ثم أمَّر أبا بكر عليه عام تسع. ثم إنه بعد هذا بعث عليًّا وأبا موسى الأشعرى ومُعاذا إلى اليمن، فرجع علىّ / وأبو موسى إليه، وهو بمكة فى حجة الوداع،وكل منهما قد أهلَّ بإهلال النبى صلى الله عليه وسلم. فأما معاذ فلم يرجع إلا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه.

٣/ ١٢٤

فصـــل[1]

تـابع كلام الرافضى على أبى بكر رضى الله عنه

قال الرافضى[2]: «وقطع يسار سارق[3]، ولم يعلم أن القطع لليد اليمنى»[4].

الرد عليه

والجواب: أن قول القـائـل: إن أبـا بكـر يجهـلُ هذا، من أظهر الكذب. ولو قُدِّر أن أبا بكر كان يجيز ذلك، لكان ذلك[5] قولا سائغاً؛

---

(١) سقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل الثانى والعشرون.

(٢) فى (ك) ص ١٣٤ (م).

(٣) ح، ر، ن، م، ى: يد سارق؛ ب: يد السارق. والمثبت من (ك).

(٤) ر، م: اليمين.

(٥) ذلك: ساقطة من (ح)، (ب).

لأن القرآن ليس فى ظاهره ما يعيِّن اليمين، لكن تعيين[1] اليمين فى قراءة ابن مسعود: «فاقطعوا أيمانهما» وبذلك مضت السنة. ولكن أين النقل بذلك عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قطع اليسرى ؟ وأين الإسناد الثابت بذلك ؟ وهذه كتب أهل العلم بالآثار موجودة ليس فيها ذلك، ولا نقل أهل العلم بالاختلاف ذلك[2] قولا، مع تعظيمهم لأبى بكر رضى الله عنه.

(فصل)[3]

تابع كلام الرافضى

قال الرافضى[4]: «وأحرق الفجاءة السلمى بالنار، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن[5] الإحراق بالنار».

الرد عليه

الجواب: أن الإحراق بالنار عن علىّ أشهر وأظهر منه عن أبى بكر. [وأنه قد ثبت] فى الصحيح[6] أن عليًّا أُتِىَ بقوم زنادقة من غلاة الشيعة، فحرَّقهم بالنار، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرّقهم بالنار، لنهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يُعَذَّب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم، لقول النبى صلى الله عليه وسلم: «من بدَّل دينه فاقتلوه»[7].

---

(١) ر: تعين. (٢) ن، م: بالاختلاف فى ذلك.

(٣) سقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل الثالث والعشرون.

(٤) فى (ك) ص ١٣٤ (م).

(٥) ك: من. (٦) ى: فإنه قد ثبت فى الصحيح؛ ن، م: ففى الصحيح.

(٧) سبق الحديث فيما مضى ٣٠٧/١. وفى هامش (ر)، (ى) أمام هذا الموضع كتب: «ومما قال فى ذلك علىّ:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا .. أججت نارى ودعوت قنبرا»

فبلغ ذلك عليًا، فقال: ويح ابن أم الفضل ما أسقطه عَلَى الهنات.

فعليّ حرق جماعة بالنار. فإن كان ما فعله أبو بكر منكراً، ففعل عليّ أنكر منه، وإن كان فعل عليّ مما لا يُنكر مثله على الأئمة، فأبو بكر أَوْلى أن لا يُنكر عليه.

﴿فصـــل﴾[1]

تابع كلام الرافضى

قال الرافضى[2]: «وخَفِيَ عليه أكثر أحكام الشريعة، فلم[3] يعرف حكم الكلالة، وقال: أقول فيها برأيى، فإن يك[4] صوابا فمن الله، وإن يك[5] خطأ فمنى ومن الشيطان. وقضى فى الجد بسبعين قضية. وهو يدل على قصوره فى العلم».

الرد عليه

والجواب: أن هذا من أعظم البهتان. كيف[6] يخفى عليه أكثر أحكام الشريعة، ولم يكن بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم من يقضى ويُفتى إلا هو؟! ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم أكثر مشاورة لأحدٍ من أصحابه[7] منه له ولعمر. ولم يكن أحدٌ أعظم اختصاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم منه ثم عمر.

---

(١) فصل: ساقطة من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل الرابع والعشرون.

(٢) فى (ك) ص ١٣٤ (م).

(٣) ح، ب، ن، م: ولم.

(٤) ح، ب: يكن؛ ك: كان.

(٥) ك: كان.

(٦) ب: وكيف.

(٧) ن، م: من الصحابة.

وقد ذكر غير واحد، مثل منصور بن عبدالجبّار السمعانى وغيره، إجماع أهل العلم على أن الصدِّيق أعلم الأمة. وهذا بيِّنٌ، فإن الأمة لم تختلف فى ولايته فى مسألة إلا فصلَّها هو بعلم يبيِّنه لهم، وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة. كما بيَّن لهم موت النبى صلى الله عليه وسلم، وتثبيتهم على الإيمان، وقراءته عليهم الآية[1]، ثم بيَّن لهم موضع دفنه، وبيَّن لهم قتال مانعى الزكاة [لما استراب فيه عمر][2]، وبيَّن لهم أن الخلافة فى قريش فى سقيفة بنى ساعدة، لمّا ظن من ظن أنها تكون فى غير قريش.

وقد استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على أول حجة حجت من مدينة النبى صلى الله عليه وسلم. وعِلْمُ المناسك أدقّ ما[3] فى العبادات، ولولا سعة علمه بها لم يستعمله. وكذلك الصلاة استخلفه فيها، ولولا علمه بها لم يستخلفه. ولم يستخلف غيره لا فى حج ولا فى صلاة.

وكتاب الصدقة التى فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه أنس من أبى بكر. وهو أصح ما رُوى فيها، وعليه اعتمد الفقهاء.

وفى الجملة لا يُعرف لأبى بكر مسألة من الشريعة غلط فيها، وقد / عُرف لغيره مسائل كثيرة، كما بسط فى موضعه. ظ ٢٢٧

وقد تنازعت الصحابة بعده فى مسائل: مثل الجد والإخوة، ومثل

---

(١) فى هامش (ر)، (ى) كتب أمام هذا الموضع: «وما محمد إلا رسول.. الآية».

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م). (٣) ما: ساقطة من (ح)، (ر)، (ى).

العمريتين، ومثل العَوْل[1]، وغير ذلك من مسائل (*الفرائض. وتنازعوا فى مسـألة[2] الحرام، والطلاق الثلاث بكلمة، والخلية[3]، والبرية[4]، والبتّة[5]، وغير ذلك من مسائل الطلاق.

وكذلك تنازعوا فى مسائل*) صارت مسائل نزاع بين الأمة إلى اليوم. وكان تنازعهم فى خلافة عمر نزاع اجتهاد محض: كل منهم يقرُّ صاحبه على اجتهاده، كتنازع[6] الفقهاء أهل العلم والدين.

وأمـا فى خلافـة عثمـان فقوى النزاع فى بعض الأمور، حتى صار ٣/ ١٢٥ يحصل كلام غليظ من بعضهم لبعض. ولكن لم يقاتل / بعضهم بعضا باليد[7] ولا بسيف ولا غيره.

وأما فى خلافة علىّ فتغلّظ النزاع، حتى تقاتلوا بالسيوف.

---

(١) ن: العزل، وهو تحريف. وفى «التعريفات» للجرجانى: «الميل إلى الجور والرفع. وفى الشرع: زيادة السهام على الفريضة، فتعول المسألة إلى سهام الفريضة، فيدخل النقصان عليهم بقدر حصصهم». وفى «المعجم الوسيط»: «والعول (فى علم الفرائض): زيادة الأنصباء على الفريضة فتنقص قيمتها بقدر الحصص».

(*-*): ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) ن: مسائل.

(٣) فى «المعجم الوسيط»: «والخلية كلمة من كنايات الطلاق. يقال للمرأة: أنت خلية: إذا نوى القائل بها الطلاق وقع».

(٤) فى «المحلّى» لابن حزم ١٠/١٨٦ (ط. المنيرية، ١٣٥٢): «وما عدا هذه الألفاظ فلا يقع بها طلاق ألبتة، نوى بها طلاقا أو لم ينو، لا فى فُتيا ولا فى قضاء، مثل الخلية والبرية، وأنت مبرأة، وقد بارأتك، وحبلك على غاربك، والحرج، وقد وهبتك لأهلك، أو لمن يذكر غير الأهل...».

(٥) فى «المعجم الوسيط»: «بت طلاق امرأته: جعله بائًنا، لا رجعة فيه». وانظر المحلّى ١٠/١٨٧ - ١٩٤.

(٦) ن، م: كسائر. (٧) ب (فقط): بيد.

وأما فى خلافة أبى بكر فلم يُعلم أنه استقر بينهم نزاع فى مسألة واحدة من مسائل الدين. وذلك لكمال علم الصدِّيق وعدله ومعرفته بالأدلة التى تزيل النزاع، فلم يكن يقع بينهم نزاع إلا أظهر الصديق من الحجة التى تفصل النزاع ما يزول معها[1] النزاع. وكان عامة الحجج الفاصلة للنزاع يأتى بها الصدِّيق ابتداء، وقليل من ذلك يقوله عمر أو غيره، فيقرُّه أبو بكر الصديق.

وهـذا ممـا يدلّ على أن الصـديق ورعيته أفضل من عمر ورعيته، وعثمان ورعيته، وعلىّ ورعيته؛ فإن أبا بكر ورعيته أفضل الأئمة والأمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم.

ثم الأقوال التى خُولف فيها الصدِّيق بعد موته، قوله فيها أرجح من قول من خالفه بعد موته. وطَرْدُ ذلك الجد والإخوة؛ فإن قول الصدِّيق وجمهـور الصحابة وأكابرهم أنّه يُسقط الإخوة، وهو قول طوائف[2] من العلماء، وهو مذهب أبى حنيفة، وطائفة من أصحاب الشافعى وأحمد، كأبى العباس بن سُرَيْج من الشافعية، وأبى حفص البرمكى من الحنابلة، ويُذكر ذلك رواية عن أحمد.

والـذين قالـوا بتوريث الإخوة مع الجد، كعلىّ وزيد وابن مسعود، اختلفوا[3] اختلافاً معروفا، وكل منهم قال قولا خالفه فيه الآخر، وانفرد بقوله عن سائر الصحابة. وقد بسطنا الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع

(1) ب: ما يزول به؛ ح: ما يزيل معه.

(2) ن، ر: طائفة.

(3) ح، ر، ى: واختلفوا.

في مصنَّف مفرد، وبيّنا أن قول الصدِّيق وجمهور الصحابة هو الصواب، وهو القول الراجح الذى تدلّ عليه الأدلة الشرعية من وجوه كثيرة، [ليس هذا موضع بسطها][1].

وكذلك ما كان عليه الأمر فى زمن صدّيق الأمة رضى الله عنه من جواز فسخ الحج إلى العمرة بالتمتع، وأن من طلَّق ثلاثا بكلمة واحدة لا يلزمه إلا طلقة واحدة هو الراجح، دون من يحرِّم الفسخ ويُلزم بالثلاث؛ فإن الكتاب والسنة إنما يدل على ما كان عليه الأمر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر، دون القول المخالف لذلك.

ومما يدلّ على كمال حال الصدِّيق، وأنه أفضل من كل من وَلِىَ الأمة، بل وممن وَلِىَ غيرها من الأمم بعد الأنبياء، أنه من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الأوَّلين والآخرين، وأفضل من سائر الخلق من جميع العالمين.

وقد ثبت عنه فى الصحيحين أنه قال: «كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبىّ خلفه نبىّ، وإنه لا نبىّ بعدى، وسيكون خلفاء ويكثرون». قالوا: يارسول الله فما تأمرنا؟ قال: «فوا[2] بيعة الأول فالأول»[3].

ومن المعلوم أنَّه[4] من تولَّى بعد الفاضل إذا كان فيه نقص كثير عن

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م). وذكر ابن عبدالهادى فى «العقود الدرية» ص ٥٩ من مؤلفات ابن تيمية: «وله مسألة فى أن الجد يسقط الإخوة»، وهذه مسألة مفردة لم تنشر فيما أعلم. وقد أجاب ابن تيمية عن هذا المسألة ضمن إجابته عن سؤال آخر فى ص ٣٤٢ - ٣٤٣ من مجلد ٣١ من فتاوى الرياض. (٢) ح، ب: أوفوا.

(٣) مضى هذا الحديث من قبل ١١٧/١. (٤) ب (فقط): أن.

سياسة الأول، ظهر ذلك[1] النقص ظهوراً بيّنا. وهذا معلوم من حال الـولاة إذا تولّى ملِك بعد ملك، أو قاضٍ بعد قاض، أو شيخ بعد شيخ، أو غير ذلك؛ فإن الثانى إذا كان ناقص الولاية نقصاً بيِّنا ظهر ذلك فيه، وتغيرت الأمور التى كان الأول قد نظَّمها وألّفها. ثم الصدِّيق تولَّى بعد أكمل الخلق سياسة، فلم يظهر فى الإسلام نقص بوجه من الوجوه، بل قاتل المرتدّين حتى عاد الأمر إلى ما كان [عليه][2]، وأدخل الناس فى الباب الذى خرجوا منه، ثم شرع فى قتال الكفّار من أهل الكتاب، وعلَّم الأمة ما خفِىَ عليهم، وقوّاهم لمّا ضعفوا، وشجّعهم لما جبنوا، وسار فيهم سيرة توجب صلاح دينهم ودنياهم، فأصلح الله بسببه الأمه فى علمهم وقدرتهم ودينهم، وكان ذلك مما حفظ الله به على الأمة دينها، وهذا مما يحقق أنه أحقّ الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما قول الرافضى: «لم يعرف حكم الكلالة حتى قال فيها برأيه».

فالجواب: أن هذا من أعظم علمه. فإن هذا الرأى الذى رآه فى الكلالة قد اتفق عليه جماهير العلماء بعده؛ فإنهم أخذوا فى الكلالة بقول أبى بكر، وهو من لا ولد له ولا والد، والقول بالرأى هو معروف عن سائر الصحابة، كأبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل، لكن الرأى الموافق للحق هو الذى يكون لصاحبه

---

(١) ح، ب: ظهر لك.

(٢) عليه: ساقطة من (ن)، (ح)، (ر)، (ى)

أجران، كرأى الصدِّيق، فإن هذا خير من الرأى الذى غاية صاحبه أن يكون له أجر واحد.

٣/ ١٢٦ وقد قال قيس بن عُبَاد لعلىّ: أرأيت مسيرك / هذا: ألعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم رأى رأيته؟ فقال: بل رأى رأيته. رواه أبو داود وغيره[١].

فإذا كان مثل هذا الرأى الذى حصل به من سفك الدماء ما حصل، ص ٢٢٨ لا يمنع صاحبه أن يكون إماماً، فكيف بذلك الرأى / الذى اتفق جماهير العلماء على حسنه.

وأما ما ذكره من قضائه فى الجد[٢] بسبعين قضية، فهذا كذب. وليس هو قول أبى بكر، ولا نُقل هذا عن [أبى بكر][٣]، بل نَقْلُ هذا عن أبى

(١) جاء هذا الحديث عن قيس بن عُبَاد مرتين فى: مسلم ٤/٢١٤٣ - ٢١٤٤ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، أول الكتاب الحديثان رقم ٩، ١٠) ونص الرواية الأولى.. قلت لعمَّار: أرأيتم صنيعكم هذا الذى صنعتم فى أمر علىٍّ، أرأياً رأيتموه أو شيئا عهده إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرنى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: «فى أصحابى اثنا عشر منافقا، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سَمِّ الخِياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدُّبَيْلَة وأربعة» لم أحفظ ما قال شعبة فيهم. قال النووى فى شرحه على مسلم ١٧/١٢٥: «أما قوله صلى الله عليه وسلم «فى أصحابى» فمعناه الذين ينسبون إلى صحبتى، كما قال فى الرواية الثانية: «فى أمتى» وسم الخيط بفتح السين وضمها وكسرها، الفتح أشهر، وبه قرأ القراء السبعة، وهو ثقب الأبرة.... وأما الدبيلة فبدال مهملة ثم باء موحدة، وقد فسرها فى الحديث بسراج من نار...». وجاء الحديث مختصرا كما ذكره ابن تيمية هنا فى: سنن أبى داود ٤/٣٠٠ (كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام فى الفتنة).

(٢) ن: الحديث، وهو تحريف.

(٣) ن، م: عنه.

بكـر يدل على غاية جهـل هؤلاء الروافض وكذبهم، ولكن نَقَل بعض الناس عن عمر أنه قضى فى الجد بسبعين قضية، ومع هذا هو باطل[1] عن عمر؛ فإنه لم يمت فى خلافته سبعون جدا كلٌّ منهم كان لابن ابنه إخـوة، وكـانت تلك الـوقـائـع تحتمـل سبعين قولا مختلفـة، بل هذا الاختلاف لا يحتمله كل جد فى العالم[2]، فعُلم أن هذا كذب.

وأما مذهب أبى بكر فى الجد؛ فإنه جعله أبًا، وهو قول بضعة عشر من الصحـابـة، وهـو مذهب كثير من الفقهاء [كأبى حنيفة وطائفة من أصحـاب الشـافعى وأحمـد، كأبى حفص البرمكى، ويُذكر رواية عن أحمد][3] كما تقدم[4]، وهو أظهر القولين فى الدليل.

ولهـذا يُقـال: لا يُعرف لأبى بكر خطأ فى الفُتيا، بخلاف غيره من الصحابة؛ فإن قوله[5] فى الجد أظهر القولين. والذين ورَّثوا الإخوة مع الجـد، وهم علىّ وزيد وابن مسعود وعمر، فى إحدى الروايتين عنه، تفـرَّقـوا فى ذلـك. وجمهـور الفقهـاء على قول زيد، وهو قول مالك والشافعى وأحمد، فالفقهاء فى الجد: إما على قول أبى بكر، وإما على قول زيد الذى أمضاه عمر. ولم يذهب أحد من أئمة الفُتيا إلى قول علىّ فى الجد. وذلك مما يبين أن الحق لا يخرج عن أبى بكر وعمر؛ فإن زيداً قاضِى عمر، مع أن قول أبى بكر أرجح من قول زيد.

---

(١) ن، م، ى: مع أن هذا باطل؛ ر: مع هذا باطل.

(٢) ن، م: فى العلم.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (ب).

(٤) عبارة «كما تقدم» فى (ن)، (م)، (ب) فقط.

(٥) ح: قولهم، وهو خطأ.

وعمر كان متوقفا فى الجد، وقال: «ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيَّنهنَّ لنا: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا»[1].

وذلك لأن الله تعالى سمَّى الجد أباً فى غير موضع من كتابه، كما قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [سورة الأعراف: ٢٧]، وقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الحج: ٧٨]. وقد قال: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿يَابَنِي آدَمَ﴾ فى غير موضع.

وإذا كان ابن الابن ابنا، كان أبو الأب أبا، ولأن الجدّ يقوم مقام الأب فى غير مورد النزاع، فإنه يسقط ولد الأم كالأب، ويقدّم على جميع العصبات سوى البنين كالأب، ويأخذ مع الولد السدس كالأب، ويُجمع له بين الفرض والتعصيب مع البنات كالأب.

وأما فى العمريتين زوج وأبوين، وزوجة[2] وأبوين؛ فإن الأم تأخذ ثلث الباقى، والباقى للأب[3]، ولو كان معها[4] جد لأخذت الثلث كله عند جمهور الصحابة والعلماء، إلا ابن مسعود، لأن الأم أقرب من الجد،

---

(١) الحديث عن ابن عمر رضى الله عنه فى: البخارى ١٠٦/٧ (كتاب الأشربة، باب ما جاء فى أن الخمر ما خامر العقل من الشراب) ونصه: عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء ... الحديث وفيه «وثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهدا: الجد والكلالة وأبواب من الربا ... الحديث، وهو - مع اختلاف فى اللفظ - فى. مسلم ٢٣٢٢/٤ (كتاب التفسير، باب فى نزول تحريم الخمر)؛ سنن أبى داود ٤٤٤/٣ (كتاب الأشربة، باب فى تحريم الخمر)

(٢) ب (فقط): أو زوجة.

(٣) ن، م: للجد.

(٤) ح، ر، ى: معهما.

وإنما الجدّة نظير الجد، والأم تأخذ مع الأب الثلث، والجدّة لا تأخذ مع الجد إلا السدس، وهذا مما يقوى به الجد، ولأن الإخوة مع الجد الأدنى، كالأعمام مع الجد الأعلى.

وقد اتفق المسلمون على أن الجد الأعلى يقدّم على الأعمام، فكذلك الجد الأدنى يقدم على الإخوة، لأن نسبة الإخوة إلى الجد الأدنى، كنسبة الأعمام إلى الجد الأعلى، ولأن الإخوة لو كانوا لكونهم بنى الأب[1] يشاركون الجد، لكان بنو الإخوة كذلك، كما يقوم بنو البنين مقام آبائهم. ولما كان بنو الإخوة لا يشاركون الجد، كان آباؤهم الإخوة كذلك، وعكسه البنون: لما كان الجد يُفرض له مع البنين، فُرض له مع بنى البنين[2].

وأما الحجة التى تُورىٰ عن علىٍّ وزيد فى أن الإخوة يشاركون الجد، حيث شبَّهوا ذلك بأصل شجرة خرج منها فرع، خرج منه غصنان، فأحد الغصنين أقرب إلى الآخر منه إلى الأصل، وبنهرٍ خرج منه نهر آخر، ومنه جدولان، فأحدهما إلى الآخر أقرب[3] من الجدول إلى النهر الأول.

فمضمون هذه الحجة أن الإخوة أقرب إلى الميت من الجد.

ومن تدبّر أصول الشريعة علم أن حِجة أبى بكر وجمهور الصحابة لا تعارضها هذه الحجة؛ فإن هذه لو كانت صحيحة لكان بنو الأخ أَوْلى من الجد، ولكان العم أَوْلى من جد الأب. فإن نسبة الإخوة من الأب إلى

---

(١) ن، م: لكونهم من الأب.

(٢) ح: مع ابن البنين.

(٣) ر: فأحدهما أقرب إلى الآخر.

الجد أبى الأب، كنسبة الأعمام بنى الجد إلى الجد الأعلى جد الأب، فلما أجمع المسلمون على أن الجد الأعلى أَوْلى من الأعمام، كان الجد الأدنى أَوْلى من الإخوة.

وهذه حجة مستقلة تقتضى ترجيح الجد على الإخوة.

٣/ ١٢٧ وأيضا فالقائلون بمشاركة الإخوة للجد لهم أقوال / متعارضة متناقضة، لا دليل على شىء منها، كما يَعْرف ذلك من يعرف الفرائض، فعُلم أن قول أبى بكر فى الجد أصح الأقوال، كما أن قوله دائما أصح الأقوال.

﴿فصل﴾[1]

تابع كلام الرافضى وفيه الكلام على علم علىّ رضى الله عنه

قال الرافضى[2]: «فأىّ نسبة له بمن قال[3]: سَلُونى قبل أن تفقدونى، سلونى عن طرق السماء فإنى أعرف بها من طرق الأرض[4]. قال أبو البخترى: رأيت عليا صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، متقلدا بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، (*متعمما[5]*) بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفى إصبعه[6] خاتم رسول الله صلى

(١) فصل: ساقطة من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل الخامس والعشرون.

(٢) فى (ك) ص ١٣٤ (م) - ١٣٥ (م).

(٣) ك: إلى من قال.

(٤) ك: . . . الأرض، سلونى عمّا دون العرش.

(*-*) : ما بين النجمتين ساقط من (ح)، (ر).

(٥) ن، م، ب: معتما.

(٦) ن، م، ب: وفى يده.

الله عليه وسلم* فقعد على المنبر، وكشف[1] عن بطنه، فقال: سلونى [من][2] قبل أن تفقدونى، فإنما بين الجوانح منى علم جم، هذا سفط[3] العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا ما زقّنى[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم زقًّا[5] من غير وحى إلىّ[6]، فوالله لو ثُنيت[7] لى وسادة فجلست / عليها لأفتيت أهل[8] التوراة بتوراتهم، وأهل[9] الإنجيل بإنجيلهم، حتى يُنطق الله التوراة والإنجيل فتقول[10]: صدق علىّ، قد أفتاكم بما أنزل الله فىَّ، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون».

ظ ٢٢٨

الرد عليه

والجواب: أما قول علىّ: «سلونى» فإنما كان يخاطب بهذا[11] أهل الكوفة ليعلّمهم العلم والدين؛ فإن غالبهم كانوا جُهّالاً لم يدركوا النبى صلى الله عليه وسلم. وأما أبو بكر فكان الذين[12] حول منبره هم أكابر

---

(١) ح، ر، ب: فكشف.

(٢) من: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) ن، م: ضغط، وهو تحريف.

(٤) ح، ب، م: رزقنى، وهو تحريف. وفى (ك): زقّنى به.

(٥) ح، ب، م: رزقا.

(٦) ح، ب، ن، م، ى: من غير وحى أوحى إلىّ.

(٧) لو ثنيت: كذا فى (م)، (ك). وفى (ح)، (ر)، (ن)، (ى): بنيت. وفى (ب)، بيتت.

(٨) ك: لأهل.

(٩) ك: ولأهل.

(١٠) ك: فيقول. وكتب بين السطور عبارة غير واضحة كأنها: «أى كل ورقة من التوراة والإنجيل».

(١١) ر، ح، ى: بها.

(١٢) ح، م: الذى.

أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، الذين تعلّموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم والدين، فكانت رعية أبى بكر أعلم الأمة وأدْيَنها.
وأما الذين كان علىّ يخاطبهم فهم من جملة عوام الناس التابعين، وكان كثير منهم من شرار التابعين. ولهذا كان علىّ رضى الله عنه يذمّهم ويدعو عليهم، وكان التابعون بمكة والمدينة والشام والبصرة خيراً منهم.

وقد جمع الناس الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ، فوجدوا أصْوَبها وأدلّها على علم صاحبها أمور أبى بكر ثم عمر. ولهذا كان ما يُوجد من الأمور التى وُجد نصٌّ يخالفها عن عمر أقل مما وُجد عن علىّ، وأما أبو بكر فلا يكاد يوجد نصّ يخالفه، وكان هو الذى يفصل الأمور المشتبهة عليهم، ولم يكن يُعرف منهم اختلاف على عهده. وعامة ما تنازعوا فيه من الأحكام كان بعد أبى بكر.

والحديث المذكور عن علىّ كذب ظاهر لا تجوز نسبة مثله إلى علىّ؛ فإن [عليًّا][1] أعلم بالله وبدين الله من أن يحكم بالتوراة والإنجيل، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لمسلم أن يحكم بين أحد إلا بما أنزل الله فى القرآن. (*) وإذا تحاكم اليهود والنصارى إلى المسلمين لم يجز لهم أن يحكموا [بينهم][2] إلا بما أنزل الله فى القرآن (*)، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ

---

(1) ن، م: فإنه.
(*-*): ما بين النجمتين ساقط من (ح).
(2) بينهم: فى (ب) فقط.

سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [سورة المائدة: ٤١] إلى قوله: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة المائدة: ٤٢] إلى قوله: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾ [سورة المائدة: ٤٨] إلى قوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٩][1].

وإذا كان من المعلوم بالكتاب والسنة والإجماع، أن الحاكم بين اليهود والنصارى لا يجوز أن يحكم بينهم إلا بما أنزل الله على محمد، سواء وافق ما بأيديهم[2] من التوراة والإنجيل أو لم يوافقه، كان من نسب عليًّا إلى أنه[3] يحكم بالتوراة والإنجيل بين اليهود والنصارى، أو يفتيهم بذلك، ويمدحه بذلك: إما أن يكون من أجهل[4] الناس بالدين، وبما يُمدح به صاحبه، وإما أن يكون / زنديقا ملحداً أراد القدح فى علىّ ٣/ ١٢٨ بمثل هذا لكلام الذى يستحق صاحبه الذم والعقاب، دون المدح والثواب.

---

(١) ن، م: . . لفاسقون. . الآية.

(٢) ن، م: ما بين أيديهم.

(٣) ح، ر، ى، ب: إلى أن.

(٤) ر: من جهل.

﴿فصـــل﴾[1]

تابع كلام الرافضى على فضائل علىّ رضى الله عنه

قال الرافضى[2]: «وروى البيهقى[3] بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[4] قال: من أراد أن ينظر إلى آدم[5] فى علمه، وإلى نوح[6] فى تقواه، وإلى إبراهيم[7] فى حلمه[8]، وإلى موسى[9] فى هيبته، وإلى عيسى[10] فى عبادته، فلينظر إلى علىّ [بن أبى طالب][11]، فأثبت له[12] ما تفرّق فيهم».

التعليق على كلامه من وجوه الوجه الأول

والجواب: أن يقال: **أولا**: أين إسناد هذا الحديث؟ والبيهقى يروى فى الفضائل أحاديث كثيرة ضعيفة، بل موضوعة، كما جرت عادة أمثاله من أهل العلم.

الوجه الثانى

ويقال: **ثانيا**: هذا الحديث كذب موضوع على رسول الله صلى الله

(١) فصل: ساقطة من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل السادس والعشرون.

(٢) فى (ك) ص ١٣٥ (م).

(٣) ن، م: روى البيهقى؛ ك: وعن البيهقى فى كتابه.

(٤) أنه: ليست فى (ك).

(٥) ك: آدم عليه السلام.

(٦) ك: نوح عليه السلام.

(٧) ك: إبراهيم عليه السلام.

(٨) ك: فى خلته.

(٩) ك: موسى عليه السلام.

(١٠) ك: عيسى عليه السلام.

(١١) بن أبى طالب: ساقطة من (ن).

(١٢) ك: بن أبى طالب عليه السلام، فأثبت له عليه السلام...

عليه وسلم بلا ريب عند أهل العلم بالحديث،[1] ولهذا لا يذكره أهل العلم بالحديث، وإن كانوا حراصا على جمع فضائل عليّ، كالنسائى؛ فإنه قصد أن يجمع فضائل عليّ فى كتاب سماه «الخصائص»، والترمذى قد ذكر أحاديث متعددة فى فضائله، وفيها[2] ما هو ضعيف بل موضوع، ومع هذا لم يذكروا هذا ونحوه.

فصل[3]

تابع كلام الرافضى على علم عليّ رضى الله عنه

قال الرافضى[4]: «قال أبو عمر الزاهد: قال أبو العباس[5]: لا نعلم أحداً قال بعد نبيه: «سلونى» من شيث[6] إلى محمدٍ إلا عليّ، فسأله الأكابر: أبو بكر وعمر وأشباههما[7]، حتى انقطع

---

(١) ذكر ابن الجوزى هذا الحديث الموضوع - مع اختلاف فى بعض الألفاظ - فى كتابه «الموضوعات» ١/٣٧٠ وقال: «هذا حديث موضوع، وأبو عمر متروك». وذكر الحديث وقال إنه موضوع كل من: السيوطى فى «اللآلىء المصنوعة» ١/٣٥٥ - ٣٥٦ الشوكانى فى «الفوائد المجموعة» ص ٣٦٧ - ٣٦٨ (وانظر تعليق المحقق)؛ وابن عراق الكناني فى «تنزيه الشريعة» ١/٣٨٥.

(٢) ب: ومنها.

(٣) فصل: ساقطة من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل السابع والعشرون.

(٤) فى (ك) ص ١٣٥ (م).

(٥) ك: أبو العباس تغلب. والصواب: أبو العباس ثعلب، وهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوى المعروف بثعلب. قال ابن خلكان: كان إمام الكوفيين فى النحو واللغة، سمع ابن الأعرابى والزبير بن بكار، وروى عنه الأخفش الأصغر وأبو بكر الأنبارى وأبو عمر الزاهد وغيرهم، وقد توفى سنة ٢٩١. انظر: وفيات الأعيان ١/٨٤ - ٨٧.

(٦) : من شث، وهو تحريف.

(٧) وأشباههما: ساقطة من (ك).

السؤال. ثم قال بعد هذا[1]: يا كُمَيْل ابن زياد، إن هـهنا لعلما[2] جما لو أصبت[3] له حملة».

التعليق على كلامه

والجواب: أن هذا النقل إن صح عن ثعلب؛ فثعلب لم يذكر له إسنادا حتى يُحتج به. وليس ثعلب من أئمة الحديث الذين يعرفون صحيحه من سقيمه، حتى يُقال: قد صح عنده. كما إذا قال ذلك أحمد أو يحيى ابن معين أو البخارى ونحوهم. بل من هو أعلم من ثعلب من الفقهاء يذكرون أحاديث كثيرة لا أصل لها، فكيف ثعلب؟! وهو قد سمع هذا من بعض الناس الذين لا يذكرون[4] ما يقولون عن أحد.

وعلىّ رضى الله عنه لم يكن يقول هذا بالمدينة، لا فى خلافة أبى بكر ولا عمر ولا عثمان، وإنما كان يقول هذا فى خلافته فى الكوفة، ليعلم أولئك الذين لم يكونوا يعلمون ما ينبغى لهم علمه. وكان[5] هذا لتقصيرهم فى طلب العلم، وكان علىّ رضى الله عنه يأمرهم بطلب العلم والسؤال.

ص ٢٢٩

وحديث / كُمَيْل بن زياد[6] يدل على هذا؛ فإن كميلا من التابعين لم

---

(١) ك: بعد هذا كله.

(٢) ح، ر، ى: علما.

(٣) ك: لو وجدت.

(٤) ن، م: الذين لا يدرون.

(٥) ن: وقد كان.

(٦) كُمَيْل بن زياد بن نهيك النخعى، تابعى ثقة، من أصحاب علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، شهد صفّين مع علىّ، وقتله الحجاج سنة ٨٢ هـ. قال ابن حجر: كان ثقة قليل الحديث، وقال ابن حبان: فى الضعفاء لا يحتج به. انظر ترجمته فى: تهذيب التهذيب ٨/٤٤٧ - ٤٤٨؛ الأعلام ٦/٩٣.

يصحبه إلا بالكوفة، فدل عَلَى أنه كان يرى تقصيراً من أولئك عن كونهم حملة للعلم، ولم يكن يقول هذا فى المهاجرين والأنصار، بل كان عظيم الثناء عليهم.

وأما أبو بكر فلم يسأل عليًا قط عن شىء. وأما عمر فكان يشاور الصحابة: عثمان وعليًا وعبدالرحمن وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم. فكان علىّ من أهل الشورى، كعثمان وابن مسعود وغيرهما، ولم يكن[1] أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصان عليًا بسؤال. والمعروف أن عليًا أخذ العلم عن أبى بكر، كما فى السنن عن علىّ، قال: كنت إذا سمعت من[2] النبى صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعنى الله به ما شاء أن ينفعنى، وإذا حدثنى غيره حديثا استحلفته، فإذا حلف لى صدقته. وحدثنى أبو بكر، وصدق أبو بكر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد مؤمن يذنب ذنبا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلّى، ثم يستغفر الله إلا[3] غفر الله له»[4].

---

(١) ح: ولا كان.

(٢) ح، ب، ر: عن.

(٣) ح، ر، ى: ثم يستغفر إلا...

(٤) الحديث عن علىّ بن أبى طالب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فى: سنن أبى داود ١١٤/٢ ـ ١١٥ (كتاب الصلاة، باب فى الاستغفار) ونصه: كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله منه بما شاء أن ينفعنى، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استخلفته فإذا حلف لى صدقته، قال: وحدثنى أبو بكر، وصدق أبو بكر رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له» ثم قرأ هذه الآية: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله﴾ إلى آخر الآية. والحديث

﴿فصــــل﴾[1]

عـود الرافضى للكلام على أبى بـكر رضى الله عنه

قال الرافضى[2]: «وأهمل حدود الله فلم يقتص من خالد بن الوليد ولا حدَّه حيث[3] قتل مالك بن نويرة، وكان مسلما[4]، وتزوج امرأته [فى][5] ليلة قتله وضاجعها. وأشار عليه[6] عمر بقتله فلم يفعل»[7].

الرد عليه

والجواب: أن يقال: أولا: إن كان ترك قتل قاتل المعصوم مما يُنكر على الأئمة، كان هذا من أعظم حجة شيعة عثمان عَلَى علىّ؛ فإن عثمان خير من ملء الأرض من مثل مالك بن نويرة، وهو خليفة المسلمين، وقد قُتل مظلوماً شهيدا بلا تأويل مسوِّغ لقتله. وعلىّ لم يقتل قَتَلَته، وكان هذا من أعظم ما امتنعت به شيعة عثمان عن مبايعة علىّ،

فى سنن الترمذى ١/٢٥٢ ـ ٢٥٣ (كتاب الصلاة، باب ما جاء فى الصلاة عند التوبة) وقال الترمذى: «حديث علىّ حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه...»، ٤/٢٩٦ (كتاب التفسير، سورة آل عمران)؛ سنن ابن ماجة ١/٤٤٦ (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فى أن الصلاة كفّارة)؛ المسند (ط. المعارف) ١/١٥٤، ١٧٤، ١٧٨. وصحح أحمد شاكر هذه الروايات.

(١) فصل: ساقطة من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل الثامن والعشرون.

(٢) فى (ك) ص١٣٥ (م).

(٣) ك: حين.

(٤) عبارة «وكان مسلما»: ساقطة من (ح)، (ر)، (ى).

(٥) فى: ساقطة من (ن)، (م)، (ب). وفى (ك): من.

(٦) ك: إليه. (٧) ح، ب: فلم يقتله؛ ر، ى: فلم يقبل؛ ك: فلم يقتل.

فإنْ كان عليّ له عذر شرعي في ترك قتل قتلة عثمان، / فعذر أبي بكر في ترك قتل قاتل مالك بن نويرة أقوى، وإنْ لم يكن لأبي بكر عذر في ذلك فعليّ أَوْلى أن لا يكون له عذر في ترك قتل قتلة عثمان. ٣/ ١٢٩

وأما ما تفعله الرافضة من الإنكار على أبي بكر في هذه القضية الصغيرة، وترك إنكار ما هو أعظم منها عَلَى عليّ، فهذا من فرط جهلهم وتناقضهم.

وكذلك إنكارهم عَلَى عثمان كونه لم يقتل عُبيد الله بن عمر بالهرمزان، هو من هذا الباب[1].

وإذا قال القائل: عليّ كان معذورا في ترك قتل قتلة عثمان، لأن شروط الاستيفاء لم توجد: إما لعدم العلم بأعيان القَتَلة، وإما لعجزه عن القوم لكونهم ذوي شوكة، ونحو ذلك.

قيل: فشروط الاستيفاء لم توجد في قتل قاتل مالك بن نويرة، وقتل قاتل الهرمزان، لوجود الشبهة في ذلك. والحدود تُدرأ بالشّبهات.

---

(١) انظر ما ذكره ابن العربي في «العواصم من القواصم» ص ١٠٦ - ١٠٨ (ط. السلفية، ١٣٧١ بتحقيق أستاذي الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله حيث قال: «وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان، فإن ذلك باطل، فإن كان لم يفعل فالصحابة متوافرون، والأمر في أوله. وقد قيل: إن الهرمزان سعى في قتل عمر، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه، وكان قتل عبيد الله له وعثمان لم يل بعد، ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقًّا، لما ثبت عنه من حال الهرمزان وفعله...». وانظر تعليقات الأستاذ محب الدين وما نقله عن الطبري من خبر القماذبان بن الهرمزان الذي قال إن عثمان مكنه من عبيد الله بن عمر بن الخطاب وقال له: «يابني هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله» وكيف عفا عنه القماذبان... الخ. وانظر أيضا «العواصم من القواصم» ص ١٤٦.

وإذا قالوا: عمر أشار عَلَى أبى بكر بقتل خالد بن الوليد[1]، وعلىّ أشار عَلَى عثمان بقتل عبيد الله بن عمر.

قيل: وطلحة والزبير وغيرهما أشاروا عَلَى علىّ بقتل قتلة عثمان، مع أن الذين أشاروا عَلَى أبى بكر بالقَوَد، أقام عليهم حجّة سلّموا لها[2]: إما لظهور الحق معه، وإما لكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد.

وعلىّ لما لم يوافق الذين أشاروا عليه بالقود، جرى بينه وبينهم من الحروب ما قد عُلم. وقتل قتلة عثمان أهون مما جرى بالجمل وصفّين[3] فإذا كان فى هذا اجتهاد سائغ، ففى ذلك أَوْلى.

وإن قالوا: عثمان كان مباح الدم.

قيل لهم: فلا يشك أحد فى أن إباحة دم مالك بن نُويرة أظهر من إباحة دم عثمان، بل مالك بن نويرة لا يُعرف أنه كان معصوم الدم[4]،

---

(١) ن، م، ى: بقتل الهرمزان، وهو خطأ. (وفى هامش ى صححت بقوله: لعله: بقتل خالد بن الوليد).

(٢) ن، م: سلموها.

(٣) ن: وبصفين.

(٤) قال ابن كثير فى «البداية والنهاية» ٦/٣٢١ - ٣٢٢ عن مالك بن نويرة اليربوعى التميمى (انظر ترجمته فى الأعلام ٦/١٤٥): «كان قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة، فلما اتصلت بمسيلمة - لعنهما الله - ثم ترحلت إلى بلادها، فلما كان ذلك ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره، وتلوّم فى شأنه، وهو نازل بمكان يقال له البطاح، فقصدها خالد بجنوده.... فلما وصل البطاح وعليها مالك بن نويرة، فبث خالد السرايا فى البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بنى تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نويرة فإنه متحير فى أمره، متنح عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، واختلفت السرية فيهم، فشهد أبو قتادة - الحارث بن ربعى الأنصارى - أنهم أقاموا الصلاة، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولا صلّوا. فيقال: إن

ولم يثبت ذلك عندنا. وأما عثمان فقد ثبت بالتواتر ونصوص الكتاب والسنة أنه كان معصوم الدم. وبين عثمان ومالك بن نويرة من الفرق ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى.

ومن قال: إن عثمان كان مباح الدم، لم يمكنه أن يجعل عليًّا معصوم الدم، ولا الحسين؛ فإن عصمة دم عثمان أظهر من عصمة دم عليّ والحسين. وعثمان أبعد عن[1] موجبات القتل من على والحسين. وشُبهة قَتَلَة عثمان أضعف بكثير من شبهة قَتَلَة عليّ والحسين؛ فإن عثمان لم يقتل مسلما، ولا قاتل أحداً على ولايته [ولم يطلب قتال أحد على ولايته][2] أصلا[3]؛ فإن وجب أن يُقال: من قتل خلقا من المسلمين على ولايته [إنه][4] معصوم الدم، وإنه مجتهد فيما فعله، فَلأَن يُقال: عثمان معصوم الدم، [وإنه مجتهد فيما فعله من الأموال والولايات[5] بطريق الأَوْلى والأحرى.

الأسارى باتوا فى كبولهم فى ليلة شديدة البرد، فنادى منادى خالد: أن أدفئوا أسراكم، فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوهم، وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة. . . . ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأنّبه على ما صدر منه من متابعة سجاح وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ ياضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه. . . الخ وانظر الى ص ٣٢٣. وقد أسلمت سجاح بعد مقتل مسيلمة. انظر: الأعلام ١١٢/٣.

(١) ح، ر، ى: من.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٣) أصلا: ساقطة من (ر).

(٤) أنه: ساقطة من (ن)، (م)، (ب).

(٥) ح، ب: والولاية.

ثم يُقال: غاية ما يُقال فى قصة مالك ابن نويرة: إنه كان معصوم الدم][1] وإن خالدا قتله بتأويل، وهذا لا يبيح قتل خالد، كما أن أسامة ابن زيد لما قتل الرجل الذى قال: لا إلـهَ إلا الله. وقال له النبى صلى الله عليه وسلم: «يا أسامة: أقتلته بعد أن قال: لا إلـهَ إلا الله ؟ ياأسامة أقتلته بعد أن قال: لا إلهٰ إلا الله ؟ [يا أسامة[2] أقتلته بعد أن قال لا إلهٰ إلا الله ؟][3]» فأنكر عليه قتله، ولم يوجب عليه قَوَداً ولا دِية ولا كفَّارة.

وقد روى محمد بن جرير الطبرى وغيره عن ابن عباس وقتادة أن هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ الآية [سورة النساء: ٩٤] نزلت فى شأن مرداس، رجل من غطفان، بعث النبى صلى الله عليه وسلم جيشا إلى قومه، عليهم غالب الليثى، ففرّ أصحابه ولم يفرّ. قال: إنى مؤمن، فصبّحته الخيل، فسلّم عليهم، فقتلوه وأخذوا غَنَمه، فأنزل الله هذه الآية، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بردّ أمواله إلى أهله وبدِيَته إليهم، ونهى المؤمنين عن مثل ذلك[4].

وكذلك خالد بن الوليد قد قتل بنى جذيمة مُتأولا، ورفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه وقال: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع / خالد»[5]. ظ ٢٢٩

ومع هذا فلم يقتله النبى صلى الله عليه وسلم لأنه كان متأوّلا.

فإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقتله مع قتله[6] غير واحد من

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٢) عبارة «يا أسامة»: ساقطة من (ن)، (ى).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) وسبق هذا الحديث فيما مضى ١/ ٥٦٠.

(٤) انظر تفسير الطبرى (ط. المعارف) ٩/ ٧٦ - ٧٨.

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/ ٤٨٧. (٦) ح: مع قتل.

المسلمين من بنى جذيمة للتأويل[1]، فلأن لا يقتله أبو بكر لقتله مالك ابن نويرة بطريق الأَوْلى والأَحرى.

وقد تقدم ما ذكره هذا الرافضى من فعل خالد ببنى جذيمة، وهو يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقتله، فكيف لم يجعل ذلك حجة لأبى بكر فى أن لا يقتله ؟! لكن من كان متّبعا لهواه أعماه عن اتّباع الهدى.

وقوله: إن عمر أشار بقتله.

٣/ ١٣٠ فيقال: غاية هذا أن / تكون مسألة اجتهاد، كان رأى أبى بكر فيها أن لا يَقْتُلَ خالداً، وكان رأى عمر فيها قتله، وليس عمر بأعلم من أبى بكر: لا عند السنّة[2] ولا عند الشيعة، ولا يجب على أبى بكر ترك رأيه لرأى عمر، ولم يظهر بدليل شرعى أن قول عمر هو الراجح، فكيف يجوز أن يَجْعَل مثل هذا عيبا لأبى بكر إلا من هو من أقل الناس علما ودينا ؟

وليس عندنا أخبار صحيحة ثابتة بأن الأمر جرى على وجه يُوجب قتل خالد.

وأما ما ذكره من تزوجه بامرأته ليلة قتله؛ فهذا مما لم يُعرف ثبوته. ولو ثبت لكان هناك تأويل يمنع الرجم. والفقهاء مختلفون فى عدّة الوفاة: هل تجب للكافر؟ على قولين. وكذلك تنازعوا: هل يجب على الذميّة عدّة وفاة؟ على قولين مشهورين للمسلمين[3]. بخلاف عدّة الطلاق؛ فإن تلك سببها[4] الوطء، فلابد من براءة الرحم. وأما عدّة الوفاة فتجب

---

(١) ن، م: مع التأويل. (٢) ب: السنية.
(٣) ح، ر، ى: فى المسلمين.
(٤) ح، ب: بسبب.

بمجرد العقد، فإذا مات قبل الدخول بها فهل تعتد من الكافر أم لا ؟ فيه نزاع. وكذلك إن كان دخل بها، وقد حاضت بعد الدخول حيضة.

هذا إذا كان الكافر أصليا. وأما المرتد إذا قُتل، أو مات على ردّته، ففى مذهب الشافعى وأحمد وأبى يوسف ومحمد ليس عليها عدّة وفاة بل عدّة فرقة بائنة، لأن النكاح بطل بردّة الزوج. وهذه الفرقة ليست طلاقا عند الشافعى وأحمد، وهى طلاق عند مالك وأبى حنيفة، ، ولهذا لم يوجبوا عليها عدّة وفاة، بل عدّة فرقة بائنة، فإن كان لم يدخل بها فلا عدّة عليها، كما ليس عليها عدّة من الطلاق.

ومعلوم أن خالدا قتل مالك بن نويرة لأنه رآه مرتدًا، فإذا[1] كان لم يدخل بامرأته فلا عدّة عليها عند عامة العلماء[2]، وإن كان قد دخل بها فإنـه يجب عليها استبراء بحيضة لا بعدّة كاملة فى أحد قوليهم، وفى الآخر بثلاث حيض. وإن كان كافرا أصليا فليس على امرأته عدّة وفاة فى أحد قَوْليهم. وإذا كان الواجب استبراء بحيضة فقد تكون حاضت. ومن الفقهاء من يجعل بعض الحيضة استبراء، فإذا كانت فى آخر الحيض جعل ذلك استبراءً لدلالته على براءة الرحم.

وبالجملة فنحن لم نعلم أن القضية وقعت على وجهٍ لا يسوغ فيها الاجتهاد والطعن بمثل ذلك من قول من يتكلم بلا علم، وهذا مما حرَّمه الله ورسوله.

---

(١) ن، م: فإن.

(٢) ح، ب: الفقهاء؛ ر، ى: الفقهاء العلماء.

﴿فصـــل﴾ [1]

تـابـع كـلام الـرافضي على أبي بكر رضي الله عنه

قال الرافضي [2]: «وخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم [3] في توريث بنت النبي صلى الله عليه وسلم ومَنَعَهـا فَدَكـاً [4]، وتسمَّى بخليفة [5] رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يستخلفه».

الرد عليه

والجواب: أما الميراث فجميع المسلمين مع أبي بكر في ذلك، ما خلا بعض الشيعة، وقد تقدّم الكلام في ذلك، وبيَّنا أن هذا من العلم الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن قول الرافضة باطل قطعا.

وكذلك ما ذَكَر من فَدَك، والخلفاء بعد أبي بكر على هذا القول. وأبو بكر وعمر لم يتعلقا من فَدَك ولا غيرها من العقار بشيء ولا أَعْطَيا أهلهما من ذلك شيئا. وقد أعطيا بني هاشم أضعاف أضعاف ذلك.

ثم لو احتجَّ محتج بأن عليًّا كان يمنع المال ابن عباس وغيره من بني هاشم، حتى أخـذ ابن عبـاس بعض مال البصرة وذهب له. لم يكن الجواب عن عليّ إلا بأنه إمام عادل قاصد للحق، لا يُتّهم في ذلك.

وهذا الجواب هو في حق أبي بكر بطريق الأَوْلى والأحرى. وأبو بكر

---

(١) فصل: ساقطة من (ح)، (ر). وفي (ي): الفصل التاسع والعشرون.

(٢) في (ك) ص ١٣٦ (م).

(٣) ك: أمر الله.

(٤) ح، ب: فدك.

(٥) ك: ويسمى خليفة.

أعظم محبة لفاطمة ومراعاة لها من عليّ لابن عباس. وابن عباس بعليّ أشبه من فاطمة بأبى بكر؛ فإن فضل أبى بكر عَلَى فاطمة أعظم من فضل عليّ على ابن عباس.

وليس تبرئة[1] الإنسان لفاطمة من الظن والهوى بأَوْلى من تبرئة[1] أبى بكر؛ فإن أبا بكر إمام لا يتصرّف لنفسه بل للمسلمين، والمال لم يأخذه لنفسه بل للمسلمين. وفاطمة تطلب لنفسها، وبالضرورة نعلم[2] أن بُعْد الحاكم عن اتّباع الهوى أعظم من بُعد الخصم الطالب لنفسه؛ فإن علم أبى بكر وغيره بمثل[3] هذه القضية لكثرة مباشرتهم للنبى صلى الله عليه وسلم أعظم من علم فاطمة.

وإذا كان أبو بكر أَوْلى بعلم مثل[4] ذلك، وأَوْلى بالعدل، فمن جعل فاطمـة أعلم[5] منـه فى ذلك وأعدل، كان من أجهل الناس، لا سيّما وجميع المسلمين الـذين لا غرض لهم هم[6] مع أبى بكر فى هذه / المسألة، فجميع أئمة الفقهاء عندهم أن الأنبياء لا يورِّثون مالا، وكلهم يحب فاطمة ويعظِّم قدرها رضى الله عنها، لكن لا يترك ما علموه من قول النبى صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس، ولم يأمرهم الله ورسوله أن يأخذوا دينهم من غير محمد صلى الله عليه وسلم: لا عن أقاربه، ولا عن غير أقاربه، وإنما أمرهم الله بطاعة الرسول واتّباعه.

٣ / ١٣١

(١) ح، ر، ى، م: تنزيه.
(٢) ح، ب: تعلم.
(٣) ح، ب: لمثل.
(٤) مثل: ساقطة من (ح)، (ر)، (ى).
(٥) ح، ب: أعظم.
(٦) هم: ساقطة من (ح)، (ب). وفى (ن)، (م): فهم.

وقد ثبت عنه فى الصحيحين أنه قال: «لا[1] أفلح قوم ولُّوا أمرهم امرأة»[2] فكيف يسوغ للأمة أن تعدل عمّا علمته من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم / لما يُحكى عن فاطمة فى كونها طلبت الميراث، تظن أنها تَرِث[3].

ص ٢٣٠

﴿فصـــــل﴾

الكلام على تسمية أبي بكر رضى الله عنه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما تسميته بخليفة رسول الله ؛ فإن المسلمين سمّوه بذلك. فإن كان الخليفة هو المستخلَف، كما ادّعاه هذا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلفه، كما يقول ذلك من يقوله من أهل السنّة. وإن كان

---

(١) ح، ب: ما.

(٢) هذا جزء من حديث عن أبي بكرة رضى الله عنه ونصه فى: البخارى ٨/٦ (كتاب المغازى، باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر): عن أبي بكرة قال: لقد نفعنى الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الجمل بعد ما كدت ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملّكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولُّوا أمرهم امرأة». وجاء الحديث مختصرا فى: البخارى ٥٥/٩ (كتاب الفتن، باب حدثنا عثمان بن الهيثم...). والحديث أيضا فى: سنن الترمذى ٣/٣٦٠ (كتاب الفتن، باب ٦٠ حدثنا موسى بن عبد الرحمن الكندى..)؛ سنن النسائى ٨/٢٠٠ (كتاب آداب القضاة، باب النهى عن استعمال النساء). والحديث فى المسند (ط. الحلبى) مع اختلاف فى اللفظ (تملكهم امرأة، اسندوا...). انظر ٥/٣٨، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥١.

(٣) ذكر الأستاذ إحسان إلهى ظهير فى كتابه «الشيعة وأهل البيت» أن من الشيعة من قال بموافقة فاطمة رضى الله عنها على ما فعله أبوبكر الصديق رضى الله عنه. يقول الأستاذ إحسان (ص ٨٤ ـ ٨٥، ط. باكستان، ١٤٠٣/١٩٨٣) «بل وفى بعض الروايات الشيعية أنها رضيت على ذلك كما يرويه ابن الميثم فى شرح نهج البلاغة: «إن أبا بكر قال

الخليفة هو الذى خَلَفَ غيرَه ـ وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور ـ لم يحتج فى هذا الاسم إلى الاستخلاف.

[والاستعمال الموجود فى الكتاب والسنة يدل على أن هذا الاسم يتناول كل من خَلَفَ غيره: سواء استخلفه][1] أو لم يستخلفه، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس: ١٤]، وقوله [تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ الآية [سورة الأنعام: ١٦٥]، وقال:][2] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٦٠]، وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [سورة الأعراف: ٦٩]، وفى القصة الأخرى: ﴿خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾ [سورة الأعراف: ٧٤]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢] فهذا استخلاف.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [سورة الفرقان: ٦٢] وقال: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سورة يونس: ٦]: أى هذا يَخْلُف هذا، وهذا يخلف هذا، فهما يتعاقبان. وقال موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ

لها: إن لك ما لأبيك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقى ويحمل منه فى سبيل الله، ولك على الله أن أصنع بها كما كان يصنع، فرضيت بذلك وأخذت العهد عليه به» (شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى حـ ٥ ص ١٠٧ ط. طهران) ومثل ذلك ذكر الدنبلى فى شرحه «الدرة النجفية» (ص ٣٣١، ٣٣٢، ط. إيران). وانظر «الشيعة وأهل البيت» ص ٨٤ ـ ٩٢.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٩] وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [سورة النور: ٥٥]، وقال للملائكة: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، وقال: ﴿يَادَاوودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ﴾ [سورة ص: ٢٦].

فغالب هذه المواضع ليكون الثانى خليفة عن الأول، وإن كان الأول لم يستخلفه.

وسُمِّى الخليفة خليفة لأنه يخلف من قبله، والله تعالى جعله يخلفه، كما جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل. ليس المراد أنه خليفةً عن الله، كما ظنه بعض الناس، كما قد بسطناه فى موضع آخر.

والناس يسمُّون ولاة أمور المسلمين الخلفاء. وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى»[1].

ومعلوم أن عثمان لم يستخلف عليًّا، وعمر لم يستخلف واحداً معينا، وكان يقول: «إن أستخلف فإن أبا بكر استخلف، وإن لم أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف».

وكان مع هذا يقول لأبى بكر: يا خليفة رسول الله.

وكذلك خلفاء بنى أمية وبنى العباس، كثير منهم لم يستخلفه من قَبْلَه. فعُلم أن الاسم عام فيمن خَلَف غيره.

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/ ١٦٤.

وفى الحديث ـ [إن صح] ـ[1] : «وددت أنى رأيت» أو قال : «رحمة الله على خلفائى». قالوا : ومن خلفاؤك يارسول الله ؟ قال : «الذين يُحْيون سنتى ويعلّمونها الناس»[2].

وهـذا إن صح من قول النبى صلى الله عليه وسلم فهـو حجـة فى المسألة، وإن لم يكن من قوله فهو يدل على أن الذى وضعه كان من عادتهم استعمال لفظ «الخليفة» فيمن خَلَف غيره وإن لم يستخلفه، فإذا قام مقامه وسدَّ مسدّه فى بعض الأمور فهو خليفة عنه فى ذلك الأمر.

تم بحمد الله الجزء الخامس من كتاب «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية، ويتلوه ـ إن شاء الله ـ الجزء السادس وأوله : فصل قال الرافضى : ومنها ما رووه عن عمر . . . الخ

---

(1) إن صح : ساقطة من (ن)، (م).

(2) ذكر السيوطى الحديث فى «الجامع الكبير» ١/٥٣٥ وأوله : «رحمة الله على خلفائى . . . وقال فى آخره : «أبو النصر السجزى فى الإبانة كر (ابن عساكر فى تاريخه) عن الحسن بن علىّ».

فهرس موضوعات الجزء الخامس
من كتاب «منهاج السنة النبوية»

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضوع	الصفحة

رموز الكتـــــاب

١ ـ ن = نسخة نور عثمانية باستانبول .

٢ ـ م = نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة .

٣ ـ ب = النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق .

٤ ـ ع = نسخة عاشر أفندى باستانبول .

٥ ـ ا = نسخة مكتبة الأوقاف الأولى ببغداد .

٦ ـ ق = نسخة مكتبة الأوقاف الثانية (المختصرة) ببغداد .

٧ ـ و = نسخة الولايات المتحدة الأمريكية .

٨ ـ ل = مخطوطة جامعة الإمام الأولى .

٩ ـ ص = مخطوطة جامعة الإمام الثانية .

١٠ ـ هـ = مخطوطة جامعة الإمام الثالثة .

١١ ـ ح = مخطوطة جامعة الإمام الرابعة .

١٢ ـ س = مخطوطة جامعة الإمام الخامسة .

١٣ ـ ر = مخطوطة جامعة الملك سعود الأولى .

١٤ ـ ى = مخطوطة جامعة الملك سعود الثانية .

١٥ ـ ك = كتاب «منهاج الكرامة فى إثبات الإمامة» لابن المطهر الحلّى .